

رسالة مختصرة  
في الفطرة  
والمشكلة الإنسانية



الرويس، شارع الرويس، بيروت - لبنان  
Mob: 00961 3 689 496 | TeleFax: 00961 1 545 133  
info@daralwalaa.com | daralwalaa@yahoo.com  
P.O. Box: 307/25 | www.daralwalaa.com

ISBN 978-614-420-403-0

## رسالة مختصرة في الفطرة والمشكلة الإنسانيّة

المؤلف: هلال اللواتي.

الناشر: دار الولاء لصناعة النشر.

الطبعة: الأولى بيروت-لبنان ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م

إخراج فني وتنفيذ:

**eight**  
press &  
production

www.eightproduction.com | 00961 3 017 565

© جميع الحقوق محفوظة للناشر

هلال اللواتي

رسالة مختصرة  
في الفطرة  
والمشكلة الإنسانيّة



دار الولاء  
لصناعة النشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## المحتويات

الإهداء	١١
ديباجة	١٣
المقدمة	١٥
إثارة	١٥
رسالة في الفطرة	١٩
المشكلة الإنسانية العالمية	١٩
الوقوف على منشأ المشكلة الإنسانية	٢٣
علاقة الدافع بالفطرة	٢٥
المتطلبات الإنسانية	٢٦
نحو تحقيق الذات والمصالح	٢٧
العالم الإجتماعي عالم التزاحم	٢٩
منشأ المشكلة الاجتماعية	٣١
البحث عن علاج المشكلة الاجتماعية	٣٣
بنود العدالة الاجتماعية	٣٥

٣٦	المحاولات البشرية .....
٤٣	المؤاخذات على المحاولات البشرية .....
٤٣	أولاً: المؤاخذات على تطويع المادة .....
٤٨	ثانياً: المؤاخذات على صناعة القانون .....
٦١	الفطرة وحل المشكلة البشرية .....
٦١	الفطرة تتكلم .....
٦٥	محصلة البحث .....
٦٧	الكمال المطلق واستجابته لطلب الإنسانية الفطري .....
٦٧	إستجابة «السماء» .....
٦٨	مقومات صلاحية التدخل .....
٧٠	الصفة الأولى: الخالقية .....
٧١	الشواهد النصية .....
٧٢	الصفة الثانية: المالكية .....
٧٤	الصفة الثالثة: العلم بكل شيء .....
٧٥	الشواهد النصية .....
٧٩	الصفة الرابعة: الحكمة .....
٨٤	الصفة الخامسة: القدرة .....
٨٥	الشواهد النصية .....
٨٧	الصفة السادسة: القوة المطلقة .....

٨٨	..... الشواهد النصية
٨٩	..... الصفة السابعة: الغنيّ المطلق
٩١	..... الشواهد النصية
٩٢	..... فرع الصفة السابعة: إفتقار الممكنات
٩٤	..... الشواهد النصية
٩٧	..... الصفة الثامنة: العدل
٩٩	..... الشواهد النصية
١٠٠	..... الصفة التاسعة: الإحاطة التامة
١٠٠	..... الشواهد النصية
١٠٢	..... الصفة العاشرة: الهداية
١٠٥	..... الشواهد النصية
١١٤	..... الشواهد النصية
١٢١	..... الشواهد النصية
١٢٣	..... الشواهد النصية
١٢٥	..... الشواهد النصية
١٢٦	..... الصفة الحادية عشرة: الربوبية
١٣١	..... الشواهد النصية
١٣٩	..... الملحق: الحزمة النورية لتكامل الفرد والمجتمع
١٣٩	..... الحزمة النورية للبناء التكاملي
١٤١	..... النتيجة المحصّلة

- معالم الحلول والعلاج السماوي للمشكلة الإنسانية ..... ١٤٧
- المعالم الأساسية لرسالة السماء ..... ١٤٧
- المعلم رقم (١): محورية التوحيد ..... ١٥٠
- الشواهد النصية ..... ١٥٦
- المعلم رقم (٢): الدنيا قنطرة إلى دار المقر ..... ١٧٦
- الشواهد النصية ..... ١٧٨
- المعلم رقم (٣): الرابطة التكوينية بين النشاطين ..... ١٨٢
- الشواهد النصية ..... ١٩٢
- المعلم رقم (٤): قانونا نشأة الدنيوية ..... ١٩٥
- المعلم رقم (٥): الرابطة التكوينية للإنسان بالقانون التكويني ..... ١٩٨
- الشواهد النصية ..... ٢٠٧
- الدلالات ذات القاعدة العامة، والشاملة ..... ٢٢٣
- المعلم رقم (٦): نشأة الآخرة وأحكامها ..... ٢٨٨
- الشواهد النصية ..... ٢٩٢
- المعلم رقم (٧): القانون التشريعي ..... ٣٠٠
- الشواهد النصية ..... ٣٠٢
- التشريع وفقه المجتمع ..... ٣١٣
- النصوص الشريفة ..... ٣١٤
- شمول التشريعات لغير الإنسان ..... ٣٢٧
- الشواهد النصية ..... ٣٣٠

- المعلم رقم (٨): الرابطة بين القانون التشريعي وبين القانونين والنشأتين .. ٣٣٤
- نية الإنسان ومدخلتها في تحقيق الكمال والسعادة والحضارة ..... ٣٣٦
- المنهجية السماوية في تحقيق الحضارة الإنسانية ..... ٣٤٣
- القنوات التواصلية بين السماء والأرض ..... ٣٤٤
- الرسالة السماوية بين الكمال الربوبي والعجز الإنساني ..... ٣٤٥
- رسالة «الكمال المطلق» «كمال مطلق» ..... ٣٤٧
- طبيعة العلاقة الثلاثية المرسل والرسالة والرسول ..... ٣٤٨
- معنى الخلافة الإلهية في الأرض ..... ٣٥٥
- القانون التشريعي السماوي ..... ٣٦٧
- العقل وعالم التشريع السماوي ..... ٣٧٠
- محصلة البحث ..... ٣٧١
- إلى تحقيق العدالة الاجتماعية ..... ٣٧٣
- صفات المنفَّذ للتشريع الإلهي في الحياة ..... ٣٧٣
- القانون والتشريع الإلهي واختيار المنفَّذ والمطبق ..... ٣٧٥
- إِتِّحَادُ التشريع والمنفَّذ ..... ٣٨٠
- آلية نجدة السماء للفطرة الإنسانية ..... ٣٨٣
- قيادة الأنبياء والرسول لأُمَمهم ..... ٣٨٩
- «التوحيد» أساس البناء الحضاري ..... ٣٩٥
- المواجهة: مواجهة الإنسان للمشروع للسماوي الحضاري ..... ٣٩٧

٣٩٧	البشرية وموقفها من الرسالة .....
٤٠٩	كيفية تعامل الأنبياء مع الفراعنة والطغاة .....
٤٣١	السماء وموقفها من طغيان البشرية .....
٤٣٥	الفصل الأخير: بحث متفرّع - سرّ غيبة الخليفة الإلهي عن الناس .....
٤٣٥	الإعتزال والغيبة عن الأمة .....
٤٤١	مصادر الكتاب .....

## الإهداء

أهدي هذا الكتاب إلى قلب كلِّ إنسان باحث عن الحقِّ،  
والطالب لكَماله، والسائر إلى غاية خِلقته، والمفطور على  
الكَمال المطلق، والناقص الفقير بخروجه إلى الوجود،  
والحاوي للكمالات يومَ إيجاده.

أملاً في أن يفتحَ القارئُ العزيزُ عينه على الواقع والحقيقة،  
ويزيلَ عنهما رينَ الوهم والغفلة، ليشاهد أين هو طريق سعادته  
المطلقة التي طالما يبحث عنها، وأين هو سبيل حضارته التي لا  
يزال يحلم في تحقيقها.

هلال اللواتي





## ديباجة

لقد وُفِّقْتُ لكتابة هذه الرسالة وأنا متوجِّه إلى زيارة سيدي ومولاي الرضا عليه السلام في الثامن من شهر رجب المرجب ١٤١٨ هـ يوم الخميس، وذلك في القطار المتوجِّه إلى مشهد المقدَّسة، وقد انتهيتُ من أهمِّ أبحاثه الأساسية في ليلة السبت ليلة ١٠ رجب ١٤١٨ هـ وأنا في جواره سلام الله عليه، وكانت هذه بدايةً لهذا الكتاب.

ولمَّا كنتُ في طريق العودة وجدتُ أنَّ عليَّ إضافة بعض المسائل حتى تكتمل الرسالة، فأضفتُ بعضَها في الطريق، وأكملتُها في مدينة الدراسة وطلب معارف الثقلين مدينة قم المقدَّسة في جوار سيدي ومولاتي فاطمة المعصومة عليها السلام، وتمَّ الإكمالُ للمسائل الأساسية المحوريَّة لهذه الرسالة بحمد الله وتوفيقه في سحر ليلة الاثنين ١٩ رجب ١٤١٨ هـ.

وقد تمَّت مراجعة هذه الرسالة مراجعةً نهائيةً مؤخراً وذلك في شهر جمادى الثانية ١٤٣١ هـ، في الأيام الفاطميَّة، وقمتُ بتنقيح بعض العبارات، وإضافة الشواهد النصِّيَّة اللازمة لها بحمد الله تعالى وتوفيقه.

علماً بأنَّ مضامين هذه البحوث قد أُلقيت على شكل محاضرات ودروس في عدَّة بلدان منها الولايات المتحدة الأمريكية وفي عدَّة مراكز إسلاميَّة وفي عدَّة ولايات، وباللغتين العربية والإنجليزية، وقد لاقت بحمد الله استحساناً وإقبالاً، الأمر الذي يُحفِّزنا ويدعونا إلى ترجمتها لاحقاً إن شاء الله تعالى إلى اللغة الإنجليزية.

فأسألُ الله عزَّ وجلَّ أن يجعلها ذخراً وذخيرةً لي يومَ لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من

أتى الله بقلب سليم، اللَّهُمَّ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ وَحَسْنَ الْعَاقِبَةِ، وَإِلَيْكَ أَرْغَبُ وَأَطْلُبُ، فَبِجَاهِ حَبِيبِكَ الْمَصْطَفَى وَوَلِيِّكَ الْأَعْظَمِ وَخَلِيفَتِكَ الْمَعْظُمِ وَعُرْوَتِكَ الْوَثْقَى وَحِجَّتِكَ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا، وَبِجَاهِ نُورِكَ الْأَنْوَارِ وَسِرَاجِكَ الْأَزْهَرِ الَّذِي بِهِ أَشْرَقَتِ الْأَنْوَارُ فِي كَائِنَاتِكَ فَأَزْهَرَتْ وَأَنْوَرَتْ وَاسْتَبْشَرَتْ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَصَلِّيَ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَأَنْ تَنْعَمَ عَلَيَّ بِرَحْمَتِكَ بِهِمْ وَبِحَقِّهِمْ لَدَيْكَ.. وَأَنْ لَا تَفَرِّقَنِي وَعِيَالِي وَمَنْ يُهْمُنِي أَمْرُهُ عَنْهُمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ أَبَدًا إِلَهَ الْحَقِّ آمِينَ.

الأحقر

هلال بن الملا حسن اللواتي العماني

## المقدمة

### إشارة

لا تزال البشرية تقفُ عاجزةً عن معرفة أقرب موجود إليها وهو «النفس»، رغم تغلغلها في أعماق الفضاء وسبرها غور المحيط الكونيّ.

فما هي النفس؟

ولماذا يُشكّل على البشرية الإحاطة بها، أو لا أقلّ معرفتها بشكلٍ سهل به التعامل معها كما سهّل مع المادّة؟!

إنّ الفلسفة مُدّ أن عرف التاريخ ولادتها في البشرية، عرف اقتران بحث النفس بأبحاثها الرئيسيّة، ولا تزال المحاولات والنظريّات مستمرةً في طرح ما من شأنه كشف بعض مجاهيل هذه «الخزانة الوجوديّة».

ولمّا انفصلت مجموعةً من الأبحاث عن المركبة الأمّ «الفلسفة» ودخلت في مرحلة عمريّة متطورة حيث بلغت مبلغ التخصّصات، انفصلت بذلك أبحاث النفس أيضاً لتُشكّل علماً مستقلاً يُعرّف بـ«علم النفس» وتفرّعت عن هذا العلم المتفرّع أبوابٌ عديدة وكثيرة، تُحاول كلُّ منها وضع الحلول المناسبة في المجال الذي تبحث فيه، وتُقدّم أرقى ما تستطيع تقديمه؛ لدفع عجلة التطوّر إلى الأمام، تحقيقاً لسعادة الإنسان.

وبما أن العصر قد شهد تنميةً شاملةً – كما يُحبّب البعض أن يصفَ العصر بهذه الصفة – في المجال العلميّ بالخصوص، فإنه شهد بذلك تداخلاً ملموساً لكافة العلوم فيما بينها، بحيث شكّل هذا التداخل وحدةً منسجمةً متفاعلةً فيما بينها.

ومساهمةً في وضع أفضل برنامج لتحقيق السعادة البشرية كان الدور البارز لهذا العلم من جهتين:

الأولى: من حيث مجاله المستقل الخاص.

الثانية: من حيث التداخل مع كثير من العلوم، إذ نجد استعانة الكثير من العلوم بهذا العلم.

إنَّ الأهميَّةَ التي لاقتها أبحاثُ «النفس» قديماً وحديثاً، لتدلُّ على حياة هذا الموجود البسيط مكانةً خاصَّةً، وحُظوةً كبيرةً، ولعلَّ ذلك يكمن في كون كلِّ المنعطفات البشرية، وكلِّ القضايا الإنسانية؛ الفردية منها والجماعية الصغيرة منها والكبيرة، كان منطلقها الأوَّل والأساسيُّ هو «النفس».

ومن المؤسف أن نجد في كلِّ عصر، وفي كثير من المواقع؛ انتهازيين يستغلون هذا العلم استغلالاً سيئاً، فيؤثرون على ضعاف النفوس، بما يملكون من لفظٍ بارع، وأسلوبٍ رائع، فيغرسون فيهم بسفسطتهم مفاهيمهم المغلقة بأغلفة جدلية، فيقنعون من لا خبرة له في العلوم التخصصية بأنهم على صراطٍ مستقيم!

إن دخول النفوس السفسطائية المجربزة في المجتمع الفطري؛ كان له الأثر البالغ في تحريف الناس عن الحقِّ وهم لا يشعرون، ولا نستغرب أن نجد في عصر من العصور أنَّ الاتجاهات السفسطائية أصبحت هي الحاكمة على مجمل التصرفات والتوجهات الإنسانية، ولكن مهما لعبت السفسطة لعبتها، فإنَّ الفطرة ومسائلها ستظلُّ تدافع عن نفسها، مُثبتة وجودها، كاشفة زيف كلِّ ما يخالفها؛ لأنَّ الأصل هو استحالة اجتماع النقيضين: الفطرة والمغالطة.

ورغم قلة الأبحاث النفسية في مجال بيان المفاهيم المتعلقة بالفطرة فإنَّ مسائلها هي المسيطرة ببساطة طرحها، وعمق رؤيتها، على أزمة الأمور، ومهما خرج خارج عنها محاولاً الانقلاب عليها؛ فإنه سيظلُّ في وضع يحتاج فيه إلى مقياس يُقيَّم وجوده، وإلى معيار يُعيَّر له فكره وأطروحاته، ولا أحد يملك الصلاحية لأن يكون

في موقع المقيّم والمعيّر إلا هي، لكونها الحكومة الإنسانيّة الوحيدة غير المنحازة، تحكم، وتقيم، وتنقد، بنزاهة وموضوعية.

وتجدر الإشارة في المقام إلى أنّه لا يمكن أن تتحدّد معالم هذا العلم، وأن تُعرّف حقيقته، وأن تتحقّق الحياة الحضاريّة للإنسان ما لم يندمج مع السماء؛ بل ما لم يرجع إليها، ليستمدّ منها حياته، واستمرار وجوده لتحقيق الحُلم الإنسانيّ، باعتبار أن السماء هي صاحبة صناعة المشروع الجبار «النفس»، فبدونها - أي السماء - لن يستطيع أن يتقدّم خطوة واحدة في صناعة المشروع الإنسانيّ الحضاريّ.

والدراسات العلميّة للنفس الإنسانيّة مهما بلغت تفوّقاً أكاديمياً؛ فإنها تظلّ في طور مرحلة الحضانة - ولعليّ أكون مبالغاً نوعاً ما بالنظر إلى كلّ العلم، وما يحتويه من المجاهيل التي تحتاج إلى الوقوف على عتبتها قبل الدخول إليها-، فهي تحتاج إلى من يُعيّنها لا أن يستعان بها، فإن فاقد الشيء لا يُعطيه.



## رسالة في الفطرة

ترتبط أبحاث الفطرة بمسائل وقضايا النفس ارتباطاً وثيقاً، حيث نلاحظ فيها اندكاً ملحوظاً، بل ولاحظنا أنّ لأغلب مسائل «علم النفس» ولتفرعاته نحواً من العلة بها وبمسائلها، بل ولن نعدو الحقيقة - بحسب ما توصلنا إليه - إن قلنا بأنّ كلّ المسائل الإنسانيّة متفرّعة عن الفطرة.

إنّ أهمّ ما تعتمد عليه عمليّة السير والسلوك إلى الله عزّ وجلّ في بُعديها العلمي والعملي هو «النفس»، حتى أنّك لن تجد في الكتاب العزيز تأكيداً على شيء كمثل التأكيد على مسألة «النفس»، إذ بتزكيّتها تحصل السعادة، وبدسّها تحصل التعاسة، وهذا الكراس ما هو إلا محاولة لتقديم موقع «الفطرة» وأهميّتها بالنسبة لمسيرة الإنسان نحو تشكيل وتحقيق حضارة إنسانية.

وسنحاول أن ننتقل إلى فهم إحدى أهمّ أبعاد «الفطرة» من خلال ما تعانيه الإنسانيّة من مشكلات؛ لتعرّف على مصدر حدوث المشكلة وسبيل علاجها، وطريق تحصيلها.

### المشكلة الإنسانيّة العالميّة

إنّ بحث الإنسان مستمرّ عن الحلول للحصول على العلاج الناجع لمشكلته الإنسانيّة، بحيث تضع هذه الحلول حدّاً لمعاناته ومشكلاته التي تكاد أن يصل عمرها إلى عمر الإنسان على هذه البسيطة، حيث لم تستثن مجالاً من مجالاته، ولا صعيداً من الأصعدة الاجتماعيّة.

## تحقيق الذات والسعادة:

إنَّ كلَّ إنسانٍ لم يزل ولا يزال باحثاً عن طرق ووسائل تحقِّق ذاته وسعادته، وعن توفير الأجواء التي تساهم في عيشه عيشاً هنيئاً سالمًا من كل المنغصات والكدورات، فهو يبحث عن حياة تتوفر فيها جميع احتياجاته ومتطلباته.

ولو حللنا الصراعات الدوليَّة إلى موادِّها وعناصرها الأوَّلِيَّة لوجدناها لا تتجاوز ما نقوله، وهذا يُرجعنا إلى ما ذكرناه آنفًا.. من أنَّ جميع ما في الأرض من المشكلات الاجتماعيَّة منشؤها «الإنسان».

والصراعاتُ الشعوبيَّة والأُمميَّة، والاجتماعيَّة، والقبائليَّة، والأسريَّة، صغرت أم كبرت، كُلُّها مرجعُها إلى صراع «الإنسان» مع «الإنسان»، ومع قليلٍ من التأمل سنجد أنَّ ذلك ينحلُّ إلى «صراع الإنسان مع نفسه»!

بل ولو عمَّقنا النظرَ لوجدنا أنَّ وراء الآثار المدمِّرة التي تعاني منها بعضُ الأمم كالمجاعة والأمراض الفتاكة لوجدنا أنَّ وراءها «الإنسان»!

وبمزيد من التمعُّن في حالات الطبيعة سنجد أنَّ وراء دمارها وتزلزل نظامها وقانونها برًّا وبحراً وجوًّا بما يشمل الطبقات الجويَّة «الإنسان»، بل ولن نعدو الحقيقة إن قلنا بأنَّ النظام الكونيَّ أيضاً يتأثَّر بسلوك الإنسان، والذي - أي النظام الكونيَّ - لا ينفكُّ عن التأثير به بشكل كبير جدًّا، وإثباتُ هذه الحقيقة ليس بالأمر الصعب، نظراً إلى ما نراه من ترابط العلاقة القائمة بين الإنسان والطبيعة والموجودات في سلسلة محكمة.

فالإنسان هو السبب في الاضطراب في التوازن البيئيِّ والاجتماعيِّ، وهذا بدوره يؤثرُ على طبيعة الأرض، ومنه يتأثَّر الفضاء الخارجيِّ، وهكذا إلى أن تصلَ النوبة إلى مجمل المنظومة الكونية، ومن يعلم ما يخبئه مستقبلُ هذه العلاقة الضرورية بين الإنسان والطبيعة؛ فإنَّ المؤشِّرات اليومَ تنبئُ باحتمال تحوُّل الفضاء الخارجيِّ المجاور إلى مخزن نفايات الأقمار الفضائيَّة، فيتوسَّع بذلك الاضطرابُ بحيث يشمل اختلالَ التوازن الفضائيِّ جرَّاء فعل «الإنسان».



ومن هنا تُطرحُ بعضُ التساؤلات حول القضية الإنسانيّة:

- ١ - تُرى ما سبب حدوث مثل هذه الحالات لدى الإنسان؟!
- ٢ - وما هي الدوافع التي تدفع الإنسان إلى التحرك بهذه الكيفيّة التي قد تقوده إلى دمار ما يصنعه؟!
- ٣ - ألا يمكن وقف النزيف الداخليّ في جسم المجتمع وفي بدن الطبيعة حيث أصبح يزداد جرحه، ويعظم ألمه؟!
- ٤ - وهل ستقف البشريّة مكتوفة الأيدي وهي تُشاهدُ دمارَ نفسها؟!
- ٥ - ألا توجد حلولٌ جذريّةٌ تعالج المشكلة الإنسانيّة العالميّة من جذورها، وتمنعها من التجدد بعد اندراسها؟!



## الوقوف على منشأ المشكلة الإنسانية

لا بدّ لنا أن نقفَ في سبيل البحث عن العلاج الجذريّ على المنشأ لهذه المشكلة الإنسانية، فإنّ معرفة المرضِ نصفُ العلاج.

الدافع الذاتي والمشكلة الإنسانية:

فلأجل أن يتّضح الجواب؛ من المهمّ أن نُقدّم بعضَ المقدمات الأساسية.

التجهيز الذاتي التكويني:

حقيقتان مندكتان في الإنسان، ملازمتان له منذ نشوئه مقترنتان مع خلقته، متّحدتان مع ذاته، مندمجتان في وجوده؛ وهما...

١ - حب الذات<sup>(١)</sup>.

(١) إنّ حُبَّ الذات غريزةٌ ينبع منها مجموعةٌ من الصفات، فإن استقرّت على الاعتدال والوسطية أنتجت الإيجابية، وإن مالت إلى الإفراط أو التفريط لم تثمر سوى السلبية، وقد أشار إلى هذه الحقيقة العلامة الطباطبائي في الميزان، ج: ٢٠: ١٣: «وليس الهلعُ وشدة الحرصِ المَجبولِ عليه الإنسان - وهو من فروع حُبِّ الذات - في حدِّ نفسه من الرذائل، وهي الوسيلة الوحيدة التي تدعو الإنسان إلى بلوغ سعادته وكمال وجوده، وإنّما تكون رذيلةً مذمومةً إذا أساء الإنسان في تدبيرها، فاستعملها فيما ينبغي وفيما لا ينبغي، وبالحقّ وبغير حقّ كسائر الصفات النفسانية التي هي كريمة ما لزمّت حدّ الاعتدال، وإذا انحرفت إلى جانب الإفراط أو التفريط عادت رذيلةً ذميمة».

ويتفقّ الأعلام على هذه الحقيقة فإليك ما ذكره السيّد الخوئي (قدّس سرّه الشريف) في مصباح الأصول، للبهسودي: ١٦: ٢:

«... نعم الإنسان يتحرّك نحو ما يراه نفعاً له، ويحذر ممّا يراه ضرراً عليه، وليس ذلك بإلزام من العقل، بل المنشأ فيه حُبُّ النفس، ولا اختصاص له بالإنسان، بل الحيوان أيضاً بفطرته يُحبّ نفسه ويتحرّك إلى ما يراه نفعاً له، ويحذر ممّا أدرك ضرره. وبالجملة حُبُّ النفس وإن كان يحرك الإنسان إلى ما قطع بنفعه، إلا أنّه تحريكٌ تكويني لا بعث تشريعي». والسيّد الحكيم، تقرير بحث السيّد الروحاني، منتقى الأصول: ٤: ٤٤٩: «إنّ الفرار عن الضرر فطريّ وطبعيّ ينبعث عن حُبِّ النفس المستلزم للفرار عمّا يؤذيه».

وجاء في كلمات السيّد العلامة الطباطبائي في أكثر من كتاب، فمما جاء عنه في كتابه الشيعة في الإسلام: =

## ٢ - الشعور بالنقص .

فأما الحقيقة الأولى... فهي من فيوضات خالقه وبارئه التي أفاض بها على هذا الموجود الخاص في مملكته .

وأما الحقيقة الثانية فهي ملازمة للإنسان، مستحيلة الافتراق عنه أو الانفكاك، لكونها نشأت بوجوده الخاص المسمى بـ«الوجود الإمكانى» الذي من إحدى لوازمه الذاتية «الفقر» و«النقص» و«الاحتياج» .

## تولد الحركة الجوهرية (الديناميكية):

وبتفاعل الحقيقتين معاً، بحيث يُمثّل وجودُ «النقص» فيه الغاية لاستكمالها، وبحيث يُمثّل «حبُّ الذات» الدافع لاندفاعه وحركته، يندفع الإنسان في حياته طالباً للشيء الذي يمنحه إشباع الرغبتين المندكّتين في وجوده<sup>(١)</sup>، وهما تحقيق «حبِّ الذات» بأروع صورته، و«سدِّ النقص» بكمال يتناسب مع طبيعته الذاتية .

وهذا «التجهيز الذاتي» الذي زوّد به الإنسان في صميم تركيبته الوجودية سيُشكّل المحورَ الأساسي في حركة الإنسان، وسيكونُ هو الجوهر الذي به يتطوّر، ويتكامل .

فإذا وُجد شيءٌ فيه ما يحقّق به ذاته من جهة الإلتذاذ، ومن جهة الحصول على الكمال، فإنه سينجذب إليه انجذاباً، ويندفع إليه اندفاعاً طلباً للتمسّك به، بل طلباً لتحصيله واستملاكه، وهذا الطلب كما تبينَ مستمرٌّ مع وجود الإنسان، ومستحيل الانفكاك عنه لاستحالة انقلاب وتحوّل «الموجود الإمكانى» إلى غيره .

وعندما يجد الإنسان وجودَ أحدٍ من بني نوعه يُنافسه على ما يطلبه؛ فإنّه يبذل

٩٢: «... في الوقت الذي تسعى الأكثرية من الناس في أمور معاشهم، ورفع احتياجاتهم اليومية للحياة، غير مبالين بالمعنويات إلا أن هناك غريزةً في وجودهم، تدعى غريزة حبِّ الذات، نراها تنمو عندهم، وتجبرهم على إدراك مجموعة من القضايا المعنوية» .

(١) ولعلّ ما جاء في كلمات سيّد الساجدين (عليه السلام) في دعائه المرقّم في صحيفته المباركة بالرقم ١ يدلُّ على هذه الحقيقة: «إبتدع بقدرته الخلق ابتداءً، واخترعهم على مشيئته اختراعاً، ثمّ سلك بهم طريق إرادته، وبعثهم في سبيل محبّته، لا يملكون تأخيراً عمّا قدّمهم إليه، ولا يستطيعون تقدماً إلى ما أحرّم عنه» .

الغالي والنفيس تحقيقاً لما يريد تحقيقه، وهو: «تحقيق الذات»، فلا؛ ولن يتنازل عنه، إذ كيف يتنازل المرء عما يلتذ ويستأنس به من جهة؛ وعما يُحقق له الكمال من جهةٍ أخرى؟!، ويبدل في المقابل أيضاً ذلك الفرد الآخر كُلاًّ غَالٍ ونفيس لتحصيله، ومن هنا يقع التزاحم على الموارد الطبيعية، وبهذا يتشكّل الصراع وتبدأ المشكلة الإجتماعيّة بالبروز - وسيأتينا بعض تفصيله لاحقاً إن شاء الله تعالى - .

### علاقة الدافع بالفطرة

إنّ التجهيز الذي جُهِّزَ به الإنسان، والذي صار دافعاً حركياً ذاتياً في وجوده، وأصبح من صميم تركيبته الوجودية؛ والذي يستحيل أن ينفك عنه بأيّ حال من الأحوال؛ كاستحالة انفكاك الزوجية عن الأربعة؛ قد سُمِّيَ في الإصطلاح القرآني بـ«الفطرة»، وهو «التجهيز الذاتي» التكويني الذي تجهَّز به في صميم تركيبته الخلقية.

### البحث عن الكمال المطلق:

فالإنسان مفطورٌ على «حبّ الكمال» و«الهروب من النقص»، طلباً لتحقيق ذاته، والحصول على سعادة لا يجامعها شقاءً أو تعاسةً أبداً، ولتحقيق حضارته التي يحلم بها منذ نعومة أظافره من أول نشوئه في التاريخ.

وبعبارة أخرى.. هي: أنّ الفطرة تُريدُ «الكمال المطلق»، ومن مظاهر هذا الكمال المطلق «السعادة المطلقة» والتي من مصاديقها: «الغنى المطلق» و«القوة المطلقة» و«العزة المطلقة» و«العلم المطلق» و«الجمال المطلق».

فالمطلوبُ لدى الإنسان بحكم فطرته وتجهيزه الذاتي هو الحصول على «الكمال المطلق» من كل الجهات؛ بحيث لا يجامعه نقص أبداً؛ طلباً لسدّ الشعور التكويني الذي يلازمه في كل آن من آنات وجوده وهو «النقص الذاتي»، وبحيث يوجب الحصول على هذا الكمال لذّةً وانتعاشاً يُساهمان في إدخال السرور والسعادة إلى وجوده، ف«الفطرة» إذن هي ذلك «الدافع الذاتي» الذي يدفع الإنسان نحو المتطلبات الضرورية والكمالية لتحصيلها.

فإذا وَجَدَتِ الفِطْرَةُ أَمَامَهَا شَيْئِينَ، فَإِنَّهَا تَخْتَارُ الْأَحْسَنَ وَتَتْرُكُ الْحَسَنَ طَلِباً  
لِلْأَكْمَلِ مِنَ الْكِمَالِ وَبِمَعْنَى آخَرَ طَلِباً لِلـ«كِمَالِ الْمَطْلُوقِ».

### المتطلبات الإنسانية

إذن.. إنَّ هدف الإنسان المنشود هو تحقيق الكمال في وجوده..

وعندما ينظر المرء إلى ما حوله من الأشياء يجدها تتحدّد في أمرين لا ثالث  
لهما، وبتحقيقهما يشعر أنَّ هدفه قد تحقّق.

### الأمر الأوّل: الحاجات الماديّة:

كاللباس والسكن، والمأكل، والمشرب، والدواء، ووسيلة النقل، والاتصال،  
والدواء... وغيرها.

وقد عبّر «السيد محمد باقر الصدر» عن هذا النوع من الحاجات بـ«المصالح  
الطبيعيّة»<sup>(١)</sup>.

### الأمر الثاني: الحاجات المعنويّة:

كالأمن، والأمان والإحترام المتبادل، والإنصاف، والعدالة، والسعادة...  
وغیرها، وعبّر عنها «السيد محمد باقر الصدر» بـ«المصالح الاجتماعيّة»<sup>(٢)</sup>.

### مداخلة:

ولا بأس بالإشارة إلى أنَّ نفس طلب الكمال يحوي في الضمن الهروب من  
النقص، وأن طلب البعد الإيجابي هو نفسه حاوٍ ومتضمّن للهروب من البعد  
السلبی.

فطلب الصحة حيث هي مصداق من مصاديق الكمال الإنساني يتضمّن في نفسه  
الهروب من كلِّ ما من شأنه إيجاد السقم والمرض والعلة.

(١) الصدر: محمد باقر: إقتصادنا: ٣٠٤.

(٢) المصدر السابق.

ونجد أنّ الطلبَ الفطريّ - تحليلاً - يتضمّنُ بعدينِ مُهمّينِ، وهما:

البعد الأول: البعد الإيجابي وهو المطلوب بالذات.

البعد الثاني: البعد السلبي وهو المدفوع بالتبع.

وبتحليل بسيط لحقيقة الفطرة والدافع الذاتي فس نجد أنّها تتلخّصُ في تحقيق

ثلاث حيثيات...

الحيثية الأولى: «الحيثية الجذبيّة»، وهي عبارة عن الجذب لكلِّ ما هو صالح

وجميل وكمال؛ وبهذه الحيثية يُحقّقُ الإنسانُ أمرين:

الأمر الأول: التحقيق الذاتي.

الأمر الثاني: تحقيق المتطلّبات المادية والمعنوية.

الحيثية الثانية: «الحيثية الرفعية»، وهي عبارة عن بذل الجهد لإزالة ورفع حالة

النقص من الذات.

الحيثية الثالثة: «الحيثية الدفعية»، وهي عبارة عن الدفع لكل ما من شأنه جلب

المفاسد غير المنسجمة مع الفطرة، ومن شأنها أيضاً المنع من تحقيق الأمرين

المتقدّمين في الحيثية الأولى.

وبهذا تتضحُ أمامنا إحدى الحقائق الفطرية الموجودة في الإنسان التي من

خلالها ينحو نحو السعادة المطلقة.

### نحو تحقيق الذات والمصالح

#### نحو تحقيق المصالح المادية:

لقد استطاعَ الإنسان أن يقهر الطبيعة التي من حوله لأجل توفير الاحتياجات

والمتطلّبات المادية.

فبالأمس كانت أوراق الشجر له لباساً ثواري جسده، وكانت جذوع النخل أو

كهوف الجبال له سكناً يحفظه من الكواسر والكوارث الطبيعية.

وكانت الأحجار له سلاحاً يدافع بها عن نفسه، ويقي بها نفسه من هجمة الكواسر، فلقد كانت الحياة بسيطةً للغاية، إلا أنها في عين مظهرها البسيط كانت تتضمن جوهراً ذا تعقيدٍ عالٍ، وهو «النفس».. حيث نلاحظ غلبة الحياة الفردية نحو تشكيل الحياة الاجتماعية.

ولكن.. سرعان ما تحوّلت الحياة من الحياة الفردية إلى الحياة الاجتماعية بسبب:

- ١ - عدم قدرة الإنسان على حفظ نفسه ووجوده وحده من الكواسر والكوارث. فإنّ الحيوانات الكواسر التي كانت تعيش في الغابة الواسعة شكّلت تهديداً واضحاً، وجلياً، وكبيراً للإنسان، لذا وجد نفسه أنه لن يقدر على مواجهتها وحده.
- ٢ - عدم قدرة الإنسان على توفير الحاجات الضرورية كلّها وحده.

فعندما يأتي هذا الإنسان إلى أرض الواقع يجد نفسه أمام صخرة صلبة لا تتزعزع، - ولن تتزعزع أبداً - وهي الاحتياج إلى وسائل وأيدٍ أخرى لتأمين احتياجاته الضرورية وحتى الكمالية.

#### المثال:

ولكي يحصل الإنسان على «قطعة رغيف» يحتاج إلى قطع عدة مراحل من جهة، وإلى الإعتماد على عدة وسائل مادية من جهة أخرى، وإلى أيدٍ عاملة عديدة من جهةٍ ثالثة، حتى يصل الرغيف إلى الفم ويسدّ الجوع به.

فالإنسان أمام مرحلة الحرث، ثمّ الزرع، ثمّ السقي والتسميد، والمواظبة على العناية به، حتى يكتمل وينضج، ثمّ تواجهه مرحلة الحصاد وأخذ المنتج إلى المعامل لتحويل «القمح» إلى «طحين»، ثمّ العجن، ثمّ تأتي مرحلة وضعه في الفرن، ثمّ يُستخرج رغيفاً طيباً، وبين هذه وتلك عمليات عديدة؛ كالنقل والتخزين وغيرهما.

فهذا حال الإنسان للحصول على «رغيف» يسدّ به جوعه، فما بالك بالمتطلبات



الكثيرة التي لا تُعَدُّ ولا تُحصى مِنَ المتطلّبات الضرورية والكماليّة في حياة هذا الإنسان!.

ولا يخلو مجال من مجالات الحياة إلا والإنسان محتاجٌ فيه إلى قطع مراحل، وتوفير الوسائل من الأدوات والمواد والأيدي العاملة كي يؤمّن حاجة من حوائجِه الأساسية بدءاً بأبسط شيء في حياته الفرديّة وانتهاءً إلى أعقد أمر من أمور الحياة الاجتماعيّة، فإذا كان هذا حال الحاجة الضرورية فكيف بالنسبة إلى الكماليّات؟!.

٣ - رغبته في الحصول على وسائل عيشٍ أكثر أمنًا وحفظًا.

ومن هنا بدأ التفكير يتوجّه إلى تأمين الحاجات والمتطلّبات من خلال التشكيكة الاجتماعيّة تحقيقاً لرغبة الفطرة الأساسيّة وحاجتها.

وبالتشكيكة الاجتماعيّة التحمّت المتطلّبات الفرديّة، واندمجت الحاجات الإنسانيّة، وأدغمت الرغبات الشخصية؛ لترتقي الحاجة الفرديّة الشخصيّة إلى تحقيق المتطلّبات الاجتماعيّة مع الأخذ في عين الاعتبار أمراً مهماً لا ينبغي إغفاله وهو: أن «الحاجة الفرديّة» وإن ارتقت إلى «الحاجة الاجتماعيّة» إلا أنّ رُقيّها لا يعني هجرتها من «مملكة النفس»، فالحاجة الاجتماعيّة مهما تطوّرت فإنّ الحاجة الفرديّة ستظلُّ موجودةً، فارضةً نفسها على الاجتماع والمجموع، بل لا نعدو الحقيقة إن قلنا بأنّ أساس الاجتماع، وأساس توفير وتحقيق الحاجات الاجتماعيّة مرجعهما في الحقيقة والواقع إلى ضمان وتأمين الحاجات الفرديّة أولاً وبالذات؛ وإشباع حالة النقص بالكمال المناسب لها بالدرجة الأولى، وما التشكيكية الاجتماعيّة سوى مركب يركبهُ الفردُ، ويسيرُ في عالمها إلى عالمه.

### العالم الاجتماعي عالم التزاحم

وما أن التحمّت المتطلّبات الفرديّة، ليُشكّل كلّ منها متطلّباتٍ من نوع جديد وهو: المتطلّبات الاجتماعيّة والمجموع؛ حتى وجد الإنسان نفسه أمام حقيقة من حقائق الاجتماع وهي: أنّ الكلَّ يُريدُ تحقيقَ ذاته بتحقيق رغباته وحاجاته الخاصّة أولاً وبالذات.

فوجد نفسه في عالم يُشكّل تراحماً في المتطلّبات، فالشيء الواحد تجد عليه تراحماً عجباً يُثير الدهشة.

وكلّما ازداد العددُ البشريُّ ازدادت الرغبةُ في تحقيق الذات، وكلّما قلّت الأشياءُ ازداد التنافسُ عليها واشتدّ، فالكلّ يرى أنّ من حقّه أن يكون سعيداً؛ لأنّه يرى ضرورةً تحقيق كماله أولاً، وأنّ السعادة التي يطلبها والنقص الذي يهرب منه لا يكمنان إلا في الحصول على الشيء نفسه والتمكّن منه، وإدخاله في حوزته.

فالعالم عالم التراحم، والسابق في تحصيل الحاجة مع توفر الشروط وارتفاع الموانع يغنم، وعند عدم توفر الشروط ووجود الموانع يتأثر سلباً؛ لبروز إحساس النقص الذي يُرافقه في صميم تركيبته الفطرية إلى الخارج.

وكلما ازداد الطلبُ الماديُّ؛ ولم يتمكّن المرءُ من تحصيل مراده ازداد الشعورُ بالنقص الذاتي، وصار يظهر ويبرز بنحو أجلي، ويزداد هذا الشعور بالتنامي أكثر، وبشكل أعمق كلّما رافق عملية الطلب واقترب بها التنافسُ والإحساسُ بالغلبة والنصرة، وارتبط تحصيل الحاجة بالعزّة والأنفّة والكبرياء، وإذا لم يحصل هذا الإنسان على حاجته، فإنّه يُصاب حينها بالدلّة، والمهانة، والإنكسار، ومن هنا تبرّز «المشكلة الاجتماعية».

وهذه حقيقة مهمّة لا بُدّ من أخذها في الاعتبار، لكونها تُشكّل أهمّ حقيقةٍ لأجل نزوع الإنسان إلى إيجاد ما يقنن التراحم بل يرفعه<sup>(١)</sup>.

(١) قال العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان: والإنسان حسب طبعه الأولي، يرى حريته المطلقة في سعاده وكماله، وبما أنّ وجوده وجود اجتماعي، ومتطلباته في الحياة متعدّدة، والتي لا ينالها وحدهُ وبنفسه فحسب، بل بالتعاون مع أبناء نوعه وهم يتصفون بالغرائز ذاتها، بما فيها حبّ الذات والحريّة، إذ تفرض عليه طبيعة المجتمع أن يُضحّي بيقسط من حريته في هذا السبيل قبال المنافع التي يحصل عليها من الآخرين، فهو يُقدّم خدمةً، وينتفع بما يُقدّمه الآخرون من خدمات، أي: أنّه يتقبّل الحياة الاجتماعية التي تتصف بالتعاون، بإكراهٍ وفرضٍ.

## منشأ المشكلة الاجتماعية

وجد الإنسان نفسه أمام حقيقة أخرى من حقائق الاجتماع وهي: أنه إذا لم توضع هناك نُظْمٌ وقوانينُ تنظّم الحياة الاجتماعية؛ وبالتالي تضبط سلوك الأفراد؛ فإنَّ كلَّ من يوجد تحت مظلة هذا الاجتماع سيواجه مجموعةً من المشكلات الاجتماعية تحولُّ دونَ بلوغه إشباعَ رغبته، ونيل طلبه، وتحصيل مراده.

إذ لَمَّا وجدَ الإنسانُ نفسه أمام رغبات في عَرَضِ رغبته، ووجدها تصدر من أخيه الإنسان، وجد نفسه مضطراً إلى التنازل عن بعضها؛ وذلك لأجل أن يحصل أخوه الإنسان على ما تُريده نفسه، وتطلبه ذاته، مقدماً الأهم على المهم؛ بعد اقتناعه بعدم القدرة على الحصول على جميع متطلباته؛ وعلى توفير جميع احتياجاته.

وطال هذا التنازل القهريّ الإحتياجاتِ الضرورية أيضاً فضلاً عن التنازل القهريّ عن الإحتياجاتِ الكمالية.

ولكنَّ هذا الإنسان؛ وجدَ نفسه أمام مشكلةٍ شكَّكت له هاجساً مخيفاً؛ وهي: أنه وجد نفسه وهي تفقد كلَّ امتيازاتها الشخصية، وحقوقها الفردية بل والاجتماعية أيضاً وذلك بتسلُّط الآخرين عليه، ومنعه من ممارسة أبسط حقوقه الاجتماعية بل وحتى الفردية<sup>(١)</sup>.

ولقد وجدنا ولا نزال نجد في تاريخ البشرية تحول التنافس إلى صراعات تُهلك الحرث والنسل، وتخلق الإحتكار على الموادِّ والبضائع، وتخلق حالات التضخُّم على مختلف المستويات ... و... و... وإلخ.

(١) وقال العلامة في تفسير الميزان ٢: ١٢٦: «والمعنى: أنَّ الناس أُمَّةٌ واحدةٌ من حيث كونهم مدنيين طبعاً، فإنَّ الإنسان مدنيٌّ بالطبع لا يتم حياة الفرد الواحد منه وحده، لكثرة حوائجه الوجودية، واتساع دائرة ليوام حياته، بحيث لا يتم له الكمال إلا بالاجتماع والتعاون بين الأفراد والمبادلة في المساعي، فيأخذ كل من نتائج عمله ما يستحقه من هذه النتيجة ويُعطي غيره الباقي، ويأخذ بدله بقيَّة ما يحتاج إليه ويستحقه في وجوده، فهذا حال الإنسان لا يستغني عن الاجتماع والتعاون وقتنا من الأوقات، يدلُّ عليه ما وصل إلينا من تاريخ هذا النوع الاجتماعي المدني وكونه اجتماعياً مدنيّاً لم يزل على ذلك فهو مقتضى فطرته وخلقه، غير أنَّ ذلك يؤدي إلى الاختلاف، واختلال نظام الاجتماع...».

فوجدنا نشوءَ العداوات والبغضاء والأحقاد بين الإنسان وأخيه الإنسان، وتحوّل ذلك إلى نشوبِ حروبٍ ومعاركٍ طاحنةٍ تؤدّي بأطراف النزاع إلى هلاك ودمار<sup>(١)</sup>.

(١) قال السيّد الصدر في كتابه اقتصادنا: «الصفحة ٣٠٦ - ٣٠٧: «وفي هذا الضوء نعرف الفارق الأساسي بين المصالح الطبيعية والمصالح الاجتماعية. فإنّ الدوافع الذاتية للأفراد لا تصطدم بالمصالح الطبيعية للإنسانية، بل تدفع الأفراد إلى إيجادها واستثمار الوعي التأملي في هذا السبيل، وبذلك كان النوع الإنساني بكلّ الإمكانيات التي تكفل له مصالحه الطبيعية، بصورة تدريجية وفقاً لدرجة تلك الإمكانيات التي تنمو عبر التجربة.

وعلى العكس من ذلك المصالح الاجتماعية، فإنّ الدوافع الذاتية التي تنبع من حبّ الإنسان لنفسه، وتدفعه إلى تقديم صالحه على صالح الآخرين، إنّ تلك الدوافع تحول دون استثمار الوعي العملي عند الإنسان استثماراً مخلصاً، في سبيل توفير المصالح الاجتماعية، وإيجاد التنظيم الاجتماعي الذي يكفل تلك المصالح وتنفيذ هذا التنظيم.

وهكذا يتضح أن المشكلة الاجتماعية التي تحول بين الإنسانية وتكاملها الاجتماعي، هي التناقض القائم بين المصالح الاجتماعية والدوافع الذاتية وما لم تكن الإنسانية مجهزةً بإمكانات لتوفيق بين المصالح الاجتماعية والدوافع الأساسية التي تتحكم في الأفراد، لا يمكن للمجتمع الإنساني أن يظفر بكماله الاجتماعي.

## البحث عن علاج المشكلة الاجتماعية

ولمّا وجد الإنسان نفسه في موقع قد لا يحصل على ما يريد، بل وقد يمنع من تحصيل حاجاته الضرورية، فيُظلم من قبل المانعين؛ كان لا بُدَّ من البحث عن الحلول التي تضمن حقوقه الأساسيَّة لا أقلَّ.

ومن هنا كان بحثه عن.. العدالة الاجتماعيَّة:

فنادى الإنسان بضرورة تشكيل قانون يضمن له العدالة، ويأخذ حقَّه الذي يستحقُّه.

ولاحظ أنَّ النفسَ الإنسانيَّةَ إذا ما وقعت في مشكلة فإنَّ أوَّلَ ما تفكَّر به هو خلاص نفسها من تلكم المشكلة، ومن ثمَّ قد تُفكِّر في الآخرين وقد لا تُفكِّر فيهم - وقد تقدَّمتِ الإشارةُ إلى هذا المعنى -.

وإن كان اللجوءُ إلى الحياة الاجتماعيَّة يصبحُ أمراً مهمّاً، فهدفُ طلب الإنسان لتشكيل العدالة الاجتماعيَّة هو تأمين وتحقيق حاجاته أولاً وبالذات؛ وضمان وصولها إليه بالخصوص، ولا يُهمُّه إن كانت يدُ العدالة هذه تصل إليه في «روح اجتماعيَّة» وبسنن المجموع.

وإذا ما تعرَّض الإنسان لظلم الآخرين له، فإنَّ العدالة الاجتماعيَّة هي الرادع للجاني بوضع قوانين تُعاقب المعتدي، وتضمن عدم تكرار الاعتداء.

ولو خُلِّي الإنسان والانتقام من المعتدي لوضع على كلِّ جريمة وإن كانت صغيرة، وعلى كلِّ اعتداء وإن كان بسيطاً أقصى العقوبة؛ لأنَّها هي الوحيدة التي ستشفي غليله.

وهنا يردُّ هذا التساؤلُ المُهمُّ: لماذا يطلب الإنسان أقصى العقوبة على اعتداءٍ بسيطٍ لربما لا يتعدى سباً أو شتماً مثلاً؟، فإنَّ البحث في هذا الأمر سيأتينا لاحقاً إن شاء الله تعالى.

ولكنَّ العقل يأبى أن يوضعَ عقابُ السرقة كعقاب الإعتداء والقتل، وأن يتساوى عقابُ السبِّ مع عقابِ الضربِ والإدماةِ، فقامَ الإنسانُ يطالبُ بضرورةِ وضعِ العقابِ بما يناسبه من الجريمة والاعتداء من جهتين:

١ - من جهة الكم.

٢ - من جهة الكيف.

وسيأتي بيان هذا المعنى في البحث بعد قليل إن شاء الله.

وهنا لا بأس في أن نُسجِّلَ تساؤلاً آخرَ وهو: لماذا يأبى العقل وضعَ عقوبةٍ كذلك؟!، فما الفرق في النتيجة؟!، فسيأتينا تفصيله إن شاء الله تعالى لاحقاً.

ومن هنا تُطرحُ بعضُ التساؤلاتِ المهمَّة:

١ - هل يستطيع الإنسان أن يضع لنفسه قانوناً يضمن وصول المتطلّبات إلى كلِّ فرد من أفراد المجتمع من دون أيِّ زيادة أو نقيصة؟!، ومن دون إفراط أو تفريط؟!.

٢ - وهل يستطيع أن يضمنَ في وضعه للقانون التوازنَ بين حقوق الأفراد وحقوق الاجتماع؟!.

٣ - وهل يستطيعُ وضعَ العقوبات لكلِّ جريمةٍ إجتماعيةٍ بشكلٍ عادلٍ وسليم؟!.

٤ - ثم هل يمكن للقانون أن يُوظَّف في الحيِّزِ الإجتماعيِّ من دون أن يلاقي صعوبةً أو مواجهةً أو نقداً؟!.

## بنود العدالة الإجتماعية

فبالملاحظة الأولية تتشكّل أمامنا أهمُّ بنود العدالة الإجتماعية:

- ١- ضمان حقوق الأفراد.
  - ٢- ضمان حقوق المجتمع.
  - ٣- ضمان التوازن في تحقيق المتطلبات الفردية والإجتماعية.
  - ٤- حلّ إشكالية التزاحم في عالم حقوق الأفراد فيما بينهم من جهة، وفي حقوق الأفراد والمجتمع من جهةٍ أُخرى.
  - ٥- ضمان ردع الآخرين عن الإعتداء.
  - ٦- ضمان معاقبة المعتدي.
  - ٧- ضمان تناسب العقوبة وحجم الجريمة والمخالفة كمّاً، وكيفاً، وهذا كلّهُ من جهة التشريع والقانون.
  - ٨- ضمان تناسب العقوبة والجريمة والمخالفة من جهة التطبيق أيضاً، وذلك بأن:
- أ- يكون القانون ساري المفعول بحيث يوظفُ ويُفَعَلُ في حال الإجتماع.
  - ب- يكون المُنفَّذُ والمُطبَّقُ للقانون على مستوى عالٍ من:
    - ١/ النزاهة بحيث لا ينحاز إلى أحد.
    - ٢/ القوّة بحيث لا تأخذه في التطبيق لومة لائم.
    - ٣/ الإنصاف والعدالة، بحيث لا يميل إلى رحمة أو إلى مصلحة قد تفوته، أو إلى موقف قد يتعاطف معه.
    - ٤/ الإحاطة الكاملة بالمشكلة الواقعة، بحيث يتمكّن من الوصول إلى الحلّ الناجع.

٩- ضمان فهم القانون بالشكل الصحيح، بحيث لا يتخالف مع أصل العدالة. وهذه البنود التسعة من أهم ما يبحث عنه الإنسان لتحقيق العدالة التي يحلم بها. فإذا لم يتوفر للإنسان قانونٌ من جهة؛ وموظفٌ له من جهةٍ أُخرى؛ بحيث تتوفر فيه هكذا دعائم وصفات ومؤهلات؛ فإنَّ الحياةَ المدنيَّةَ التي أراق لتأسيسها السابقون دماءهم، وبذلوا لها الغالي والثمين ستكون معرَّضةً للخطر، بل إنَّ نفس البنية التحتيَّةَ لهذا الصرح الماديِّ الشامخ لمُهَدَّدةٌ بالدمار والإنهيار، وهذا يعني عودة الإنسان إلى حياة العصور الحجريَّة<sup>(١)</sup>.

### المحاولات البشريَّة

#### أولاً: تطويع المادة:

لو نظرنا إلى الحاجات المادية الطبيعية التي يطلبها الإنسان؛ لوجدناها في كلِّ يوم في حالة من التطوُّر والتجدُّد، فمن سكن الكهوف والجبال؛ انتقل الإنسان إلى بناء اللحاء وأوراق الشجر، وإلى بناءٍ خشبيٍّ؛ وإلى بناء طينيٍّ، وهكذا تطوَّرت إلى البناء المسلَّح.

ومن الإعتماد على الطرق البدائيَّة في استخراج الأدوية والعقاقير؛ واستعمالها؛ إلى صناعتها بالمصانع الضخمة.

(١) قال العلَّامة الطباطبائي، الشيعة في الإسلام: ١١٩ - ١٢٠:

«... والإنسان بعد تقبله الحياة الاجتماعيَّة التي قوامها التعاون، يرى ضرورة القانون الحاكم على الحياة، وهو الذي يعيِّن واجبات كلِّ فرد من أفراد المجتمع، ويضع الجزاء لكل من يخالف القانون، فإذا عمَّ القانون وساد المجتمع، عندئذ ينال كل فرد من أفراد المجتمع السعادة المطلوبة، التي طالما تمنَّاها.

هذا القانون هو القانون العمليُّ الذي ما برح البشر منذ نشأته وإلى يومنا هذا يرحوه ويرغب في الوصول إليه، وطالما كان يستهل به أهدافه وأغراضه، ويسعى في سبيل تحقيقه، ومن الطبيعي إذا كان الأمر يستحيل تحقيقه على البشريَّة، ولم يكن مفروضاً عليها، لما كانت تهدف إليه دوماً.

(وجاء في هامش هذه العبارة: ترغَّب البشريَّة عادة وحتى الشعوب البدائيَّة، حسب طبعها في أن يعيش الجميع في جوٍّ ملؤه الصلح والراحة والاطمئنان. ومن الوجهة الفلسفيَّة، فإنَّ الطلب والميل والرغبة ما هي إلا أوصاف وارتباطات قائمة على طرفين، كالطلب والمطلوب، والمحَبَّ والمحبوب وواضح إن لم يكن هناك محبوب، فالكلام عن المحبَّ عبث.

وصفوة القول أنَّ الأمور هذه ترجع إلى إدراك نقص في الوجود الإنساني، فإذا تعدَّرت الكمال لم يكن هناك معنى للنقص».



ومن استعمال أوراق الشجر في ستر العورة؛ إلى صناعة القماش، ومن ثَمَّ اللبس بمختلف الأشكال والأحجام؛ وبمختلف المواد.  
وهكذا تطوَّر حاله في البعد الماديِّ الطبيعيِّ ..

### ثانياً: صناعة القانون

ولكن..

ما حال هذا الإنسان على مستوى «صناعة النظام الإجتماعي»، وفي البعد المعنوي ..!!؟..

فإنَّه لم تَبْرَحِ البشريَّة منذ أن تَمَّ التحامُّ بين الأفراد عن التفكير في صناعة قانون متكامل يضمن الحياة السعيدة.

وكانت الحاجةُ تزدادُ إلى النظام كَلِّما ازدادَ عددُ أفرادِ المجتمعِ، وازدادت متطلَّباتُهُمِ الضروريَّة والكَماليَّة، واشتدَّ التزاحمُ فيما بينها.

فقامت دول وشعوب، وأُسِّستِ الحياةُ المدنيَّة، وكان يقترنُ بتأسيسها المدنيِّ تشكيلُ نظامٍ مهمِّتهُ تحقيقُ العدالةِ الاجتماعيَّة.

ولمَّا كانَ الإجماعُ يزدادُ أفرادُه فتكثُرُ احتياجاتُه ومتطلَّباتُه، وتشتدُّ حالاتُ التزاحمِ بين أفرادِه، كانت الشعوب تنظرُ إلى قانونها وكأنَّه في مرحلة الشيخوخة، فيحتاجُ إلى تجديدٍ أو إلى توسعةٍ أو إلى تعديلٍ؛ لعدم قدرة هذا القانون على سدِّ كلِّ الفراغات في الهيكل الاجتماعيِّ وأساسه، وكان يرافقُ تبديلَ القانون أو تغييره أو تعديلهُ - أكثر الأحيان - معارضاتٌ داخليةٌ؛ وهو ما كان يُشكِّلُ خطورةً على الحياة المدنيَّة والاجتماعيَّة معاً.

وفي كثير من الأحيان كانت الأمور تؤوَل إلى نشوب حروب داخليةٍ تدَّعُ الجمعَ حصيداً، والفيءَ زهيداً.

وإذا كانت غالبيةُ الحروب منشؤها عدمُ قدرة القانونِ على توفير الضماناتِ لحقوقِ أفرادِ المجتمعِ، فإنَّ بعضها كان منشؤها عدمُ الاتِّفاقِ على

بعض بنود القانون أو على الصيغة التي صيغ بها، أو على من يقوم بتمريرها، وتنفيذها...!!

ولا تزال المحاولات مستمرة لإيجاد «نظام عالمي» يستطيع ضمان حقوق الأفراد والشعوب جميعاً، وخاصةً بعد أن أصبح العالم اليوم قريةً يتأثر الشرق من متغيرات الغرب ويضطرب الشمال من تبدلات الجنوب<sup>(١)</sup>.

ولكن الصخرة التي تقف دون بلوغ الإنسان إلى هدف مشترك بين جمع البشر، وهو الوصول إلى قانون متوازن هي: أن يرى الكائن أن أطروحته هي الأكمل، فلا بُدَّ من أن تأخذ هي مجراها وطريقها في الحياة الإنسانية، وإنَّ آيةً أطروحةٍ غيرها إذا احتمل في حقها أنها قد تُشكّل خطورةً على استمرارها فينبغي أن تُزاح من الطريق؛ للإعتقاد بعدم صلاحية غير أطروحته هو في الساحة الاجتماعية، وهذه من أهمِّ المعوقات لبناء المجتمع الصالح، وأهمِّ ما يمنع من استمرار البشرية في طريق السلم والسلام.

وهذا الأمر راجع في حقيقته إلى الشعور بكمال الأطروحة الشخصية ونقص الأطروحات الأخرى، أضف إلى ذلك وجود حالةٍ ضمنيةٍ في نفسيّة طارح الأطروحة بحيث تُشعره بعدم وجود من يطرّح الأطروحات العادلة المتوازنة أفضل وأحسن منه.

وعندما يشعر الكلُّ شعوراً تجاه نفسه وأطروحاته، وتجاه الآخرين وأطروحاتهم بهذه الكيفية؛ فإنَّ سبيلَ فرض الرأي بالقوة مفتوح؛ وإن هو تشكّل أو طرّح بشكل أسلوبِ المحاورَةِ المناقشِ الهادفِ، والموضوعيِّ، المنصفِ، والمتحضرِّ الديمقراطيِّ!!

وهكذا نجد كيفية تأثير تشكيل نظام اجتماعيٍّ عادلٍ في المجتمع الإنساني.

(١) والعولمة ما هي إلا وجهٌ من وجوه تلكم المحاولات لإيجاد العدالة الاجتماعية على مستوى البشرية، والتي تأخذ اليوم طابعا اقتصاديا، ومن يعلم فقد توسّع في آفاقها مستقبلا لتشمل كل النواحي الإنسانية والمجالات العلمية بل ولا أكون مبالغا في قلبي إن قلت: إن العالم يتجه نحو العولمة حتى في الجهة العقائدية ليصبح العالم كله عقيدة واحدة.

وهذا يعني أنّ العدالةَ الإجتماعيّةَ إذا كانت بالأمس حُلْمَ دول ومجتمعات صغيرة محدودة بحدود جغرافية ضيّقة، فإنّها أصبحت اليوم حُلْمَ العالمِ كُلِّه، حيث لا حدود جغرافية تُضَيِّقُ توسعتها<sup>(١)</sup>.

وإنَّ تَشكُّلَ المجالسِ الدوليّةِ أو الإقليميّةِ أو القاريّةِ أو القوميّةِ ما هو إلاّ محاولاتٌ للوصولِ إلى عدالةٍ اجتماعيّةٍ بما يُناسِبُ المجلسِ الدوليِّ أو الإقليميِّ أو القاريِّ أو القوميِّ.

إستحالة صناعة القانون:

ونقول وبضرس قاطع:

إنَّ الوضعَ الحاليَّ للإنسان لا يُشجِّعُ على إيجاد تشكيلة القانون الواحد، والنظام الموحد، والعدالة الإجتماعيّة العالميّة، وتحت رعاية القانون الوضعي الواحد؛ مع ملاحظة حقيقة لا مناصَّ لأيِّ قانونٍ من الفرار منها، ومفاد هذا البيان هو: أن يتشكَّلَ ذلك القانونُ تحت ظلِّ الرغباتِ والمتطلّباتِ البشريّةِ المتصارعة، لأمر لا يؤدي بطبيعته إلاّ إلى خلق طبقيةٍ مفرطةٍ من جهةٍ، وإلى الإخلال بنظام العدالة من جهةٍ أُخرى؛ بل لن نعدوَ الحقيقةَ إن قلنا: بأن هذا أمرٌ لا نقول بعدم إمكانه فقط، وإنّما نقولُ باستحالته، وذلك:

أولاً: لأنَّ جميع الأطراف تعتقدُ بصلاحيّةِ أطروحاتها، وتؤمن بضرورة احترام سيادتها، وأن فرض أيِّ أطروحةٍ على الأخرى يعني اختراق سيادتها، وعدم احترامها، وهو أمرٌ يُخلُّ بالعدالة الإجتماعيّة أو فقل: بالعدالة الدوليّة.

ثانياً: أضف إلى أنّ الأطراف المتنازعةَ عندما تكونُ في محلِّ الجذب والدفع تحتاجُ إلى طرفٍ ثالثٍ آخرٍ يدخلُ بينها ليكون بمثابة معيار لترجيح إحداها على الأخرى، فمن يا ترى يكون هذا الطرف المعياري؟!، ومن الطبيعيّ أنّ

(١) السيّد الصدر في كتاب اقتصادنا الصفحة ٣٠٨ - ٣٠٩: «أفليست المشكلة هي أن الدوافع الذاتية لا تستطيع أن تضمن مصالح المجتمع وسعادته، لأنها تنبع من المصالح الخاصة التي تختلف في أكثر الأحيان مع المصالح الاجتماعية العامة؟ إن هذه ليست مشكلة وإنما هي حقيقة المجتمعات البشريّة منذ فجر التاريخ...»

أحد الأطراف المتنازعة المختلفة لا يمكنه أن يكون معيارياً؛ لأنَّ فاقده الشيء لا يعطيه.

ثالثاً: وهناك أسباب أخرى في البين؛ سنوردُها لاحقاً إن شاء الله تعالى، لثُبَّت هذه الحقيقة وهي: أنَّ الإنسان لا يمكنه أن يضع نظاماً عادلاً يضمن له حقوقه وواجباته كما تتطلبها فطرته.

نعم يمكن للإنسان وفي ظلِّ تلکم المعطيات الموجودة على أرض الواقع اليوم أن ينجح في تحقيق صلح فيما بينه وبين أخيه الإنسان، وفي توقيع هدنة؛ ولكنَّ هذا الفعل مرهونٌ بعدمَّ تجدد أطماع لدى أيِّ طرف من أطراف النزاع والاختلاف.

وهنا يطرح السؤالُ المهمُّ:

- هل توجد ضمانات لعدم تجدد هذه الأطماع؟!، فمن يضمن هذه النفس البشرية أن لا تتجدد عندها هذه الأطماع؟!.

ولو تنزلنا وقلنا بإمكانية تحقُّق هذا الصلح، وتلك الهدنة، ولربما إلى الأبد، فإنَّ هذا يبقى محدوداً في الأطر الفردية فقط، وأمَّا في الأطر الجماعية، فالأمر مختلفٌ تماماً الاختلاف.. إذ تتدخل فيها عواملٌ قد لا توجد في الأطر الفردية أبداً، ومثلُّ هذه العوامل طبيعية الحدوث، لما تتطلبه الطبيعة الاجتماعية نفسها تكويناً، وهي ليست قليلةً، وهذه لا تساعد على الإستمرار في حال الصلح والهدنة.

ومع تحليل رأي المجموع سنجدُه بحدِّ ذاته يرجع إلى غلبة فئاعة شبه فردية على فئاعاتٍ أخرى، فإمَّا أن تكون قد كسبتها في صفِّها بـ «طريقٍ سليمةٍ»؛ أو بـ «طرقٍ ملتويةٍ»، وإمَّا أن تكون قد «فرضتها بالأغلبية»، ولكن يبقى هناك في المجموع من لا يرى في قرارة نفسه ما انتهى إليه المجموع الآخر ككلِّ، وهذا بحدِّ نفسه كافٍ لتجدد الصراع والأزمة؛ برغم توقيع أطراف النزاع على الصلح، والهدنة!!، فإذن.. يبقى حال الإنسان كما هو باحثاً عن نظام يضمن سعادته وحضارته التي ينحو إليها بحكم فطرته.

## سِرُّ عِلِّ الإِسْتِحَالَةِ:

وبعبارةٍ أُخرى مع إضافة أمر مهم إلى ما تقدم، نقول:

إنَّ انتزاع نزعَةِ العروج من النفس البشرية نحو التكامل لأمرٍ مستحيل؛ لكونه من ذاتيات تكوين الإنسان، فإن تحوُّلاته من نقص إلى كمال، ومنه إلى الأكمل لأمرٍ طبيعيٍّ في حياته، وإذا كان الكلُّ يعيش مثلَ هذه التحوُّلات؛ فإنه لَمِنَ المتيقِّن أن يكون سعيُّ الأفراد مختلفاً فيما بينهم، وهذا يعني أن توخُّدهم في بوتقةٍ واحدةٍ بعد تنازل كلِّ منهم عن متطلِّباته الكمالية يعني أن يرفض الإنسان ما يعتقد أنه كماله؛ ويقبل ما قد يعتقد أنه نقصه، وإذا نجح ذلك في الأفراد فإن نجاحه في المجموعات والجماعات لأمرٍ يكاد أن يكون أقرب إلى الخيال، والتاريخ خيرُ شاهدٍ على ذلك، وهذا الأمر واردٌ جداً في الوضع القائم الذي تسير فيه البشرية.

## إِسْتِحَالَةُ عَدَمِ وَجُودِ الْحَلِّ:

ولا ندعي الإِسْتِحَالَةَ في أصل وجود حلٍّ لمثل هذه الأزمة مع ذاك الإختلاف، لأنَّ الوجودَ مبنيٌّ على نظام متقن، والإنسانُ حلقةٌ من حلقات هذه السلسلة النظامية الوجودية، فالعقل يأبى أن لا يكون هناك حلٌّ من أصل، بل إنه ليؤكدُ وفق معطياته البديهية، ووفق وجدان هذا الإنسان وجودَ الحلِّ، وأيّ حل؟!، إنه حلٌّ جوهرِيٌّ، معتمَدٌ، مقبول.

## الحلُّ من / في صميم تركيبة الإنسان الوجودية:

ولكننا نعتقد أنَّ الحلَّ لا بُدَّ من أن يكون من نفس المنشأ الذي نشأت منه المشكلة الإنسانيَّة، ومع فهم هذا الأمر، ومن ثمَّ فهم متطلِّباته بشكل دقيق فإنه هو ما سيقود الإنسان إلى إيجاد نظام متكامل في منظومته الاجتماعيَّة والفردية معاً.

فلا بُدَّ من ملاحظة الدافع الذاتيِّ في الإنسان، والإلتفات إلى ما فطرت عليه هذه الذات الإنسانيَّة، حينها يمكنُ وضعُ اليد على الداء، وحينها يمكنُ معرفة الدواء، ومع انعدام تلكم الملاحظة، وغياب الإلتفات سيظلُّ الحال كما هو، وستظلُّ البشرية تعاني من جروح لا تندمل، وآلام لا تزول.



## المؤاخذات على المحاولات البشرية

ويمكن تلخيص بعض المؤاخذات على تلكم المحاولات في الآتي..

### أولاً: المؤاخذات على تطويع المادة:

قد يبدو ولأوّل وهلة أنّه لا مؤاخذة على البعد الماديّ، إذ استطاع الإنسان أن يطوِّع هذه المادّة كيفما أراد، فإنّ الإنجازات التي قام بها في عالم المادّة لكفيلة بإقناعه بذلك، فلا يبقى حينئذ ما قد يؤاخذه به، بل سيستحقُّ لإنجازاته أن يُصنَّفَ له.

فلعلّ دفع المؤاخذات عن الإنسان أو رفعها في هذا البعد كان لأجل ما وصل إليه من القدرة العظيمة على تطويع للمادة، فمع ملاحظة ما كان عليه الإنسان سابقاً وما هو عليه حالياً يجبُ له التعظيم والسلام الحازّ.

إلا أنّ السؤال المُهمّ الذي سيرد في البين.. هو: هل الأمر هكذا بهذه البساطة؟!، أم أن الأمر ليس كذلك؟!..

ولكي يتبيّن جوابُ المسألة من المهمّ أن نبين حقيقةً مهمّةً وهي في الجواب الآتي، فنقول:

إنّ النظر إلى ما قام به الإنسان من إنجازات على المستوى الماديّ يمكن أن يتمّ بلحاظين مهمّين:

اللحاظ الأوّل: حتميّة التجربة وآثارها.

إنّنا عندما ننظر إلى السكن، واللباس، والعقاقير، والأدوية، والنقل، والاتّصال،

وكل ما يَرِدُ في عالم التعامل مع الطبيعة لسدِّ الإحتياجات الطبيعية والمادية؛ فإننا سنسجل على ذلك أمرين:

التسجيل الأول: أنَّ الإنسانَ عندما تطوَّرَ حالُهُ من حالةٍ ماديَّةٍ بسيطةٍ إلى حالةٍ ماديَّةٍ ذات تعقيد، فإنَّه قد لوحظ عليه أنَّه مُحتاجٌ إلى الإنخراط في مرحلتين أساسيتين، وهما:

### المرحلة (١): جعل عالم الطبيعة مورداً للتجارب.

إنَّ الوصول إلى النجاح يحتاج إلى بذل الكثير من الجهد، وفي سبيل الوصول إلى ما يبحث عنه الإنسان، عليه أن يدخلَ إلى عالم الطبيعة ويتَّخذها مختبراً للتجربة، ومن ثمَّ وبعد التجارب الطويلة يصل هذا الإنسان إلى ما يبحث عنه.

ولكنَّ سؤالاً مهماً يطرحُ في البين، وأظنُّه جديراً بالتفكير والتأمل والسؤال هو:

هل كان بالإمكان أن يصل الإنسان إلى ما يريده من عالم الطبيعة من دون تعريض الطبيعة لتجارب من أصل؟!، أي: أكان بمقدور الإنسان أن يصل إلى مراده مباشرةً ومن دون الدخول إلى عالم التجربة والاختبار أم لا؟!.

### المرحلة (٢): جعل الإنسان مادةً للتجربة.

إنَّ عملية التطور المادي رافقتها التجارب العلمية على الطبيعة، وأيضاً على الكائنات الحية، ومن تلكم الكائنات نفس الإنسان، ولكن.. إذا كانت هذه التجارب البشرية على الإنسان تنجح في أحيانٍ عدَّة؛ فإنَّها كانت تشهد إخفاقاتٍ كبيرةً جدًّا، والسؤال في هذه الحالة هو: هل كان بالإمكان أن يصل الإنسان إلى علاج من دون المرور بالإنسان، ومن دون تعريضه لتجربة علمية؟!.

### ملحوظة:

إنَّنا نعتقدُ أنَّ العالمَ والوجودَ مزوَّدٌ بنظامٍ فعَّالٍ، عالي الجودة، وأنَّ الإنسانَ أيضاً مزوَّدٌ بطاقةٍ عظيمةٍ جدًّا، وهو ما يدفعه إلى الإبداع العظيم، فبالإمكان أن يصل الإنسان إلى مراده وإلى ما يطمح إليه من دون إخضاع الطبيعة والإنسان للتجارب.



### التسجيل الثاني: عدم انتفاء الأثر الجانبي.

إننا بالنظر إلى ما وصل إليه حال المادة من التطويع والتطوير نقول: نعم، إنه لأمرٌ جديرٌ بالتقدير والشكر؛ إلا أننا لو نظرنا إليه من جانب آخر وهو: «التأثير السلبي» الذي يُخلفه هذا التطوير والتطويع في عالم الطبيعة، وكذا في الإنسان، وهو الذي يُعرف بـ«التأثيرات الجانبية» لاختلفت النظرة؛ فإنَّ بناء البيت كان بسيطاً في السابق، وكان يتكوّن من موادّ الطبيعة نفسها، إلا أنَّ الوضعَ تغيّر فأصبحت تدخل في بناء البيت موادٌ لا تهضمها الطبيعة، ولا تستطيع أن تحلّلها إلى المواد العضويّة، الأمر الذي أصبح يُشكّل خطورةً على عالم الطبيعة نفسه.

وهنا يُطرح هذا التساؤلُ المُهمّ..

هل كان بمقدور الإنسان الحصول على ما يسدُّ حاجته المادية الطبيعية من دون الوقوع في الإضرار بعالم الطبيعة؟!.

فَمِنِ المسؤُولِ عن تجارب لـ«لقاح شلل الأطفال» التي أودت بحياة حوالي مليوني طفل إفريقي؟!.

وَمِنِ المسؤُولِ عن الإختلال الطبيعي الذي يحدث في عالم الطبيعة من إرتفاع منسوب مياه البحر، والعواصف، والبراكين، والزلازل، والتي أكثرها تحدث بسبب تجارب القنابل النووية، ومن المسؤُولِ عن الامطار الحمضية؟!.

وَمِنِ المسؤُولِ عن ارتفاع درجة حرارة الأرض؟!، وَمِنِ المسؤُولِ عن تأثر طبقة الأوزون؟!، وَمِنِ المسؤُولِ عن تلوث المياه؟!، وَمِنِ المسؤُولِ عن انخفاض منسوب المياه العذبة؟!، وَمِنِ المسؤُولِ عن ذوبان الجليد؟!، وَمِنِ المسؤُولِ عن تلوث الهواء؟!، وَمِنِ المسؤُولِ عن تلوث التربة؟!..

أظنّ القائمة (ستكون) طويلةً جداً، ولن تكون مختصرةً أبداً، بل سنملاً الكتاب بها قبل إكمال بحثنا، ليس من السطور والكلمات فقط، بل ومن الآلام والجراحات التي لم تزل ولا تزال بشريّة تُعانيها، ويكفيك عزيزي القارئ ما تشاهده اليوم من المآسي على وجه الأرض، وشهادة العصر اليوم أكثر حضوراً من ذي قبل بلحاظ

التطور الملحوظ في التقنية والتكنولوجيا في عالم التواصل والاتصال، الذي لم تشهد مثله البشرية من قبل.

### توضيح مهم..

مِنَ الْمُهْمِ تَوْضِيحُ أَمْرٍ مُهِمٍّ وَهُوَ: أَنَّنَا عِنْدَمَا نَصِفُ الْإِنْسَانَ بِأَنَّهُ هُوَ الْمَسْئُولُ عَنِ كُلِّ تِلْكَ الْأُمُورِ السَّلْبِيَّةِ الَّتِي تَحْدُثُ عَلَى الْأَرْضِ؛ فَلَا يَعْنِي ذَلِكَ اتِّهَامُهُ بِالْتَعَمُّدِ، أَوْ أَنَّهُ قَاصِدٌ أَنْ يُخِلَّ بِالتَّوَازَنِ الطَّبِيعِيِّ فِي الْأَرْضِ، وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ هُوَ أَنَّ ذِمَّتَهُ غَيْرُ بَرِيئَةٍ مِنْ هَذَا الْإِخْتِلَالِ، لِأَنَّهُ فِي النَتِيجَةِ هُوَ وَرَاءَ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ بِشَكْلِ غَيْرِ مُبَاشِرٍ.

فَعَلَى مَسْتَوَى الصَّنَاعَاتِ كُلِّهَا نَجِدُ أَنَّ الْإِنْسَانَ وَالْكَوْنَ يَتَأَثَّرَانِ بِهَا، فَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ تُقَدِّمُ أُمُورًا يَسْتَرِيحُ بِهَا الْإِنْسَانُ، إِلَّا أَنَّهَا فِي الْوَجْهِ الْآخِرِ تَوَثَّرَتْ عَلَى الْإِنْسَانِ بِدَرَجَةٍ قَدْ أَصْبَحَتْ تُهَدِّدُ مَا يَسْتَرِيحُ بِهِ.

وَالْأَدْوِيَّةُ الَّتِي أَصْبَحَ يَتَنَاوَلُهَا لِشِفَائِهِ؛ فَإِنَّ الْمَوَادَّ الْكِيمِيَاوِيَّةَ الَّتِي فِيهَا لَا تَمْنَعُ مِنْ أَنْ تَصِيْبَهُ فِي جَانِبٍ آخَرَ بِأَضْرَارٍ أُخْرَى.

فَحَتَّى عَلَى هَذَا الْمَسْتَوَى الْمَادِيِّ يَتَبَيَّنُ حَالُ هَذَا الْإِنْسَانِ بوضوحٍ، وَيُنْكَشِفُ لَنَا أَنَّهُ غَيْرٌ قَادِرٌ عَلَى تَقْدِيمِ الْحَيَاةِ الْمَادِيَّةِ وَالطَّبِيعِيَّةِ لِبَنِي جِنْسِهِ مِنْ دُونَ مُضَارٍّ.

### اللاحظ الثاني: العدالة ومورد التطبيق.

فَبِمَا أَنَّ سَعَادَةَ الْإِنْسَانِ تَكْمُنُ فِي تَحْقِيقِ «العدالة» فِي حَيَاتِهِ، فَإِنَّهُ يُمْكِنُ تَسْجِيلُ الْمَلاحِظَاتِ عَلَيْهِ بِمُورِدِينَ:

### التسجيل الأول: العدالة الطبيعية.

قَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْإِنْسَانَ مُحْتَاجٌ إِلَى «العدالة الاجتماعية»، إِلَّا أَنَّنَا مَعَ النَّظَرِ إِلَى عَالَمِ الطَّبِيعَةِ، وَمَا يَسْتَنْفِذُهُ مِنْهَا مِنْ مَوَارِدٍ، وَمَا تَطَوَّعَ مِنْهَا مِنْ مَوَادٍ، وَمِنَ الْأَثَرِ الْجَانِبِيِّ السَّلْبِيِّ الَّذِي تُخَلِّفُهُ الصَّنَاعَاتُ؛ فَإِنَّا حِينْتِذُ لَا نَنْظُرُ إِلَى «العدالة الاجتماعية» فَقَطْ، بَلْ إِنَّا سَنَنْظُرُ حِينَهَا إِلَى مَا هُوَ أَشْمَلُ مِنْهَا؛ وَهِيَ: «العدالة الطبيعية»، و«العدالة المادية».

فإنَّ التعاملَ مع الطبيعة يحتاجُ إلى «العدالة» أيضاً، فإنَّ كلَّ ما في الحياة محتاجٌ إلى كميَّةٍ معيَّنةٍ من الهواء، والماء، والتراب، والضوء، وإنَّ الإخلالَ بها يعني إخلالاً بـ«العدالة»، فهل راعت البشرية في تطويرها وتطويعها للمادة والطبيعة احتياجاتِ الطبيعةِ نفسها أم لا؟!..

إنَّ شاهدَ الحال يكشفُ أنَّها لم تُراعِها، ولذا نجدُ التأثيرَ السلبيَّ على الطبيعة جرّاءَ فعله الساذج والخالي عن التفكير في الطبيعة واحتياجاتها ومتطلباتها، وغير الملتفت إلى نتائج عمله، ومرجعُ عدم إلتفاته هو «جهلُهُ» بذلك، بل وبعد أن علم أنَّ صناعاته تُؤثِّرُ على الحياة الطبيعية، فإنَّه لا يزال مستمرّاً في فعله، وكيف يتوقف.. وقد فقد توازنَ الفضيلة في مملكة نفسه، وعَرَّتُهُ المكاسبُ الماديَّة؟!..

### التسجيل الثاني: العدالة وتقدّم المجتمعات تطوراً!

فإنَّ إنسانَ العهود الغابرة؛ كان التجربة الأولى لإثبات صلاحية إستعمال الأدوية والعقاقير؛ ألم يكن ضحيَّةً لأدويةٍ غير صالحةٍ للإستعمال؟، والتأريخ يشهد أن إخضاع الإنسان لتجارب الأدوية والعقاقير لم يكن بإرادة من الإنسان المختبري، بل كان يُعطاها من دون علمه.

وهذا بنفسه يُعدُّ إخلالاً بهمّ بنود وأركان العدالة الإجتماعية، فلو علم إنسان العهود الغابرة بما سيحدث له لرفضها - وهذا من حقه الأكيد -، ولكن عندما حدث ما حدث فهل مُنحَ حقَّ المطالبة بحقوقه المهذورة، أم لا؟!..

ولكن ماذا لو أنه فقدَ حياته جرّاءَ تلكم التجارب - وقد حدث فعلاً في كثيرٍ من الأحيان -، فهل اختل بذلك توازن أركان «العدالة الإجتماعية» أم لا؟!..

إن الجواب القطعي هو: بلى.. وألف بلى..

فبهذين اللّحاظين، وبالخصوص الثاني.. يتبيَّنُ أنَّ الإنسانَ وحده غير قادر على تحقيق العدالة على هذا المستوى فضلاً عن مستوى «العدالة الإجتماعية».

### ثانياً: المؤاخذات على صناعة القانون:

ولا تقتصر المؤاخذات على الإنسان في بعده المادي فقط، بل وتنجرُّ إلى المؤاخذات في بعده المعنوي الذي يتمثل هنا بأهمِّ عنصر من عناصر تكوينه الفردي والإجماعي وهو: «القانون»، ويمكننا أن نلخص أهمِّ المؤاخذات في هذا الجانب بالآتي:

١ - لأنَّ الكلَّ يريدُ استكمالَ ذاته - سواء أكان هذا الذاتُ فرداً أم بحكم الفرد كالمجموع الذي يأخذ حكم الفرد في شخصيته وأبعادها -، فعندما تضع جهةٌ ما قانوناً أو تشريعاً تريده أن يكون هو الحاكم على الأمم والشعوب فإنَّها تعتقد أنَّ هذا القانون والتشريع هو الأفضل والأحسن لها، لافتراضها صلاحيتها في سوق البشرية السائرة إلى كمالها اللائق بها، وإسعادها به من كلِّ الوجوه والجهات.

إنَّنا نجد في المقابل من يرى أنَّ أطروحته هي الأنسب والأصلح للطرح، ولكن.. من يعطي لهذه الأطروحة الشرعية والمصدقية، لتكون هي الحاكمة دون غيرها؟!!

فإنَّ مثل هذه الرؤية للقانون، ومثل هذا التعامل مع التشريع، ومثل هذا التبني لمثل هذه الأطروحات يوجب خلق حالة من تزعزع في الثقة بأصول تلك القوانين والتشريعات والأطروحات الوضعية.

ومرجعه إلى أنَّ البشرية مزوَّدة بنظام تكويني فطري في منظومتها العقلية، وهذا النظام الفطري يمنعها من الحكم على المتناقضين بصوابهما معاً، فلا يُعقلُ لديها أن تكون الأطروحتان (المتناقضتان تناقضاً تاماً محكماً) محكوماً على كليهما بالصواب.

٢ - عدم وجود اطمئنان وتأكد من عدم انحياز القرار والقانون والتشريع، ومن عدم انحياز صنَّاعه أو منفذيهِ وموظفيهِ.

فإنَّ دواعي الاستكمال للذات متوفرةٌ وموجودةٌ، وأنَّ المجموع الذي يأخذ حكم الشخص الواحد لا يخلو من أحكام الفردية تلك؛ لذا فإنَّ ما تطلُّبه الفطرة

من استكمالٍ لنقص ذاتها، وسدِّ لفقر نفسها يوجبُ لها حيازةً ما تراهُ صالحاً لها، وبالمقابل فهي تتنفَّرُ أو تدفَعُ عنها كلَّ ما يوجبُ منعها من تحقيقِ تكاملها.

وهذا الأمر يدعوها إلى التوافق مع كل ما يوافقُ رغبتَها وأهدافها، وبما أنَّ الإنسان في اجتماعه مع الآخرين ينجذب إلى أفرادٍ منسجمين متوافقين معه في الجملة، وإبعاد كل من يحتمل فيه أنَّه قد يُشكِّلُ مانعاً من تحقيق أهدافه وغاياته الفطرية، فإن احتماليَّة الانحياز ستكونُ موجودةً في خاطره ونفسه، وغير ممكن سلخه عنها؛ إذا ما استلم الطرف المخالف له إدارة القانون، أو وضع بنود تشريعاته.

فقد.. - بل يقيناً - يُتَّهَمُ القانونُ بأنَّه منحازٌ إلى فئة، أو مجموعة، أو طبقة، فإذا وجدت بنود في تشريع ما، أو قانون ما، أو أطروحة ما فإنه سيحاط بإشكالية الانحياز في الجملة، وهذا بحد ذاته يمنع من الإطمئنان إليه، ولازمه عدم الإعتماد عليه، وعدم أخذه.

ووجود مثل هذا التهمة في البين كافٍ لخروج القانون عن الأصول الموضوعية، والإنصاف، والعدالة، ويضعه في قفص التهمة، والشك في النزاهة المطلقة.

وإذا وردت مثل هذه الإشكالية في حجم صغير من الإجماع الإنساني، فإن ورودها في دائرة أكبر وأوسع لأشدُّ وأكث.

٣ - عدم قدرة القانون على التوازن في موردين:

أ - متطلَّبات الفرد فيما بينه وبين متطلَّبات أفراد المجتمع من جهة؛

ب - وبين متطلَّبات الفرد وبين متطلَّبات المجتمع بما هو مجتمع من جهة أخرى.

٤ - لم.. ولا يستطع القانون البشري أن يوصلَ الحقَّ إلى مستحقِّه كما ينبغي.

٥ - عجز القانون عن أن يضبطَ الانحراف.

٦ - بل إنَّه لديه سعي ذكي لتقنين الانحراف، وتخريبه بإخراج لا يؤاخذُ على فعله، وكيف يؤاخذُه والقانونُ والتشريعُ المقنَّان يقفان معهُ، ويساندانه؟!.

- ٧ - لم يستطع أن يوفر الحماية للأفراد والمجتمعات.
- ٨ - لم يستطع أن يمنع غير النزيه من الصعود إلى موضع صنع القرار.
- ٩ - لم يستطع أن يمنع غير النزيه من الصعود إلى موضع تنفيذ القانون.
- ١٠ - لم يستطع أن يضبط المنحرف، بل وجدناه في كثير من المواقع الإجتماعية يُدينُ البري، ويبرئُ ساحةَ الجاني.
- ١١ - تلاعب صنّاع القرار ومنفّذي القوانين بنود دساتير الشعوب والأمم لما يضمن مصالحهم الشخصية.
- ١٢ - عدم تطبيق قانون العقوبات بشكل جيّد وحكيم.
- ١٣ - عدم قدرة القانون على إدراك المصالح والمفاسد لعدم استطاعته أن يُحيط الإحاطة التامة بملاسات النفس الإنسانية من جهة، ولعدم استطاعته أن يقف على الحاجات الضرورية للبشرية منها فضلاً عن الحاجات الكمالية من جهة أخرى، ولعدم استطاعته أن يقف على الأهمّ منها والمهمّ من جهة ثالثة.
- ١٤ - عدم قدرة القانون أن يقنّن العلاقة بين الإنسان وبين المحيط الذي حوله، والذي يتكون من كائنات حية وطبيعة تتفاعل مع ما حولها من الكائنات بما فيها الإنسان لتُقدّم له أهمّ عناصر الحياة والتقدم.
- إنّه لا يكفي في تحقّق العدالة أن يكون مدارّها المجتمع الإنساني فقط، بل لا بُدّ من مراعاة العدالة الطبيعية التي هي على مستوى عالم الطبيعة المكوّن من الكائنات الحية، ومن الهواء والحياة الطبيعيّة بشكل عام؛ لمساهمتها في إيجاد الحيويّة على وجه الكرة الأرضية، ولمدخليتها في تحقيق الحياة بتشكيل فريق واحد لا يمكنه الاستغناء عن أيّ عنصر من عناصر عالم الطبيعة.
- ويضاف إلى ذلك شموليّة العدالة «للعدالة الكونية» التي لا يُمكنُ الغفلة عنها أيضاً، فإنّ ما في الكون أيضاً مشمولٌ بمبدأ العدالة، ومعنيٌّ به بمستوى شموليّة الحياة الطبيعية (وعالمها)، الموجودة على الأرض.

١٥ - بل ووجدنا القانون هو من يقنن حركة البشريّة في الطبيعة، دون مراعاة حق الطبيعة وحق الكائنات التي فيها، فعرضها بذلك لاختلال حركتها، وجوداً، وبقاءً، وصلاًحاً.

١٦ - وأهمُّ إشكال يؤخِّدُ على القانون الوضعي هو:

أنَّ القانون الوضعي متطوّر ومتغيّر من زمان لآخر، ومن مكان لآخر، إذ الإنسان لا يعرف السكون بسبب تكوينه الفطري الذي لا يعرف سوى الحركة الدائمة والمستمرة للوصول إلى كماله اللائق به، وهنا يأتي هذا الإشكال الأهم:

إذا كان هناك شخصٌ ما قد طبقت في حقّه بعض القوانين قبيل تغييرها، ومن ثمّ تغيّرت، فأيّ من القانونين - السابق والحاضر - يكون قد حقّق العدالة الاجتماعيّة في حقّ ذلك الشخص، أهو القانون السابق، أم القانون المتطوّر والمتجدّد الحاضر؟! .

إن قلنا بأنَّ القانون السابق هو الذي حقّق العدالة في حقّه.. فهذا يعني أنّ البشريّة انحرفت عن العدالة من جهة، وأن الذي سيطبّق في حقّه القانون المتطوّر سوف لن تطبّق في حقّه العدالة الاجتماعيّة من جهة أخرى.

وإن قلنا بأنَّ القانون المتطوّر هو الذي حقّق العدالة في حقّه.. فهذا يعني أنّ البشريّة وإن خطلت خطوةً جميلةً نحو العدالة، وأصلحت وضعها؛ إلا أنها ارتكبت في حقّ من طبّق في حقّه القانون السابق ظلماً، وهذا يعني أنّ العدالة الاجتماعيّة لم تُطبّق في حقّ هذا الإنسان!!.

وفي كلتا الحالتين الأمر مهولٌ، وجريمةٌ لا تُغتفر..

ويبقى التساؤل المهمّ قائماً..

فمن يضمن القانون الجديد المتطوّر في أن يكون هو المناغم للعدالة الاجتماعيّة ويحاكيها؟! .

المثال على تقريب المؤاخذات:

فقد بيّنا المؤاخذات على تطويع المادّة، وإمكانيّة استحصال الحاجة الطبيعيّة

منها وفيها كما تريدها البشريّة، وتساءلنا.. أهل يمكن ذلك من دون التعرّض إلى التأثير الجانبي أم لا؟!، فكانت النتيجة هي عدم الإمكان.

وأما فيما يتعلّق بالحياة المعنوية، والاجتماعيّة فإن البشريّة وقعت في إشكاليات كثيرة - فمنها ما بيّناه سابقاً، ومنها ما يردنا الآن في هذه السطور الآتية إن شاء الله تعالى ..-

فكيف وقعت البشريّة في الإشكاليات؟!.

مآزق تحقيق الحضارة:

إن البشريّة وإن استطاعت في بعدها المعنوي أن تدرك قبح الظلم وحسن العدل؛ إلا أنّها وقعت في مجموعة من المآزق، ولنخصّها الآن بعنوانين؛ وهما:

أولاً: المآزق المتعلقة بجهة المصداق.

ثانياً: المآزق المتعلقة بجهة محيط الحكم.

ولنتحدث الآن عن كلّ منهما بشكلٍ مفصّل:

أولاً: المآزق المصداقيّ.

وفي هذا المآزق نجد وقوع الإنسان في ثلاثة مآزقٍ أساسيّة، وهي:

١ - مآزق تشخيص مصاديق الظلم من جهة.

٢ - مآزق تشخيص الوسيلة المناسبة لتحقيق المصداق من جهة أخرى.

٣ - مآزق تشخيص طريقة استخدام تلك الوسيلة من جهة ثالثة.

ويمكن وضع هذه المآزق الثلاثة في العنوانين الآتيين:

الأول: المآزق التشريعي.

الثاني: المآزق التنفيذي.

وهذا المآزق التنفيذي يمكن أن يُقسَم إلى قسمين، وهما:



القسم الأول: المآزق التنفيذي على مستوى فهم ما جاء في التشريع والقانون.

القسم الثاني: المآزق التنفيذي على مستوى تطبيق وتفعيل القانون.

ثانياً: مآزقٌ محيطُ الحكم:

وهذا المآزق ليس بالسهل، وهو لا بدَّ من مراعاته في تكوين صياغة النص القانوني، وهو يتكون من أبعاد خمسة؛ وهي:

البعد الأول: الزمان.

البعد الثاني: المكان.

البعد الثالث: نوع الإنسان، ونوع سلوكه.

البعد الرابع: الكم.

وهو المرتبط بالحياة الإجتماعية، وبالعالم تطبيق الحكم.

البعد الخامس: الكيف.

وهو المرتبط بكيفية توجيه القانون إلى الفرد والمجتمع، وبكيفية تطبيق هذا القانون - سواءً في تكليفه أو في جزائه - في حق الفرد والمجتمع.

فلا بد إذن.. من مراعاة كلِّ هذه الأمور لأجل تحقيق سعادة الإنسان، وتحقيق حضارته.

مثال عام:

ولنضرب مثلاً عاماً يتضمَّن ما ذكرناه من المآزق المذكورة:

كلُّ البشريَّة تعلمُ جيِّداً أنَّ «قتلَ الإنسانِ» أمرٌ قبيحٌ، ويأباه الطبعُ الإنسانيُّ، ولكنها لم تستطعْ في مقام تشخيصها للقتل القبيح أن تحدِّدَ مصاديقه، فما هي الحالات التي يصبح القتل فيها قبيحاً.

- فهل يُقتلُ الرجلُ الذي زنى بامرأةٍ محصنة أم لا؟!..!!

وهذا يعني من جهة أخرى أَنَّ القانون يُعاني أزمةً على المستوى التشريعيّ حتّى يُدينَ هذا القانونُ مثلَ هذا التصرّف، ومن ثمَّ يحكّم عليه بالحكم المناسب.

والملاحظ في القوانين الوضعية وجود اختلاف فيما بينها، فالبعض يرى أنّ القتل في هذه الحالة هو الأصلح وبه تتحقّق العدالة الإجتماعيّة، والبعض الآخر يرى أنّ القتل في مثل هذه الحالات أمر ينافي العدالة الإجتماعيّة، وهكذا تعاني البشرية من فقدان التشخيص الصحيح للمورد المستحقّ للقتل، وما لا يستحق.

والمشكلة تتبيّن فيما لو أنّ شخصاً ارتكب مثل هذا الفعل في بلد يرى فيه العقوبة هي القتل، ولكنه هرب إلى بلد لا يرى لمثل هذا الفعل مثل هذه العقوبة، فهل يكون في هذه الحالة هارباً من العدالة أم يُعتَبَرُ لاجئاً إلى العدالة، إنها فعلاً معضلة مبكية ومضحكة!!.

ولنفترض أنّنا معاشر البشر اجتمعنا على اختيار خيار القتل؛ وقلنا بأنّه الأصلح، وأنّه في مثل هذه الحالات موافق للطبع البشري؛ وأنّه محقّق للعدالة الإجتماعيّة؛ فإن المرحلة الثانية التي تلي السابقة ستكون الأصبعب، وهي مقرونة بتساؤلات في ميدان العدالة الاجتماعية، ومن أهمّها:

- ما هي الوسيلة الأنسب والفضلى لقتله؟!.

فهل يُقتل بالسيف، أم بالرصاص، أم بالحجارة، أم بالمشنقة، أم بإسقاطه من شاهق، أم بإعدامه على كرسيّ كهربائيّ، أم بإغراقه في البحر، أم بإحراقه، أم بتفجيرِه، أم بماذا؟!.

وكما نعلم جيداً.. أنّ في هذه المرحلة أيضاً وقع اختلاف بين القوانين الوضعية، وكلٌّ منها يرى أنّ طرحها واختيارها هو المحقّق للعدالة الإجتماعيّة، وهو يعني أنّ الأخرى لا تحقق هذه العدالة في هذه المرحلة التنفيذية باختيار الوسيلة!!.

وإذا انتقلنا إلى مرحلة ثالثة وهي مرحلة استخدام الوسيلة فهنا سنواجه أمراً أكثر صعوبة من مرحلتين السابقتين بلحاظ ما نحن فيه مما يُحقّق العدالة الإجتماعيّة. فإذا قلنا باختيار السيف؛ فهل يُضربُ بالسيف على رقبتِه، أم يُضربُ على رأسه،

أم بغرس السيف في قلبه، أم بغرسه في بطنه، أم بقطع جسمه قطعةً قطعةً؟!!!  
وإذا قلنا بأنَّ الاختيار الأنسب هو الضرب على الرقبة فهل تُضربُ الرقبة من  
الخلف أم من الأمام، أم من الجنب؟!!!.

وإذا قلنا بأنَّه يُضربُ من خلف رقبته، فهنا أيضاً التساؤل سيرد..

أهل يُضربُ بشدةٍ؟!!!، أم يُضربُ بضرباتٍ خفيفةٍ؟!!!، ويأتي السؤال بعد ذلك  
عن السرعة؟!!!.

ثمَّ إنَّ وسائل القتل كثيرةٌ جداً في عالمنا، فإنَّ اختيار إحداها يعني إلغاء الآخر،  
فهذا الاختيار المُلغى للآخر هو المحقَّق للعدالة الاجتماعية أم لا؟!!!.

أظنُّ البشريَّةَ مطالبَّةً بالجواب المحكم على مثل هذه التساؤلات، وإلاَّ فإنَّ  
المحكوم عليه سيفارق الحياة وهو يشعر أنه لم تمارس في حقِّه العدالة الاجتماعية  
الصحيحة، وسيبقى المحكوم الآخر يشعر بشعور مؤلم أيضاً.. ويقول: هل الوسيلة  
التي ستفارقُ بها روعي هي المحقَّق للعدالة الاجتماعية أم لا؟!!!، أهلُّ أقتلُ بطريقةٍ  
عادلةٍ؟!!!، ولقضيَّةٍ عادلةٍ؟!!!.

وهكذا ستجد مثل هذه التساؤلات ترد في كل وسيلة من وسائل القتل،  
وتزداد المشكلة تعقيداً بأنَّ يختار صاحب كلِّ أطروحةٍ أطروحة لتمثيل العدالة  
الاجتماعية، ويعتبر الأطروحات الأخرى هي المنافية للعدالة، وأنها غيرُ موافقةٍ  
للطبع الإنسانيِّ، فبناءً على ما تقدم نجد أن كلاً من...

١. تشخيص المصداق.

٢. تشخيص الوسيلة.

٣. تشخيص استخدام الوسيلة.

وبلحاز الأبعاد الخمسة، كلُّ ذلك يحقَّقُ بعداً من أبعاد تحقيق العدالة  
الاجتماعية، وما مسألة القتل إلا واحدةٌ من مئات من المسائل المتعلقة بالعدالة  
الاجتماعية - إن لم نقل: الآلاف منها - في حياة الإنسان.

وإلا لو أردنا أن نتناول الأمثلة التي في حياة الإنسان عامّة - وخاصة التي في عصرنا -، وفي حياة القوانين للمجتمعات والدول لوجدناها لا تكفيها هذه الأوراق أبداً، فلنذكر بعضها على نحو الإجمال:

قانون الجنسيات وما يحيط به من الأحكام التي تختلف فيها الدول، فأَيُّ القوانين يُمثِّلُ العدالةَ للإنسان، ومع النظر إلى الزمان والنوع فسنجد طروء تغيير فيها، فأَيُّ منها كان ممثلاً للعدالة، وأَيُّ منها لا؟!..

وقانون الحضانة يئنُّ منه الأطفالُ، فهل يحقُّ للقانون أن يسلبَ الطفلَ من والديه أم لا؟!.. وفي فرض الحقِّ له.. فمتى؟، وكيف؟، ومن الذي أعطى لهذا القانون تحديدَ ذلك؟، ومع فرض أنه سلب.. فأين سيأخذ الطفل؟، وما هي فترة كونِ الطفل بعيداً عن والديه؟، ومع التدقيق في مثل هذا القانون.. فَمَنْ الذي يرَجِّحُ المدة على الأخرى؟!!، ثمَّ من الذي أعطى الحقَّ لهذا الشخص أو الأشخاصَ الترجيح، وبناءً على أيِّ معيار تُرَجِّحُ هذه المدة على غيرها؟!.. إلخ من الأسئلة الكثيرة التي تُطرحُ في البين.

وقانون الطلاق.. وقانون الزواج المثلي، وقانون الحربيات، وقانون بلوغ السن القانوني، وقانون الفوائد، وقانون الحقوق، وقانون صناعة أسلحة الدمار الشامل... إلخ.

فهذه القوانين وغيرها من القوانين الإجتماعية لو نظرنا إليها من خلال منظار العدالة سنجدتها تحتاج إلى الإجابات الوافية الدقيقة كي تحل الإشكالات والأسئلة الكثيرة التي تحيط بها، ومن حقِّ البشرية أن تحصل على الإجابات عن أسئلتها؛ لأنَّها هي المعنيَّة بالأمرِ أولاً وبالذات.

وهكذا نجد أن وصولَ الإنسان إلى كمال المتطلِّبات المادية أمرٌ أسهلُّ بكثيرٍ من وصوله إلى المتطلِّبات المعنوية - بالمقايسة -، بل ولن نعدو الحقيقة إن قلنا بأنَّ الوصولَ إلى الكمال المعنوي في ظلِّ القرارات والقوانين المتوفرة بين البشر الآن أمرٌ مستحيلٌ، وإنما اخترنا القول بالحال والحاضر؛ لأنَّ البشرية تعتقدُ أنَّ المرحلة

التي تعيشها الآن هي الأكمل والأفضل والأحسن من كل المراحل التي عاشتها البشرية سابقاً<sup>(١)</sup>.

### إشكالية المنفذ للقانون والتشريع:

أضف إلى ذلك كله:

أن معاناة البشرية ليست فقط على مستوى القانون والتشريع؛ بل إنها أيضاً معاناة على مستوى منفذ القانون والتشريع ومطبّقه.

فلأجل اكتمال دائرة العدالة الإجتماعية لا بُدَّ من أن يوجد هناك شخصٌ فائقُ النزاهة في التطبيق للقانون، وعالي الدقة في تشخيص المصاديق والوسائل والأساليب، كي لا يقع في موقع ينافي فيه العدالة الإجتماعية وبأي شكل من الأشكال، لأن وقوعه فيه يعني إخلاله بالعدالة الإجتماعية، وارتكابه لظلم في حق الأفراد، أو في حق المجتمع، وهذا يعني أنه أصبح في موقع يصحُّ إدانته ومؤاخذته، والمفروض أن لا يكون المنفذ في موضع احتمال الإدانة من أصل، وإلا لاختلت مكانته بين الناس، ولانثلمت مصداقيته، ولبقي مفهوم العدالة في برج المثاليات، مع أن الواقع النظمي للوجود والعالم يأبى إلا وجود واقعية للعدالة؛ ليس على مستوى المفهوم فقط، بل على مستوى المصداق والتحقق خارجاً كذلك.

### ثغرة العقد الإجتماعي:

وإذا قلنا بنظرية «العقد الإجتماعي» في المقام؛ فإنه يمكن احتمال ارتفاع الإدانة

(١) قال السيد الصدر في كتاب اقتصادنا الصفحة ٣٠٦: «فإن النقطة الأساسية في المشكلة ليست هي: كيف يُدرك الإنسان المصالح الاجتماعية؟ بل المشكلة الأساسية هي: كيف يندفع هذا الإنسان إلى تحقيقها وتنظيم المجتمع بالشكل الذي يضمنها؟ ومثار المشكلة هو أن المصلحة الاجتماعية لا تقف في أكثر الأحيان مع الدافع الذاتي، لتناقضها مع المصالح الخاصة للأفراد.

فإن الدافع الذاتي الذي كان يضمن اندفاع الإنسان نحو المصالح الطبيعية للإنسان، لا يقف الموقف نفسه من مصالحها الاجتماعية، فبينما كان الدافع الذاتي يجعل الإنسان يحاول إيجاد دواء للسُّل، لأن إيجاد هذا الدواء من مصلحة الأفراد جميعاً.. نجد أن هذا الدافع الذاتي نفسه يحول دون تحقيق كثير من المصالح الاجتماعية، ويمنع عن إيجاد التنظيم الذي يكفل تلك المصالح أو عن تنفيذها».

في بعض الحالات كما قد يراها البعض، ولكن ليس في كل الأحوال والحالات، ومجرد ورود مثل هذه الإحتمالية كافٍ في رفع اليد عن العقد الاجتماعي.

ويكفي في عدم القدرة على الاعتماد على هذه النظرية، وأنها غير كافية لتحقيق العدالة الاجتماعية؛ أن القائمين تحت مظلة العقد الاجتماعي بشر؛ وسيبحثون عن تطوير القانون وتجديده، وهنا يرد ما قد أوردناه سابقاً من إشكالية من طُبِّقَتْ في حقِّه القوانين قبل التطوير والتجديد:

- فهل كانت مطابقة للعدالة التي يبحث عنها الإنسان بصميم تركيبته الذاتية، أم لم تكن مطابقة؟!!

- وهل التقنين المعتمد لدى من هم تحت مظلة العقد الاجتماعي قد وصلوا إلى كمال القانون والتقنين كي يرفعوا إشكالية الغبن في حق من طُبِّقَتْ في حقِّهم تلك القوانين، أم لا؟!!

فإن احتمالية الظلم وعدم تحقيق العدالة ستكون قائمة فيما ذكر، وذلك بالمقارنة إلى حال التطور، وعلى حدٍّ سواء في حق من طُبِّقَتْ في حقِّه القوانين سابقاً، وفي حق من سيُطبَّق في حقِّه القانون بعد تطويره لاحقاً!

إشكالية عدم تحقيق العدالة:

إذن..

ستظلُّ إشكالية العدالة وتحقيقها قائمةً في البين - وقد ذكرنا مجملها سابقاً في عنوان المؤاخذات على المحاولات البشرية، فليراجع... -

وهكذا فإن إدانة المنفِّذ للقانون، أو وضعه في قفص الاتهام لكافية في سقوطه عن الاعتبار إذا ما صدرت منه الإشتباهات والأخطاء في الجملة.

فتحصلَ ممَّا تقدَّم أنَّ الإنسان لا يستطيع أن يُشبعَ رغبته في التكامل في بعده المعنوي في ظلِّ القانون الذي يقوم بإدارته، فيبقى رهينَ هذا السجن المعنوي المؤلم!!

ومن هنا يُطرحُ هذا التساؤل...

- هل ستبقى البشرية تُعاني أزمةً في العدالة الإجتماعية؟!.
- وكيف السبيلُ للوصول إلى عدالةٍ إجتماعيةٍ متكاملةٍ مرضيةٍ عند الجميع؛  
والحال هو التضخم في الأطروحات والإختلافات؟!.





## الفطرة وحل المشكلة البشرية

### نحو العلاج الجذري

فلأجل الحصول على الحل؛ لا بُدَّ من الرجوع إلى المنشأ الذي نشأت منه المشكلة - كما بيَّنا سابقاً -، فمن هنا يتوجب الرجوع إلى هذه «الفطرة الإنسانية»؛ وإلى هذا «الدافع الذاتي»<sup>(١)</sup>، ففي هذا الموضوع يكمن الحل الجوهري، وفي هذا المنشأ يوجد العلاج الناجع.

ولكن كيف يكمن الحل والعلاج في «الفطرة»؟!  
فهذا ما ستعرِّفُ عليه فيما سيأتي إن شاء الله تعالى.

### الفطرة تتكلم

#### منشأ وقوع إشكالية الفطرة :

فلو رجعنا إلى «الفطرة الإنسانية» لوجدناها تريد الوصول إلى كمالها، فهي باحثةٌ عن «الكمال المطلق»، وهذا الأمر مفروغ منه، وقد بيَّنا ذلك سابقاً.

---

(١) السيد الصدر في كتاب اقتصادنا: الصفحة ٣٠٩-٣١٠: «وهكذا تبقى المشكلة كما هي مشكلة مجتمع يتحكم فيه الدافع الذاتي، وما دامت الكلمة العليا للدافع الذاتي تُمليه على كل فرد مصلحته الخاصة، فسوف تكون السيطرة للمصلحة التي تملك قوة التنفيذ فمن يكفل لمصلحة المجتمع في زحمة الأنانيات المتناقضة أن يصاغ قانونه وفقاً للمصالح الاجتماعية للإنسانية، ما دام هذا القانون تعبيراً عن القوة السائدة في المجتمع؟!... فهل كتب على الإنسانية أن تعيش دائماً في هذا المشكلة الاجتماعية النابعة من دوافعها الذاتية، وفطرتها وأن تشقى بهذه الفطرة؟!»

وهل استنيت الإنسانية من نظام الكون الذي زود كلَّ كائن فيه بإمكانات التكامل، وأودعت فيه الفطرة التي تسوقه إلى كماله الخاص، كما دلت على ذلك التجارب العلمية إلى جانب البرهان الفلسفي؟! .

### الشبهة المصدقيّة:

فعلى رغم ما صممت عليه الفطرة في تركيبها الوجودية فإنها وقعت في ما كلفها الكثير، أجل.. فإننا إذا نظرنا إلى السبب الذي دفع الإنسان إلى الوقوع في تلكم الإشكالية تحقيماً للعدالة الإجتماعية فسنجد أنه قد اشتبه وأخطأ في مقام تشخيص ما هو الطريق الموجب لإيصاله إلى كماله المنشود.

وبهذا البيان نجد أن المشكلة نبعت من عدم قدرة الإنسان على تشخيص ما هو كمال مطلق، وما ليس بكمال مطلق، وما هو صالح وما ليس بصالح، أي: أن المشكلة الأساسية لدى الفطرة ليست في مقام طلبها للكمال، فهي لا تحتاج إلى أحد يعلمها أن تختار طريق الكمال، فهي في هذا المقام عارفة أنها لا تريد سوى الكمال، بل مشكلتها الأساسية تكمن في مقام معرفتها لمحلّ هذا الكمال الذي تبحث عنه!، فأين هو؟ وما هو هذا الكمال الذي تطلبه؟، وبتعبير آخر.. يُقال: إنَّ المشكلة لدى الفطرة هي مشكلة مصدقيّة، وليست مفهوميّة.

### المصدق التشريعي:

فإذا أردنا أن نُحلَّ الإشكاليّة، فعلينا أن نحققَ للفطرة بادئ ذي بدءٍ ما تريده، فإذا أُعطيَتْ ما تريده، وقُدِّمَ لها المصدقُ الاتِّمُّ على مستوى التشريع، وتَشَخَّصَ لديها المصدقُ الحقيقيُّ للكمال المطلق؛ ارتفع الخلافُ والاختلافُ من جهة القانون والتشريع.

### المصدق التجسدي:

وإذا قُدِّمَ لها شخصٌ كامل النزاهة، وتوفَّرَ فيه شروطُ القيادة البشريّة نحو كمالها المنشود؛ وذلك بتحقيق احتياجاتها؛ وبشكل عادل ومتوازن، وبتطبيق قانون العقوبات بشكل سليم وموحد؛ فإنها حينئذ ستكون في سيرها وسلوكها نحو كمالها المنشود، ومن دون أيِّ خوف من الوقوع في الإشتباهات أو الأخطاء، وذلك؛ لأنَّ القيادة والقُدوة أمامها.

الإنسان وتشخيص الكمال المطلق:

ولكن..

- هل الإنسان بما هو إنسان يستطيع تلبية رغبة الفطرة، فيشخص لها كمالها الحقيقي، أم لا؟!.

- وهل يمكنه أن يقودها إلى التطبيق الصحيح، والسليم؟!.

قد تقدم الجواب ضمناً وتصريحاً بأن «فاقد الشيء لا يعطيه»، فكل إنسان محتاج إلى أحدٍ كي يدُلّه على المصاديق والوسائل والأساليب الصحيحة لمعرفة سبيل الكمال المطلق في صراط العدالة الاجتماعيّة.

فإذا كان الإنسان فاقداً:

- لمعرفة سبل الوصول إلى الكمال المعنوي من جهة؛

- ولمعرفة سبل تحقيق العدالة الاجتماعيّة من جهة أخرى؛

فسيبقى على حاله يعاني الأمرّ في حياته؟!.

وهل سيظلّ منتظراً مصيره من تسلط القوي عليه فيسلبه حقه؟!، أم أنه سيحارب؟!؛ وإلى متى سيظلّ يحارب؟!؛ فإنه لا بدّ للليل أن ينجلي ولا بدّ للصبح أن يُسفر، ليشقّ بعمود فجره ذلك الديجور.

هل يكونُ مرغوبُ الفطرة كمالاً نسبياً؟

الجواب: أنّه بما تقدم وبما اتضح.. نعلم أنّ الإنسان عندما يكون باحثاً عن الكمال والسعادة فإنه لا يريد هما أن يكونا نسبيين، بل إنّه يبحث عن الكمال المطلق، وعن السعادة المطلقة، والحال أنّ الإنسان بنفسه فاقداً لما يطلبه، فمن يستطيع تلبية رغبته، ويحقّق طلبه الفطري؟!.

البحث في خارج المنظومة الإمكانية:

وهكذا ستقودنا هذه الرغبة الإنسانيّة لأجل الوصول إلى تنفيذ رغبة هذا

الإنسان؛ ولأجل تحقيق متطلباته المعنوية للبحث في خارج منظومته الإنسانية، بل وفي خارج منظومة هذه الموجودات الإمكانية المخلوقة أيضاً، ليكون البحث عن موجود يستطيع أن يلبي نداء الفطرة؛ فيرشدها، ويوجهها، ويهديها إلى كمالها اللائق بها، فلا تنطبق عليه المقولة «فاقد الشيء لا يعطيه»، بل إذا كان واجداً لكمالٍ أعطاه لغيره جوداً وكرماً.

### البحث عن الكمال المطلق:

وهنا يرد هذا التساؤل المهم..

فهل يوجد مثل هذا الموجود الكامل المطلق؟! أم لا يوجد؟!..

وبناءً على ما تقدم فإن على الموجود الذي سيتكفل قيادة الإنسان نحو كماله أن يكون واجداً لأهم دعائم وأركان السعادة المطلقة، والعدالة الإجتماعية، والطبيعية، والكونية المتكاملة، وبالتالي سوف يستطيع أن يطبق العدالة في كل أبعادها وجوانبها وصورها ومجالات تطبيقها المرغوبة لدى الفطرة الإنسانية، وقد عبّرنا عن هذه الأوصاف للعدالة بـ«الأركان»، وقد تقدم ذكر الأركان تحت عنوان (العدالة الإجتماعية)<sup>(١)</sup>..

فنكرر التساؤل المهم..

فهل يوجد مثل هذا الموجود الكامل المطلق؟!، أم لا يوجد؟!..

(١) السيد الطباطبائي في تفسير الميزان ٢: ١٣١:

«ومن المعلوم أن الإنسان غير متمكن من تميم هذه النقيصة من قبل نفسه فإن فطرته هي المؤدية إلى هذه النقيصة فكيف يقدر على تميمها وتسوية طريق السعادة والكمال في حياته الاجتماعية؟. وإذا كانت الطبيعة الإنسانية هي المؤدية إلى هذا الاختلاف العائق للإنسان عن الوصول إلى كماله الحري به وهي قاصرة عن تدارك ما أدت إليه وإصلاح ما أفسدته، فالإصلاح (لو كان) يجب أن يكون من جهة غير جهة الطبيعة...».

ثم قال: «تقريره: أن نوع الإنسان مستخدم بالطبع، وهذا الاستخدام الفطري يؤدي به إلى الاجتماع المدني وإلى الاختلاف والفساد في جميع شؤون حياته الذي يقضي التكوين والايجاد برفعه ولا يرتفع إلا بقوانين تُصلح الحياة الاجتماعية برفع الاختلاف عنها، وهداية الإنسان إلى كماله وسعادته بأحد أمرين: إما بفطرته وإما بأمر وراءه، لكن الفطرة غير كافية فإنها هي المؤدية إلى الاختلاف فكيف ترفعها؟ فوجب أن يكون بهداية من غير طريق الفطرة والطبيعة...».

فهل يوجد مَنْ يُمكنُهُ أَنْ يصنَعَ وسيلةَ نقلٍ هوائيةً من دون أَنْ يعرِّضَ الطبيعةَ إلى تلوثٍ؟!..

فهل يوجد مَنْ يُمكنُهُ أَنْ يكرِّرَ البترولَ في تصنيعه خالياً من أدخته السامة؟!..  
فهل يوجد مَنْ يُمكنُهُ أَنْ يُنتِجَ سُبُلَ الراحةِ مع الحفاظ على عناصر الطبيعة وأجوائها؟!..

فهل يوجد مَنْ يُمكنُهُ أَنْ يصنَعَ دواءً لأمراض تعاني منها البشرية من دون أَنْ يكون لها أعراضٌ جانبيةٌ على الإطلاق؟!..

إننا وبشكل مبدئي بديهي فطري - كما ذكرنا سابقاً - .. نجزم بأن هذا الموجود ذا - الكمال المطلق - موجود، ونجزم أن بإمكانه أن يقوم بكل ما فيه مصلحة البشر، مع الحفاظ على مصالح عالم الطبيعة بما تحويه من عناصر الحياة الخلابة المعطاءة.

إننا نعتقد أنّ عدم وجوده أمرٌ غير متعقّلٍ من أصل، وذلك بلحاظ ما نشاهده في عالم الطبيعة من الحفاظ الذاتي على عناصرها، وعلى مكوّناتها وبشكل طبيعي.

إننا ومن خلال التكوين الطبيعي للعالم والوجود وبهذه الروعة نجزم باستحالة الوصول إلى المنجزات من خلال الإخلال بالطبيعة من أصل، فإننا نعتقد أنّ في الطبيعة من الأمور ما يمكن استعمالها بطريقة لا يكون لها أي أعراضٍ جانبيةٍ أبداً.

### محصلة البحث..

فتحصل مما سبق.. أنّ حياة الإنسان الفردية تتحوّل لتأخذ طابعاً اجتماعياً، وبهذا التحوّل تبدأ مرحلة جديدة ومزدوجة في مسيرته التكاملية، فمن السعي وراء الإحتياجات الشخصية تقترب به حياة أخرى؛ ليكون السعي فيها وراء الإحتياجات الاجتماعية ومتطلباتها.

وتبيّن أنّ الإنسان بمجرد التحامه بالأفراد الآخرين؛ يستيقظ على حقائق وواقع لا يمكنه الفرار منها؛ كالتنافس، وهذا يوجد حقيقةً أخرى يجدها ضرورة الوجود

في حيز الاجتماع؛ وهي: ضرورة إيجاد الضوابط والمعايير لتحكم مسيرة المجتمع والأفراد؛ وعلى كافة المستويات؛ وفي كل المجالات.

وتبيّن أنّ الإنسان حينما قرّر أن يضع القوانين والتشريعات لتحقيق العدالة الاجتماعيّة؛ وجد نفسه أمام مجموعة من المسائل؛ شكلت أمامه مجموعة من الحواجز تُعيّقه في طريق وصوله إلى تحقيق هدفه.

وإذا نجح الإنسان في وضع القوانين؛ فإن نجاحه:

١ - لا يتجاوزُ بعض بنودها وفقراتها.

٢ - ولا يتجاوزُ فترةً زمنيّةً محدودةً جدّاً.

ليجد نفسه من جديد أمام «مشكلة اجتماعيّة» جديدة، غدت على مرّ العصور والأزمان «مشكلة إنسانيّة».

ووجد الإنسان نفسه أمام حقيقة مهمة يفرضها عليه واقعه وهي: ضرورة إيجاد شخص يملك المؤهلات العالية لإدارة رغبات الفطرة، ومتطلبات الطبيعة، وبكفاءة عالية.

ولأجل أن يصل الإنسان إلى تحقيق أحلامه فإنّه لا سبيلَ له إلى ذلك إلا من خلال موجود لا ينطبق عليه مفاد العبارة «فاقد الشيء لا يعطيه» إذ أنّ كلّ إنسانٍ فاقدٌ لكمال من الكمالات، وغيرٌ واجد له. وأما هذا الموجودُ غير الإنسان فينبغي أن يكون واجداً لكلِّ كمالٍ، فيكون قادراً على تحقيق الكمال لسائر الموجودات على الإطلاق، إيصالاً لها إلى كمالها اللائق بها، ويحقّق لها سعادتها.

## الكمال المطلق واستجابته لطلب الإنسانية الفطري

إستجابة « السماء » :

إننا من خلال ما نجده عبر التاريخ الإنساني، وخلال مسيرته المدنية والبدوية وهو ما سجّله المؤرخون؛ ودونته الكتب والتراجم نجد أن هناك تدخلاً خاصاً من جهة «السماء» في الحياة الإنسانية، وكان هذا التدخل أساسياً في حياة الإنسان - الفرد والمجموع -، ولم نجد إلى الآن أن أحداً ادّعى الأهلية للتدخل في حياة الإنسان في مسيرته الإجتماعية سوى جهتها.

نعم لا نُنكرُ وجود نحو من الاختلاف بين جهة السماء وبين مجموعة من البشر، إلا أننا لا ننظر إلى الاختلاف بما هو هو، فنُقصي هذا ونُدني ذاك لأجله!، وإنما ننظر إليه بمعايير وضوابط عقلية، ونقيسها على متبنيات العقل ومدركاته، ومن ثمّ نرّجح هذا على الآخر، فالفيصل العقلي هو ما نجعله حاكماً ليحكم بين الطرفين، وإلا لما استطعنا التقدّم في أيّ مجتمع، ولا في أية قضية اجتماعية إنسانية.

ولكن..

وقبل أن ننظر في هذا الموضوع؛ ونبين كيفية تدخل «السماء» في رفع الإشكالية التي تعيشها الفطرة؛ وفي علاج مشكلتها الإنسانية؛ فإنه ينبغي الوقوف أولاً عند القابلية التي تملكها هذه الجهة، فهل حقاً تمتلك هذه الجهة القدرة على علاج أعظم مشكلة تعيشها الإنسانية، وتعاني منها البشرية؟!، وستتبعها مجموعة أخرى من الأسئلة، والتي منها ما يلي:

- ١ - لماذا هي المعنية بالعلاج والحل؟!؟
  - ٢ - ألا توجد جهة أخرى تقدر على المعالجة؟!؟
  - ٣ - فهل العلاج والحل منحصر بجهة السماء؟!؟
  - ٤ - أم يمكن دخول غيرها في البين؛ فيشارك في وضع العلاج والحل؟!؟.
- ولكن..

سواءً أكانَ الجوابُ بالإنحصار أو كان الجواب بإمكانية دخول الغير؛ فإن التساؤل الآتي سيكون قائماً وهو:

- ولماذا هو بالخصوص دون غيره؟!؟.
- فهذا ما سنتعرَّضُ له في العنوان التالي بإذنه تعالى..
- وقد يتساءل البعض عن المقومات التي تضع «السماء» في موقع يمكنها التدخل في شؤون الفطرة، وفي موقع تجعلها تتدخل في حياة الفرد والمجتمع لحل إشكاليته!!.
- فما الذي لدى «السماء» من مؤهلات لتحقيق الكمال الإنساني، ولرفع الإنسان من حالة النقص إلى حالة الكمال اللائق به؟!؟.
  - وما هي المقومات التي تمتلكها هذه الجهة فتمكَّنها من هذا الموقع المهم والخطير؟!؟.
- فهذا ما سنتعرَّضُ له فيما يلي إن شاء الله تعالى.

### مقومات صلاحية التدخل...

تنبيه مهم:

أولاً وقبل كل شيء: لا بدَّ من أن نوضح ما المراد من قولنا «السماء»؟!؟. فهذا الأمر ينبغي أن يتوضَّح للقارئ العزيز..



## المراد من «السماء»:

فإننا عندما نقول «السماء» نقصد منها «الموجودَ الواحدَ الأحد»، والذي يُعرَفُ لدى جميع الناس والمخلوقات، وله أسماء بحسب ما للأمم من ثقافات مختلفة، ويعرف هذا الموجود في الثقافة الإنجليزية بـ«GOD»، وفي الثقافة الإسلامية بـ«الله»، وفي الثقافة الفارسية «خداوند»، وفي الثقافة الهندية «برورديجار»، فنقول (وبعبارةٍ أخرى) بعد هذا البيان:

إنَّ المراد من قولنا «السماء» هو: الجهة التي تُنسَبُ عادةً إلى «الله» تبارك وتعالى، ولكنَّ المرادَ الحقيقيَّ هو «الله» تبارك وتعالى، وسيعرف القارئ العزيز لماذا كان اختيارنا هو «الله» تبارك وتعالى، وما هي الأسباب والدواعي لذلك.

والبحث في هذه الجهة متعدّد الجوانب والأبعاد، ولكننا سنختار بعض الأبعاد التي نجدها رئيسية، ومهمة لبحثنا هذا، ومن خلالها يمكن أن يقف القارئ على ما لهذه الجهة من صلاحيات التدخّل في الشأن الإنساني، وفي شأن الطبيعة والوجود، وما هي المؤهّلات التي فيها، وكيف أنها تنفرد دون سائر الموجودات في امتلاك حق التدخّل.

ويمكن أن نحدّد - وبشكل مختصر - المقوّمات الأساسية جدًّا؛ التي تقوم على أساسها صلاحية تدخّل السماء في شؤون الإنسان والعالم والطبيعة والوجود وذلك في أحد عشر أمرًا، وهي بنفسها - في الوقت نفسه - تُحدّد عدم قدرة غيرها على هذه المهمة العظيمة، وأمّا هذه الأمور فهي صفات من صفات «الله» الكمالية وهي:

الخالقية، والعلم، والقدرة، والقوة، والمالكية، الغنى المطلق، الحكمة، العدل، الإحاطة، الهداية، والربوبية.

وسنلحِقُ بهذه الجواهر النورية بعضَ الأسماءِ والصفاتِ لتكاملَ الحزمةِ التكامليّةِ لمسيرة الأفراد والمجتمعات إن شاء الله تعالى.

**تنبيه:**

إنّ اختيارنا هذه الأسماء والصفات ليس من باب الحصر، بل لكونها الأكثر حضوراً في عالم الاجتماع، والأكثر احتياجاً في عالم التزاحم، وفي عالم تحديد الحقوق والواجبات، وفي عالم الجزاء والعقوبات، ووضع الضوابط والمعايير للسير في مسيرة الفطرة بشكل منتظم ودقيق وعادل..

والآن لتحدّث عن كلّ واحدة من تلكم الصفات الراقية، لتعرّف على ما لدى هذا «الموجود الكامل» من إمكانيّات وقابلية للتدخل في الحياة لإصلاحها، وإرشاد الإنسان، وتعليمه، ولقيادته إلى كماله اللائق به، والأمر الذي يثبت لنا في المقابل عدم قدرة غيره على إدارة الإنسان، وقيادته، وإرشاده، وتعليمه، وتنميته، وتطويره، وتربيته أبداً، وفي سائر شؤونه على الإطلاق.

**الصفة الأولى: الخالقية**

لا أحد ينكر أنّ وراء هذا العالم الضخم المنظم المتكامل البديع خالقاً وموجداً قد أوجده، وأنه بعث فيه الحياة، وسهل له طريق سيره، وسبيل حركته؛ في غاية من الدقّة والإتقان.

**بديهية البرهان العقلي:**

وإثبات موجد لهذا العالم أمر لا يحتاج إلى بذل سعي وجهد لسهولة ما في برهانه من وقع وإقناع، كما أن الوجدان خير شاهد على أن لهذا العالم خالقاً، ومن حاول أن ينكر ذلك فإنه لم/ ولا يتمكن إلى الآن من أن يأتيّ بدليل أو برهان عقليّ واحد على إثبات دعواه، أو حتى دحض دليل الإثبات وبرهانه؛ مهما غاص في عالم المغالطات، بل إنه يظلُّ غير قادرٍ على إنكار الحقيقة في وجدانه، كما أنّه يظلُّ غير قادرٍ على دحض نقيض مدعاه، أو إثبات خلله.

وثبت في محله أيضاً أنّ لخالق هذا الوجود العظيم أسماءً وصفاتٍ يتّصف بها، ومن أسمائه اللفظية الجامعة لجميع أسمائه وصفاته «الله» جلّت عظمته وقدرته.

## الشواهد النصية :

إنَّ النصوص التي وردت في الدين الإسلامي لإثبات وجوده سبحانه وتعالى، وإثبات وحدانيته، وإثبات كماله لكثيرة جداً، وهنا نوردُ بعضاً مما يتعلق بموضوع كلامنا وهو: «الخالقية» إن شاء الله تعالى، وهو أن «الله» تبارك وتعالى هو الخالق لكل الموجودات، ولا يوجد أحد غيره من قام بخلق هذه الكائنات على الإطلاق، فأليك منها:

## نصوص الثقل (١):

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة/ ٢١].

وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ \* هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ. ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام/ ١-٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مَسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْرُ﴾ [الرعد/ ١٦]

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر/ ٦٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ \* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ \* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۗ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون/ ١٢-١٤].

## نصوص الثقل (٢):

- الإمام الصادق عليه السلام - في جوابه لقول المُفَضَّل: يا مولاي إنَّ قوماً يزعمون أنَّ هذا من فعل الطبيعة - : سلهم عن هذه الطبيعة، أهي شيء له علمٌ وقدرَةٌ على مثل هذه الأفعال، أم ليست كذلك؟! .

فإن أوجبوا لها العلم والقدرة فما يمنعهم من إثبات الخالق؟! فإن هذه صنعته. وإن زعموا أنها تفعل هذه الأفعال بغير علم ولا عمد وكان في أفعالها ما قد تراه من الصواب والحكمة علم أن هذا الفعل للخالق الحكيم، فإن الذي سَمَّوهُ طَبِيعَةً هو سُنَّتُهُ في خلقه الجارية على ما أجزاها عليه<sup>(١)</sup>.

– مروان بن مسلم: دخل ابنُ أبي العوجاء على أبي عبد الله عليه السلام فقال: أليس تزعم أن الله خالق كل شيء؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام: بلى.

فقال: أنا أخلق!

فقال عليه السلام له: كيف تخلق؟!

فقال: أحدث في الموضوع ثم ألبث عنه فيصير دواب فأكون أنا الذي خلقتها.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: أليس خالق الشيء يعرف كم خلقه؟

قال: بلى.

قال: فتعرف الذكر منها من الأنثى، وتعرف كم عمرها؟! فسكت<sup>(٢)</sup>.

– الإمام الرضا عليه السلام: «الحمد لله فاطر الأشياء إنشاءً، ومبتدعها إبتداءً بقدرته وحكمته، لا من شيء فيبطل الإختراع، ولا لعلّة فلا يصح الإبتداع، خلق ما شاء كيف شاء»<sup>(٣)</sup>.

### الصفة الثانية: المالكية

ولو لاحظنا صفة (الخالقية) التي يتصف بها خالق هذا الوجود كله؛ لوجدناها تمنح هذا الخالق والموجد للعالم والوجود صلاحية (التَّمَلُّك) فهو «المالك» لما خلق وأوجد.

(١) الجعفي: المفضل بن عمر: التوحيد: ١٨ - ١٩.

(٢) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: التوحيد: ٢٩٦.

(٣) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ١٠٤:١.

فإلخالفية إذن تكشف لنا الملكية الوجودية لواجب الوجود سبحانه وتعالى، فالله عز وجل مالك لمخلوقاته، ومالك لموجوداته، فهو مالك للإنسان؛ وما فيه؛ وما حوله.

والبرهان العقلي قائم على:

- ١- إثبات أن وراء هذا العالم خالقاً من جهة.
- ٢- إثبات أن خالق هذا الوجود مالك له من جهة أخرى.
- ٣- إثبات أن خالقاً لهذا العالم لا يوجد غير الله سبحانه وتعالى من جهة ثالثة.
- ٤- إثبات استحالة وجود خالقٍ غيره يستطيع أن يخلق بالذات من جهة رابعة.

الشواهد النصية:

وقد أكدت النصوص الإسلامية على هذه الحقيقة، فهذه بعضها:

نصوص الثقل (١):

قال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران/ ٢٦].

وقال تعالى: ﴿ وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران/ ١٨٩].

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة/ ١٠٧].

وقال تعالى: ﴿ وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة/ ١٧].

وقال تعالى: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۗ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة/ ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَنكُمُ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام/ ٧٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة/١١٦].

قال تعالى: ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون/١١٦].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [النور/٤٢].

### نصوص الثقل (٢):

– أمير المؤمنين عليه السلام: (جاء في تفسير «لا حول ولا قوة الا بالله»:، وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِمْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ): «إِنَّا لَا نَمْلِكُ مَعَ اللَّهِ شَيْئًا وَلَا نَمْلِكُ إِلَّا مَا مَلَكَنَا فَمَتَى مَلَكَنَا مَا هُوَ أَمْلِكُ بِهِ مِنَّا كَلَّفْنَا وَمَتَى أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِيفَهُ عَلَيْنَا»<sup>(١)</sup>.

– وَقَالَ عليه السلام: «إِشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مَلِكُ الْأَمْلاكِ؛ لَا مَلِكَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»<sup>(٢)</sup>.

– وَقَالَ عليه السلام: «وَكُلُّ مَالِكٍ غَيْرُهُ مَمْلُوكٌ»<sup>(٣)</sup>.

### الصفة الثالثة: العلم بكل شئ

فلما ثبت أن الله خالق لكل شئ، فإن لازم هذه الخلقة أن يكون عالماً بخلقه وبأمرهم، وبما يصلحهم وما يفسدهم، وما يرفعهم وما يضعهم، وما يوجب كمالهم وما يوجب نقصهم.

فإن من أهم ما يتصف به مثل هذا الموجود الكامل «العلم»، وهذا العلم شامل كامل مطلق ذاتي غير مكتسب، وعلمه سبحانه وتعالى نحو علم تكون جميع الموجودات حاضرة لديه بكل شؤونها، وبدقائق تفصيلاتها.

فلا يخفى على الله جلَّت قدرته شئ، ولا يغيب عنه سبحانه وتعالى شئ.

(١) نهج البلاغة: من قصار كلماته عليه السلام.

(٢) السيوطي: جلال الدين: الجامع الصغير: ١: ١٥٨.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٦٥.

## الشواهد النصية :

نصوص الثقل (١):

قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُوكَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة/ ٧٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة/ ١٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة/ ٢٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢٣١].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/ ٢٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَافٍ حَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢٣٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تَخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوهُ يُعَلِّمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران/ ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء/ ٤٥].

وقال تعالى: ﴿جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا \* فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨١﴾ بِسْمَا أَسْرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا﴾ [الأنعام/ ٩٥-٩٦].

وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام/ ١٠١].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق/ ١٢].

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة/ ٢٣٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء/ ٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام/ ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام/ ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَّمْنَا عَلَيْهِ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ ۖ فَسُئِلَ عَنْ أَقْرَبِ إِلَيْهِ مِنْ جَبَلٍ أَلْوَرِيدٍ﴾ [ق/ ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس/ ٦١].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكْتُوُنَ مِنْ تَجْوَى ثَلَاثَةَ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا حَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنِي مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة/ ٧].

وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام/ ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَّمْنَا عَلَيْهِ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ ۖ فَسُئِلَ عَنْ أَقْرَبِ إِلَيْهِ مِنْ جَبَلٍ أَلْوَرِيدٍ﴾ [ق/ ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه/ ٧].

### نصوص الثقل (٢):

- أمير المؤمنين عليه السلام: «عَالِمُ السِّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ وَنَجْوَى الْمُتَخَافَتِينَ وَخَوَاطِرِ رَجَمِ الظُّنُونِ وَعُقَدِ عَزِيمَاتِ اليَقِينِ وَمَسَارِقِ إِيْمَاضِ الْجُنُفُونِ وَمَا ضَمَّتْهُ أَكْنَانُ الْقُلُوبِ وَعَيَابَاتُ الْغُيُوبِ وَمَا أَصْغَتْ لِاسْتِرَاقِهِ مَصَائِخُ الْأَسْمَاعِ وَمَصَايِفُ الذَّرِّ وَمَشَاتِي الْهُوَامِّ وَرَجْعَ الْحَيْنِ مِنَ الْمَوْلَهَاتِ وَهَمْسِ الْأَفْدَامِ وَمُنْفَسِحِ الثَّمَرَةِ مِنْ وَلَائِحِ غُلْفِ الْأَكْمَامِ وَمُنْقَمَعِ الْوُحُوشِ مِنْ غَيْرَانِ الْجِبَالِ وَأَوْدِيَّتَيْهَا وَمُخْتَبِئِ



الْبُعُوضِ بَيْنَ سُوقِ الْأَشْجَارِ وَالْحَيْثِيهَا وَمَعْرِزِ الْأَوْرَاقِ مِنَ الْأَقْنَانِ وَمَحَطِّ الْأَمْشَاجِ مِنْ مَسَارِبِ الْأَصْلَابِ وَنَاشِئَةِ الْغُيُومِ وَمُتَلَا حِمِهَا وَدُرُورِ قَطْرِ السَّحَابِ فِي مُتَرَاجِمِهَا وَمَا تَسْفِي الْأَعَاصِيرُ بِذُيُولِهَا وَتَعْفُو الْأَمْطَارُ بِسُيُولِهَا وَعَوْمَ بَنَاتِ الْأَرْضِ فِي كُثْبَانِ الرِّمَالِ وَمُسْتَقَرِّ ذَوَاتِ الْأَجْنَحَةِ بِذُرَا شَنَاخِيبِ الْجِبَالِ وَتَعْرِيدِ ذَوَاتِ الْمُنْطِقِ فِي دِيَا جِيرِ الْأَوْكَارِ وَمَا أَوْعَبْتَهُ الْأَضْدَافُ وَحَضَنْتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجَ الْبِحَارِ وَمَا غَشِيَتْهُ سُدْفَةُ لَيْلٍ أَوْ ذَرَّ عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ وَمَا اعْتَقَبَتْ عَلَيْهِ أَطْبَاقُ الدِّيَا جِيرِ وَسُبْحَاتُ الثُّورِ وَأَثَرُ كُلِّ خَطْوَةٍ وَحَسَّ كُلِّ حَرَكَةٍ وَرَجَعَ كُلِّ كَلِمَةٍ وَتَحْرِيكَ كُلِّ شَفَةِ وَمُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسَمَةٍ وَمِثْقَالِ كُلِّ ذَرَّةٍ وَهَمَاهِمِ كُلِّ نَفْسٍ هَامَّةٍ وَمَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ أَوْ سَاقِطِ وَرَقَةٍ أَوْ قَرَارَةٍ نُظْمَةٍ أَوْ نُقَاعَةٍ دَمٍ وَمُضْعَةٍ أَوْ نَاشِئَةِ خَلْقٍ وَسَلَالَةٍ...»<sup>(١)</sup>.

- وَقَالَ ﷺ: «... خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ السُّتُورَاتِ وَأَحَاطَ بِغُمُوضِ عَقَائِدِ السَّرِيرَاتِ»<sup>(٢)</sup>.

- وَقَالَ ﷺ: «... عِلْمُهُ بِالْأَمْوَاتِ الْمَاضِينَ كَعِلْمِهِ بِالْأَحْيَاءِ الْبَاقِينَ وَعِلْمُهُ بِمَا فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الْأَرْضِينَ السُّفْلَى»<sup>(٣)</sup>.

- وَقَالَ ﷺ: «... لَا يَعْرُبُ عَنْهُ عَدْدُ قَطْرِ الْمَاءِ، وَلَا نَجْمُ السَّمَاءِ، وَلَا سَوَافِي الرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ، وَلَا دَيْبُ النَّمْلِ عَلَى الصِّفَا، وَلَا مَقِيلُ الذَّرِّ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ، يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الْأَوْرَاقِ، وَخَفِيَّ طَرَفِ الْأَحْدَاقِ...»<sup>(٤)</sup>.

- وَقَالَ ﷺ: «فَسَبْحَانِ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقِ دَاجٍ، وَلَا لَيْلِ سَاجٍ، فِي بَقَاعِ الْأَرْضِينَ الْمُتَطَاطِنَاتِ وَلَا فِي يَفَاعِ السَّفْعِ الْمُتَجَاوِرَاتِ، وَمَا يَتَجَلَّجَلُ بِهِ الرَّعْدُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ، وَمَا تَلَا شَتَّ عَنْهُ بَرُوقُ الْغَمَامِ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تَزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفَ الْأَنْوَاءِ وَانْهَطَالَ السَّمَاءِ، وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَةِ وَمَقَرَّهَا، وَمَسْحَبَ

(١) من خطبته ﷺ: رقم: ٩١: تعرف بخطبة الأشباح.

(٢) من خطبة له ﷺ: رقم: ١٠٨: من خطب الملاحم.

(٣) من خطبة له ﷺ: رقم: ١٦٣.

(٤) من خطبة له ﷺ: رقم: ١٧٨: في الشهادة والتقوى.

الذرة ومجرّها، وما يكفي البعوضة من قوتها، وما تحمل الأنثى في بطنها»<sup>(١)</sup>.  
 - وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يعلم عجيج الوحوش في الفلوات، ومعاصي العباد في الخلوات، واختلاف النينان في البحار الغامرات، وتلاطم الماء بالرياح العاصفات...»<sup>(٢)</sup>.  
 - وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... ولا يخفى عليه من عباده شخص لحظة، ولا مرور لفظة، ولا ازدلاف ربوة، ولا انبساط خطوة، في ليل داج، ولا غسق ساج»<sup>(٣)</sup>.  
 - وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... عالم السر من ضمائر المضميرين، ونجوى المتخافتين، وخواطر رجم الظنون، وعقد عزيمات اليقين...»<sup>(٤)</sup>.

- الإمام علي بن الحسين السجاد ﷺ: «... سبحانك تسمع وترى ما تحت الثرى، سبحانك أنت شاهد كل نجوى سبحانك موضع كل شكوى، سبحانك حاضر كل ملاء، سبحانك عظيم الرجاء، سبحانك ترى ما في قعر الماء، سبحانك تسمع أنفاس الحيتان في قعور البحار، سبحانك تعلم وزن السماوات، سبحانك تعلم وزن الأرضين سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر، سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور، سبحانك تعلم وزن الفئى والهواء، سبحانك تعلم وزن الريح كم هي من مثقال ذرة...»<sup>(٥)</sup>.

- الإمام محمد بن علي الباقر ﷺ: «لم يزل عالماً بما يكون، فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعد كونه»<sup>(٦)</sup>.

- الإمام جعفر بن محمد الصادق ﷺ: «- لَمَّا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أكان يعلم المكان قيل أن يخلق المكان، أم علمه عندما خلقه وبعدهما خلقه؟، فقال: تعالى الله، بل لم يزل عالماً بالمكان قبل تكوينه كعلمه به بعد ما كوّنهُ، وكذلك علمه بجميع الأشياء كعلمه بالمكان»<sup>(٧)</sup>.

(١) من خطبة له ﷺ: رقم: ١٨٢.

(٢) من خطبة له ﷺ: رقم: ١٩٨، ينبه فيها إحاطة علم الله بالجزئيات.

(٣) من خطبة له ﷺ: رقم: ١٦٣.

(٤) من خطبة له ﷺ: رقم: ٩١: خطبة الأشباح.

(٥) الصحيفة السجادية: ٢٤.

(٦) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ١: ١٠٧.

(٧) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: التوحيد: ١٣٧.

- الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: «علم الله لا يوصف منه بأين، ولا يوصف العلم من الله بكيف، ولا يفرد العلم من الله، ولا يبان الله منه، وليس بين الله وبين علمه حدٌّ»<sup>(١)</sup>.

### الصفة الرابعة: الحكمة

فلما نظرنا إلى هذا الكون وروعة إتقانه؛ وجدنا أن كل شيء فيه قد وضع في موقع دقيق للغاية؛ فالهندسة الكونية، وما فيها من تنظيم عالي المستوى تشير إلى حقيقة واحدة وهي: أن وراء الكون وإيجاده وصناعته لحكمة عظيمة.

وإذا لم تتضح مفردات هذه الحكمة بدقتها، فإن ما نشاهده من روعة الخلق لموجَّهنا إليها، ومُرشدنا إليها، ودالنا عليها.

فلما نظرنا إلى الأرض رأينا ترابط الطبيعة فيما بينها كترابط العالم الخارجي وبشكل رائع وعبقري؛ إنه ليثيرُ العجبَ والدهشة؛ فالبهار وموجوداتها من جهة، والبراري وموجوداتها من جهة أخرى، والفضاء وموجوداته من جهة ثالثة، والجبال وموجوداته من جهة رابعة، والوديان وموجوداته من جهة خامسة... إلخ؛ كل ذلك وغيرها من المخلوقات وجدناها قد شكلت وحدة متمازجة مستحكمة متقنة تتجلى فيها روعة الخلق وإبداع الصنع.

ولما نظرنا إلى خصوصية كل موجود وما يحمله من أسرار وجدناه في إثارته للدهشة ما يعادل الدهشة الحاصلة من النظر إلى بقية الكائنات بل وأكثر.

فهو في غاية الدقة من الصنع بحيث تعجز القدرة البشرية أن تصل إلى صنع جزء من أجزاء موجود واحد بنفس دقته وإبداعه، وما الإنسان إلا حقيقة من تلكم الحقائق الوجودية الرائعة في الجمال والصنع.

ووجدنا - في عين ما وجدناه من غاية الصنع - أن وجود كل شيء لمصلحة

(١) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: التوحيد: ١٣٨.

وغيره، وكلما ازداد العلم في اكتشاف العلاقات بين الموجودات؛ ازداد تأكيداً على وجود مصلحة وراء خلق هذا وذاك؛ ووضع هذا هنا وذاك هناك.

إنَّ هذا الإتقان دفعَ العقلَ للإيمان بحكمة «الخالق» والإعتقاد بأنَّه حكيمٌ، وفي غاية الحكمة؛ إذ أتقن كلَّ شيءٍ خلقه إتقاناً.

والبرهان العقلي والعلوم التجريبية يؤكِّد هذه الحقيقة، والوجدان خير شاهد على ذلك.

وبالمقابل تجد تأكيد النص القرآني على كون الخالق والموجد حكيماً.

الشواهد النصية:

نصوص الثقل (١):

قال تعالى: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبْنَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة/٢٠٩].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

[آل عمران/٦].

وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

[آل عمران/١٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران/٦٢].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام/١٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف/٨٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب/١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان/٣٠].

وقال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا

وَمَا يَدْرِكُهُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة/٢٦٩].

## نصوص الثقل (٢):

- أمير المؤمنين عليه السلام: «وَمِنْ لَطَائِفِ صَنَعَتِهِ وَعَجَائِبِ خَلْقَتِهِ مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ الْحِكْمَةِ فِي هَذِهِ الْخَفَائِشِ الَّتِي يَقْبِضُهَا الضِّيَاءُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَيَبْسُطُهَا الظَّلَامُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ وَكَيْفَ عَشَيْتَ أَعْيُنُهَا عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ نُورًا تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا وَتَتَّصِلُ بِعِلَاقَةِ بُرْهَانَ الشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا وَرَدَعَهَا بِتَلَاوُ ضِيَائِهَا عَنِ الْمُضِيِّ فِي سُبْحَاتِ إِشْرَاقِهَا وَأَكْنَهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ الذَّهَابِ فِي بُلُجِ انْتِلَاقِهَا فَهِيَ مُسَدَّلَةٌ الْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى حَدَاقِهَا وَجَاعِلَةٌ اللَّيْلِ سِرَاجًا تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي التَّمَاسِ أَرْزَاقِهَا فَلَا يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ ظَلْمَتِهِ وَلَا تَمْتَنِعُ مِنَ الْمُضِيِّ فِيهِ لِعَسَقِ دُجَّتِهِ فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا وَبَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى الضُّبَابِ فِي وَجَارِهَا أَطْبَقَتِ الْأَجْفَانَ عَلَى مَا فِيهَا وَتَبَلَّغَتْ بِمَا اكْتَسَبَتْهُ مِنَ الْمَعَاشِ فِي ظُلْمِ لِيَالِيهَا فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهَارًا وَمَعَاشًا وَالنَّهَارَ سَكْنًا وَقَرَارًا وَجَعَلَ لَهَا أَجْنِحَةً مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّيْرَانِ كَأَنَّهَا شَطَايَا الْأَذَانِ غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلَا قَصَبٍ إِلَّا أَنَّكَ تَرَى مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَيْنَهُ أَعْلَامًا لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرَقًا فَيَنْشَقُّا وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَتَّقِلَا تَطِيرُ وَوَلَدَهَا لِاصِقُّ بِهَا لَا جِئَ إِلَيْهَا يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ وَيَرْفَعُ إِذَا ارْتَفَعَتْ لَا يُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ وَيَحْمِلُهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ وَيَعْرِفُ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ فَسُبْحَانَ الْبَارِي لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ»<sup>(١)</sup>.

- وَقَالَ عليه السلام: «وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَجَسِيمِ النُّعْمَةِ لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ عَلِيلَةً وَالْبَصَائِرُ مَدْخُولَةٌ أَلَّا يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ وَأَنْقَنَ تَرْكِيبَهُ وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَسَوَّى لَهُ الْعَظْمَ وَالْبَشَرَ انظُرُوا إِلَى التَّمَلَّةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلِحْظِ الْبَصَرِ وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكْرِ كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا وَصَبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبُرْدِهَا وَفِي وَرْدِهَا لِصَدْرِهَا مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا مَرْزُوقَةٌ بِوَفْقِهَا لَا يُغْفَلُهَا الْمَنَانُ وَلَا يَحْرِمُهَا الدِّيَانُ وَلَوْ فِي الصَّفَا الْيَابِسِ

(١) من خطبة له عليه السلام: الرقم: ١٨٥.

وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا فِي عُلوِّهَا وَسُفْلِهَا وَمَا فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ بَطْنِهَا وَمَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَبًا وَلَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَبًا فَتَعَالَى الَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا لَمْ يَشْرِكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ وَلَمْ يُعِنِّهِ عَلَى خَلْقِهَا قَادِرٌ وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّحْلَةِ لِذَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ وَغَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ وَمَا الْجَلِيلُ وَاللَّطِيفُ وَالثَّقِيلُ وَالْخَفِيفُ وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءً.

وَكَذَلِكَ السَّمَاءُ وَالْهَوَاءُ وَالرِّيَّاحُ وَالْمَاءُ فَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ وَالْمَاءِ وَالْحَجَرِ وَاخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَتَفَجُّرِ هَذِهِ الْبِحَارِ وَكَثْرَةِ هَذِهِ الْجِبَالِ وَطُولِ هَذِهِ الْقَلَالِ وَتَفَرُّقِ هَذِهِ اللُّغَاتِ وَالْأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدَّرَ وَجَحَدَ الْمُدَبَّرَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ وَلَا لِاخْتِلَافِ صُورِهِمْ صَانِعٌ وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا ادَّعَوْا وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بِنَانٍ أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ.

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْجَرَادَةِ إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ وَفَتَحَ لَهَا الْفَمَ السَّوِيَّ وَجَعَلَ لَهَا الْحِسَّ الْقَوِيَّ وَنَابَتَيْنِ بِهِمَا تَقْرُضُ وَمِنْجَلَيْنِ بِهِمَا تَقْبِضُ يَرْهَبُهَا الزَّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ حَتَّى تَرَدَّ الْحَرْتُ فِي نَزَوَاتِهَا وَتَقْضِي مِنْهُ شَهَوَاتِهَا وَخَلَقَهَا كُلُّهُ لَا يَكُونُ إِضْبَعًا مُسْتَدِقَّةً فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَيُعْفِرُ لَهُ خَدًّا وَوَجْهًا وَيُلْقِي إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سَلْمًا وَضَعْفًا وَيُعْطِي لَهُ الْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفًا فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ أَحْصَى عَدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا وَالنَّفْسِ وَأَرْسَى قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدَى وَالْيَسْسِ وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا وَأَحْصَى أَجْنَاسَهَا فَهَذَا غُرَابٌ وَهَذَا عُقَابٌ وَهَذَا حَمَامٌ وَهَذَا نَعَامٌ دَعَا كُلُّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ وَكَفَلَ لَهُ بَرزُوقِهِ وَأَنْشَأَ السَّحَابَ الثَّقَالَ فَأَهْطَلَ دِيمَهَا وَعَدَّدَ قِسَمَهَا فَبَلَّ الْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا<sup>(١)</sup>.

(١) من خطبة له ﷺ: الرقم: ١٨٥.

– وسأل المفضّل الإمام جعفر الصادق عليه السلام: يا مولاي إن قوماً يزعمون أنّ هذا من فعل الطبيعة؟!». .

فأجاب عليه السلام: «سلهم عن هذه الطبيعة؛ أهي شيء له علمٌ وقدرةٌ على مثل هذه الأفعال، أم ليست كذلك؟!»

فان أوجبوا لها العلم والقدرة فما يمنعهم من إثبات الخالق!، فإن هذه صنعته، وإن زعموا أنها تفعل هذه الأفعال بغير علم ولا عمد، وكان في أفعالها ما قد تراه من الصواب والحكمة، علم أن هذا الفعل للخالق الحكيم، فإن الذي سمّوه طبيعة هو سنّته في خلقه، الجارية على ما أجراها عليه<sup>(١)</sup>.

– سأل جابر الإمام محمد الباقر عليه السلام: «يا ابن رسول الله وكيف لا يُسأل عمّا يفعل؟!»

فأجاب: لأنّه لا يفعل إلا ما كان حكمةً وصواباً...<sup>(٢)</sup>.

– سأل زنديق الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «فأخبرني عن الله عزّ وجلّ أنّه شريكٌ في ملكه أو مضاد له في تدبيره؟!»

فأجاب: لا.

فقال له: فما هذا الفساد الموجود في هذا العالم من سباع ضارية، وهوامّ مخوفة، وخلق كثير مشوّهة، ودودٍ وبعوضٍ وحياتٍ وعقاربٍ؛ وزعمت أنه لا يخلق شيئاً لعلّةٍ لأنّه لا يعبث؟!»

فقال عليه السلام: أأنت تزعم أن العقارب تنفع من وجع المثانة والحصاة، ولمن يبول على الفراش، وأنّه أفضل الترياق ما عولج من لحوم الأفاعي، فإنّ لحومها إذا أكلها المجذوم يشب نفعه، وتزعم أن الدود الأحمر الذي يصاب تحت الأرض نافعة للأكلة؟

(١) الجعفي: المفضل بن عمر: التوحيد: ١٨ – ١٩.

(٢) الجعفي: المفضل بن عمر: التوحيد: ٣٩٨.

قال: نعم...»<sup>(١)</sup>.

- الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «فأما أصحاب الطبائع فقالوا: إن الطبيعة لا تفعل شيئاً لغير معنى ولا تتجاوز عما فيه تمام الشيء في طبيعته، وزعموا أن الحكمة تشهد بذلك، فقيل لهم: فمن أعطى الطبيعة هذه الحكمة والوقوف على حدود الأشياء بلا مجاوزة لها؟ وهذا قد تعجز عنه العقول بعد طول التجارب، فإن أوجوب الطبيعة الحكمة والقدرة على مثل هذه الأفعال فقد أقروا بما أنكروا؛ لأن هذه هي صفات الخالق، وإن أنكروا أن يكون هذا للطبيعة فهذا وجه الخلق يهتف بأن الفعل للخالق الحكيم...»<sup>(٢)</sup>.

### الصفة الخامسة: القدرة.

إذ نصل من خلال صفات واجب الوجود التي يتصف بها إلى حقيقة مهمة وهي: صفة «القدرة» على التصرف المطلق في الكائنات.

وحيث أن الكائنات خلق الله تعالى، فهو مالکها، وله حق التصرف المطلق في مملكته، ومع لحاظ صفة الحكمة في التصرف فإن تصرفات الخالق في مملكته على أساس من الحكمة والمصلحة، ومع لحاظ صفة أخرى من صفاته سبحانه وتعالى وهي كونه جميلاً، وما يصدر من الجميل إلا الجميل؛ للسخرية بين العلة والمعلول - والسخرية علة الإنضمام -، فإن القدرة التي يتصف بها سبحانه وتعالى لا تنتج في تجليها إلا الجمال، فالله سبحانه وتعالى نظم هذا الوجود؛ لأنه قادر على تنظيمه، وما جمال نظام الوجود إلا من جمال صناعه.

وهو سبحانه جَمَل الطبيعة بقدرته، وما جمالها إلا من جماله سبحانه، وما كل شيء مخلوق في هذا العالم إلا وهو جميل بلحاظ نفسه، وجميل بلحاظ غيره بالجملة، وما الخلق إلا مرتبة الفعل للصفات والأسماء الإلهية، وهي بدورها

(١) الطبرسي: الاحتجاج: ٢: ٢٢٦، (مداخلة) لقد كان تساؤل الزنديق يبتي على رؤيته للكون بشكل مشوه تحمل المغالطة في الأسس والمقدمات، إذ كان يعتقد أن الشر أمر مطلق، ولكن عندما أجابه الإمام عليه السلام وقرّره بالإجابة على لسانه التابع من فطرته ووضح له أن الشر أمر نسبي، وأن ما يعتقده شر فهو بحيثية من الحيات إلا أنه خير وذو إفادة من حيثية أخرى، فعليه لا يمكن نسبة العبثية إلى الخالق سبحانه وتعالى، بل إن هذا للدليل محكم ومتقن على حكمته جلت عظمته.

(٢) الجعفي: المفضل بن عمر: التوحيد: ١٢١.



منتزعة من صفاته سبحانه وتعالى العينية الذاتية والتي منها صفة «القدرة». وهذا يعني أنّ ما يتصرفه المملوك في ملكه ومملكته ليس إلاً بقدرة مالكه صانع هذا الوجود لا بقدرته هو.

ولو شاء المالك أن يرفع قدرته عن مملوكه لفعل، ولما استطاع هذا المملوك فعلَ شيءٍ حيال ذلك،

ولو شاء أن يوجد موانع تحول دون تفعيل قدرة هذا المملوك لفعل، ولما تمكّن هذا المملوك من المنع أبداً، فبما أن المخلوق مملوك لخالقه فإنه مملوك من كل الجهات الممكنة والمتصوّرة.

ومثل هذه الصفة لا تكون لمن يصنع الأشياء من الناس، فإن صناعته وقدرته أمران منفصلان، ولا يوجد بينهما أي تلازم، فلا يتوهم أن ضرورة التلازم بين الخالق والقدرة يمكن أن تكون بين المخلوق والقدرة؛ كلاً أبداً، فإن تصوّر التلازم الضروريّ منحصرٌ في الباري سبحانه وتعالى.

وهذا يعني أنّه لا قدرة ذاتية في الوجود إلاً قدرته سبحانه وتعالى، وكلُّ قدرة تظهر في مملوكه فهي تابعة له، وقائمة به، غير قابلة للإنفكاك عنه، والوجدان والبرهان يُثبتان ذلك؛ بل وحتى التجربة تُثبت وجود قدرة جبّارة عظيمة تُحرّك الممكنات، وأنّ الممكنات تفقد قدرتها في كثير من الجهات، وفقدتها القدرة وإن كان من جهة واحدة دليلٌ على:

١ - فقدانها مطلقاً ذاتاً.

٢ - أنّ ما عندها من تلكم القدرة المحدودة هو من خارج ذاتها.

### الشواهد النصية:

نصوص الثقل (١):

والآيات القرآنية تؤكّد على هذه الحقيقة:

قال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الفتح/ ٢١].

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر/ ٤٤].

قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ \* إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ \* فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس/ ٨١-٨٣].

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف/ ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ [الكهف/ ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [المؤمنون/ ١٨].

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتَّخَذَ عِظَامُهُ \* بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ﴾ [القيامة/ ٣-٤].

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى \* أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يَمْنَىٰ \* ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ \* جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ \* أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة/ ٣٦-٤٠].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ \* فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ \* إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ \* فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات/ ٢٠-٢٣].

وقال تعالى: ﴿إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء/ ١٣٣].

## نصوص الثقل (٢):

– أمير المؤمنين عليه السلام: «كلُّ قادرٍ غيرَ الله مقدور»<sup>(١)</sup>.

– وقال عليه السلام: «... وكلُّ قادرٍ غيرُهُ يقدرُ ويعجزُ...»<sup>(٢)</sup>.

(١) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٣٧٧.

(٢) من خطبة له عليه السلام: الرقم: ٦٥.

- وَقَالَ ﷺ: «كُلٌّ عَزِيزٌ دَاخِلٌ تَحْتَ الْقُدْرَةِ فَذَلِيلٌ»<sup>(١)</sup>.
- وَقَالَ ﷺ: «وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ عَلِيلَةٌ وَالْبَصَائِرُ مَدْخُولَةٌ»<sup>(٢)</sup>.
- وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا تَقْدِرُ قُدْرَتَهُ، وَلَا يَقْدِرُ الْعِبَادُ عَلَى صِفَتِهِ...»<sup>(٣)</sup>.
- وَقَالَ ﷺ: «اذْكَرْ عِنْدَ الظُّلْمِ عَدْلَ اللَّهِ فِيكَ، وَعِنْدَ الْقُدْرَةِ قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ»<sup>(٤)</sup>.
- وَقَالَ ﷺ: «... سُبْحَانَ ذِي الْقُدْرَةِ وَالْإِفْضَالِ...»<sup>(٥)</sup>.
- الإِمَامُ عَلِيُّ السَّجَادِ ﷺ: «... سُبْحَانَ مَنْ قَدَّرَ بِقُدْرَتِهِ كُلَّ قَدْرٍ وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ قُدْرَهُ...»<sup>(٦)</sup>.
- الإِمَامُ مُحَمَّدُ الْبَاقِرُ ﷺ: «هَلْ سُمِّيَ عَالِمًا قَادِرًا إِلَّا لِأَنَّهُ وَهَبَ الْعِلْمَ لِلْعُلَمَاءِ، وَالْقُدْرَةَ لِلْقَادِرِينَ...»<sup>(٧)</sup>.
- الإِمَامُ جَعْفَرُ الصَّادِقِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا تُقَدَّرُ قُدْرَتُهُ وَلَا يَقْدَرُ الْعِبَادُ عَلَى صِفَتِهِ...»<sup>(٨)</sup>.

### الصفة السادسة: القوة المطلقة

القدرة والقوة عندما تُتصوَّران في حقِّ الباري سبحانه وتعالى تكونان ضروريَّتين ومتلازمتين، وكما بيَّنا نجد أنَّ مثل هذا التلازم غيرُ واردٍ في حقِّ المخلوق، وقوَّة

(١) الحراني: الحسن بن علي ابن شعبة: تحفة العقول: ٢١٥.

(٢) من خطبة له ﷺ: الرقم: ١٨٥.

(٣) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: التوحيد: ١٢٨.

(٤) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرك الوسائل: ١٢: ١٠٣.

(٥) المحمودي: الشيخ محمد باقر: نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٢: ١٢٨.

(٦) أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن: مصباح المتعبد: تسبيح يوم الأحد: ٤٤٨،

(٧) الأسترآبادي: ميرداماد محمد باقر الحسيني: الرواشح السماوية: ٢٠٥.

(٨) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: التوحيد: ١٢٨.

الباري سبحانه وتعالى قوّة لا تدانيها قوّة، فهي القوّة المطلقة.  
وما ذكرناه في القدرة «الصفة الخامسة» فهو يردُّ هنا أيضاً، فلاحظ..

### الشواهد النصية :

#### نصوص الثقل (١):

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات/٥٨].

وقال تعالى: ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة/١٦٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود/٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج/٤٠].

وقال تعالى: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج/٧٤].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى/١٩].

وقال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة/٢١].

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب/٢٥].

وقال تعالى: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف/٣٩].

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِن الْقُرُونِ مَن هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يَسْتَلِّ عَن دُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص/٧٨].

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم/٥٤].

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر/٤٤].

## نصوص الثقل (٢):

- أمير المؤمنين عليه السلام: «... وكلُّ قويٍّ غيرُهُ ضعيفٌ...»<sup>(١)</sup>.
- وَقَالَ عليه السلام: «كلُّ شيءٍ خاشعٌ له، وكلُّ شيءٍ قائمٌ به، غنيٌّ كلُّ فقيرٍ، وعزُّ كلِّ ذليلٍ، وقوَّةُ كلِّ ضعيفٍ»<sup>(٢)</sup>.
- وَقَالَ عليه السلام: «له الإحاطة بكلِّ شيءٍ، والغلبة لكلِّ شيءٍ، والقوَّةُ على كلِّ شيءٍ»<sup>(٣)</sup>.

## الصفة السابعة: الغني المطلق

فإنَّ من أهمِّ الإتهامات التي وُجِّهت ولا تزال إلى القوانين الوضعيَّة أنَّها يمكن لها أن تخضع لسلطةٍ ما، أو لقوَّةٍ ما لتسيطر عليها، وتمرَّر عبرها أهدافها، وتستخدمها أداةً لتنفيذ مآربها، أو تقودها كما تشتهيها.

وهذا دليل الضعف في هذا القانون، والضعف فرع الفقر والإحتياج، والله سبحانه وتعالى منزَّهٌ عن الفقر مطلقاً، فهو الغنيُّ بالذات من كلِّ الجهات على الإطلاق، فهو الغنيُّ المطلق، وهذا يعني أن احتمال دخول التوهم في البين؛ بأن قانونه وتشريعه قد سيطر عليه من قبل الأغيار هو محالٌ ذاتاً، وغير ممكنٍ البتَّة.

والبراهين العقلية تقود إلى هذه الحقيقة، ونجد في الآيات القرآنية ما يؤكد على ما انتهى إليه العقل من النتائج.

ويتفرع عن هذا الأصل أن كل الكائنات المخلوقة محتاجةٌ وفقيرةٌ ذاتاً إلى هذا الغنيِّ المطلق، فتبين أن كلَّ ما لدى الإنسان والموجودات المخلوقة الممكنة هو من خالقها وهو «الله» تبارك وتعالى. - وسيأتينا الكلام عنه لاحقاً إن شاء الله تعالى -.

فإذن..

إنَّ الموجودات في العالم الواقعي على قسمين ولا تخلو منهما، وهما:

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٦٥.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٠٩.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٨٦.

القسم الأول: الغني المطلق.

القسم الثاني: الفقر المطلق.

ويوجب هذا الإطلاق في الغنى عدم المثلية والتكرار في الوجود، وإلا لو وجد هناك غير الواحد الغني المطلق من يشابهه في غناه الإطلاقيّ للزم انتفاء الغنى الإطلاقيّ من أصل، ولدخل في الغنى النسبي الذي مرجعه إلى الفقر الوجودي، والعقلُ يأبى انعدامَ الغنيّ المطلق، فيثبت عدمُ وجودِ غني مطلقٍ سوى موجودٍ واحدٍ فقط، وقد أثبتت البراهين العقلية والنقلية أنّ هذا الموجودَ الغنيّ المطلقَ الواحدَ الأحدَ ليس إلا «الله» تبارك وتعالى.

ملحوظة مهمة:

عندما نقول: إنّ من صفات «الله» تبارك تعالى «الغنيّ المطلق»، فإنّ هذه الصفة تُظللُ بنتائجها ومعطياتها على كل الصفات التي له سبحانه وتعالى، فإن هذا الغنى الإطلاقي يسري إلى كل صفاته وأسمائه، فلا يوجد أحدٌ «قادرٌ» كقدرة «الله» تعالى، فإنّ غيره سبحانه عاجزٌ مطلقاً، فما قدرته إلا بإقدار الله تعالى.

ولا يوجد أحدٌ «حكيمٌ» مطلقاً إلا هو سبحانه وتعالى، فإنّ غيره جاهلٌ مطلقٌ، فهو محتاجٌ إليه سبحانه في حكمته، والاحتياجُ فرعُ الفقر.

ولا يوجد أحدٌ «عالمٌ» مطلقاً إلا هو سبحانه وتعالى، فإنّ غيره جاهلٌ مطلقٌ، فهو محتاجٌ إليه سبحانه في علمه، والاحتياجُ فرعُ الفقر.

وهكذا الحال في سائر الصفات، فإذا أراد الإنسان أن يصبح غنياً فما عليه سوى الإرتباط بالغنيّ المطلق.

وليعلم المرء أن هذا الإرتباط وإن كان يمنحه الغنى، إلا أنّ هذه المنحة لا تُخرجُ الإنسانَ عن فقريته، بل يبقى المرء تحت حقيقة الفقرية، إذ العقل عندما انتهى إلى استحالة انفكاك الفقر عن الممكنات فقد أطلق هذا الاحتياج، وإطلاق الإستحالة (ثابتٌ) وجوداً وبقاءً.

## الشواهد النصية :

## نصوص الثقل (١):

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ [الأنعام/ ١٣٣].

وقال تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَنْتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يونس/ ٦٨].

وقال تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ لِلَّهِ لَهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحج/ ٦٤].

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء/ ١٣١].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَخْلُتُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحديد/ ٢٤].

## نصوص الثقل (٢):

- أمير المؤمنين عليه السلام: «وَلَمْ يَسْتَفْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ اسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَاسْتَفْرِضْكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا»<sup>(١)</sup>.

- وَقَالَ عليه السلام: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ أَمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مِنْ عَصَاةٍ وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مِنْ أَطَاعَةٍ»<sup>(٢)</sup>.

- وَقَالَ عليه السلام: «والحمد لله الذي لم يخل من فضله المقيمون على معصيته، ولم يجازيه لأصغر نعمة المجتهدون في طاعته، الغني الذي لا يضمن برزقه على جاحده...»<sup>(٣)</sup>.

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٨٣.

(٢) نهج البلاغة: خطبة المتقين.

(٣) المحمودي: الشيخ محمد باقر: نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة: ٦: ١١٨.

– وَقَالَ ﷺ: «اللهم أنت الغنيُّ عني وبي الفاقةُ إليك، أنت الغنيُّ وأنا الفقيرُ إليك...»<sup>(١)</sup>.

– الإمام الحسين ﷺ عن أبيه عن رسول الله ﷺ: «أوحى الله إلى بعض أنبيائه، في بعض وحيه: وعزتي وجلالي لأقطعنَّ أملَ كلِّ مؤمِّلٍ غيري بالأياس، ولأكسوَنَّهُ ثوبَ المذلةِ والشدائدِ بيدي، أو يرجو سواي وأنا الغنيُّ الجوادُ، بيدي مفاتيحَ الأبوابِ، وهي مُغلقةٌ، وبابي مفتوحٌ لما دعاني...»<sup>(٢)</sup>.

### فرع الصفة السابعة: إفتقار الممكنات

لقد علمنا أن المخلوق محتاج إلى قدرة القادر لتحقيق مآربه ومتطلباته؛ ووجدنا أن قدرته ما هي إلا مكتسبة من الغير، ويتجلَّى الأمر وبشكل واضح وصريح في كثير من أمور هذا المخلوق وهذا الممكن. فمن أمثلة ذلك:

حركة ما في داخل جسم الإنسان من كريات، وخلايا، وشرابيين، وقلب، وكبد، وكلية، وهرمونات... وغيرها من الموجودات الحية.

ومن الأمور المخلوقة أيضاً «الموت» الذي يُعتَبَرُ من أوضح تجليات قدرة الخالق في خلقه ومملكته – فإذا علمنا كل ذلك – علمنا أن المخلوق لا يملك من أمره شيئاً، فلو كان يملك حقاً وفعلاً لقدرة على إصلاح عطب بدنه بنفسه من دون الإحتياج إلى الآخرين، ولقدرة على دفع الموت عنه، وبهذا يتبين أن المخلوق ما هو إلا فقيرٌ محتاجٌ إلى غنيٍّ يستطيع أن يسدَّ فقره واحتياجه في كل شيء.

ولما نظرنا إلى فقر الممكنات وجدنا أنها غير فقيرة في جهة واحدة أو في بعض جهات وجودها فقط، بل وجدناها فقيرة في كل شيء على الإطلاق، فهي فقيرة في ولادتها، وفقيرة في موتها، وفقيرة في كل ما يقع بينهما من الحركات والسكنات.

(١) المحمودي: الشيخ محمد باقر: نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة: ٥: ٢٣٠.

(٢) المحمودي: الشيخ محمد باقر: نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة: ٧: ٣٠١.



وإذا كان هذا حال الممكنات والمخلوقات؛ فإنها مهما فعلت من فعل فليس ذلك باستقلالٍ منها أبداً؛ بل هو من مددٍ قد أُسْعِفَتْ به من مالِهَا حتَّى تستطیع أن تأتي بذلك الفعل عن إرادتها وقریزتها.

وهذا یعنی أن الممكنات - ومنها الإنسان - لا یمكن لها الانفصال عن خالقها طرفةً عین أبداً، لاحتیاجها إلیه، وإلی مدده، وعونه فی كل آن من آنات وجودها، وهذه النظرة ما كانت إلاً بلحاظ ما علیه المخلوق من حال الفقرِ الذاتيّ الذي لا ینفكُ عنه، ولن ینفكُ عنه أبداً.

ویتضح ممّا تقدم بالمقابل استغناء الخالق عن جمیع خلقه، لاستقلاله عن الآخرين استقلالاً ذاتياً مطلقاً، فلذا صحَّ أن یقال عنه بأنه هو «الغنی المطلق»، وما هو غیره سبحانه فهو «الفقر المطلق».

فهو الغنی عن كلِّ ما یمكنه أن یتصور، ولكن.. قد یظن بعضُ الناس أن ما یقومون به من الأفعال فإنما یقومون به باستقلال أنفسهم، مغترّین بما یقومون من حركات بإرادتهم، ومشیئتهم، فإنَّ ظاهر الحال قد یقودهم إلی هذا التصوّر، ولكن.. هذا مدفوع بالوجدان قبل البرهان!!

التقريب بالمثال:

١ - مثال الكهرباء:

إذ یمكن تشبیه الأمر بمصباح تمتد إلیه يد الكهرباء، فُشعلهُ، فیرائی لمن لا علم له، ولا خبرة؛ استقلال المصباح فی ظهوره النوری، ولكن مع إزاحة الستار نجد أن الضیاء لا یتقومُ أساساً إلاً بغيره، فهو موجود بوجوده، فلو انقطع عنه المدد الكهربائی لفنی؛ ولزال عن وجوده.

ویمكن تشبیه المددِ الإلهیِّ بهذا المدد الكهربائی، فبیّد من القدرة یمسكُ كلَّ شیءٍ، فلو انقطع ذلك المدد الإلهیِّ، وذلك فیضُ الربّانیِّ لزالَتِ الموجوداتُ ولفنیّت.

## ٢ - مثال الحرف:

إذ نجد أن «الكلمة» في اللغة العربية تنقسم إلى: الإسم، والفعل، والحرف. والإسم ما دلَّ على المسمّى، والفعل ما دلَّ على حدث، وأمّا الحرفُ فلا دلالة له في نفسه، وإنما يكسب دلالاته بلحاظ غيره، وكذا الممكنات فحقيقتها راجع إلى المعنى الحرفي<sup>(١)</sup>.

فإذا قال شخص: «من» فقط ومن دون شيء، ففي هذه الحالة لا أحد يستطيع أن يفهم مراد المتكلم، فإذا وضع «من» في الجملة ففي هذه الحالة يفهم معناه، أهل يقصد منه الغاية أم الإبتداء.

وما شأن هذا الوجود - ومنه الإنسان - سوى شأن هذا الحرف، فوجوده وجود «حرفي» لا يتقوم إلا باللّه تعالى، ولا يكون له أي معنى سوى بخالقه، ولا يكون له ظهور إلا بصانعه.

## ٣ - الأعراض الخارجية:

إن اللون بما هو لون ليس له وجوداً مستقلاً، وإنما يوجد لما أن يعرض على شيء، وكذا الحال بالنسبة إلى الرائحة، فهي لا وجود لها بالإستقلال، وإنما وجودها بمعروضها، وهكذا هو حال الإنسان والموجودات.

والوجدان خير شاهد على فقر الممكنات، والبرهان خير دليل على ذلك.

## الشواهد النصية:

## نصوص الثقل (١):

وقد ورد تأكيد على هذا الأمر في الآيات المباركة:

(١) ذكر العلامة المازندراني في شرحه لكتاب الكافي في هامش ١: ١٤٦: «حَقَّق صدر المتألهين أكثر كتبه وعليه مبنى حكمته فوجود الممكن ليس وجوداً في نفسه وبِنفسه بل هو نظير المعنى الحرفي الذي لا استقلال له، ولا يمكن أن يُتصوَّر وحده من غير أن يُتصوَّر معه اسم أو فعل. وأصل الوجود وحقيقته هو اللّه تعالى وما سواه ليس بشيء...».

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أُنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر/ ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [محمد/ ٣٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة/ ١١٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [العنكبوت/ ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام/ ١٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةَ أَغَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام/ ٤٠-٤١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَمَّ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذِفُونَ﴾ [الأنعام/ ٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود/ ٦].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة/ ١٠٧].

وقال تعالى: ﴿أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَجْعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران/ ٨٣].

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَمَّ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذِفُونَ \* قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام/ ٤٦-٤٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٨].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلْمًا لَهُمُ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الرعد/ ١٥].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَخُ فِيهِ زُلْفَةً عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ \* وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل/ ٤٨-٤٩].

وقال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم/ ٩٣].

وقال تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص/ ٢٤].

### نصوص الثقل (٢):

- أمير المؤمنين عليه السلام: «وانقادت له الدنيا والآخرة بأزمتها، وقذفت إليه السماوات والأرضون مقاليدها، وسجدت له بالغدو والآصال الأشجار الناضرة، وقدحت له من قضبانها النيران المضيئة، وآتت أكلها بكلماته الثمار اليانعة...»<sup>(١)</sup>.

- وَقَالَ عليه السلام: «كلُّ شيءٍ خشع له، وكلُّ شيءٍ قائمٌ به، غنى كلِّ فقيرٍ، وعزُّ كلِّ ذليلٍ، وقوَّة كلِّ ضعيفٍ، ومفزع كلِّ ملهوف...»<sup>(٢)</sup>.

- وَقَالَ عليه السلام: «... فتبارك الله الذي يسجد له من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً، ويُعفِّر له خدّاً ووجهاً، ويُلقِي إليه بالطاعة سلماً وضعفاً، ويُعطي له القيادة رهبةً وخوفاً...»<sup>(٣)</sup>.

- وَقَالَ عليه السلام: «... وبيدك لا بيد غيرك زيادتي ونقصي، ونفعي وضرِّي، إلهي إن حرمتني فمن ذا الذي يرزقني، وإن خذلتني فمن ذا الذي ينصرني...»<sup>(٤)</sup>.

- وَقَالَ عليه السلام: «... كلُّ مسميٍّ بالوحدانية غيره قليلٌ، وكلُّ عزيزٍ غيره ذليلٌ، وكلُّ

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم: ١٣٣.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم: ١٠٩.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم: ١٨٥.

(٤) السيد ابن طاووس: رضي الدين علي بن موسى بن جعفر: إقبال الأعمال: ٣: ٢٩٦.

قويٍّ غيرُهُ ضعيفٌ، وكلُّ مالكٍ غيرُهُ مملوكٌ، وكلُّ عالمٍ غيرُهُ متعلِّمٌ، وكلُّ قادرٍ غيرُهُ يقدرٌ ويعجزُ، وكلُّ سميعٍ يصمُّ عن لطيفِ الأصواتِ، ويصمُّه كبيرُها، ويذهبُ عنه ما بُعدَ منها، وكلُّ بصيرٍ غيرُهُ يعمى عن خفيِّ الألوانِ، ولطيفِ الأجسامِ...»<sup>(١)</sup>.

– الإمام الحسين عليه السلام: «... إلهي أنا الفقير في غناي فكيف لا أكون فقيراً في فقري...»<sup>(٢)</sup>.

– وقال عليه السلام: «... إلهي كيف يُستدلُّ عليك بما هو في وجوده مفتقرٌ إليك...»<sup>(٣)</sup>.

وتبيّن من خلال غنى الله تعالى المطلق، أنّ كلّ مخلوقٍ محتاجٌ وفقيرٌ ذاتاً إليه سبحانه وتعالى.

### الصفة الثامنة: العدل

فلما تبيّن أنّ الخالق غيرُ محتاجٍ إلى أحدٍ مطلقاً، وأنّ المخلوقات كلّها محتاجةٌ إليه مطلقاً، علمنا أنه سبحانه وتعالى لا يمكن له أن يظلم خلقه إذ الظلم فرع الجهل، وهما فرع الفقر والإحتياج، وبهذا نعلم أن الله عزّ وجلّ (عادلٌ)، ولا يجوز، أو يحيف، أو يظلم أبداً.

وعلمنا أيضاً أن عدلته سبحانه وتعالى غيرُ مُنحصرةٍ في الإنسان والمجتمع الإنسانيّ فقط؛ بل تتعدّى ذلك لتشمل سائر الكائنات على الإطلاق، وهذا يعني أن الله تبارك وتعالى مُحققٌ للعدالة على مستوى جميع الكائنات على الإطلاق، من دون أن يحيف في حق أحد من مخلوقاته وكائناته، فإنّ إعطاء كلّ ذي حقّ حقه؛ ومن دون أن يكون على حساب حقّ الآخر لأمر ليس بالسهل، إلّا في الساحة الإلهية فهو أمر لا يمكن أن ينفك عنه سبحانه وتعالى أبداً.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم: ٦٥.

(٢) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٩٥: ٢٢٥.

(٣) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٩٥: ٢٢٥ - ٢٢٦.

ومن الطبيعيّ أن تشمَلَ عدالته كلَّ المخلوقات والموجودات على الإطلاق فهو المحيط بها وسيأتي الكلام عن إحاطته جلّت قدرته في العنوان القادم إن شاء الله تعالى -، وهو غناها، وهو قدرتها، وهو العالم بها، وكيف لا يكون كذلك وهو «خالقها» و«موجدُها».

فـ «اللَّهُ» تعالى عادلٌ، كما أن اسمه «العدلُ»، وهي صفة مطلقة، شاملة، إذ تشمل مظاهرها وتجلياتها: «العدالة الاجتماعية»، و«العدالة الطبيعيّة»، و«العدالة الكونيّة» - وقد بُرهنَ على ذلك في محله -، وهذا ما يحتاجه الإنسان - الفرد والمجموع -، فهو يريد العدالة على مستوى «المجتمع»، ومحتاج إلى العدالة على مستوى «الطبيعة»، ومحتاج إلى العدالة على مستوى «الكون»، والوحيد القادر على تحقيق هذا ليس إلّا خالقَ هذا الوجود، وصانعَ هذا الخلق، وليس هذا الخالقُ والصانعُ سوى «اللَّهُ» تبارك وتعالى.

تنبيه:

إننا ذكرنا هذه العناصر الثلاثة: «المجتمع» و«الطبيعة» و«الكون» في عالم العدالة، وإنّما كان ذلك؛ لأنّها محل نظر الإنسان عامّةً، ومحلُّ اختصاص الحديث والبحوث لديه، وإلّا فإنّ النصوصَ الشريفة «القرآن والسنة» قد بيّنت أنّ أساس تحقيق العدالة هو: «نفسه»، فإذا حقّق العدالة على مستوى نفسه فإنّه سيحقّق العدالة على مستوى خارج مملكة ذاته ونفسه، وهذا يعني أن موارد العدالة ستضم مع عناصرها الثلاثة: «النفس الإنسانيّة» وذاته، بحث تصبح لدينا أربعة عناصر للعدالة، وهذا الأمر - مع الأسف - وإلى الآن غير ملحوظ كما ينبغي في العلوم الحديثة، ولا تزال البحوث والدراسات النفسية بعيدة عن هذا بعداً كبيراً، إلّا أنّ النصوص في الثقلين قد وضعت يدها على محل الجرح، ومنها وضعت العلاج للمشكلة الإنسانيّة، وهذا ما سنتعرف عليه لاحقاً بإذن الله تعالى.

فمن هنا نستطيع أن نقول: بأن «اللَّهُ» تبارك وتعالى يُقدّم ما فيه تحقيق العدالة على مستوى الذات والنفس أيضاً، وهذا من مقتضيات «العدالة» المطلقة؛ الشاملة لكلّ شيءٍ على الإطلاق.

## الشواهد النصية :

## نصوص الثقل (١):

وأكدت الآيات على هذا المطلب وبشكل صريح جداً.

قال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران/ ١٨].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء/ ٤٠].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [آل عمران/ ١١٧].

وقال تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [التوبة/ ٧٠].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْنَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ الْنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [يونس/ ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾ [النحل/ ٩٠].

وقال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام/ ١١٥].

## نصوص الثقل (٢):

– أمير المؤمنين عليه السلام: «وأشهد أنه عدلٌ عدلٌ، وحكمٌ فصلٌ...»<sup>(١)</sup>.

– وقال عليه السلام: «... الذي صدق في ميعاده وارتفع عن ظلم عباده، وقام بالقسط في خلقه، وعدل عليهم في حكمه...»<sup>(٢)</sup>.

– وقال عليه السلام: «... الذي عظم حلمه فعفا، وعدل في كل ما قضى...»<sup>(٣)</sup>.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم: ٢١٤.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم: ١٨٥.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم: ١٩١.

- الإمام علي السجاد عليه السلام - في الدعاء -: «... فكل البرية معترفة بأنك غير ظالم لمن عاقبت، وشاهدة بأنك متفضل على من عافيت...»<sup>(١)</sup>.

- وَقَالَ عليه السلام - في دعائه يوم الأضحى والجمعة -: «... وقد علمت أنه ليس في حكمك ظلم، ولا في نعمتك عجلة، وإنما يعجل من يخاف الفوت، وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف، وقد تعاليت يا إلهي عن ذلك علواً كبيراً»<sup>(٢)</sup>.

### الصفة التاسعة: الإحاطة التامة

إن مقتضى المالكية والإرتباط التكويني للمخلوق بخالقه هو: أن يكون هذا الخالق في حال لا يعزب عن علمه شيء؛ فيكون محيطاً بموجوداته كامل الإحاطة؛ فيعرف ضعفها، وقوتها، ويعرف طريق رفعتها؛ وطريق ضعفها، ويعرف ما يحركها؛ وما يُسكِّنُها، ويعرف ما تحتاجه وما لا تحتاجه، ويعرف ما يُنجيها وما يهلكها، ويعرف ما يُسعدُها وما يُشقيها، ويعرف ما يُصلحها وما يُفسدها؛ ويعرف ما به ترتقي سلم الدرجات، ويعرف ما به تتسافل في الدركات، ويعرف كمالها، ويعرف نقصها، ويعرف غناها، ويعرف فقرها؛ لأنه سبحانه خالقها وموجدتها من لا شيء، وهو أيضاً مستمر في إفاضة فيضه عليها لتبقى محافظة على وجودها، وقوتها.

فما من شيء إلا وهو تحت نظره وعلمه، فهو سبحانه محيط بـ «كُلِّ ذرَّة» من ذرّات هذا الكون، والبرهان العقلي يُثبِتُ هذه الحقيقة، كما أنّ الوجدان شاهدٌ عليها.

### الشواهد النصية:

#### نصوص الثقل (١):

كما أن الآيات القرآنية لتؤكد عليها بشكل واضح وصریح.

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال/ ٤٧].

وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصلت/ ٥٤].

(١) الصحيفة السجادية: دعاء: إذا مجد الله واستقصى في الثناء عليه: ٢٧.

(٢) الشيخ الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن: مصباح المتهجد: ٢٧٠.



وقال تعالى: ﴿يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء/١٠٨].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء/١٢٦].

### نصوص الثقل (٢):

- أمير المؤمنين عليه السلام: «... قد علم السرائر، وخبر الضمائر، له الإحاطة بكل شيء، والغلبة لكل شيء، والقوة على كل شيء...»<sup>(١)</sup>.

- وقال عليه السلام: «... مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ... كُلُّ سِرِّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ وَكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ...»<sup>(٢)</sup>.

- وقال عليه السلام: «فُسِّحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقِ دَاجٍ وَلَا لَيْلُ سَاجٍ فِي بَقَاعِ الْأَرْضِينَ الْمُتَطَاطِنَاتِ وَلَا فِي يَفَاعِ الشُّفَعِ الْمُتَجَاوِرَاتِ وَمَا يَتَجَلَّجَلُ بِهِ الرَّعْدُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ وَمَا تَلَاشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْعَمَامِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ وَأَنْهَطَالُ السَّمَاءِ وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَةِ وَمَقَرَّهَا وَمَسْحَبَ الذَّرَّةِ وَمَجْرَهَا وَمَا يَكْفِي الْبُعُوضَةَ مِنْ قُوَّتِهَا وَمَا تَحْمِلُ الْأُنْثَى فِي بَطْنِهَا».

- وقال عليه السلام: «... إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ لُطْفٌ بِهِ خُبْرًا وَأَحَاطَ بِهِ عِلْمًا أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ وَضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ»<sup>(٣)</sup>.

- وقال عليه السلام: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْسُ الْأَنْسِينَ لِأَوْلِيَائِكَ وَأَخْضَرُهُمْ بِالْكَفَايَةِ لِلْمَتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ تُشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ وَتَطْلُعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَائِرِهِمْ وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ فَأَسْرَارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ...»<sup>(٤)</sup>.

(١) نهج البلاغة: الخطبة الرقم: ٨٦.

(٢) نهج البلاغة: خطبة رقم: ١٠٩.

(٣) نهج البلاغة: من كلام له عليه السلام: رقم: ١٩٩.

(٤) نهج البلاغة: من دعائه عليه السلام: رقم: ٢٢٧.

- وَقَالَ ﷺ: «... خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ الشُّرُتَاتِ وَأَحَاطَ بِغُمُوضِ عَقَائِدِ السَّرِيرَاتِ...»<sup>(١)</sup>.

- وَقَالَ ﷺ: «أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي ضَرَبَ الْأَمْثَالَ وَوَقَّتَ لَكُمْ الْأَجَالَ وَالْبَسْكُمْ الرِّيَاشَ وَأَزْفَعْ لَكُمْ الْمَعَاشَ وَأَحَاطَ بِكُمْ الْإِحْصَاءَ وَأَرْصَدَ لَكُمْ الْجَزَاءَ وَآثَرَكُمْ بِالنَّعْمِ السَّوَابِغِ»<sup>(٢)</sup>.

### الصفة العاشرة: الهداية

تعريف كلمة «الهداية»:

من الضروري جداً الوقوف قليلاً عند معنى «الهداية» وتعريفها، وما ذكره الأعلام في معناها، نظراً إلى النتائج المعتمدة على هذا التعريف، وقد وجدنا اختلاف دالاتها للاختلاف في تعريفها.

- قال الطوسي: الشيخ: التبيان: ٨: ٤٩٠: «يقال: هديته الطريق أي: دللته عليها...».

- وقال العلامة الطبرسي في تفسير جوامع الجامع: ٣: ١٦١: «... (فاهدوهم) فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها».

- وقال الفيض الكاشاني في التفسير الأصفي ٣: ١٠٤٦: «﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ قال: (يقول: «أدعوهم إلى طريق الجحيم»، وهذا نص الخبر المروي عن الإمام الباقر ﷺ كما أورده الشيخ القمي في تفسيره: ٢: ٢٢٢: «أدعوهم إلى طريق الجحيم».

- وقال السيد مصطفى الخميني في تفسير القرآن الكريم: ٢: ٧٤ - ٧٦، مستعرضاً أولاً الآراء في مقام البحث، ومن ثم يقوم بإدلاء دلوته، فانظر ماذا قال:

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم: ١٠٨.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٨٣.

## حول الهداية إلى الخير

الهداية هي الدلالة بلطف والتدليل بلين، وليست مطلق إراءة الطريق، بل الظاهر أن الهداية هي إراءة الطريق إلى الخير والنعم، دون الشر والنقم، فإذا قيل: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَمِيمِ﴾ فيحمل على الاستهزاء والتهكم، كما في قوله تعالى: (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)، وفي قوله: (وظل من يحموم).

أقول: وفي كليهما نظر:

أما في الأول: فلخلو كتب اللغة من القيد المزبور، ولا يوجد فيها إلا تفسير الهداية بالإرشاد والدلالة، وأما لزوم كونها مقرونة باللطف، ومشفوعة بالتدلي والطول، فهو مسكوت عنه، نعم في «تاج العروس» فسر كلام القاموس بذلك، وعلى الباحث النظر والتأمل فيه، وكأنه خارج عن اللغة، ولا يساعد عليه التبادر، ولا موارد الاستعمال.

وأما في الثاني: فلأن كتب اللغة مشحونة في تفسيرها بأنها الإرشاد إلى السبيل والطريق، ولا يُستفاد منها كون حقيقة الهداية هي الإراءة إلى الخيرات والحسنات، نعم في الاستعمالات الشرعية وفي الأساليب يكثر ذلك إلا أنه لا يبلغ بعد إلى حد مهجورية المعنى الحقيقي واكتساء المعنى الآخر، ولذلك قيل: الهداية في الاستعمال الشرعي هي الدلالة إلى الحق والدعاء إليه وإراءة طريقه والإرشاد إليه والأمر به.

وأما توهم: أن بعضاً منها فُسر بالإرشاد والاسترشاد، قائلاً: إنها ضد الضلال، وهو ظاهر في أنها موضوعة للمعنى الأخص، فهو في غير محله، لأن الإرشاد أيضاً ليس معناه إلا الدلالة، وضديّة الضلال ليست تستلزم كونها موضوعة للإرشاد إلى الخير الواقعي والحسنات، فلو سأل السارق عن البيت الذي يريد أن يسرق منه، فأشير إليه، يقال: هداه، وهي ضد الضلال، وضلاله هنا يشير إلى غير ذلك البيت، ولذلك ورد تقييد الهداية في الأدعية والكتاب الإلهي - عند السؤال عنها - بالصراط المستقيم، فعلى هذا لا وجه لما قيل: إن قوله تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَمِيمِ﴾ تهكم واستهزاء؛ لأنه خلاف الأصل<sup>(١)</sup>.

(١) الخميني: السيد مصطفى: تفسير القرآن الكريم: ٢: ٧٤ - ٧٦.

معنى كلمة «الهداية»:

وبناءً عليه فإنَّ لكلمة «الهداية» معنيين<sup>(١)</sup>، وهما:

المعنى الأول: المعنى الإيجابي.

وهو المعنى الذي فيه تذليل الصعاب في طريق الخير والصواب الذي يريده صاحب الفعل، ومعناه أن القانون الموجود في العالم والوجود وهو «القانون التكويني»، والذي يعرف في الإصطلاح القرآني بـ «سنة الله» يبدأ بحركته وفق ما تلمي عليه سلوكيات وأفعال صاحبها، فإن هذه الحركة المستتعبة لسلوك هذا الإنسان هي ما تُسمَّى بحركة «القانون التكويني»، وعندما تكون مرتبطة ببعد الخير والصلاح فيمكن التعبير عنها بـ «الهداية التكوينية».

المعنى الثاني: المعنى السلبي.

وهو المعنى الذي فيه تذليل الصعاب في سبيل نتيجةٍ من سنخ المقدمّة غير السليمة التي تصدر من صاحب الفعل، ويرد فيه نفس آلية العمل التي وردت في البعد الإيجابي؛ إلاَّ أنّه هنا تكون الحركة المستتعبة لسلوك الإنسان من سنخ فعل فاعله، فيمكن أن نسمّي هذه «السنة الإلهية» و«القانون التكويني» بـ «سلب التوفيق التكويني» أو «التسافل التكويني»، وإذا أردنا أن نستعير التعبير القرآني، فسيكون العنوان هو «الضلال التكويني».

وكلا المعنيين قد وردا في القرآن الكريم، فيكون الأول موافقاً للإصطلاح والإستعمال العرفي، وأمّا الثاني فيكون موافقاً للمعنى اللغوي فقط، وقد جاء استعمالُ القرآن الكريم لكلمة «الهداية» بما يوافق المعنى اللغوي، وهو الأصل على حدّ تعبير السيد مصطفى الخميني.

«الهداية» من مختصات «الله» تعالى:

... فلما خلقَ اللهُ سبحانه وتعالى الكائناتِ؛ أودعَ في تكوينِها ما يقودُها إلى

(١) لم ندخل في تفاصيل كلمه «هدى» ومشتقاتها، فهذا تتفرع منها معانٍ أخرى، من قبيل الميل والإمالة، وبالنتيجة فإن في كثير الألفاظ مرجعه إلى معنى واحد.

كمالها الذي خُلِقَتْ لِأَجْلِهِ، فهو «الهادي» لجميع الكائنات إلى هدفها وغايتها، وقد عبَّر عن تلك الحركة الداخلية الموجودة في صميم تكوين الكائنات جميعاً؛ التي تقودها إلى هدفها المنشود بـ «الهداية العامة»، وقد تكفل الله تبارك وتعالى بأمر الهداية دون غيره، نعم ونصب من عباده من يقوم بهذه المهمة الجميلة، وتنصيبهم لا يعني استقلالهم عنه جلَّتْ عَظَمَتُهُ، ولذا لا تُطَلَّبُ الهدايةُ إلا من الله تبارك وتعالى.

### الشواهد النصية :

#### نصوص الثقل (١):

قال تعالى: ﴿ أَهْدِنَا صِرَاطَ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ [الفاتحة/٦].

وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَبْعِ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة/٣٨].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى ﴾ [البقرة/١٢٠].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة/١٤٢]<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ أَلْهَدَى اللَّهُ هُدَى اللَّهِ ﴾ [آل عمران/٧٣].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران/١٠١].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا \* وَإِذًا لَآتَيْنَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا \* وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ [النساء/٦٦-٦٨].

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴾ [النساء/١٧٥].

وقال تعالى: ﴿ لَنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ [الأنعام/٧٧].

(١) تجدر الإشارة هنا إلى أن العبارة الواردة في النص القرآني (من يشاء) ترجع إلى العبد: أي: من يشاء الهداية، فإن الله يهديه.

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف/٤٣].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور/٣٥].

### نص الثقل (٢):

- الحديث القدسي، عن رسول الله ﷺ: قال الله جلَّ جلاله: «عبادي كلُّكم ضالٌّ إلا من هديته، وكلُّكم فقيرٌ إلا من أغنيته، وكلُّكم مذنبٌ إلا من عصمته»<sup>(١)</sup>.

- عن أمير المؤمنين عليه السلام: «هدى الله أحسن الهدى»<sup>(٢)</sup>.

- وَقَالَ عليه السلام: «من اهتدى بهدى الله أرشده»<sup>(٣)</sup>.

### الهداية نوعها وحقيقتها:

ولكي نفهم كيفية هداية الله تبارك وتعالى للخلائق؛ من الضروري أن نتعرف على بعض التفاصيل المتعلقة بهذا المفهوم، ولأهميته سوف نتوقف عنده بعض الشيء، ومن ثمَّ نظر إلى هذه الهداية الإلهية الربانية للخلائق، وكيف أنها صفة يفتقر إليها العباد لأجل إيصال مجتمعاتهم إلى سعادتها وحضارتها.

### تقسيم الهداية:

ولو نظرنا إلى «الهداية» ونسبتها إلى خالق الخلق سبحانه وتعالى سنجد لها مجموعةً من الانقسامات الأساسية، ولكن يمكن تصنيفها إلى قسمين أساسيين وهما:

(١) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: الأمالي: ١٦٢.

(٢) الأمدي: عبد الواحد بن محمد التميمي: غرر الحكم: ١٠٠١٠.

(٣) الأمدي: عبد الواحد بن محمد التميمي: غرر الحكم: ٨٠٧١.

القسم الأول: الهداية التشريعية.

والقسم الثاني: الهداية التكوينية.

وإذا نظرنا إلى القسم الثاني فسنجد أنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام وهي:

القسم الأول: الهداية التكوينية «الوجودية»، وهي عامة مطلقاً.

القسم الثاني: الهداية التكوينية «الإنسانية»، وهي خاصة بالإنسان فقط.

القسم الثالث: الهداية التكوينية «الجزائية»، وهي خاصة لمن يهيئ لنفسه أسباباً لاستحصائها.

إذن..

فالإنسان واقع بين هذه الهدايات الأربعة.

وكلُّ هذه الأنواع والأقسام لا تكون إلا له سبحانه وتعالى بالذات.

تعريف الهدايات الأربعة:

وقبل الدخول في تعريف هذه الأنواع الأربعة من الهدايات من المهم أن نتعرف على حقيقة هذين الاصطلاحين وبشكل مختصر.

تعريف حقيقة الهداية:

إنَّ الهداية بما هي هي - سواءً أكانت هدايةً تشريعيةً أم كانت هدايةً تكوينيةً - عبارةً عن أوامرٍ تصدر من المرید، ولكن مع قليل من التأمل سنجد أنها تتكوَّن من ثلاثة عناصرٍ أساسية:

العنصر الأول: المرید:

وهو الذي يريد أمراً ما.

العنصر الثاني: الإرادة:

وهي ما يريد المرید من الأوامر والنواهي.

العنصر الثالث: المراد منه.

وهو الموضوع الذي يريده المرید أن تتحقَّق فيه تلکم الإرادة.

ملاحظة:

نحن لا نتحدَّث عن الشرائط التي ينبغي توفرها في العنصر الثالث، فهذا من فرعياته، ولكن نشير إليها إشارة وهي: «العقل»، «القدرة»، «الإختيار»، «البلوغ»، وهذه ما تسمى بـ«شرائط التكليف».

وبعد أن تعرّفنا على حقيقة الهداية لتحدث عن كلِّ من الهدايتين بشكل أوضح وأقرب إن شاء الله تعالى.

حقيقة الهداية التشريعية:

إنَّ تعريف الهداية التشريعية تعريفاً أولياً ساذجاً وبسيطاً هو: إرسال رسل ورسائل إلى الناس، وإرشادهم، وتوجيههم، وتعليمهم، وهي تحتوي وتشتمل على الأوامر والنواهي، ومع الوقوف على حقيقتها، سنجد في تحقق أمر هذه الهداية التشريعية خارجاً تخلَّل أمرين مهمين، وهما:

الأمر الأول: بعدُ الزمان.

الأمر الثاني: إرادة العبد.

فإنَّ أهمَّ ما يمكن ملاحظته فيما عرفناه في الهداية التشريعية هو: أنَّ الخالق الذي هو «المرید» قد وضع هنا في هذا المقام في إرادته: تقدُّم إرادة «المراد منه» على إرادته التشريعية، وهذا ما يفسَّر «الخُلْفَ»، و«التَّخْلُفَ» بين إرادة المرید، - وبين مراده، وسنبين معنى هاتين الكلمتين لاحقاً إن شاء الله تعالى -.

فالخالق يريد من الإنسان أن يأتي بعمل الخير، إلَّا أنَّ الخالق هنا في هذه الإرادة قد أراد أن تكون إرادة الإنسان هي التي تقرر العمل بالخير أو العمل على خلافه، فإذا اختار الإنسان ما يريده، حينها تتحرَّك إرادة الخالق لتوفير مستلزمات ما يريده هذا الإنسان.



وبتحليل أدقّ سنجد أنّ الإرادة الإلهية هنا تحتلُّ مرتبة التقدّم والتأخّر، وتقع إرادة الإنسان بينهما، فالله يريد، ثمّ العبد يريد، ثمّ الله يريد، ومع التأمل فيها سنجد تخلل «زمان» بينها، وهذا من أهم ما يميز هذه الإرادة التشريعية.

فالله تبارك وتعالى يُرسلُ الرسل والرسالات ليهديّ الناس إلى الصواب، ولكنه سبحانه وتعالى قد أخذ في إرادته هنا إرادة العبد، فإذا اختار العبد ما يرغب فيه؛ حينها تُمضي الإرادة الإلهية ما تريده إرادة العبد، وتوفّر له مستلزمات تحقيقها، وتوفير المستلزمات لا يتمُّ إلا بإرادة الله تعالى، وهذا ما نعينه هنا وجود إرادة الله تعالى بعد إرادة العبد.

ومن هنا عبّر عنه في تعريف الهداية التشريعية بـ(الأمر التشريعي) وهي تقبل «الخلف» و«التخلف» بين إرادة المرید ومراده.

#### تعريف حقيقة الهداية التكوينية:

ومن خلال ما عرفناه في تحليل الهداية التشريعية تتبيّن حقيقة الهداية التكوينية (الأمر التكويني)، فإذا كانت الهداية التشريعية قد أخذ فيها «الزمان»، و«إرادة العبد» في بنيتها التكوينية، فإنّ هذا الفاصل مفقود في البنية التكوينية للهداية التكوينية، فكما تتكون الهداية التشريعية من ثلاثة عناصر (المرید، الإرادة، المراد)، فكذلك «الهداية التكوينية» (الأمر التكويني) تتكوّن من نفس هذه العناصر، إلا أنها تختلف عنها في عدم تخلّل كلّ من الأمرين السالفين ذكراً؛ البعد الزماني، وإرادة العبد، فإنّ هذين الأمرين يعدمان.

لا «خلف» ولا «تخلف»:

وهذه الهداية التكوينية لا تعرف معنىً للخلف والتخلف في قاموسها، لأنّها أشبه ما تكون بالمعادلة الرياضية التي لا تتخلف نتائجها ولا تختلف.

سؤال:

ولكن ما معنى «الخلف» و«التخلف»؟.

الجواب:

معنى «الخلف»:

إِنَّ معنى «الخلف» هو: أَنَّهُ مع:

١- توفّر الشرائط لوجود شيءٍ ما.

٢- وارتفاع الموانع.

٣- ووجود المقتضي.

ففي هذه الحالة - بحسب ما وضعه الله تعالى من نظام العلية في هذا الوجود - إِنَّ ذلك الشيء لا بُدَّ له من أن يوجد.

مثال ذلك:

هو أننا إذا أردنا أن نزرع «تُفاحاً»، ووجدنا بعد البحث والدراسة جميع الشرائط متوفرة لزراعة بذرة التفاح، وقمنا بزراعته، فإن النتيجة الطبيعية الحتمية هي: ظهور شجرة التفاح، ولم يحدث أن تتوفّر جميع شرائط النباتِ والثمرِ ولا تظهر النتائج.

وهكذا هو الحال في سائر الأشياء في العالم، فإن الطائرات تطير مع توفر شرائط الطيران من «قبطان» و«سلامة الأجواء» و«سلامة الطائرة»... وهكذا، والسفينة تمشي على الماء وفق نظام وقواعد معينة، والدولاب يدور وفق نظام خاص، وهذا يعني أن العلة لا خُلفَ فيها.

معنى «التخلف»:

إِنَّ معنى «التخلف» هو: أَنَّهُ مع:

١- توفّر الشرائط لوجود شيءٍ ما.

٢- وارتفاع الموانع.

٣- ووجود المقتضي.

ففي هذه الحالة - بحسب ما وضعه الله تعالى من نظام العلية في هذا الوجود - فإننا سنجد النتيجة من سنخ تلك المقدمات.

مثال ذلك:

- وَلَنْضْرَبَ مَثَلْ بَذْرَةِ التَّفَاحِ - فإذا قمنا بزرعها فإننا سنحصل على شجرة التفاح - وهذا أمر بديهي -، وإذا ما زرنا بذرة البطيخ فيقينا سنحصد بطيخاً، للزوم السنخية بين البذرة والثمرة.

ولكن..

هل يمكن أن نزرع بذرة تفاح ونحصد بطيخاً أو العكس؟!، فهذا من المحال، وهكذا الحال في سائر الأشياء، وهذا يعني أن العلة لا تَخْلُفُ فيها.

فهنا في مقام البحث في «التكوينية» لن تَجِدَ «خُلْفاً» لإرادة المرید، ولن تجد «تَخْلُفاً» للمراد عن إرادة المرید.

ملاحظة مهمة في المصطلحات:

وهنا ينبغي أن نبيّن الفرق بين المصطلحات التي تُستعمل في هذا المجال، فنقول:

١ - لا بد من التفريق بين المصطلحين «الإرادة التكوينية» و«الجزاء التكويني»، فالأول مأخوذ فيه إرادة الإنسان، وأما الثاني فمأخوذ فيه انعدام الإرادة؛ من قبيل ما يحدث في الكائنات الجامدة والحيوانات.

٢ - ولا بد من التفريق بين المصطلحات الثلاثة المهمة وهي:

أ - الأثر الشرعي.

ب - الأثر الوضعي.

ج - الأثر التكويني.

ف «الأثر الشرعي» هو ما يترتب من الأحكام على موضوع معيّن؛ من قبيل:

من لاط بغلام - والعياذ بالله - فإن الأثر الشرعي الذي يترتب عليه هو العقوبة الشرعية التي وضعها الشارع المقدس وهي: أن يحرق بالنار، أو يهدم عليه حائط، أو يضرب ضربة بالسيف.

وأما «الأثر الوضعي» فهو: حرمة أم الولد، وأخته، وابنته رأساً.

وأما «الأثر التكويني» فهو: الأثر المستتبع من قِبَل حركة القانون الوجودي ضد هذا السلوك الذي صدر من اللائط والملوط به في حال توفير جميع شرائط التكليف وارتفاع الموانع، ووجود المقتضي.

ويقع الخلط بين بعض الأعلام في العنوانين الآخرين.

إتحاد الإرادة ومراد المرید:

فحينها تتحد الإرادة الإلهية بمرادها، فتكون الإرادة عين المراد، والمراد عين الإرادة، وهذا ما يعرف بـ «كن فيكون»، بل وإن الأعلام ليقولون: إن ما بين «كن» و«فيكون» كثيراً من الزمن إذا ما قايسنه بالإرادة الإلهية، لذا قالوا: إن أمره بين كاف ونون - (ك) و(ن) -، وهذا ما يعرف بـ «الإرادة التكوينية»، وبعبارة أخرى: بـ «الولاية التكوينية».

وبعد أن تعرّفنا على حقيقة المفهومين، لتعرّف الآن على ما ينطويان عليه من مداليل لبحثنا هنا..

الهداية التشريعية:

هي الهداية بالرسالة السماوية والكتب المنزلة من الله تعالى، وفيها بيان للأحكام التي ينبغي على العبد أن يمشي عليها تحقيقاً لهدف خلقته، وسعادته، وقد وُضِعَ في هذه الهداية كلُّ ما من شأنه رفع اشتباهات الفطرة في المصاديق، والتبيين لما هو المصداق الأتم للكمال الذي تبحث عنه، وما هو الطريق الصحيح الذي يقودها إليه في أسرع وقت، وأقصره - وسيأتينا الكلام فيها لاحقاً إن شاء الله تعالى -.

وقد جاء في مكوّنات هذه «الهداية التشريعية» الآتي:

- ١- بيان أحكام العلاقة بين الإنسان وبين خالقه.
  - ٢- بيان أحكام العلاقة بين الإنسان وبين نفسه.
  - ٣- بيان أحكام العلاقة بين الإنسان وبين أخيه الإنسان.
  - ٤- بيان أحكام العلاقة بين الإنسان والطبيعة.
  - ٥- بيان أحكام العلاقة بين العبد وبين سائر الموجودات.
- وروعي في تقنين هذه الأحكام لأجل هداية الإنسان الآتي:

- ١- الزمان.
  - ٢- المكان.
  - ٣- حال نوع الإنسان وسلوكه.
  - ٤- حال الكم.
  - ٥- حال الكيف.
- (وهذا ما قد عبرنا عنه سابقاً بـ «الأبعاد الخمسة»).

وعالم الاعتبار متضمّنٌ في صميم تركيبته اللغوية «عالم الحقائق الوجودية»، وهنا تكمن أهمية الهداية التشريعية؛ فهي:

- ١- «مرآة» للحقائق من جهة.
- ٢- و«مصباح» للسير والسلوك في عالم المادة، من جهةٍ أخرى، وعلي الصعيدين: «الفردية» و«الإجماعي»، - وسيأتينا تفصيله بإذن الله تعالى في محله في الأبحاث اللاحقة -.

فإنَّ أهمَّ ما يلاحظُ في تاريخ البناء الحكمي لأحكام الدين، الهداية للبشرية إلى كمالها اللائق بها؛ (والتي تتضمّنُ سعادتهُ وحضارتهُ، ويُعدُّ الركيزةَ الأساسيّة في بناء صياغته) هو مدخليّة تلكم الأبعاد الخمسة.

ويُلحظُ هذا بدهاءةً لمن يتتبعُ تاريخَ التشريعِ السماوي، فإن الباحث سيجد فيه مدخلية «البعْدُ المكاني»، كما يُلحظُ دورُ «البعْدُ الزماني» في تغيير بعض الأحكام الشرعية، ويُلحظُ في الوقت نفسه «البعْدُ النوعي» في الحكم، وفيه تلاحظُ أيضاً الشخصيةُ المكلفةُ التي يُنابُ بها الحكم، وتكون مسؤولة عن إتيانه، ويُلحظُ أيضاً «البعْدُ الكمي» في الحياة الاجتماعية، وفي عالم العبودية، ويلحظُ أيضاً «البعْدُ الكيفي» في توجيه الأحكام وتنجزها.

وملاحظة هذه الأبعاد الخمسة أمرٌ مندكٌ في صميم صياغة النصوص الشرعية في سياق هداية السماء للإنسان إلى كماله وسعادته وحضارته، ومندكٌ أيضاً في صميم متونها، ودلائلها.

### الشواهد النصية :

#### نصوص الثقل (١):

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ [الشورى/١٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوُا اللَّهَ وَلَا تَتَشَرُّوا بِنَافْسِكُمْ ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ \* وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ \* وَفَقِينَا عَلَىٰ مَا نَدْعُهُمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَعَاتِنَهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ \* وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ \* وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّتْ يَدَاؤُهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ

الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَسَبَلُوكُمْ فِي مَا آتَيْنَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ \* وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ يَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَقْتُولُوا عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ \* أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿المائدة/ ٤٤-٥٠﴾.

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة/ ٢].

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة/ ٢١].

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد/ ٢٥].

وقال تعالى: ﴿يَبْنَیْ إِسْرَیْلَ اذْکُرُوا نِعْمَتِ الَّتِیْ اَنْعَمْتُ عَلَیْکُمْ وَاَوْفُوا بِعَهْدِیْ اَوْفِ بِعَهْدِکُمْ وَاِتِیْ فَاْرَهُیْوْنَ \* وَاِمْنُوْا بِمَا اَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُوْنُوْا اَوَّلَ کٰفِرِیْنَ بِهٖ وَلَا تَشْتَرُوْا بِعٰهْدِیْ ثَمٰنًا قَلِیْلًا وَاِتِیْ فَاْتَقُوْنَ \* وَلَا تَلْبِسُوْا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَکُنُّهُوَ الْحَقُّ وَاَنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ \* وَاَقِیْمُوْا الصَّلٰوةَ وَاَتُوْا الزَّکٰوةَ وَاَرْکَعُوْا مَعَ الرَّکْعِیْنَ \* اَتَاْمُرُوْنَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ اَنْفُسَکُمْ وَاَنْتُمْ تَتْلُوْنَ الْکِتٰبَ اَفَلَا تَعْقِلُوْنَ \* وَاَسْتَعِیْنُوْا بِالصَّبْرِ وَالصَّلٰوةِ وَاِنَّهَا لَکَبِیْرَةٌ اِلَّا عَلٰی الْخٰشِعِیْنَ \* الَّذِیْنَ یُظَنُّوْنَ اَنْهُمْ مُّلْکُوْا رَبِّیْهِمْ وَاَنْهُمْ اِلَیْهِ رٰجِعُوْنَ﴾ [البقرة/ ٤٠-٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة/ ٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَنْتَ خَدُّنَا هٰزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ \* قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَكَ ذَلِكَ فافعلوا ما تؤمرون \* قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْئِهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقْع لَوْئِهَا تُسْرُ النَّظْرِينَ \* قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشْبَهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ \* قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا لَئِن جِئْتَ بِالْحَقِّ فَدَجِّبْهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ \* وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَآذَرْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ \* فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا

كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿البقرة/ ٦٧-٧٣﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ \* وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿البقرة/ ٨٣-٨٤﴾.

وقال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ﴿البقرة/ ٨٧﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴿البقرة/ ٩٩﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿المائدة/ ٧٧﴾.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ \* وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ \* لَا يُؤْخَذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّعِينِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرْتُهُ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسَوْتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرِ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ \* إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ \* وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ \* لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَبِئْسَ مَا كَفَرْتُمْ مِنْ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفْرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقُضْهُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ \* أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسِّيَارَةِ حَرْمٌ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ \*



جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ فِيمَا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْمَدْيَ وَالْقَلْبَدِ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿ [المائدة/ ٨٧-٩٧].

وقال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَتَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهْدَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَثِمِينَ \* فَإِنْ عَثَرَ عَلَيَّ أَتَاهُمَا أَسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخِرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدْنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَدْتَهُمَا وَمَا آعْتَدْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ \* ذَٰلِكَ أَذَقْنَا أَن يَأْتُوا بِالشَّهْدَةِ عَلَيَّ وَجْهًا أَوْ يَخَافُوا أَن تَرُدَّ ءِيمَنُ بَعْدَ ءِيمَنِهِمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ \* يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَا ذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّا كُنَّا نَعْلَمُ الْعُيُوبَ ﴿ [المائدة/ ١٠٦-١٠٩].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَن ءَامِنُوا بِي وَرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ \* إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقُولُ اللَّهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبَنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ \* قَالَ اللَّهُ هَٰذَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِنكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ \* قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَنَزَلْتُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿ [المائدة/ ١١١-١١٥].

وقال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿ [الأنعام/ ٩٢].

وقال تعالى: ﴿ يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَعَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿ [الأنعام/ ١٣٠].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿ [الأعراف/ ٢٩].

وقال تعالى: ﴿يَبْتَغِي عَادَمَ خُدُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ \* قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْأَيَّاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ \* قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف/ ٣١-٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ \* بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل/ ٤٣-٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا \* وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا \* رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا \* وَعَاتِذَا الْقُرُوبِ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا \* إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا \* وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا \* وَلَا تَجْعَلْ بَدَنَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا \* إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا \* وَلَا تَقْنُتُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَنَظْتُمْ كَانَتْ خِطَاءً كَبِيرًا \* وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا \* وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا \* وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا \* وَأَوْفُوا أَلْكَيْلَ إِذَا كَيْلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا \* وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا \* وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا \* كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء/ ٢٣-٣٨].

والآيات القرآنية التي تحدثت عن «عالم التشريع» كمحور من محاور «الهداية التشريعية» كثيرة جداً، وسنوردها لاحقاً إن شاء الله تعالى في الحديث عن «التشريع» نفسه إن شاء الله تعالى.

## نص الثقل (٢):

– أمير المؤمنين عليه السلام: «اللَّهُمَّ احْقِنِ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنَهُمْ وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهَلَهُ وَيَزْعُوبِي عَنِ الْغَيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهَجَ بِهِ»<sup>(١)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «... ألا وإن شرائع الدين واحدة، وسبله قاصدة، فمن أخذ بها لحق وغنم، ومن وقف عنها ضلَّ ونَدِم»<sup>(٢)</sup>.

– الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى أعطى محمداً صلى الله عليه وآله شرائع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام».

– وعنه عليه السلام: – لَمَّا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ -: «إِنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ شَيْئاً إِلَّا لَشَيْءٍ»<sup>(٣)</sup>.

– وعن الإمام الرضا عليه السلام – في الرد على كتاب جاءه عليه السلام من محمد بن سنان -: «جاءني كتابك أن بعض أهل القبلة يزعم أن الله تبارك وتعالى لم يُحِلَّ شيئاً ولم يُحَرِّمْهُ لعلّة أكثر من التعبد لعباده بذلك، وقد ضلَّ من قال ذلك ضلالاً بعيداً وخسر خسراناً مبيناً، ولو كان ذلك كذلك لكان جائزاً أن يستعبدهم بتحليل ما حرّم وتحريم ما أحلَّ، حتى يستعبدهم بترك الصلاة والصيام وأعمال البرِّ كلّها والإنكار له ولرسله وكتبه والجحود بالزنا والسرقة وتحريم ركوب ذوات المحارم، وما أشبه ذلك من الأمور التي فيها فساد التدبير وفناء الخلق، إذ العلة في التحليل والتحريم، التعبدُ لا غيره فكان كما أبطل الله عزَّ وجلَّ به قول من قال ذلك، إنا وجدنا كلّ ما أحلَّ الله سبحانه ففيه صلاح العباد وبقاؤهم ولهم إليه الحاجة التي لا يستغنون عنها ووجدنا الحرام من الأشياء، لا حاجة للعباد إليه ووجدناه مفسداً داعياً إلى الفناء والهلاك، ثم رأينا تبارك وتعالى قد أحلَّ بعض ما حرّم في وقت الحاجة لما فيه من الصلاح في ذلك الوقت»<sup>(٤)</sup>.

(١) نهج البلاغة: من كلامه عليه السلام ٢٠٧.

(٢) نهج البلاغة: من كلام له عليه السلام: رقم: ١٢٠.

(٣) البرقي: أحمد بن محمد بن خالد: المحاسن: ٢: ٣٣٣.

(٤) الحر العاملي: الشيخ محمد بن الحسن: الفصول المهمة في أصول الأئمة: ١: ٢٩٣.

– وورد عنه عليه السلام أيضاً في كلام له لفضل بن شاذان: «إن سألت سائل فقال: أخبرني هل يجوز أن يكلف الحكيم عبده فعلاً من الأفعال لغير علة ولا معنى؟»

قيل له: لا يجوز ذلك، لأنه حكيم غير عابث ولا جاهل.

فإن قال: فأخبرني لم كلف الخلق؟

قيل: لعل.

فإن قال: فأخبرني عن تلك العلل معروفة موجودة هي أم غير معروفة ولا موجودة؟

قيل: بل هي معروفة وموجودة عند أهلها.

فإن قال: أتعرفونها أنتم أم لا تعرفونها؟

قيل: منها ما نعرفه، ومنها ما لا نعرفه<sup>(١)</sup>.

إذن..

لقد تكفل الله تبارك وتعالى بمقتضى كماله هداية العباد، وإرشادهم إلى طريق الصواب، وتوجيههم إلى حيث النجاح، ورفعهم من عالم المادة إلى عالم العقل؛ حيث عالم الحقائق، وعالم الواقعات.

#### الهداية التكوينية:

فبما أننا تعرفنا على حقيقة «عالم التكوين» ففي هذه الحالة نكون قد قرّبنا معرفة «الهداية التكوينية»، فعلى ضوء ما تقدّم من التعريف عن هذه الهداية فإنها تكون عبارة عن سَوِّقِ الممكنات (أي: المخلوقات أجمع بما فيها الإنسان) إلى الغاية التي قد مُهِّدَتْ باستعدادهم إليها، – وستأتي الإشارة إليها حين عرض النصوص إن شاء الله تعالى –.

وبعبارة أوضح وأقرب.. فإنَّ الهداية التكوينية تدخل في وقت ليس فيه تكليف

(١) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٦: ٥٨.

متوجه إلى العبد، وليس لها أية مدخلية في تكليف الإنسان بحيث يصبح صدور الفعل من الإنسان عن قهر وإجبار، فالهداية التكوينية تتدخل في حياة الإنسان على ثلاثة أنحاء، وهي:

### النحو الأول: الهداية التكوينية العامة.

وقد عبرنا عنها بـ «الهداية التكوينية الوجودية»، وهي تشمل كلَّ المخلوقات على الإطلاق، والتي تُعرَفُ بـ «الهداية الفطرية»، وهي التي يُزَوَّدُ بها كلُّ مخلوق في أول نشوئه وخلقته، وفي صميم تركيبته خلقتة، ومن خلال هذه الفطرة يعرف المخلوق خالقه، ويتوجه نحو كماله اللائق به.

### الشواهد النصية:

#### نصوص الثقل (١):

وقد بينت الآيات القرآنية أن الهداية في هذا المقام أمرٌ غير مختصٍّ بالإنسان فقط؛ بل هي قاعدة عامة في عالم التكوين تشمل جميع المخلوقات، وهذا ما عبر عنه - كما تقدم - بـ «الهداية العامة»، ويمكن أن يُصطلح عليها أيضاً بـ «الهداية التكوينية العامة».

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى ﴾ [طه/ ٥٠].

وقال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى \* وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ [الأعلى/ ٢-٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴾ [الليل/ ١٢].

وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [النور/ ٣٥].

#### نصوص الثقل (٢):

- أمير المؤمنين عليه السلام: «أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْحَامِ وَمُضَاعَفَاتِ الْأَسْتَارِ. بُدِئْتَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ وَوُضِعْتَ فِي قَرَارِ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ تَمُورُ فِي بَطْنِ أُمَّكَ جَنِينًا لَا تُحِيرُ دُعَاءً وَلَا تَسْمَعُ

نَدَاءٌ ثُمَّ أُخْرِجَتْ مِنْ مَقْرَبِكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا فَمَنْ هَذَاكَ لَاجْتِرَارِ الْغِدَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ وَعَرَّفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلْبِكَ وَإِرَادَتِكَ هَيْهَاتَ إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَاتِ ذِي الْهَيْئَةِ وَالْأَدْوَاتِ فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجِزٌ وَمَنْ تَنَاولَهُ بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ»<sup>(١)</sup>.

- لَمَّا سُئِلَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ نُورٌ وَالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَادٍ لِأَهْلِ السَّمَاءِ وَهَادٍ لِأَهْلِ الْأَرْضِ»<sup>(٢)</sup>.

### نص التفسير:

قال العلامة الطباطبائي في الميزان في تفسير القرآن: «قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى﴾ سياق الآية - وهي واقعة في جواب سؤال فرعون: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ - يعطي أن «حَلْقَهُ» بمعنى اسم المصدر، والضمير للشيء، فالمراد الوجود الخاص بالشيء.

والهداية إراءة الشيء الطريق الموصول إلى مطلوبه، أو إيصاله إلى مطلوبه، ويعود المعنيان في الحقيقة إلى معنى واحد وهو نوع إيصال الشيء إلى مطلوبه: إما بإيصاله إليه نفسه أو إلى طريقه الموصول إليه.

وقد أطلق الهداية من حيث المهدي والمهدي إليه، ولم يسق في الكلام إلا الشيء الذي أعطى خلقه، فالظاهر أن المراد هداية كل شيء - المذكور قبلاً - إلى مطلوبه، ومطلوبه هو الغاية التي يرتبط بها وجوده وينتهي إليها والمطلوب هو مطلوبه من جهة خلقه الذي أعطيه، ومعنى هدايته له إليها تسييره نحوها، كل ذلك بمناسبة البعض للبعض.

فيؤول المعنى إلى إلقائه الرابطة بين كل شيء بما جُهِزَ به في وجوده من القوى والآلات وبين آثاره التي تنتهي به إلى غاية وجوده، فالجنين من الإنسان مثلاً - وهو نطفة مصورة بصورته - مُجَهَّزٌ في نفسه بقوى وأعضاء تناسب من الأفعال والآثار

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٦٣.

(٢) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٤: ٩١٥.

ما ينتهي به إلى الإنسان الكامل في نفسه وبدنه، فقد أُعْطِيَتْ النطفة الإنسانيَّةُ بما لها من الاستعداد خَلَقَهَا الذي يَخْصُّهَا وهو الوجود الخاص بالإنسان، ثم هديت وسيرت بما جهزت به من القوى والأعضاء نحو مطلوبها، وهو غاية الوجود الإنساني والكمال الأخير الذي يختص به هذا النوع.

ومن هنا يظهر معنى عطف قوله: (هدى) على قوله: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ \* بـ «ثُمَّ» وأن المراد التأخر الرتبي، فَإِنَّ سَيْرَ الشَّيْءِ وحركته بعد وجوده رتبةً، وهذا التأخر في الموجودات الجسمانية تدريجيٌّ زمنيٌّ بنحو».

فكلُّ المخلوقات تعرف وجهتها، وتعرف غايتها التي خُلِقَتْ لأجلها، فإن سائق التكوين يقودها إلى هذه الغاية الوجودية.

النحو الثاني: الهداية التكوينية الخاصة.

وهذه قد عبرنا عنها بـ «الهداية التكوينية الإنسانية»، فهي للإنسان خاصَّة، وهي التي تُعْرَفُ بـ «هداية العقل»، إذ نظراً إلى كون الإنسان مختاراً، فإنَّ هذا الإختيار له مبررٌ، وهذا المبرر الذي يجعل الإنسان مختاراً هو «العقل»، فمن خلاله يميِّز ما هو صواب، وما هو خطأ.

فلكون الإنسان مخلوقاً وينتمي إلى تلكم الفئة من المخلوقات التي اختصت بخلقة خاصة حيث أودع الله تعالى فيه «العقل» و«الإختيار»؛ فقد سمَّيت هذه الخلقة الخاصة المختلفة عن تكوين بقية الكائنات بـ«الهداية الخاصة»، وهي أيضاً تستظل تحت مظلة «الهداية الفطرية».

### الشواهد النصيَّة :

#### نصوص الثقل (١):

قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ \* [الإنسان/٣].

قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ \* [البلد/١٠].

قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ \* [الشمس/٧-٨].

## نصوص الثقل (٢):

- الإمام الصادق عليه السلام - في قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾: خَلَقَهَا وَصَوَّرَهَا، وقوله: ﴿فَأَلَّهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾: «أي عرفها وألهمها، ثم خيَّرها فاختارت»<sup>(١)</sup>.

- وعنه عليه السلام - في قوله تعالى: ﴿فَأَلَّهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾: - «بين لها ما تأتي وما تترك»<sup>(٢)</sup>.

وهذه الهداية من صميم تركيبة الإنسان خاصّة، لا يشاركه فيها أحد من المخلوقات.

## النحو الثالث: الهداية التكوينية الأخص.

وهذه التي عبّرنا عنها بـ«الهداية التكوينية الجزائية»، وهي الهداية التي تُمنح للإنسان جزاءً لما يقوم به من الأعمال.

وقد بيّنا في بداية الحديث عن «الهداية»، وما ذكره الأعلام في تعريفها وتفسيرها؛ فإننا نجد أن لفظ «الهداية» يتضمّن الإرشاد إلى ما تريده النفس في مسيرتها إلى الشر، وهذا الإرشاد ليس إرشاداً تشريعياً، وإنما هو تكويني، فإن كان العمل خيراً فإن الجزاء المتعلق بعالم الهداية يكون من سنخه، وإذا كان العمل شراً فإن الجزاء المتعلق بعالم الهداية يكون من سنخه أيضاً.

فهي تكون كالمنحة والجائزة للعبد المطيع، وتكون للعبد العاصي زيادة له في تسافله والعياذ باللّه، والأولى تسمى في الإصطلاح القرآني بـ«الهداية»، والثانية تُسمّى في الإصطلاح القرآني بـ«الضلال»، ومرجع هذه الزيادة هو: سوق كل إنسان إلى غايته التي يريدّها، وكيف ما شاءها هو - أي: الإنسان -، وقد تقدم شرح هذا المعنى سابقاً فلتلاحظ.

فنظراً إلى كون أزمّة الأشياء كلّها بيد «اللّه» تبارك وتعالى، فلا يُمكن لأيّ موجودٍ

(١) القمي: علي بن إبراهيم: تفسير القمي: ٢: ٤٢٤.

(٢) البرقي: أحمد بن محمد بن خالد: المحاسن: ١: ٢٧٦.



أن يخطو خطوة إلى مراده إلا بإقداره جلت عظمته، وهنا نجد العبد يقوم ببعض الأعمال، وهذه الأعمال يُريد نتيجتها، فمن حق هذا العبد - حسب إملاء عمله - أن يحصل على نتيجة عمله، وأن يصل إلى ما أَرادَه، فيوفر الله تعالى له مستلزمات الوصول، «وأن يهديه إلى عاقبة أمره، وخاتمته، وقد فعل، والله غالب على أمره».

ملاحظة: أخذنا ذيل هذا النص من كتاب الميزان في تفسير القرآن للسيد العلامة الطباطبائي ٣١/٤، وتصرفنا فيه من الجمع إلى المفرد، وقد ذكرنا ذلك للأمانة العلمية.

### الشواهد النصية:

#### نصوص الثقل (١):

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا \* وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا \* كُلًّا نُمِدُّ هُنُوًا وَهَنُوًا مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء/١٨-٢٠].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنبَرُهُ لِلْعُسْرَى \* وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى \* وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنبَرُهُ لِلْعُسْرَى \* وَمَا يُعْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى \* إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ [الليل/٥-١٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر/٤٣].

#### نصوص الثقل (٢):

- وَقَالَ ﷺ: «... من انتصح لله واتخذ قوله دليلاً هداه للتي هي أقوم، ووفقه للرشاد، وسدده ويسره للحسنى...»<sup>(١)</sup>.

- وَقَالَ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ مَنْ اسْتَنْصَحَ اللَّهَ وَفَّقَ وَمَنْ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلًا هُدِيَ لَلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ»<sup>(٢)</sup>.

(١) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٨: ٣٨٩.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٤٧.

– الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «ومن اعتصم بالله عزَّ وجلَّ هُدِيَّ»<sup>(١)</sup>.

### الصفة الحادية عشرة: الربوبية

معنى الربوبية:

تطلق كلمة «الرب» بمعنى المدبر، والمتصرف، و«الربوبية» بمعنى التدبير، والتصرف، والله سبحانه وتعالى هو المدبر والمتصرف الوحيد في مملكته، فهو من تطلق عليه كلمة «الرب» بلا قيد أو شرط.

وإذا ما أُطْلِقَتْ على العبد فهي بقيد أو شرط، ومرجع هذا القيد والشرط هو الفقر الوجودي الذي يأبى أن يجمع الاستقلال والغنى ذاتاً كما اتضح ذلك سابقاً. ومن هنا نستطيع أن نفهم نصوص الثقلين التي تُطْلَقُ كلمة «الرب» على «الله» سبحانه وتعالى، من جهة، وعلى المخلوقات الإمكانية من جهة أخرى.

بيان هذا الأمر:

لو نظرنا إلى حقيقة التدبير والتصرف فإنهما لا يصلحان إلا له سبحانه وتعالى، وأما إذا أُطْلِقَا على المخلوق الإمكانية فإنه يكون بعناية ما، وبلحاظ ما، وبحيثة من الحيثيات التي لا تخلو في النتيجة من القيام بالتدبير والتصرف عن المدبر والمتصرف بالذات، والمانح للتدبير والتصرف لمخلوقاته بالذات، فتدبير المخلوقات من تدبير تدبيره، فهي قائمة به سبحانه، ومدبرة به جلَّت قدرته.

قال تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [النازعات/ ٥].

حيث أثبت القرآن الكريم تدبير الملائكة في شؤون الوجود، ولكن.. بقرينة ما لهذه المخلوقات الإمكانية من ضعف وفقر وجودي يُستدلُّ أنَّ هذا التدبير ليس إلا بإقدار الله تعالى، وهذا المعنى الإرتكازي بمستوى القرينة اللبئية التي لا تفارقها.

وأما عن الإنسان وإطلاق كلمة «الرب» في حقه فهي محمولة على:

(١) المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٦٩: ٣٩٩.

١- ما له من التدبير والتصرف بحسب ما تحكمه أحكام التشريع والقانون الوضعي وبلحاظها.

٢- وما تحكمه من أحكام التكوين بلحاظها أيضاً.

ولنوسّع بعض الشرح في هذين الأمرين؛ التشريعي والتكويني..

الربوبية واللحاظان التشريعي والقانوني:

الربوبية بلحاظ التشريع والقانون الوضعي:

فأما بلحاظ التشريع والقانون الوضعي.. فيقال عن الرجل الذي يدير أمر أسرته ربُّ الأسرة، أو «ربُّ البيت»، ويقال عن صاحب العمل «ربُّ العمل»، ولا يخلو هذا الإطلاق من قيود وشروط؛ ومن أهم هذه القيود أنّ الإنسان مخلوقٌ - وهذا من المرتكزات اللبّية -، وهذا يعني أنه غير مستقل في تصرفاته وتدييره عن التدبير والتصرف عند خالقه أبداً.

وقد بيّن القرآن الكريم في آياته إمكانية إطلاق هذه الكلمة على الإنسان، مع حفظ المقام والرتبة الوجودية بلحاظ القرائن.

قال تعالى: ﴿يَصْحَبِي السَّجْنِ ۚ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾

[يوسف/٣٩].

وقال تعالى: ﴿يَصْحَبِي السَّجْنِ ۚ أَمَّا أَحَدُكُمْ فَيسْقَى رَبَّهُ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا الْآخِرُ فَيُصَلَّبُ

فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ۚ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف/٤١].

مع الإشارة إلى أن التعامل الذي يكون عند البشر فيما بينهم ينبغي أن لا ينحرف عن أصوله الوجودية، إذ نجد تعامل البعض مع الآخر وكأنه المتصرف والمدير الوحيد له، أي: أنه يعطيه أحكام الرب المستقل بالتدبير والتصرف، فيشرع كيفما يريد، وبستعباد العباد وكأنه خالقهم، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في آياته وسورة المباركة، فلا بد من الحفاظ على مفهوم الأصل الوجودي القاضي بعدم وجود رب حقيقي مستقل وبالذات سوى «الله» تعالى، وأما اعتبار المخلوق

كالإنسان رباً فهو من باب الإعتبار العرفي لا الحقيقة، بلحاظ بعض ما لدى هذا الإنسان من حكم التصرف والتدبير بالإعتبار.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران / ٦٤].

وقال تعالى: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَكُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُورُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة / ٣١].

### الربوبية بلحاظ القانون التكويني:

وأما بلحاظ التكوين.. وهو تصرف الإنسان ببدنه، وعدم مخالفة البدن لما تريده النفس والروح، فهذا ما يسمّى بـ«الولاية التكوينية»، ومعناها: أن الإنسان يملك ولاية على بدنه، ومن شأن هذه الولاية: عدم مخالفة البدن لما تريده الروح.

سؤال: فهل حصل أن أراد الإنسان أن يأتي بفعل ما، إلا أن بدنه خالفه، فلم يأت، أو أنه سلك غير مسلك إرادة صاحبه؟!.

### الجواب:

كلا؛ فإنّ البدن ياتمر بما تريده النفس، فما البدن سوى مطيع لهذه الروح الإنسانيّة، ومن هنا انتهى الأعلام إلى القول بأن الإنسان بما هو إنسان يملك «الولاية التكوينيّة»، بلحاظ ولاية هذا الإنسان على بدنه.

### توسعة التصرف التكويني على البدن:

فإذا كان الإنسان قادراً على التصرف على مستوى بدنه بما منحه الله تعالى من «ولاية» عليه، فهنا يرد هذا التساؤل المهم، وهو:

هل يمكن للإنسان أن يُوسّع من دائرة تصرفه الذي هو على مستوى البدن بحيث يشمل هذا التصرف ما هو خارج عنها، فتشمل التصرف في بقية الممكنات، والمخلوقات، أم لا؟!.

الجواب: - نقول وبإجمال واختصار جداً - إن العقل لا يمنع من حصول هذه التوسعة، ومع قليل من التأمل سنجد أن «الوقوع خير دليل على الإمكان»، فنشاهد ما حصل في تاريخ الأنبياء والرسل والأوصياء من القدرة على التصرف خارج مملكة البدن، وبحثه موكول إلى محله من بحث «الولاية التكوينية» وعلاقة ذلك بالروح، وهو خارج عما نحن فيه الآن.

ولكن..

ما ذكر في اللحاظ التشريعي من موضوع الإستقلال الذاتي وعدمه فإنه يذكر هنا أيضاً؛ فإن التصرف والتدبير في العالم والوجود إذا لوحظ بنحو استقلاليّ فليس المدبّر إلا «الله» تبارك وتعالى، وإذا لوحظ بلحاظ المخلوق الإمكانيّ فإن المعنى الإستقلاليّ منتفٍ في حقّه تماماً، وذلك لاستحالته؛ لما انتهى بنا البحث من أن المستقل بالذات ليس إلا «الله» سبحانه وتعالى، وأمّا سائر المخلوقات والممكنات فليست إلا محض الإحتياج، ومحض الفقر، فما من تصرف يتصرفه الإنسان في بدنه؛ من حركة أو سكونة فهو غير مستقل عنه سبحانه وتعالى، وهو على مضمون تعبير أمير المؤمنين عليه السلام «قائمة به»، وقد تقدم الكلام عن هذا الموضوع وبضرب مثال الكهرباء، والرائحة، والحرف فليراجع.

مقتضى الربوبية:

إنّ من مقتضيات «الخلقة» و«الحكمة» و«الهداية الإلهية»: «العناية» بالمخلوق من أول وجوده إلى مستقره في دار إقامته النهائية، وهي لأجل تمكين الإنسان ومساعدته للوصول إلى هدفه الذي خلق لأجله.

وبما أنه قد اتّضح أن الموجود الوحيد الذي هو: «عالم» و«حكيم» ليس هو إلا «خالق» هذا الإنسان؛ وأن معرفة طبيعة عالم الطبيعة، وعالم هذا الوجود الضخم غير ممكنة من قبل سائر الناس، وأن هذه الطبيعة وهذا العالم على ارتباط وثيق بعالم الإنسان وسلوكه - وسيأتينا بيانه مفصلاً إن شاء الله لاحقاً -؛ لذا تكفل «الله»

تبارك وتعالى بالعبارة بهذا الإنسان لإيصاله إلى هدفه وغايته، كما تكفل بالعبارة بسائر المخلوقات لإيصالها إلى هدفها المنشود لها.

فلم يُسْتَنْ أَيُّ مخلوق من النظام الربوبي القاضي بإيصاله إلى كماله اللائق به على النحو الذي يتلاءم مع طبيعته واستعداده - كما تبين ذلك في المبحث السابق «الهداية» -، وإنَّ النظرَ إلى الأسباب والمسببات لخيرُ برهانٍ على أن الكونَ مُدارٌ بإدارة ربوبية، وبتدبير متقن وحكيم وعادل.

والإختصاص بالربوبية ليس إلا له سبحانه وتعالى، ولا أحدَ يتمكنُ من القيام بأية مهمة ذات مظهرٍ ربوبيٍّ وباستقلالٍ ذاتيٍّ سواه سبحانه وتعالى، فإنَّ النظرَ إلى ما تقدم في «الخالقية» و«المالكية» و«العدل» و«الحكمة» و«الغنى المطلق» و«فرعه»؛ ليجبُ حصولَ مثل هذه النتيجة الحتمية، وهذا يعني اختصاصَ «الولاية» و«الربوبية» به سبحانه وتعالى وبالذات.

وهذا الأمر - وهو الربوبية - واضح المعالم في العالم والوجود.. فلو أننا نظرنا إلى العالم والوجود من خلال «الإدارة»، فسنجد أن كلَّ شيءٍ قائمٌ بإدارة متقنة، ودقيقة، وحكيمة، الأمر الذي يوجب:

١ - الإذعان إلى «توحيد المدير» أو «التوحيد الإداري» - إن صحَّ التعبير - من جهة.

٢ - والإذعان إلى أن لهذه الإدارة غرضاً وهدفاً وراء ما نشاهده من المشاهدات للعالم والوجود، والسائق التكويني يقودها، بعد إعطاء ما يستحقُّه الموجود والمخلوق بحسب استعداده التكويني<sup>(١)</sup>، من جهةٍ أخرى.

فما نجدُه ونشاهدُه في العالم من سير الكواكب، ونموِّ النبات، وحركة المياه والهواء، وعموم ما عليه الموجودات كالجبال، والتراب، والحجارة، والأشجار،

(١) إنَّ علمَ الإدارة اليومَ ليكشف عن مدى القوَّة الإداريَّة التي عليها سير الكائنات، ويمكن فهمُ الاستعدادِ والسَّوقِ التكوينيِّ على أساس النظرية الإداريَّة المعروفة وهي «إدارة الموارد البشريَّة»، فيمكننا أن نُعبِّرَ عمَّا نشاهده من الإدارة للعالم والوجود بـ«إدارة موارد العالم والوجود».

وكذا الحيوانات، والحشرات، والكائنات الحية الدقيقة منها وغير الدقيقة... إلخ؛ كلُّ هذا مشمولٌ بهذه العناية الإلهية، ومستظلٌّ بمظلة «الربوبية»، فلا يخرج شيء من هذا الوجود من دقيقه إلى كبيره عن «ربوبية الرب»، فحركة كلِّ شيءٍ، سواءً أكانت الحركة ظاهرةً، أم كانت الحركة جوهريةً صميميةً لا يمكن لها الخروج عن مصدرها الذي هو «الخالق»، وكذلك لا يمكن لها أن لا تكون تحت عنايته ورعايته وربوبيته وهدايته.

### إشارة مهمة:

وقد تعرض الثقلان - القرآن والعترة - لهذا الإسم المبارك لله تعالى «الرب»، ومن خلال النظر إلى تلك النصوص الشريفة سنجد أنها لا تذكر اسماً من أسماء الله تعالى في آيةٍ إلا لا ارتباط الاسم الشريف بالموضوع الذي تتحدث عنه تلك النصوص، فلفظ «الرب» لا يُذكر في موضع من النصوص جزافاً، بل لمناسبته لسياق النص، وارتباطه بتلك الواقعة، وتعلقه بذلك الحدث، وسيأتينا لاحقاً بإذن الله تعالى بعض الشواهد على ما نقول.

### الشواهد النصية:

#### نصوص الثقل (١):

قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة/ ٢].

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ \* إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة/ ١٣٠-١٣١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ [البقرة/ ١٣٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجْمُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَسُبِّحَنَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل/ ٨].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُم فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر/ ٦٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَيَتَحَدَّوْنَ لَهُ أُنَادَاءً ذَلِكُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [فصلت/ ٩].

وقال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْمُنَدُّ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الباقية/ ٣٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَحِيدُ الْقَهُّورُ﴾ [الرعد/ ١٦].

وقال تعالى: ﴿فَسُبِّحَنَ اللَّهُ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء/ ٢٢].

## نصوص الثقل (٢):

- أمير المؤمنين عليه السلام: «... أَنشَأَ الْخَلْقَ إِنشَاءً وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً بِلَا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا وَلَا تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا وَلَا حَرَكَةَ أَحَدَتْهَا وَلَا هَمَامَةَ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا أَحَالَ الْأَشْيَاءِ لِأَوْقَاتِهَا وَلَا مَ بَيْنَ مُخْتَلَفَاتِهَا وَعَرَزَ غَرَائِزَهَا وَأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا عَالِمًا بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا مُحِيطًا بِحُدُودِهَا وَانْتِهَائِهَا عَارِفًا بِقَرَائِنِهَا وَأَحْنَائِهَا ثُمَّ أَنشَأَ سُبْحَانَهُ فَتَقَ الْأَجْوَاءَ وَشَقَّ الْأَرْجَاءَ وَسَكَئِكَ الْهَوَاءِ فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلَاطِمًا تَيَّارُهُ مُتْرَاكِمًا زَخَارُهُ حَمَلُهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ وَالزَّرْعِ الْقَاصِفَةِ فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ وَسَلَّطَهَا عَلَى شَدِّهِ وَقَرَنَهَا إِلَى حَدِّهِ الْهَوَاءَ مِنْ تَحْتِهَا فَتَبَقَّ وَالْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ ثُمَّ أَنشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحًا اعْتَقَمَ مَهَبَّتُهَا وَأَدَامَ مُرَبَّتُهَا وَأَعَصَفَ مَجْرَاهَا وَأَبْعَدَ مَنْشَأَهَا فَأَمَرَهَا بِتَضْفِيقِ الْمَاءِ الرَّخَّارِ وَإِثَارَةِ مَوْجِ الْبَحَارِ فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السَّقَاءِ وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ تَرْدُ أَوْلَاهُ إِلَى آخِرِهِ وَسَاجِيهِ إِلَى مَائِرِهِ حَتَّى عَبَّ عِبَابُهُ وَرَمَى بِالزَّبْدِ رُكَامَهُ فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ وَجَوْ مُنْفَهَقٍ فَسَوَى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجًا مَكْفُوفًا وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَسَمَكًا مَرْفُوعًا بَغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعُمُهَا وَلَا دِسَارٍ يَنْظُمُهَا ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ



الْكَوَاكِبِ وَضِيَاءِ الثَّوَابِقِ وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً وَقَمَراً مُنِيراً فِي فَلَكٍ دَائِرٍ  
وَسَقْفٍ سَائِرٍ وَرَقِيمٍ مَائِرٍ».

### خلق الملائكة:

ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلَائِكَتِهِ مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا  
يَرْكَعُونَ وَرُكُوعٌ لَا يَتَّصِبُونَ وَصَافُونَ لَا يَتَزَايِلُونَ وَمُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ لَا يَعْشَاهُمْ  
نَوْمُ الْعُيُونِ وَلَا سَهُوُ الْعُقُولِ وَلَا فِتْرَةُ الْأَبْدَانِ وَلَا غَفْلَةُ النَّسِيَانِ وَمِنْهُمْ أَمْنَاءٌ عَلَى  
وَحْيِهِ وَالسِّتَةُ إِلَى رُسُلِهِ وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ وَمِنْهُمْ الْحَفِظَةُ لِعِبَادِهِ وَالسَّدَنَةُ  
لِلْأَبْوَابِ جِنَانِهِ وَمِنْهُمْ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرْضِ مِنَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا  
أَعْنَاقُهُمْ وَالْحَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ نَاكِسَةٌ  
دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ  
وَأَسْتَارُ الْقُدْرَةِ لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ وَلَا  
يُحَدُّونَهُ بِالْأَمَاكِنِ وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ»<sup>(١)</sup>.

– وَقَالَ ﷺ: «لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ وَلَا تَخَوْفٍ مِنْ عَوَاقِبِ زَمَانٍ  
وَلَا اسْتِعَانَةٍ عَلَى نِدِّ مَثَاوِرٍ وَلَا شَرِيكِ مُكَاثِرٍ وَلَا ضِدِّ مُنَافِرٍ وَلَكِنْ خَلَائِقَ مَرْبُوبُونَ  
وَعِبَادٌ دَاخِرُونَ»<sup>(٢)</sup>.

– وَقَالَ ﷺ: «عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ اقْتِدَاراً وَمَرْبُوبُونَ اقْتِسَاراً وَمَقْبُوضُونَ اخْتِصَاراً  
وَمُضْمَنُونَ أَجْدَاناً وَكَائِنُونَ رُفَاتاً وَمَبْعُوثُونَ أَفْرَاداً وَمَدِينُونَ جِزَاءً وَمُمَيِّزُونَ حِسَاباً  
قَدْ أَمْهَلُوا فِي طَلَبِ الْمَخْرَجِ وَهُدُوا سَبِيلَ الْمُنْهَجِ وَعَمَّرُوا مَهْلَ الْمُسْتَعْتَبِ وَكَشَفَتْ  
عَنْهُمْ سُدْفُ الرِّيبِ وَخَلُّوا الْمِضْمَارَ الْجِيَادِ وَرَوِيَةَ الْإِرْتِيَادِ وَأَنَاءَ الْمُقْتَبِسِ الْمُرْتَادِ فِي  
مُدَّةِ الْأَجْلِ وَمُضْطَرَبِ الْمَهْلِ»<sup>(٣)</sup>.

– وَقَالَ ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تُقَلِّكُمُ وَالسَّمَاءَ الَّتِي تُظَلِّكُمُ مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمُ

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ١.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٦٥.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٨٣.

وَمَا أَصْبَحْنَا تُجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتَيْهِمَا تَوْجُعاً لَكُمْ وَلَا زُلْفَةً إِلَيْكُمْ وَلَا لَخَيْرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ أَمْرًا بِمَنَافِعِكُمْ فَأَطَاعْتَا وَأَقِيمْتَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَقَامْتَا»<sup>(١)</sup>.

- وَقَالَ ﷺ: «عَالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومٌ وَرَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبٌ وَقَادِرٌ إِذْ لَا مَقْدُورٌ»<sup>(٢)</sup>.

- وَقَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ وَالْحَوْ الْمَكْفُوفِ الَّذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضاً لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَجْرَى لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَمُخْتَلِفاً لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ وَجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سَبْطاً مِنْ مَلَائِكَتِكَ لَا يَسْأَمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ وَرَبِّ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَاراً لِلْأَنَامِ وَمَدْرَجاً لِلْهَوَامِّ وَالْأَنْعَامِ وَمَا لَا يُحْصَى مِمَّا يَرَى وَمَا لَا يَرَى وَرَبِّ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلْأَرْضِ أَوْتاداً وَلِلخَلْقِ اعْتِماداً»<sup>(٣)</sup>.

- وَقَالَ ﷺ: «فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ مُوَطَّدَاتٍ بِلَا عَمَدٍ قَائِمَاتٍ بِلَا سَنَدٍ دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُدْعِنَاتٍ غَيْرِ مُتَلَكِّثَاتٍ وَلَا مُبْطِئَاتٍ وَلَوْ لَا إِفْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرَّبُوبِيَّةِ وَإِذْعَانُهُنَّ بِالطَّوَاعِيَةِ لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعاً لِعَرْشِهِ وَلَا مَسْكناً لِمَلَائِكَتِهِ وَلَا مَضْعداً لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلَاماً يَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَيْرَانُ فِي مُخْتَلَفِ فِجَاجِ الْأَقْطَارِ لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِهَا إِذْ لِهَمَامٌ سُجِفَ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ وَلَا اسْتِطَاعَتْ جَلَابِيبُ سَوَادِ الْحِنَادِيسِ أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِي السَّمَاوَاتِ مِنْ تَلَالُؤِ نُورِ الْقَمَرِ فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقِ دَاجٍ وَلَا لَيْلِ سَاجٍ فِي بَقَاعِ الْأَرْضِينَ الْمُتَطَاطِئَاتِ وَلَا فِي يَفَاعِ الشُّفَعِ الْمُتَجَاوِرَاتِ وَمَا يَتَجَلَّجَلُ بِهِ الرَّعْدُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ وَمَا تَلَاشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْعَمَامِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ وَانْهَطَالُ السَّمَاءِ وَيَعْلَمُ مَسْقَطُ الْقَطْرَةِ وَمَقَرَّهَا وَمَسْحَبُ الذَّرَّةِ وَمَجْرَّهَا وَمَا يَكْفِي الْبُعُوضَةَ مِنْ قُوَّتِهَا وَمَا تَحْمِلُ الْأُنْثَى فِي بَطْنِهَا»<sup>(٤)</sup>.

- الإمام الحسين ﷺ في دعاء عرفه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَرْغَبُ إِلَيْكَ، وَأَشْهَدُ بِالرَّبُوبِيَّةِ لَكَ، مُقَرَّراً بِأَنَّكَ رَبِّي، وَأَنَّ إِلَيْكَ مَرَدِّي، إِبْتِدَاءً تَنِي بِنِعْمَتِكَ قَبْلَ أَنْ أَكُونَ

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٤٣.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٥٢.

(٣) نهج البلاغة: من دعاء له ﷺ: ١٧١.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ١٨٢.

شيئاً مذكوراً، وخلقنتني من التراب ثم أسكنتني الأصبلا، آمناً لريب المنون، واختلاف الدهور والسنين، فلم أزل ظاعناً من صلب إلى رحم في تقادم من الأيام الماضية والقرون الخالية، لم تخرجني لرأفتك بي، ولطفك لي، وإحسانك إليّ في دولة أئمة الكفر، الذين نقضوا عهدك، وكذبوا رسلك، لكنك أخرجتني للذي سبق لي من الهدى الذي له يَسْرَتُنِي، وفيه أنشأتني، ومن قبل ذلك رؤفت بي، بجميل صنعك وسوابع نعمك، فابتدعت خلقي من مَنِيّ يُمْنِي، وأسكنتني في ظلمات ثلاث، بين لحم ودم وجلد، لم تُشْهَدْنِي خلقي، ولم تجعل إليّ شيئاً من أمري، ثُمَّ أخرجتني للذي سَبَقَ لي من الهدى إلى الدنيا تاماً سوياً، وحفظتني في المهد طفلاً صبيّاً، ورزقتني من الغذاء لبناً مَرِيّاً، وعطفت عليّ قلوب الحواضن، وكفَلتني الأمّهات الرواح «م» وكلاّتني من طوارق الجان، وسلمتني من الزيادة والنقصان، فتعاليت يا رحيم يا رحمن، حتى إذا استهللت ناطقاً بالكلام، أتممت عليّ سوابع الإنعام، وربيتني زائداً في كل عام، حتى إذا اكتملت فطرتي، واعتدلت مرّتي، أوجبت عليّ حُجَّتَكَ بأن ألهمتني معرفتك، وروّعتني بعجائب حكمتك، وأيقظتني لما ذرأت في سمانك وأرضك من بدائع خلقك، ونبهتني لشرك وذكرك، وأوجبت عليّ طاعتك وعبادتك، وفهّمتني ما جاءت به رُسُلك، ويَسْرَتَ لي تَقَبُّلَ مَرْضاتك، ومَنَّتَ عليّ في جميع ذلك بعونك ولطفك، ثم إذ خلقتني من خير الثرى، لم ترض لي يا إلهي نعمة دون أخرى، ورزقتني من أنواع المعاش و صنوف الرياش، بمنك العظيم الأعظم عليّ، وإحسانك القديم إليّ، حتى إذا أتممت عليّ جميع النعم، وصرفت عني كل النقم، لم يمنك جهلي وجرأتي عليك أن دللتني إلى ما يقرّبني إليك، ووفقتني لما يزلّفني لديك، فإن دعوتك أجبتني وإن سألتك أعطيتني، وإن أطعتك شكرتني، وإن شكرتك زدتني، كل ذلك إكمالاً لأنعمك عليّ، وإحسانك إليّ، فسبحانك سبحانك من مبدى معيد حميد مجيد، تقدّست أسماؤك، وعظمت آلاؤك، فأني نعمك يا إلهي أحصي عدداً وذكراً، أم أيّ عطاياك أقوم بها شكراً، وهي يا رب أكثر من أن يحصيها العادون، أو يبلغ علماً بها الحافظون، ثم ما صرفت ودرأت عني اللّهم من الضرّ والضراء أكثر مما ظهر لي من العافية والسراء، وأنا أشهد يا إلهي بحقيقة إيماني، وعقد عزمات

يقيني، وخالص صريح توحيدى، وباطن مكنون ضميرى، وعلائق مجارى نور بصري، وأسارير صفحة جيبني، وخُرُق مسارب نفسي، وخذاريف مارن عرنيني، ومسارب سماخ سمعي، وما ضُمَّت وأطبقت عليه شفتاي، وحركات لفظ لساني، ومغرز حنك فمي وفكّي، ومنابت أضراسي، ومساغ مطعمي ومشربي، وحِمَالَة أمّ رأسي، وبلوغ فارغ حبائل عنقي، وما اشتمل عليه تامور صدري، وحمائل جبل وتيني، ونياط حجاب قلبي، وأفلاذ حواشي كبدي، وما حوته شراسيف أضلاعي، وحِقاقُ مفاصلي، وقبض عواملي، وأطراف أناملي، ولحمي، ودمي، وشعري، وبشري، وعصبي، وقصبي، وعظامي، ومخي، وعروقي، وجميع جوارحي، وما انتسج على ذلك أيام رضاعي، وما أقلت الأرض منّي، ونومي، ويقظتي، وسكوني، وحركات ركوعي وسجودي، أن لو حاولت واجتهدت مدى الأعصار والأحقاب لو عُمُرْتُهَا أن أودّي شُكْرَ واحدةٍ من أنعمك ما استطعت ذلك إلا بمَنِّكَ، الموجبَ عليّ به شُكْرُكَ أبداً جديداً، وثناءً طارفاً عتيداً، أجل، ولو حرصت أنا والعاذونَ من أنامك أن نُحصيَ مدى إنعامك سالفه وإنفه ما حصرناه عدداً، ولا أحصيناهُ أمداً، هيهات أنّي ذلك، وأنت المُخْبِرُ في كتابك الناطق، والنبأ الصادق (وإن تُعدّوا نعمةَ الله لا تُحصوها)»<sup>(١)</sup>.

- ثم قال ﷺ: «اللهم لك الحمد كما خلقتني فجعلتني سميعاً بصيراً، ولك الحمد كما خلقتني فجعلتني خلقاً سويّاً رحمةً بي، وقد كنت عن خلقي غنياً، ربّ بما برأتني فعَدَلتَ فطرتي، ربّ بما أنشأتني فأحسنتَ صورتني، ربّ بما أحسنتَ إليّ وفي نفسي عافيتني، ربّ بما كَلَأتني ووفقتني، ربّ بما أنعمتَ عليّ فهديتني، ربّ بما أوَليتني ومن كلِّ خيرٍ أعطيتني، ربّ بما أطعمتني وسقيتني، ربّ بما أغنيتني وأقنيتني، ربّ بما أعنتني وأعززتني، ربّ بما ألبستني من سترك الصافي، ويسرت لي من صنّعك الكافي، صلِّ على محمّدٍ وآلِ محمّدٍ»<sup>(٢)</sup>.

- الإمام الصادق ﷺ: «ماكلف الله العباد كلفة فعل، ولا نهاهم عن شيء

(١) السيد ابن طاووس: رضي الدين علي بن موسى بن جعفر: إقبال الأعمال: ٢: ٧٤ - ٧٧.

(٢) السيد ابن طاووس: رضي الدين علي بن موسى بن جعفر: إقبال الأعمال: ٢: ٧٩.

حتى جعل لهم الاستطاعة، ثم أمرهم ونهاهم فلا يكونُ العبدُ آخذاً ولا تاركاً إلا باستطاعة متقدمة قبل الأمر والنهي، وقبل الأخذ والترك، وقبل القبض والبسط»<sup>(١)</sup>.  
 - وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا يكون من العبد قبضٌ ولا بسطٌ إلا باستطاعة متقدمة للقبض والبسط»<sup>(٢)</sup>.

(١) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: التوحيد: ٣٥٢.

(٢) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: التوحيد: ٣٥٢.



## الملحق

### الحزمة النورية لتكامل الفرد والمجتمع

#### الحزمة النورية للبناء التكاملي:

إنه بعد ما ذكرنا من الصفات والأسماء التي لها مدخلية أساسية مباشرة بتكامل الفرد والمجتمع؛ بقي أن نتعرف على بعض الصفات التي تساهم في دفع مسيرة التكامل إلى الأمام بروح مطمئنة، وقلب سليم، فمن تلكم الأسماء والصفات الملحقة هي:

الغفار، التواب، الحليم، الرحمن، الرحيم، الرؤوف، العزيز، الجبار، المهيمن... الخ، وغيرها من أسماء الله تعالى وصفاته، وهي بحسب ما يعدها الأعلام (٩٩) سماً، ولكنها قد تكون جنساً لما تحتها من الأسماء الشريفة.

#### سبب إيرادنا لهذه الحزمة النورية

وقد يتساءلُ القارئ العزيز عن سبب إيرادنا لهذه الحزمة النورية من الأسماء الشريفة، فنقول:

إنَّ السبب هو لما لهذه الأسماء من موقع احتياج في الحياة الإجتماعية، فالإنسان محتاج إلى هذه الصفات كي يلجأ إلى المتصف بها وقت ما يحتاج إليه.

مثال ذلك:

أَنَّ هناك الكثير من يصدرُ منه الخطأ عن سهو، أو عن إجبار، أو عن سبب قاهر،

والقانون الوضعي قد لا يراعي العناوين ولربما لجهله بالدافع، وجهله بالموجب للصدور، فهنا يجد المرء نفسه أنه يُعاقَب وهو بريء، إلا أننا لو نظرنا إلى الله تبارك وتعالى سنجدُه عالماً بالدافع، وعالماً بالموجب للصدور، لذا نجد في سيرة بعض الأنبياء كالنبي داود عليه السلام أنه كان يعاقب ويحاسب على حسب علمه ببواطن الناس.

أضف إلى ذلك.. أن الإنسان المرتكب للجريمة إذا ما اعترف وندم ففي كثير من الأحيان قد يطبق في حقّه قانون العفو، وهذا قد يُجرى عليه بإلغاء العقوبة، أو بعدم تنفيذ الحكم، أو بتقليص مدة الحكم... إلخ، وهذا الجانب لا يغيب عن المرتكب للخطأ لما يرى مما لا يُحبُّ من آثار عمله السيِّء، وهذا بنفسه:

١- يردع المرتكب للخطأ عن ارتكابه ثانية.

٢- يُصلح فيه الجانب السلبي، ويجعله إنساناً صالحاً في المجتمع.

٣- يدفعه إلى العمل الصالح.

فعندما يعلم المرء أن خالقه سبحانه وتعالى واجدٌ لصفة التوبة؛ فإنه ينجذب إليه رغبةً في الغفران، وعندما يعلم بأن الله تعالى رؤوفٌ بعباده فإنه يطمئن بأنه سبحانه وتعالى سيُمدُّ إليه يدَ العون والتوفيق والسداد، وعندما يعلم العبد بأن الله تبارك وتعالى رحمن رحيم؛ فإنه يعلم جيداً بأن الله تبارك وتعالى يُقدِّرُ حاله كإنسان قابل لصدور الأخطاء منه، وأنه لا يريد أن يعاقبه من أول ارتكابه للخطأ، بل يود أن يُقدِّرَ حاله الضعيف الذي يقبل صدور الأخطاء منه بشكل غير مقصود ولا متعمد، فلا يعجل هذا الخالق عليه بالعقاب كما يفعله القانون الوضعي.

ومثل هذا الشعور الفطري لدى الإنسان يربطه بخالقه، ويقوده إلى التعرف على المزيد من جماليات صفاته، وعظيم أسمائه، وجميل كماله.

ولولا خشيتنا من الخروج عن بحثنا الرئيسي؛ لعرجنا على الأسماء والصفات الإلهية الجميلة ولتعرفنا عليها ما أمكننا، ولكن لا يمنع هذا من أن ندعو الجميع إلى التعرف على جمال أسماء الخالق، وكمالات صفاته في مظانها ليقف على المحبوب الحقيقي لقلبه، والمرغوب الحقيقي لفطرته، والمطلوب الحقيقي



لعقله، فحينها سيقف على سبيل تحقيق هدف خلقتة، وصراط غاية خلقتة، وطريق الوصول إلى سعادته، وليكن الوقوفُ على ما لهذه الأسماءِ والصفات من تأثيرٍ على الحياةِ الإنسانيّةِ بشكلٍ إيجابيٍّ جميلٍ، وعلى المستويين الفرديّ والإجماعيّ.

### النتيجة المحصّلة:

حقّ التصرف..

فتحصل مما تقدم... أنّ القول بأن الله عزّ وجلّ يملك مقومات صلاحية التدخل في الحقيقة هو قول فيه الكثير من مسامحة؛ وذلك لأن الله عزّ وجلّ مالك الملك، والمالك يملك حق التصرف في ملكه ومملكته، نعم قد كتب الله تبارك وتعالى على نفسه أن يدير شؤون وجوده وموجوداته ضمن ضوابط ومعايير، وهذا بحث آخر.

### إنحصار الحل للمشكلة الإنسانيّة في «الله» تعالى:

فإذا كانت الصفات المذكورة غير موجودة في أي موجودٍ - بالبيان المتقدم - سوى في «الله» تعالى، فبناءً عليه - وهي النتيجة المنطقية العقلية - لا يمكن لأحد أن يحقق للإنسان ما يريده إلا «الله» سبحانه، ولا أحد يستطيع أن يحلّ إشكاليّته في الحياة سواء سبحانه، ولا أحد يستطيع أن يعالج مشكلته الإنسانيّة غيره سبحانه، ولا يمكن أن يُوصّل الإنسان إلى هدفه الذي يسعى إليه من سعادة وحضارة إلا هو سبحانه وتعالى.

### الآلية المعتمدة لحل الإشكالية الإنسانيّة:

فإذا كان الأمر كذلك..

فإننا سنحتاج إلى أن نتعرّف على الآلية التي اعتمدت من قبل «الله» سبحانه وتعالى في رفع إشكالية المشكلة الإنسانيّة، وكيف تمت المعالجة للمشكلة البشريّة، فهذا ما سنتعرّف عليه بإذن الله تعالى في الفصل القادم.

## حل إشكال مقدر:

ولكن قبل أن ندخل في ذلك البحث نقول: قد يُشكّل البعض فيقول:  
 إنّ حقيقة الإنسان هي «الفقر المحض»، والفقر في كل شيء يحتاج إلى مرشدٍ  
 دالٍّ قائدٍ يقود مسيرته ويبين له الطرق الوعرة فيتجنبها والطرق المعبدة فيسلكها.  
 ومن إحدى مصاديق هذا الفقر عدم القدرة على الوصول إلى تحقيق «عدالة  
 إجتماعية» شاملة كاملة تكفل للإنسان الحياة السعيدة، فما هو موقع السماء في  
 مسيرة الإنسان لتصحیح مسارها؟!.

فقد يقال: إنّ العناوين السابقة لا تشير إلى أي شيء يدل على ما يمكن من خلاله  
 أن يحقق العدالة الإجتماعية؟!.

وبعبارة أخرى هي: أنّ البشريّة لمست النقص في الجهة المعنوية لها وبشكل  
 واضح، ولمست أيضاً النقص في الجهة المادية أيضاً، وعلمت أنها لا تستطيع  
 الوصول إلى تحقيق «العدالة الإجتماعية» حينما شاهدت من نفسها:

- ١- عدم القدرة على تشخيص مصاديق مفاهيم العدالة والظلم.
- ٢- وعدم القدرة على تشخيص الوسائل المناسبة للتطبيق.
- ٣- وعدم القدرة على تشخيص طرق استخدام تلكم الوسائل.
- ٤- وعدم القدرة على التكيّف الصحيح في الأبعاد الخمسة - الزمان والمكان  
 والنوع والكم والكيف -.

فكيف يمكن الوصول إلى تشخيص كلّ ذلك قذّة بقذّة؛ ومن دون أن تُرتكب  
 أية أخطاء في مسيرتها التكاملية، والحال أن عنوان المالكيّة لا يدلُّ إلا على الملك،  
 وعنوان الحكمة لا يدلُّ إلا على كونه سبحانه حكيماً، وعنوان القدرة لا يدلُّ إلا  
 على كونه سبحانه قادراً على كلّ شيء، وعنوان افتقار الممكنات إليه لا يدلُّ إلا  
 على كون كل الموجودات لا تملك قابليّة الإستقلال عنه سبحانه وتعالى لذاتها،  
 وعنوان العدالة لا يدلُّ إلا على كونه سبحانه وتعالى عادلاً في قراراته وحكمه،  
 وعنوان الإحاطة التامة لا يدلُّ إلا على كونه يعرف كلّ صغيرة وكبيرة -!!؟.

وبعبارة أُخرى.. هي:

أنا نعرفُ أنَّ اللهَ تبارك وتعالى واجد لتلك الصفات الجميلة، ولكن كلَّ هذا في مقام الذات المقدسة، ولكن ما حالها في مقام التحقُّق خارجاً، وفي علاج المشكلة البشريَّة واقعاً؟!..

إنَّ ما يوحي به التساؤلُ هو: أنَّ «إدارة المجتمع» والفرد لا تكون من خلال النظريات، إذن فهل هناك تحقق لهذه الأسماء والصفات الإلهيَّة على مستوى التنفيذ، والعمل الإجتماعي؟!، وكيف؟!..

الجوابُ:

أنَّ مقتضى الحكمة عدمُ العبثيَّة، فيتَّضحُ وبشكلٍ إجماليٍّ أنَّ اللهَ تعالى الحكيم لم يخلق المخلوقات إلا لغايةٍ وغرضٍ وهدفٍ، وبلحاظ فقرها الذاتيِّ يستكشفُ أن الهدف هو تحقيق الذات، والوصول إلى «الكمال المطلق»، فهي إذاً مخلوقةٌ لأجل الوصول إلى الهدف.

وقد تدرَّجنا في البحث عن إثبات الأهلِيَّة والكفاءة للتدخل السماوي في الشأن الإنساني، وبإذن الله تعالى سننتقل في الفصل القادم إلى بيان «كيفية تدخل السماء والإرادة الإلهيَّة» في الشأن الإنساني لحل مشكلته ومعضلته، فالجواب سيأتينا ريثما ننتهي من هذا البحث بإذنه تعالى.

دفع دخل مقدَّر:

وترد مؤاخذه معقولة ومنطقية في المقام ومفادها: أنَّ الهداية الفطريَّة تعني أنَّ اللهَ تبارك وتعالى قد هدى الإنسان بفطرته إلى تحقيق الكمال بعد أن فطره على حُبِّ الكمال المطلق والإنجذاب إليه..

ولكن..

هل «الهداية الفطرية» كافيةٌ لتشخيص مصاديق الكمال المطلق أم لا؟.

## الجواب:

التمهيد: إنَّ معرفة مفهوم الظلم شيءٌ، وإنَّ تشخيص المصداق للظلم شيءٌ آخر – وقد سبق بيان هذا الأمر... وهذا ما أوقع الفطرة الإنسانية في الأزمة الاجتماعية والإنسانية، وبالتالي انعكس أثر هذه الأزمة على كل مناح الحياة، وتقرير الجواب في البيان الآتي، فيقول:

أولاً: إنَّ الإنسان لو حُلِّي ونفسه من دون أن يعيش أجواءً تلبسُ عليه الحقائق، وتسُدُّ عليه عين الفطرة؛ لساَر على الطريق الحق، ولوصل إلى هدفه المنشود.

ثانياً: نعم إنَّها حقيقةٌ لا مناص من الإلتزام بها والخضوع لها بالجملة وهي أن الإنسان:

١- غير قادر على تشخيص مصالحه بشكل مطلق.

٢- وغير قادر على تشخيص كلِّ ما يتعلق بهذه المصالح على أرض الواقع وبشكل مطلق.

٣- وغير قادر على معرفة الطريق الأسهل والأسرع إلى بلوغ هدفه وتحقيق غايته، والوصول إلى مصالحه الحقيقيَّة الصحيحة.

والسبب في ذلك يرجع إلى كون الإنسان غير واقف؛ وغير مطلع على طبيعة الإرتباط بين هذا العالم المادي وبين ذلك العالم الغيبي – وسيأتينا بعد قليل بيان هذه المسألة وكذا بيان أهمية هذا الأمر إن شاء الله تعالى –، فلذا نجد السماء قد تدخلت في مسيرة الإنسان التكاملية – من باب إرشاده، ومن باب إرجاعه – إلى صراط كماله الذي خرج عنه؛ للوصول إلى ذلك الكمال المطلق.

## ضرورة تدخل التشريع الإلهي:

وهذا يعني أن البشرية حينما وجدت نفسها أمام واقع لا مهرب لها منه؛ (وهو أزمة التشخيص للكمال المطلق الذي تنشده؛ وما يلازمها أيضاً؛ تدخلت السماء باعتبارها الواجدة للصفات التي تؤهلها للتدخل الصحيح، لتقدم الحلول التي

يحتاج إليها البشر في حياتهم الإجتماعية، وهذا ما سُمِّيَ بـ(الهداية التشريعية)، ونجد ملامح وبصمات هذا التدخل من خلال الصفة التي يتصف بها الخالق والموجد للكائنات وهي صفة ( الربوبية) وقد تم الكلام حولها سابقاً فراجع.

وهذه الصفة لا يمكن أن تنفك عن العناوين الإحدى عشر التي تقدم ذكرها، لكونها جميعاً تشكل الأساس العملي لقيادة الإنسان ولتقديم يد العون إليه، وهي التي تبين انحصار علاج المشكلة الإنسانية في الموجود الوحيد وهو «الخالق» المسمى «الله»، وفي الوقت نفسه تبين - مؤكدة - أنه لا أحد غيره سبحانه وتعالى يمتلك مثل هذه القابليات والصلاحيات لأجل حل علاج هذه المشكلة الإنسانية العويصة.

### خلاصة ما تقدم..

إن البشرية التي عانت الأمرين في حياتها.. لم تكن معاناتها إلا جزاءً متطلّبات فطرتها اللامتناهية في عالم متناهٍ في كل شيء، فكان لا بُدَّ من أن تُحلَّ إشكاليّتها، وتُعالج مشكلتها من قِبَل من يقدرُ على توفير المتطلّبات اللامتناهية في عالم متناهٍ، وهذا الأمر بحدِّ ذاته لا يمكن للإنسان أن يقوم به، بل يحتاج إلى من تتوفر فيه صفات الكمال المطلق.

ونظراً إلى أنّ الفطرة تُدرِك جيّداً مَنْ هو خالقها، لذا كان لسانُ حالها هو ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنُخْزَىٰ﴾ [طه/١٣٤].

وقال تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص/٤٧].

فلما كان الأمر كذلك.. حيث المعاناة من إشكالية معرفة المصداق للكمال المطلق، وحيث الإرتطام بواقع النظام الوجودي، كان ما يُعرَفُ بـ«قاعدة اللطف»، لإنارة البشرية بما ينبغي معرفته، وهذا ما حصل.. فإليك ذلك في البحوث الآتية من الفصل القادم إن شاء الله تعالى.



# معالم الحلول والعلاج السماوي للمشكلة الإنسانية

## المعالم الأساسية لرسالة السماء

### المقدمة:

عندما نقرأ دستور السماء المنزل إلى أهل الأرض؛ نجده يذكر في بنوده الأساسية مسائل من شأنها: -

١ - أن تغير نظرة الإنسان إلى الكون والحياة.

٢ - أن تغير مسيرة الإنسان في الحياة إلى الأفضل والأحسن والأكمل.

### الرؤية الأحادية:

لقد اعتادت البشرية على أن تنظر إلى عالم الطبيعة وكأنه هو الموجود الوحيد؛ وأنه لا شيء وراء هذه النشأة المادية، لذا أُصدِرَت على ضوء هذا المعطى القوانين والتشريعات الوضعية تحقيقاً للحياة الأفضل والأحسن والأكمل، وتشكّل بذلك دستور تحقيق «العدالة الإجتماعية» الوضعي.

### الرؤية الشاملة:

ولكن..

في مقابل هذه الرؤية الأحادية للعالم والوجود، كانت هناك رؤية أخرى، وهي رؤية قد بُنيت على أساس الرؤية الإندماجية الشاملة؛ ولنوضحها بشيءٍ من التفصيل..

إن السماء قد أوضحت في معطياتها الرسالية أموراً مهمّة جداً، وهي قد تتفق مع ما انتهى إليه القانون والتشريع الوضعي، وقد تختلف عنه إلى درجة تصل المخالفة فيها إلى التناقض التام؛ وهذا الاختلاف يضع الإنسان في موضع التأمل والتفكير في السؤال عن السبب والعلّة، وعن الذي تشريعه أرجح من الآخر.

كما أن السماء أوضحت في بيانها الأساسي (الذي يُعدُّ بياناً مختلفاً في مضامينه، ومفرداته، ومفاهيمه عمّا يعهده الإنسان بما يشاهده في حياته من حركة الطبيعة) أنّ من أهمّ الأسباب الكامنة:-

١- وراء انهيار المجتمعات والأمم والأفراد..

٢- ووراء عدم القدرة على الوصول إلى تحقيق «عدالة إجتماعية» شاملة..

٣- ووراء عدم القدرة على تحقيق «عدالة طبيعية»..

٤- ووراء عدم القدرة على تشخيص ما يحتاج إلى تشخيصه.

هو: تمحور النظرة إلى الكون والحياة في دائرة محدودة، وضيق الأفق سميت بدائرة «الدنيا» أو بدائرة «المادة» ومعطياتها فقط.

ولكن..

لأجل الوصول إلى تحقيق «السعادة المطلقة»؛ والوصول إلى الهدف الإجتماعي الرفيع؛ لا بد من أن تُعتمد النظرة للكون والحياة «المعالم الأساسية» لتحقيق «السعادة المطلقة»، ولتحقيق «الحضارة الإنسانية» الشاملة، ولتحقيق «العدالة المطلقة» في العالم كلّ، وهو الواقع الذي عليه حال العالم والوجود، وهذه «المعالم الأساسية» ليست من نسج الخيال والأوهام، وليست من الأمور المثالية التي ليس لها واقع، بل إنّها واقع مفروض، ولا يمكن تجاوزه؛ أو تهميشه؛ أو تغيبه عن حياة الإنسان وسلوكه، فهو فارض وجوده على الجميع، ولا نعدو الحقيقة إن قلنا بأنّ ما تقدمه السماء من معطيات وأحكام هو بقوة «المعادلة الرياضية».



ولكن.. السؤال هو:

وما هي هذه «المعالم الأساسية» لتحقيق ما ذكر؟!.

الجواب:

إن المعالم الأساسية التي تقدمها السماء في رسالتها المقدسة، وفي دستورها؛ هي كالآتي:-

المعلم رقم (١): أن الوجود كله يعتمد على أهم شيء وهو: «التوحيد»، (محورية التوحيد)

المعلم رقم (٢): أن هذه النشأة الدنيوية ليست سوى ممرٍ يعبره الإنسان ليصل إلى النشأة الأخرى، وهي هدفه وغايته، (الدنيا قنطرة إلى دار المقر).

المعلم رقم (٣): أن هناك ارتباطاً بين هذه النشأة وبين نشأة الآخرة، وأن هذا الارتباط ارتباط تكويني، (الرابطه التكوينية بين النشأتين).

المعلم رقم (٤): أن في هذه النشأة قانونين، هما (قانونا النشأة الدنيوية).

المعلم رقم (٥): أن هناك ارتباطاً بين هذين القانونين، وأن هذا الارتباط ارتباط تكويني، (الرابطه التكوينية بين القانونين)

المعلم رقم (٦): أن هناك يوماً يُسمى «يوم القيامة»، (نشأة الآخرة وأحكامها).

المعلم رقم (٧): أن هناك أحكاماً تشريعيةً تقنينيةً لحياة الإنسان، (القانون التشريعي).

المعلم رقم (٨): أن هذه الأحكام التشريعية والتقنينية السماوية قد أخذ في صياغتها، وفي دلالتها، وفي مفهومها، وفي مضمونها مراعاة المعلم (٣)، والمعلم (٥)، (الرابطه بين القانون التشريعي السماوي وبين القانونين والنشأتين).

فإلى تفصيل ما ذكر بعون الله تعالى..

## المعلم رقم (١) : محورية التوحيد

فكما اتضح سابقاً؛ أنّ جميع الكائنات، وجميع الممكنات ليست سوى مخلوقةٍ «لله» تعالى، وهنا نبين أمراً آخرًا وهو: أنّ هذه الكائنات على الإطلاق غير خاليةٍ من شعورٍ، فهي تشعر؛ وإن كان هذا الشعور متفاوتاً بين مخلوقٍ وآخرٍ.

ولمّا كانت هذه الكائنات شاعرةً بحالتها الإمكانية، المتضمنة للنقص الوجودي، وعارفةً من خلقها، فهي في ترابطٍ ووثاقٍ دائمٍ لازم عميقٍ بمن خلقها، فمن هنا كان محورها الأساسي هو «الله» تبارك وتعالى، فلا تنفك عن الدوران حول «واحديته»، ولا يمكنها الخروج عن محور «أحديته» فلا ترى هذه الكائنات جميلاً سواه، ولا ترى هذه الكائنات كاملاً سواه، بل لا ترى هذه الكائنات أحداً سواه.

ولا يُستثنى أمر التشريع من هذه الحقيقة، فلذا لمّا كان «التوحيد» روح هذا الوجود، فإنّ المعلم الذي ينبغي أن يكون محوره كما هو محور الكائنات هو: «التوحيد»، فيعدّ هذا المعلم الأساسَ للرسالة في الدستور السماوي.

إن الوجود كلّهُ متّجّهٌ نحو خالقه بكلِّ ما للكلمة من معنى، فالله سبحانه وتعالى قبلته، وهو سبحانه وتعالى هدف المخلوقات؛ وذلك لعدّة اعتباراتٍ منها:

١ - أنّ المخلوقات قد خرجت من فيض قدسه الأنور.

٢ - وأنها خرجت من فيضه الأقدس؛ فهي ترجع إليه في مسيرتها التكاملية.

٣ - أنّ «الله» تبارك وتعالى الوحيد في هذا الوجود المتصف بالكمال الحقيقي، وما هو سواه ليس سوى نقص وضعف وفقر، وما محور الضعف سوى القويّ، وما محور الفقر سوى الغنيّ، وما محور النقص سوى الكامل.

٤ - وأنّ هذا الضعف والفقر والإحتياج المطلق غير ممكن الزوال، فيظل مادّاً يده في لحظة من لحظات وجوده مستمداً منه سبحانه وتعالى قوته وغناه وكماله، فهو سبحانه وتعالى الممسك بأزمته لا غيره.

٥ - فيما أنه سبحانه وتعالى مبدء كل الكائنات، فهو سبحانه وتعالى أيضاً غايتها التي يسير إليه سيراً تكوينياً.

فبهذا نجد أنّ الوجود كلّ قائم على أساس التوجه إليه سبحانه وتعالى، وبمعنى آخر؛ أن الوجود كلّ وحدة في «أصله»، ووحدة في «إدارته»، ووحدة في «منظومته»، ووحدة في «توجهه»، ووحدة في «هدفه»، فهو قائم على محور واحد، ومركز واحد وهو «التوحيد».

والإنسان لم يُسْتَنْ من وحدة هذا العالم الضخم، وإذا كان فكّر البعض قادم إلى الانحراف عن المحور الكوني الوجودي؛ فإن هنا واقعاً لا يمكنه أن يتغاضى عنه وهو أنّ كلّ ما في هذا الإنسان المنكر من الموجودات من بدن وجلد ودم ومخّ وعين وفم وأذن وأنف ولسان وقدم وأسنان وقلب وخلايا وشرابين وأنسجة وأمعاء وشعر وشعيرات وغضاريف وأظافر وكلّ شيء فيه متّجه نحو قبلتها التي لا قبله في وجودها غيره سبحانه وتعالى، بل ولا نعدو الحقيقة إن قلنا.. بآئه: حتّى روحه وظلّه موحد واقعاً، وفي هذا جاء في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلِّلَهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾

[الرعد/ ١٥].

فلكي ينجح الإنسان في مساعيه لتحقيق ما يريده من الطبيعة والمخلوقات الأخرى من جهة؛ ومن اجتماعه ببني جنسه من جهة أخرى؛ عليه أن يسلك طريق قافلة الوجود، وإلا فإن مخالفة التيار، والمشية عكسه لا يوجبان سوى النصب والحرمان.

ومن هنا نجد أن من أهم مرتكزات نجاح الحياة الإجتماعية بل وحتى الفردية هو الإنطلاقة من محور الوجود، وأخذه مقياساً ومعياراً لكل ما يصادف في الطريق وفي الصراط؛ ومن دونه لن يتمكن الإنسان من حلّ مشكلاته، ومن تأسيس الحياة الحضارية، ومن تحقيق السعادة المطلقة.

المفارقة بين معلم التوحيد والقانون والتشريع الوضعي:

وفي هذه الزاوية نجد وجود مفارقة بين القانون الإلهي والتشريع الإلهي وبين

القانون الوضعي وتشريعاته، فإن القانون والتشريع الوضعي لا يضع للتوحيد أيّ حسابان، بل ولن تجد في صياغة نصوصها وجوداً له، نعم تكفي بعض البلدان بإعلان عن هويتها في دستورها، ومن ثم تكفي بإظهار ما أعلنته في بعض الشعائر المشهورة فقط، وأما أن يكون للتوحيد حضوراً في عالم تجارتها، وفي عالم سياستها، وفي عالم تربيتها وتعليمها، وفي عالم جامعاتها وكلياتها ومعاهدها، وفي عالم سوقها، وفي عالم دوائرها العامة، وفي عالم القطاعات الخاصة، وفي عالم المعاملات البنكية، وفي عالم اجتماعها، وفي عالم اجتماعاتها، وفي عالم حواراتها، وفي عالم إعلامها، وفي عالم ألعابها ورياضتها، وفي عالم مستشفياتها، وفي عالم نواديها، وفي عالم حقوقها، وفي عالم واجباتها، وفي عالم عقوباتها، وفي عالم جزائها، وفي عالم محاكمها، وفي عالم مؤاخذتها... إلخ؛ فإنّ كلّ هذا لمُغَيَّب في قاموسها إلى درجة وكأن هذه البلدان بلدان غير متمية إلى «التوحيد» من أصل!!، وكأنّها ليس لها خالق!!.

### السماء والتوحيد:

إن طرح السماء لمعلم التوحيد؛ وكأول معلم، وكمعلم أساسي وجوهري ومركزي ومحوري ليس على مستوى الاعتراف بالتوحيد شفاهةً، والإكتفاء به في دور العبادة فقط، بل إن طرح السماء من الأساس هو: أنه إذا أرادت المجتمعات الإنسانية أن تسعد في حياتها، وأن ترتقي مرتقى حضارتها، وأن تحقق هدف خلقها فعليها أن تُخلّل «التوحيد» في كلّ ما تقوم به من الحركات والسكنات، من أقوال وأفعال، في السر والجمهور، في الحالة الفرديّة والحالة الاجتماعيّة، من صغيرها إلى كبيرها، فلا تعتمد إلّا على معطيات التوحيد، ولا تبني علاقة ولا تهدمها إلّا على أساس التوحيد، ولا تربيّ الأبناء ولا تُعلّمهم إلّا على معارف التوحيد، ولا تقوم بأيّ نشاط أو أيّ عمل إلّا بناءً على متطلبات التوحيد، ولا تسن سنن الحقوق والواجبات إلّا على استحقاقات التوحيد.

إنّ من يريد نهوض الأفراد والمجتمعات لا بُدّ له من أن يعتمد على الأسس الواقعية (الموجودة في الكون والعالم) في حياته نظراً وعملاً، فإنه يسير بنفسه إلى

الهلاك والدمار، وأمّا الإبتعاد عن التوحيد، فإنّه لا يقود المرء إلى السعادة التي تريدها فطرة الإنسان، وهذا هو الواقع الذي على الإنسان مواجهته، والسير طبق أسسه ومعايره.

### متطلبات العالم والوجود:

أظن أن مثل هذه المفاهيم ستكون غريبة نوعاً ما على القارئ، أو جديدة عليه جدّاً، ولكنّ الحقيقة هي هذه، وما عليه سوى الخروج من عالم الغفلة لينظر إلى عالم الحقائق، ومن ثمّ يعرف متطلبات العالم والوجود؛ قبل أن ينظر إلى ما يعتبره البشر من متطلباتهم وحاجاتهم، فإن تلك النظرة ستغيّر من طبيعة تفكيره، وتنشئه شخصيّة استيعابيّة شموليّة، ومثل هذه الشخصية ستجد نفسها أمام كمّ هائل من الحقائق التي لها وجود في حياتنا وعالمنا، وستغير بدورها طبيعة حياته، وسلوكه وحينها سيجد المرء نفسه على صراط تحقيق السعادة والحضارة والتكامل. ولأننا في غفلة عن «التوحيد»، وبالتالي في غفلة عن آثاره الطيبة، فسنظلّ لا نصل إلى سعادتنا التي خلّقنا لأجلها، وإلى حضارتنا التي نحلم بها معشر البشر.

فلو أنّ «التوحيد» طبّق في العالم الخارجي بكلّ أبعاده، ودُرست مفاهيمه وبشكل صحيح، وفُعّلت معارفه في حياة الإنسان؛ الإجتماعيّة والفردية كما ينبغي لوصول الإنسان إلى هدفه، بل وبصورة سريعة غير متصورة، لأدرك كلّ ما يريده.

فهذه المفارقة تُعدّ من أهمّ المفارقات في تاريخ الشرايع الإنسانيّة، فكلاهما - التشريع السماوي والتشريع الوضعي - يُقدّم للإنسان مشاريع الحضارة وبناء السعادة وتحقيق الهدف، إلا أنّ كلّ واحدٍ منهما في ما يقدمه طرفٌ نقيضٍ للآخر، وهنا يطرح هذا التساؤل:

إذن..

- ما هو على الصواب؟!.

- وما هو المؤهل منهما ليرشدني، ويقودني، ويؤمّن لي سعادتِي وحضارتي؟!.

الجواب واضح جدّاً، فإنّ الذي يُقدّم للإنسان مشروعاً حضارياً متكاملًا هو

الأرجح، وهو المطلوب للفطرة، وهو المتعيّن دون غيره.

وكما تقدّم، نجد أنّ الواقفَ الوحيدَ على احتياجاتِ الفطرة هو خالقها، وأنّ الواقفَ الوحيدَ على متطلّباتِ الفطرة هو فاطرها، وأنّ الواقفَ الوحيدَ على العلاقة بين الخلياء في الوجود ليس إلّا «الله» سبحانه وتعالى، وفي المقابل نجد أنّ التجربة البشريّة - كما مرّ ذكرها - لم تصل إلى الآن إلى حلّ مشكلتها البشريّة، بل وهي في طور نموها، وتأريخ اليوم خير شاهد.

### الإعتراف بالواقعية:

إن التوحيد أمرٌ واقعي، وإنه محور الوجود؛ وهذا أيضاً أمرٌ واقعي، والواقعيّة هي التي تفرض واقعها على السلوك الإنساني، فلو حاول متوهماً أن يتجاوزها فلا يضرّ إلّا نفسه، إذ ليس بعد حافةِ الجبلِ إلّا الهاوية؟!، أفليست الهاوية واقعا؟!، وإذا أراد هذا الواقف على حافةِ الهاوية أن يتخيل أن لا وجود للهاوية، بل وأن لا وجود لحافةِ الجبل، وأقنع نفسه بأنّ الجبل لا يزال ممتداً، وإذا مشى طبق ما أوهم هذا الإنسان نفسه إلى ما بعد الحافة، فهل سينفعه توهمه في عدم الوقوع؟!، أم أنّ تَوْهْمَهُ سيُوجِدُ له أرضيّةً يمشي عليها?!.

وهكذا هو الحال في أمر التوحيد وارتباط الوجود به، فإنه مهما حاول المتخيل أو المتوهم أن يصور لنفسه عدم وجود «التوحيد»، وعدم وجود «الواحد الأحد»، أو صور لنفسه أن لا تأثير للتوحيد في الوجود، وأن لا رابطة بين الوجود والتوحيد والواحد الأحد؛ فإنه كالذي يوهم نفسه بانعدام الحافة وامتداد الأرضية على حافة الجبل، فلا يضرّ إلّا نفسه، إذ الواقع الذي لا مناصّ من الهروب منه، ولا مناص من الإعتراف به موجود، ومتحقق، فهو كالشمس الضاحية التي تثبت وجودها بإشعاعها على وجودها، ووجودها كما نعلم أمر واقعي لا خيالي أو توهّم.

### إثبات «التوحيد»:

إنّه لا شكّ ولا ريبَ في وجود «الخالق»، والأدلة العقلية التي انتهت إلى وجوده؛ فهي أيضاً انتهت إلى القول بـ «واحديته» و«أحديته»، والكتب التي تناولت

بحوث التوحيد كثيرة، فيمكن مراجعتها، وإنما نلجئ القارئ الكريم إلى ما ذكرناه في طيّ هذا الكتاب من كلام حول صفاته سبحانه وتعالى، فهي كافية للاستدلال على «التوحيد».

### تحقيق التوحيد في السلوك الفردي والإجتماعي:

إن السعادة التي تدعو إليها الأديان السماوية - كما تبين - مرتبطة في وجودها وتحققها في حياة الفرد والمجتمع بـ «التحقق» بـ «التوحيد» في الحياة الفردية والإجتماعية، وذلك بالتبس بصفاته سبحانه وتعالى في كل التصرفات والسلوك، وفي كل فكر وتفكير.

فالله تعالى حلیم؛ لأنّه «الحليم»، وهذا من صفاته وأسمائه، فعلى الإنسان كي يسعد في حياته، ويحقق حضارته التي يحلم بها:

١ - أن يتصف بهذه الصفة الجميلة في سلوكه ، وأن يترجم هذه الصفة في كل موافقه.

٢ - وأن يكون الإتصاف بها ليس لذات الصفة بما هي بل لأن خالقه «الكمال المطلق» متصف بها.

و«الحُلْمُ» مفردةٌ من مفرداتِ الكمال، فإذا نظرنا إليه وحدّه، فلا يأخذ وصف الإطلاق، ولكنّه عندما يُلحَظُ بلحاظِ الله تبارك وتعالى، فإنّه يأخذ وصف الكمال المطلق، وهذا ما تبحث عنه الفطرة الإنسانية.

وبناءً على هذا فقس ما سواه من الأسماء والصفات المنسوبة إلى الله تعالى، وهذا بالتحديد يحقق «التوحيد» الحقيقي والواقعي، وبه يتمكن الإنسان من تحقيق حلمه وسعادته.

الشواهد النصية<sup>(١)</sup> :

إن الشواهد القرآنية على أهمية «التوحيد» كثيرة جداً، بل لن نعدو الحقيقة إن قلنا بأن القرآن الكريم كله داع إلى «التوحيد»، فما معارفه الجميلة العالية العظيمة مهما بلغت شرافة ورتبة إلا وهي تدور حول هذا المحور الوجودي وهو: «التوحيد».

ونظراً إلى أهمية هذا الموضوع فقد وجدنا ضرورة إيراد عدد لا بأس به من الآيات في هذا الشأن، ووجدنا من الضروري الإكثار من إيراد الروايات الشريفة، والعلة من وراء ذكر هذا الكم من النصوص هي: التعرف على عدد تلكم النصوص التي تتناول هذا الموضوع، وعلى صياغاتها المختلفة تحقيقاً لهذا الغرض، وعلى الموارد التي وردت فيها هذه النصوص المباركة، كما أن اللفظ إذا وجد في أكثر من صيغة نصية فإنه... يُقَرَّبُ المعنى، ويرفع الإبهام، ويوسع المدارك حول الموضوع، ويدفع نوع الإشكال ويرفعه، ويخاطب مختلف الأذهان، ولمن يريد المزيد فيمكنه مراجعة كتاب الله تعالى والمصدر الروائية.

## الشواهد النصية :

## نصوص الثقل (١):

قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ \* هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ \* هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّهُ وَجَدَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة/ ١٦٣].

(١) سيجد القارئ الكريم إيرادنا لمجموعة كبيرة من الشواهد. والسبب يرجع إلى ضرورة وقوف الناس على ما ورد في النصوص الشريفة من بيانات لأجل تنظيم حياة الإنسان، وما مدى الاهتمام الذي أولته الشريعة المقدسة برجالها محمد وآل محمد ﷺ، ووجدنا في أمريكا تعطشاً (من قبل النخب والمفكرين بل وحتى بعض المهتمين بالمسائل الفكرية المتعلقة بمعارف الإسلام للنصوص الإسلامية المعتمدة، والتي تشكل بالنسبة لهم مصدراً للمعرفة الإسلام وشخصياته المحورية).



وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران/ ٦٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ﴾ [النساء/ ١٧١].

وقال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَاكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة/ ١٣٣].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران/ ٦].

وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران/ ١٨].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء/ ٨٧].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ابْنَ اللَّهِ ثَالِثُ ثُلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [المائدة/ ٧٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا أَنْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُخِي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ \* مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ \* إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تُعْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة/ ١١٦-١١٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ لِأُنذِرَكُمْ

بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَيْتَكُمْ لْتَشْهَدُوا أَنْتَ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَجِدُ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ ﴿[الأنعام/١٩].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَنَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مَنِ إِلَهٌُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظَرُ كَيْفَ نُصْرَفُ الْأَيْدِي تُمْرَهُمْ يَصْدِفُونَ ﴿[الأنعام/٤٦].

وقال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَدِّثُونَ فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ \* وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿[الأنعام/٧٩-٨١].

وقال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿[الأنعام/١٠٢].

وقال تعالى: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿[الأنعام/١٠٦].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿[الأعراف/٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَنْفِقُونَ ﴿[الأعراف/٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ تَكْؤْمٌ بَيْنَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يُسُوءَ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿[الأعراف/٧٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ تَكْؤْمٌ بَيْنَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿[الأعراف/٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مَوْسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ \* إِنَّ هَذِهِ آيَاتُ رَبِّكُمْ فَلَا تُغْوِيَكُم بِهِمْ سُلْعًا وَلَا دُجَاهًا \* فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا قَوْمِ لَئِن كُنْتُمْ عَادِلِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٣٨-١٤٠].

### نصوص الثقل (٢):

- رسول الله ﷺ: «التوحيد ظاهره في باطنه، وباطنه في ظاهره، ظاهره موصوف لا يرى، وباطنه موجود لا يخفى، يُطلب بكل مكان، ولم يخل منه مكان طرفه عين، حاضر غير محدود، وغائب غير مفقود»<sup>(١)</sup>.

- أمير المؤمنين عليه السلام: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ وَلَا يُحْصِي نِعْمَاءَهُ الْعَادُونَ وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بَعْدُ الْهَمَمُ وَلَا يَنَالُهُ غَوْضُ الْفُطْنِ الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ وَلَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ وَلَا وَقْتُ مَعْدُودٌ وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ وَنَشَرَ الرِّيَّاحَ بِرَحْمَتِهِ وَوَتَدَّ بِالصُّخُورِ مِيدَانَ أَرْضِهِ أَوَّلَ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ وَكَمَالَ مَعْرِفَتِهِ التَّصَدِيقُ بِهِ وَكَمَالَ التَّصَدِيقُ بِهِ تَوْحِيدُهُ وَكَمَالَ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ وَكَمَالَ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمُوصُوفِ وَشَهَادَةِ كُلِّ مُوصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَاهُ وَمَنْ ثَنَاهُ فَقَدْ جَزَّاهُ وَمَنْ جَزَّاهُ فَقَدْ جَهَلَهُ وَمَنْ جَهَلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ وَمَنْ قَالَ فِيهِ فَقَدْ ضَمَّنَهُ وَمَنْ قَالَ عَلَامَ فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ كَائِنًا لَا عَنْ حَدَثٍ مَوْجُودٍ لَا عَنْ عَدَمٍ مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ وَغَيْرِ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ فَاعِلٌ لَا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالْأَلَةِ بَصِيرٌ إِذْ لَا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ»<sup>(٢)</sup>.

- وقال عليه السلام: «وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ

(١) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: معاني الأخبار: ١٠.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١.

وَالْآخِرَ لَا غَايَةَ لَهُ لَا تَقَعُ الْأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ وَلَا تُعَقَّدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ وَلَا تَنَالُهُ التَّجَزُّؤَةُ وَالنَّبْعِيضُ وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ وَالْقُلُوبُ»<sup>(١)</sup>.

- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِمًا دَائِمًا إِذْ لَا سَمَاءَ ذَاتُ أَبْرَاجٍ وَلَا حُجُبَ ذَاتُ إِرْتَاجٍ وَلَا لَيْلٌ دَاحٍ وَلَا بَحْرٌ سَاجٍ وَلَا جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ وَلَا فَجٌّ ذُو اِعْوَجَاجٍ وَلَا أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ وَلَا خَلْقٌ ذُو اِعْتِمَادٍ ذَلِكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ وَوَارِثُهُ وَإِلَهُ الْخَلْقِ وَرَازِقُهُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِهِ يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ وَيُقَرَّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ وَأَحْصَى آثَارَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ وَعَدَدَ أَنْفُسِهِمْ وَخَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ الصَّمِيرِ وَمُسْتَفْرَهُمْ وَمُسْتَوَدَعَهُمْ مِنَ الْأَرْحَامِ وَالظُّهُورِ إِلَى أَنْ تَتَنَاهَى بِهِمُ الْغَايَاتُ»<sup>(٢)</sup>.

- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ وَالْآخِرِ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ وَبِأَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا أَوَّلَ لَهُ وَبِآخِرِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا آخِرَ لَهُ»<sup>(٣)</sup>.

- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ غَنَى كُلِّ فَقِيرٍ وَعَزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ وَقُوَّةٌ كُلِّ ضَعِيفٍ وَمَفْرَعٌ كُلِّ مَلْهُوفٍ مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نَطْقَهُ وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ وَمَنْ عَاشَ فَعَلِيَّتُهُ رِزْقُهُ وَمَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلِبُهُ لَمْ تَرَكَ الْعُيُونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لَوْحَشَتِهِ وَلَا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَتِهِ وَلَا يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ وَلَا يُفْلِتُكَ مَنْ أَخَذْتَ وَلَا يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ وَلَا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ وَلَا يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ وَلَا يَسْتَعْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ وَكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ أَنْتَ الْأَبَدُ فَلَا أَمَدَ لَكَ وَأَنْتَ الْمُتَمَتِّهِىَ فَلَا مَحِيصَ عَنْكَ وَأَنْتَ الْمَوْعِدُ فَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ»<sup>(٤)</sup>.

- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ وَبِمُحَدَثِ خَلْقِهِ عَلَى أَرْزَلِيَّتِهِ

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ٨٥.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة: ٩٠.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة: ١٠١.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة: ١٠٩.

وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ لَا تَسْتَلِمُهُ الْمَشَاعِرُ وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ لِافْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَالْمَصْنُوعِ وَالْحَادِّ وَالْمَحْدُودِ وَالرَّبِّ وَالْمَرْبُوبِ الْأَحَدِ بِلَا تَأْوِيلٍ عَدَدٍ وَالْخَالِقِ لَا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ وَالسَّمِيعِ لَا بِأَدَاةٍ وَالْبَصِيرِ لَا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ وَالشَّاهِدِ لَا بِمِمَّا سَتِهَا وَالْبَائِنِ لَا بِتَرَاحِيهِ مَسَافَةٍ وَالظَّاهِرِ لَا بِرُؤْيَاةٍ وَالْبَاطِنِ لَا بِلَطَافَةٍ بَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا وَالْقُدْرَةَ عَلَيْهَا وَبَانَتِ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ مِنْ وَصْفِهِ فَقَدْ حَدَّهُ وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَرْزَلَهُ وَمَنْ قَالَ كَيْفَ فَقَدْ اسْتَوْصَفَهُ وَمَنْ قَالَ أَيْنَ فَقَدْ حَيَّرَهُ عَالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومٌ وَرَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبٌ وَقَادِرٌ إِذْ لَا مَقْدُورٌ»<sup>(١)</sup>.

- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْعِبَادِ وَسَاطِحِ الْمِهَادِ وَمُسِيلِ الْوَهَادِ وَمُخْصِبِ النَّجَادِ لَيْسَ لِأَوْلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ وَلَا لِأَزْلِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ هُوَ الْأَوَّلُ وَلَمْ يَزَلْ وَالْبَاقِي بِلَا أَجَلٍ خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ وَوَحَّدَتْهُ الشُّفَاهُ حَدَّ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةٌ لَهُ مِنْ شَبَهِهَا لَا تُقَدَّرُهُ الْأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ وَالْحَرَكَاتِ وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَدَوَاتِ لَا يُقَالُ لَهُ مَتَى وَلَا يُضْرَبُ لَهُ أَمْدٌ بِحَتَّى الظَّاهِرِ لَا يُقَالُ مِمَّ وَالْبَاطِنِ لَا يُقَالُ فِيهِمْ لَا شَبَحٌ فَيَتَفَصَّى وَلَا مَحْجُوبٌ فَيُحْوَى لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالتِّصَاقِ وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاقٍ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شَخُوصٌ لِحِظَةٍ وَلَا كُرُورٌ لَفِظَةٍ وَلَا اِزْدِلَافٌ رُبُوبَةٍ وَلَا انْسِاطٌ خُطُوبَةٍ فِي لَيْلٍ دَاجٍ وَلَا عَسَقٍ سَاجٍ يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ وَتَعْتَبُهُ الشَّمْسُ ذَاتُ التُّورِ فِي الْأَفْوَالِ وَالْكُرُورِ وَتَقْلِبُ الْأَزْمِنَةَ وَالذُّهُورِ مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلِ وَإِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرِ قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ وَمُدَّةٍ وَكُلِّ إِخْصَاءٍ وَعِدَّةٍ تَعَالَى عَمَّا يَنْحَلُهُ الْمُحَدِّثُونَ مِنْ صِفَاتِ الْأَقْدَارِ وَنَهَايَاتِ الْأَقْطَارِ وَتَأْتِلِ الْمَسَاكِينِ وَتَمَكِّنِ الْأَمَاكِينَ فَالْحَدُّ لِحَلْقِهِ مَضْرُوبٌ وَإِلَى غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ»<sup>(٢)</sup>.

- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ وَلَا تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ وَلَا تَرَاهُ النَّوَاطِرُ وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ الدَّالُّ عَلَى قَدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى وُجُودِهِ وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ الَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ وَارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ وَقَامَ بِالْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ مُسْتَشْهَدٌ بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٥٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٦٣.

عَلَى أَرْلِيَّتِهِ وَبِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ وَبِمَا اضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ وَاحِدٌ لَا بَعْدَ وَدَائِمٌ لَا بَأْمَدٍ وَقَائِمٌ لَا بَعَمَدٍ تَتَلَقَّاهُ الْأَذْهَانُ لَا بِمُشَاعِرَةٍ وَتَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِي لَا بِمُحَاضِرَةٍ لَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا وَبِهَا اِمْتَنَعَ مِنْهَا وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا لَيْسَ بِيْذِي كَبُرَ اِمْتَدَّتْ بِهِ النَّهَائِيَّاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيمًا وَلَا بِذِي عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَمْتُهُ تَجْسِيدًا بَلْ كَبُرَ شَأْنًا وَعَظُمَ سُلْطَانًا»<sup>(١)</sup>.

- وَقَالَ عليه السلام: «مَا وَحَدَّهُ مِنْ كَيْفِهِ وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَلَهُ وَلَا إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ وَلَا صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَغْلُوبٌ فَاعِلٌ لَا بِاضْطِرَابِ آلَةٍ مُقَدَّرٌ لَا بِجَوْلِ فِكْرَةٍ غَنِيٍّ لَا بِاسْتِفَادَةٍ لَا تَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ وَلَا تَرْفُدُهُ الْأَدَوَاتُ سَبَقَ الْأَوْقَاتُ كَوْنُهُ وَالْعَدَمُ وَجُودُهُ وَالْإِبْتِدَاءُ أَرْزُلُهُ بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ ضَادَّ الثُّورِ بِالظُّلْمَةِ وَالْوُضُوحِ بِالْبُهْمَةِ وَالْجُمُودِ بِالْبَلَلِ وَالْحُرُورِ بِالصَّرْدِ مُؤَلَّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا مُقَارَنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا مُقَرَّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا مُفْرَقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا لَا يُشْمَلُ بَحْدٌ وَلَا يُحَسَبُ بَعْدٌ وَإِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا وَتُشِيرُ الْأَلَاتُ إِلَى نَظَائِرِهَا مَنَعَتْهَا مِنْذُ الْقِدْمَةِ وَحَمَّتْهَا قَدَّ الْأَرْلِيَّةِ وَجَنَّبَتْهَا لَوْلَا التَّكْمِلَةُ بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ وَبِهَا اِمْتَنَعَ عَنِ نَظَرِ الْعُيُونِ وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ السُّكُونُ وَالْحَرَكَةُ وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ وَيَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثُهُ إِذَا تَلَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ وَلَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ وَلَا مَتْنَعُ مِنَ الْأَرْزَلِ مَعْنَاهُ وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءَهُ إِذْ وَجَدَ لَهُ أَمَامَهُ وَلَا لَتَمَسَّ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ التَّقْصَانُ وَإِذَا لَقَامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ وَلَتَحَوَّلَ دَلِيلًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولًا عَلَيْهِ وَخَرَجَ بِسُلْطَانِ الْاِمْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثَّرَ فِيهِ مَا يُؤَثَّرُ فِي غَيْرِهِ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْأَقُولُ لَمْ يَلِدْ فَيَكُونُ مَوْلُودًا وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُودًا جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ وَطَهَّرَ عَنِ مَلَامَسَةِ النِّسَاءِ لَا تَنَالُهُ الْأَوْهَامُ فَتَقْدِرُهُ وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطْنُ فَتَصَوِّرُهُ وَلَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتَحْسِسُهُ وَلَا تَلْمِسُهُ الْأَيْدِي فَتَمَسُّهُ وَلَا يَنْغَيِّرُ بِحَالٍ وَلَا يَتَبَدَّلُ فِي الْأَحْوَالِ وَلَا تُبْلِيهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ وَلَا يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظَّلَامُ وَلَا يُوصِفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ وَلَا

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٨٥.

بِعَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ وَلَا بِالْغَيْرِيَّةِ وَالْأَبْعَاضِ وَلَا يُقَالُ لَهُ حَدٌّ وَلَا نِهَآيَةٌ وَلَا انْقِطَاعٌ وَلَا غَايَةٌ وَلَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ فَتَقْلَهُ أَوْ تُهْوِيهِ أَوْ أَنَّ شَيْئًا يَحْمِلُهُ فِيمِلُهُ أَوْ يُعَدِّلُهُ لَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ بَوَالِجٍ وَلَا عَنْهَا بَخَارٍ يُخْبِرُ لَا بِلِسَانٍ وَلِهَوَاتٍ وَيَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَأَدْوَاتٍ يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ وَيَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفَظُ وَيُرِيدُ وَلَا يُضْمِرُ يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ وَيُبْغِضُ وَيَعْضِبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ كُنْ فَيَكُونُ لَا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ وَلَا بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ وَإِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ وَمِثْلُهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَأَنَّا وَلَوْ كَانَ قَدِيمًا لَكَانَ إِلَهًا ثَانِيًا لَا يُقَالُ كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَتَجْرِي عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحَدَّثَاتُ وَلَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَضْلٌ وَلَا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ فَيَسْتَوِي الصَّانِعُ وَالْمَصْنُوعُ وَيَتَكَافَأُ الْمُتَبَدِّعُ وَالْبَدِيعُ خَلَقَ الْخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ وَأَنْشَأَ الْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اسْتِغَالٍ وَأَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمٍ وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمٍ وَحَصَّنَهَا مِنَ الْأَوْدِ وَالْإِعْوَجَاجِ وَمَنَعَهَا مِنَ التَّهَافُتِ وَالْإِنْفِرَاجِ أَرْسَى أَوْتَادَهَا وَضَرَبَ أَسْدَادَهَا وَاسْتَفَاضَ عُيُونَهَا وَخَدَّ أَوْدِيَّتَهَا فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ وَلَا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ وَهُوَ الْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَالْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلَالِهِ وَعِزَّتِهِ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبَهُ وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيَغْلِبُهُ وَلَا يَفُوتُهُ السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقُهُ وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى ذِي مَالٍ فَيَرْزُقُهُ خَضَعَتِ الْأَشْيَاءُ لَهُ وَذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ لَا تَسْتَطِيعُ الْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعَ مِنْ نَفْعِهِ وَضَرَّهُ وَلَا كُفَاءَ لَهُ فَيُكَافِئُهُ وَلَا نَظِيرَ لَهُ فَيَسَاوِيهِ هُوَ الْمُفْنِي لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودَهَا كَمَفْقُودِهَا وَلَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا وَاخْتِرَاعِهَا وَكَيْفَ وَلَوْ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا وَمَا كَانَ مِنْ مَرَاحِهَا وَسَائِمِهَا وَأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا وَأَجْنَاسِهَا وَمُتَبَدِّلَةِ أُمَّمِهَا وَأَكْيَاسِهَا عَلَى إِحْدَاثِ بَعْضِ مَا قَدَرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا وَلَا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلِ إِلَى إِيجَادِهَا وَلِتَحْيِرَتْ عُقُولُهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَتَاهَتْ وَعَجَزَتْ قُورَاهَا وَتَنَاهَتْ وَرَجَعَتْ حَاسِئَةً حَسِيرَةً عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ مُقَرَّرَةٌ بِالْعَجْزِ عَنِ إِنْشَائِهَا مُدْعِنَةٌ بِالضَّعْفِ عَنِ إِنْفَائِهَا وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحُدَّهُ لَا شَيْءَ مَعَهُ كَمَا كَانَ قَبْلَ ابْتِدَائِهَا كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا بَلَا وَقْتٍ وَلَا مَكَانٍ وَلَا حِينٍ وَلَا زَمَانَ عُدِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْأَجَالِ وَالْأَوْقَاتِ وَزَالَتِ السَّنُونَ وَالسَّاعَاتُ فَلَا شَيْءَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الَّذِي

إِلَيْهِ مَصِيرٌ جَمِيعُ الْأُمُورِ بِلَا قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ ابْتِدَاءُ خَلْقِهَا وَبَغَيْرِ امْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَاءُهَا وَلَوْ قَدَرَتْ عَلَى الْاِمْتِنَاعِ لِدَامَ بَقَاؤُهَا لَمْ يَتَكَأَذْهُ صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ وَلَمْ يُوذَّهِ مِنْهَا خَلْقُ مَا خَلَقَهُ وَبَرَأَهُ وَلَمْ يَكُونْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ وَلَا لِخَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ وَنُقْصَانٍ وَلَا لِلاِسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى نَدِّ مُكَاتِرٍ وَلَا لِلاِخْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدِّ مُثَاوِرٍ وَلَا لِلاِزْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِهِ وَلَا لِلمُكَاتَرَةِ شَرِيكَ فِي شِرْكِهِ وَلَا لِوَحْشَةِ كَانَتْ مِنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا لَا لِسَامٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَصْرِيفِهَا وَتَدْبِيرِهَا وَلَا لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ وَلَا لِثِقَلٍ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ لَا يُمِلُّهُ طُولُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا بِلَطْفِهِ وَأَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ وَأَتَقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا وَلَا اسْتِعَانَةَ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا وَلَا لِانْصِرَافٍ مِنْ حَالٍ وَحْشَةٍ إِلَى حَالٍ اسْتِئْثَاسٍ وَلَا مِنْ حَالٍ جَهْلٍ وَعَمَى إِلَى حَالٍ عِلْمٍ وَالتَّمَاسِ وَلَا مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ إِلَى غِنَى وَكَثْرَةٍ وَلَا مِنْ ذُلٍّ وَضَعَةٍ إِلَى عِزٍّ وَقُدْرَةٍ»<sup>(١)</sup>.

- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ولو ضربت في مذاهب ففكر لتبلغ غاياته ما دلتك الدلالة إلا على أن فاطر النملة هو فاطر النخلة (النحلة)، لدقيق تفصيل كل شيء، وغامض اختلاف كل حي (شيء)، وما الجليل واللطيف والثقيل والخفيف والقوي والضعيف في خلقه إلا سواء...»<sup>(٢)</sup>.

- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - في وصيته لابنه الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ -: «... واعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكنه إلهٌ واحدٌ كما وصف نفسه، لا يُضَادُّهُ فِي مَلِكِهِ أَحَدٌ، وَلَا يَزُولُ أَبَدًا...»<sup>(٣)</sup>.

- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفته توحيده، ونظام توحيده نفي الصفات عنه؛ لشهادة العقول أن كل صفة وموصوف مخلوق، وشهادة كل مخلوق أن له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف، وشهادة كل صفة وموصوف بالاقتران، وشهادة الاقتران بالحدث، وشهادة الحدث بالامتناع من الأزل الممتنع من حدثه.

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٨٦.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٨٥.

(٣) نهج البلاغة: من وصية له لابنه الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ: الرقم: ٣١.



فليس الله عرف من عرف ذاته، ولا له وحّد من نهاه، ولا به صدّق من مثّله، ولا حقيقته أصاب من شبّهه، ولا إياه أراد من توهمّه، ولا له وحّد من اكتنّهه، ولا به آمن من جعل له نهاية، ولا صمده من أشار إليه، ولا إياه عنى من حدّه، ولا له تذلل من بعّضه، كل قائم بغيره مصنوع، وكل موجود في سواه معلول، بصنع الله يستدل عليه، وبالقول تعتقد معرفته، وبالفكرة تثبت حجته، وبآياته احتج على خلقه، خلق الله الخلق فعلق حجاباً بينه وبينهم؛ فمباينته إياهم مفارقتة إنيتهم، وإيداؤه إياهم شاهد على [ أن ] لا أداة فيه، لشهادة الأدوات بفاقة المؤدّين، وابتداؤه إياهم دليل على أن لا ابتداء له، لعجز كل مبتدأ عن إبداء غيره.

أسماؤه تعبير، وأفعاله تفهيم، وذاته حقيقة، وكنهه تفرقة بينه وبين خلقه.

قد جهل الله من استوصفه، وتعداه من مثله، وأخطأه من اكتنّهه فمن قال: أين فقد بواه، ومن قال: فيم فقد ضمنه، ومن قال: إلى م فقد نهاه، ومن قال: لِمَ فقد علله، ومن قال: كيف فقد شبّهه، ومن قال: إذ فقد وقته، ومن قال: حتى فقد غياه؛ ومن غياه فقد جزأه؛ ومن جزأه فقد وصفه؛ ومن وصفه فقد ألد فيه؛ ومن بعضه فقد عدل عنه، لا يتغير الله بتغيير المخلوق، كما لا يتحدّد بتحديد المحدود، أحد لا بتأويل عدد، صمد لا بتبعيض بدد، باطن لا بمداخله، ظاهر لا بمزايله، متجلّ لا باشمال رؤية، لطيف لا بتجسم، فاعل لا باضطراب حركة، مقدر لا بجول فكرة، مدبر لا بحركة، سميع لا بألة، بصير لا بأداة، قريب لا بمداناة، بعيد لا بمسافة، موجود لا بعد عدم.

لا تصحبه الأوقات، ولا تتضمنه الأماكن، ولا تأخذ السّنات ولا تحدّه الصفات، ولا تقيده الأدوات.

سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده، والابتداء أزله.

بتشعيره المشاعر عليم أن لا مشعر له، وبتجهيره الجواهر عليم أن لا جوهر له، وبانشائه البرايا عليم أن لا منشأ له، وبمضادّته بين الأمور عرف أن لا ضدّ له، وبمقارنته بين الأشياء عليم أن لا قرين له، ضادّ النور بالظلمة، والوضوح بالبهمة،

والجمودَ بالبَلَلِ، والحرورَ بالصَّرَدِ، مؤلفاً بين متعادياتها، مقارن بين متبايناتها، دالة بتفريقها على مفرقها؛ وبتأليفها على مؤلفها، جعلها سبحانه دلائل على ربوبيته، وشواهد على غييبته، ونواطق عن حكمته، إذ ينطق تكونهن علي حدثهن، ويخبرن بوجودهن عن عدمهن، وينبئن بتنقلهن عن زوالهن، ويُعلنن بأفولهن أن لا أفول لخالقهن؛ وذلك قوله جل ثناؤه: ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

ففرق بين هاتين: قبل وبعد، ليعلم أن لا قبل [له] ولا بعد، شاهد بغرائزها أن لا غريزة لمغرزها، دالة بتفاوتها أن لا تفاوت في مفاوتها، مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لموقيتها، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه وبينها.

ثبت له معنى الربوبية إذ لا مربوب، وحقيقة الألوهية ولا مألوه، وتأويل السمع ولا مسموع، ومعنى العلم ولا معلوم، ووجوب القدرة ولا مقدور عليه.

ليس مذ خلق الخلق استحق اسم الخالق، ولا بإحداثه البرايا استحق اسم البارئ، فرقها لا من شيء، وألفها لا بشيء، وقدَّرها لا باهتمام.

لا تقع الأوهام على كنهه، ولا تحيط الأفهام بذاته، ولا يوقته (متى) ولا تدنيه (قد) ولا تحجبه (لعل) ولا تقارنه (مع) ولا تشتمله (هو).

إنما تُحدِّد الأدوات أنفسها، وتشير الآلة إلى نظائرها، وفي الأشياء توجد أفعالها، وعن الفاقة تخبر الأدوات، وعن الضدِّ يُخبرُ التضادُّ، وإلى شبهه يولي الشبيه، ومع الأحداث أوقاتها، وبالأسماء تفرق صفاتها، ومنها فصلت قرائنها، وإليها آلت أحداثها، منعتها (مذ) القدمة، وحمتها (قد) الأزلية، ونفت عنها (لولا) الجبرية.

إفترقت فدلَّت على مفرقها، وتباينت فأعربت عن مباينها، بها تجلى صانعها للعقول، وبها احتجب عن الرؤية، وإليها تحاكم الأوهام، وفيها أثبتت العبرة، ومنها أنيط الدليل [و] بالعقول يعتقد التصديق باللَّه، وبالإقرار يكون الايمان.

لا دين إلا بمعرفة، ولا معرفة إلا بتصديق، ولا تصديق إلا بتجريد التوحيد، ولا توحيد إلا بالإخلاص، ولا إخلاص مع التشبيه، ولا نفي مع إثبات الصفات، ولا تجريد إلا باستقصاء النفي كله.

إثبات بعض التشبيه يوجب الكل، ولا يستوجب كل التوحيد ببعض النفي دون الكل.

والإقرار نفي الإنكار، ولا ينال الإخلاص بشيءٍ من الإنكار، كل موجود في الخلق لا يوجد في خالقه، وكل ما يمكن فيه يمتنع في صانعه، لا تجري عليه الحركة، ولا يمكن فيه التجزئة، ولا الإتصال، وكيف يجري عليه ما هو أجراه؟؛ ويعود عليه ما هو ابتداه؟؛ ويحدث فيه ما هو أحدثه؟؛ إذا لتفاوتت ذاته، ولتجزأ كنهه، ولا تمتنع من الأزل معناه، ولما كان للأزل معنى إلا معنى الحدث، ولا للبارئ [معنى] إلا معنى المبروء، لو كان له وراء لكان له أمام، ولا التمس التمام إذ لزمه النقصان !!!، وكيف يستحق اسم الأزل من لا يمتنع من الحدث؟، وكيف يستأهل الدوام من تنقله الأحوال والأعوام؟، وكيف ينشئ الأشياء من لا يمتنع من الأشياء؟؛ إذا لقامت فيه آلة المصنوع، ولتحول دليلاً بعد أن كان مدلولاً عليه، ولاقترنت صفاته بصفات ما دونه، ليس في محال القول حجة، ولا في المسألة عنها جواب<sup>(١)</sup>.

- الإمام محمد الباقر عليه السلام: «الأحد الفرد المتفرد، والأحد والواحد بمعنى واحد، وهو المتفرد الذي لا نظير له، والتوحيد الإقرار بالوحدة وهو الإنفراد، والواحد المتباين الذي لا ينبعث من شيء، ولا يتحد بشيء، ومن ثم قالوا: إن بناء العدد من الواحد، وليس الواحد من العدد، لأن العدد لا يقع على الواحد بل يقع على الإثنين، فمعنى قوله: (الله أحد): المعبود الذي يأله الخلق عن إدراكه، والإحاطة بكيفيته، فرد بالهيته، متعال عن صفات خلقه»<sup>(٢)</sup>.

- عن هشام بن الحكم في حديث الزنديق الذي أتى أبا عبد الله عليه السلام وكان من قول أبي عبد الله عليه السلام: «لا يخلو قولك: إنهما اثنان من أن يكونا قديمين قويين أو يكونا ضعيفين أو يكون أحدهما قوياً والآخر ضعيفاً، فإن كانا قويين فلم لا يدفع كل واحد منهما صاحبه ويتفرد بالتدبير؟! وإن زعمت أن أحدهما قوي والآخر ضعيف ثبت أنه واحد كما نقول، للعجز الظاهر في الثاني، فإن قلت: إنهما اثنان لم

(١) المحمودي: الشيخ محمد باقر: نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة: ٣: ٤٣ - ٥٤.

(٢) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: التوحيد: ٩٠.

يخل من أن يكونا متفقين من كل جهة، أو مفترقين من كل جهة، فلما رأينا الخلق منتظماً، والفلك جاريًا، (واختلاف) الليل والنهار والشمس والقمر، دل صحة الأمر والتدبير وائتلاف الأمر على أن المدبر واحد، ثم يلزمك إن ادعيت اثنين فلا بدّ من فرجة بينهما حتى يكونا اثنين، فصارت الفرجة ثالثاً بينهما قديماً معهما فيلزمك ثلاثة، فإن ادعيت ثلاثة لزمك ما قلنا في الاثنين حتى يكون بينهم فرجتان فيكون خمسا، ثم يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية في الكثرة.

قال هشام: فكان من سؤال الزنديق أن قال: فما الدليل عليه؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام: وجود الأفاعيل دلت على أن صانعاً صنعهما ألا ترى أنك إذا نظرت إلى بناء مشيد مبني علمت أن له بانياً وإن كنت لم تر الباني ولم تشاهده.

قال: فما هو؟

قال: شئ بخلاف الأشياء ارجع بقولي إلى إثبات معنى وأنه شيء بحقيقة الشئية غير أنه لا جسم ولا صورة ولا يحس ولا يحبس ولا يدرك بالحواس الخمس، لا تدركه الأوهام ولا تنقصه الدهور ولا تغيره الأزمان<sup>(١)</sup>.

– وَقَالَ عليه السلام – لما سئل عن الدليل على أن الله واحد؟ -: «إتصال التدبير، وتمام الصنع، كما قال الله عز وجل: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾»<sup>(٢)</sup>.

– الإمام جعفر الصادق عليه السلام في رسالته المعروفة بـ«الأهليجية» التي كتبها إلى المفضل بن عمر وذكر فيها احتجاجه في إثبات الصانع تعالى على الطبيب الهندي قال عليه السلام: قلت: أفنقّر بأن الله خلق الخلق أم قد بقي في نفسك شيء من ذلك؟

قال: إني من ذلك على حد وقوف ما أتخلص إلى أمر ينفذ لي فيه الأمر.

قلت: أمّا إذا أبيت إلا الجهالة وزعمت أن الأشياء لا تُدرَك إلا بالحواس فإنني

(١) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ١: ٨٠ - ٨١.

(٢) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: التوحيد: ٢٥٠.

أخبرك أنه ليس للحواس دلالة على الأشياء ولا فيها معرفة إلا بالقلب، فإنه دليلها ومعرّفها الأشياء التي تدعي أن القلب لا يعرفها إلا بها.

فقال: أمّا إذا نطقت بهذا فما أقبل منك إلا بالتخليص والتفحص منه بإيضاح وبيان وحبّة وبرهان.

قلت: فأول ما أبدأ به أنك تعلم أنه ربما ذهبت الحواس أو بعضها ودبّر القلب للأشياء التي فيها المصرة والمنفعة من الأمور العلانية والخفية فأمر بها ونهى، فنفذ فيها أمره وصحّ فيها قضاؤه.

قال: إنك تقول في هذا قولاً يشبه الحجّة، ولكنّي أحبّ أن توضحه لي غير هذا الإيضاح.

قلت: ألسنت تعلم أنّ القلب يبقى بعد ذهاب الحواسّ؟

قال: نعم، ولكن يبقى بغير دليل على الأشياء التي تدلّ عليها الحواسّ.

قلت: فلست تعلم أن الطفل تضعه أمّه مضغّة ليس تدلّه الحواسّ على شيء يسمع ولا يبصر ولا يذاق ولا يلمس ولا يشمّ؟

قال: بلى.

قلت: فأية الحواسّ دلّته على طلب اللبن إذا جاع، والضحك بعد البكاء إذا روي من اللبن، وأي حواسّ سباع الطير ولا قط الحبّ منها دلّها على أن تلقي بين أفرانها اللحم والحبّ فتأوي سباعها إلى اللحم والآخرين إلى الحبّ؟

وأخبرني عن فراخ طير الماء ألسنت تعلم أنّ فراخ طير الماء إذا طرحت فيه سبحت وإذا طرحت فيه فراخ طير البرّ غرقت والحواسّ واحدة، فيكيف انتفع بالحواسّ طير الماء وأعانتته على السباحة ولم ينتفع طير البرّ في الماء بحواسها؟ وما بال طير البرّ إذا غمستها في الماء ساعة ماتت وإذا أمسكت طير الماء عن الماء ساعة ماتت؟ فلا أرى الحواسّ في هذا إلا منكسراً عليك، ولا ينبغي ذلك أن يكون إلا من مدبّر حكيم جعل للماء خلقاً وللبرّ خلقاً.

أم أخبرني ما بال الذرة التي لا تعين الماء قط تُطْرَحُ في الماء فتسبح وتلقي الانسان ابن خمسين سنة من أقوى الرجال وأعقلهم لم تتعلم السباحة فيغرق كيف لم يدله عقله ولبته وتجاربه وبصره بالأشياء مع اجتماع حواسه وصحتها أن يدرك ذلك بحواسه كما أدركته الذرة، إن كان ذلك إنما يُدْرِكُ بالحواس؟، أفليس ينبغي لك أن تعلم أن القلب الذي هو معدن العقل في الصبي الذي وصفت وغيره مما سمعت من الحيوان هو الذي يهيج الصبي إلى طلب الرضاع والطيء اللاقط على لقط الحب والسباع على ابتلاع اللحم؟!

قال: لست أجد القلب يعلم شيئاً إلا بالحواس.

قلت: أما إذا أبيت إلا النزوع إلى الحواس فإننا نقبل نزوعك إليها بعد رفضك لها ونجيبك في الحواس حتى يتقرَّرَ عندك أنها لا تعرف من سائر الأشياء إلا الظاهر ممَّا هو دون الربِّ الأعلى سبحانه وتعالى، فأما ما يخفى ولا يظهر فلست تعرفه.

وذلك أن خالق الحواس جعل لها قلباً احتجَّ به على العباد، وجعل الحواس الدلالات على الظاهر الذي يستدلُّ بها على الخالق سبحانه، فنظرت العين إلى خلق متصل بعضه ببعض فدلت القلب على ما عاينت، وتفكر القلب حين دلته العين على ما عاينت من ملكوت السماء وارتفاعها في الهواء بغير عمد يرى ولا دعائم تمسكها، لا تؤخر مرةً فتتكشط، ولا تقدم أخرى فتزول، ولا تهبط مرةً فتدنو، ولا ترتفع أخرى فتناى، لا تتغير لطول الأمل (الأجل) ولا تخلق لاختلاف الليالي والأيام، ولا يتداعى منها ناحية، ولا ينهار منها طرف، مع ما عاينت من النجوم الجارية السبعة المختلفة بمسيرها لدوران الفلك وتنقلها في البروج يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر وسنةً بعد سنة، منها السريع ومنها البطيء ومنها المعتدل السير، ثم رجوعها واستقامتها وأخذها عرضاً وطولاً وخنوسها عند الشمس وهي مشرقة وظهورها إذا غربت، وجري الشمس والقمر في البروج دائبين لا يتغيران في أزمنتها وأوقاتها، يعرف ذلك من يعرف بحساب موضوع وأمر معلوم بحكمته، يعرف ذوو الأبواب أنها ليست من حكمة الانس ولا تفتيش الأوهام ولا تقليب التفكير، فعرف القلب حين دلته العين على ما عاينت أن لذلك الخلق والتدبير

والأمر العجيب صانعاً يمسك السماء المنطبقة أن تهوي إلى الأرض، وأن الذي جعل الشمس والنجوم فيها خالق السماء، ثم نظرت العين إلى ما استقلها من الأرض فدلّت القلب إلى ما عاينت فعرف القلب بعقله أن ممسك الأرض الممهّدة أن تزول أو تهوي في الهواء، أو هو يرى الريشة ترمى بها فتسقط مكانها وهي الخفة على ما هي عليه هو الذي يمسك السماء التي فوقها وأنه لولا ذلك لخشفت بما عليها من ثقلها وثقل الجبال والأنام والأشجار والبحور والرمال، فعرف القلب بدلالة العين أن مدبّر الأرض هو مدبّر السماء.

ثم سمعت الأذن صوت الرياح الشديدة العاصفة والليّنة الطيبة، وعاينت العين ما يقلع من عظام الشجر ويهدم من وثيق البنيان وتسفي من ثقال الرمال تخلي منها ناحية وتصبّها في أخرى بلا سائق تبصره العين ولا تسمعه الأذن ولا يدرك بشيء من الحواس، وليست مجسّدة تلمس، ولا محدودة تعين، فلم تزد العين والأذن وسائر الحواس على أن دلّت القلب أنّ لها صانعاً، وذلك أن القلب يفكر بالعقل الذي فيه، فيعرف أنّ الريح لم تتحرك من تلقائها، وأنّها لو كانت هي المحركة لم يكف عن التحرك، ولم تهدم طائفة وتعفي أخرى، ولم تقلع شجرة وتدع أخرى إلى جنبها، ولم تُصب أرضاً وتنصرف عن أخرى، فلما تفكر القلب في أمر الريح علم أنّ لها محرّكاً هو الذي يسوقها حيث يشاء ويُسكّنّها إذا شاء ويصيب بها من يشاء ويصرفها عن من يشاء، فلما نظر القلب إلى ذلك وجدها متّصلة بالسماء وما فيها من الآيات، فعرف أنّ المدبّر القادر على أن يمسك الأرض والسماء هو خالق الريح ومحرّكها إذا شاء وممسكها كيف شاء ومسلّطها على من يشاء.

وكذلك دلّت العين والأذن القلب على هذه الزلزلة، وعرف ذلك بغيرهما من حواسه حين حركته، فلما دل الحواس على تحريك هذا الخلق العظيم من الأرض في غلظها وثقلها وطولها وعرضها وما عليها من ثقل الجبال والمياه والأنام وغير ذلك وإنما يتحرك في ناحية ولم يتحرك في ناحية أخرى وهي ملتحمة جسداً واحداً وخلقاً متصلاً بلا فصل ولا وصل تهدم ناحية وتخسف بها وتسلم أخرى، فعندها عرف القلب أن محرّك ما حرّك منها هو ممسك ما أمسك منها، وهو محرّك الريح

وممسكها، وهو مدبّر السماء والأرض وما بينهما، وأن الأرض لو كانت هي المتزلزلة لنفسها لما تزلزلت ولما تحرّكت، ولكنه الذي دبّرها وخلقها حرّك منها ما شاء.

ثمّ نظر العين إلى العظيم من الآيات من السحاب المسخّر بين السماء والأرض بمنزلة الدخان لا جسده يلمس بشيء من الأرض والجبال يتخلّل الشجرة، فلا يحرك منها شيئاً، ولا يهصر منها غصناً، ولا يعلق منها بشيء، يعترض الركبان فيحول بعضهم من بعض من ظلمته وكثافته، ويحتمل من ثقل الماء وكثرته ما لا يقدر على صفته، مع ما فيه من الصواعق الصاعدة، والبروق اللامعة والرعد والثلج والبرد والجليد ما لا تبلغ الأوهام صفته، ولا تهتدي القلوب إلى كنه عجائبه، فيخرج مستقلاً في الهواء يجتمع بعد تفرقه، ويلتحم بعد تزايله، تفرّقه الرياح من الجهات كلها إلى حيث تسوقه بإذن الله ربّها، يسفل مرّةً ويعلو أخرى متمسك بما فيه من الماء الكثير الذي إذا أزجاه صارت منه البحور، يمر على الأراضي الكثيرة والبلدان المتناثية لا تنقص منه نقطة حتى ينتهي إلى ما لا يحصى من الفراسخ فيرسل ما فيه قطرةً بعد قطرة، وسيلاً بعد سيل، متتابع على رسله حتّى ينقع البرك وتمتلئ الفجاج، وتعتلي الأودية بالسيول كأمثال الجبال غاصّة بسيولها، مصمخة الأذان لدويّها وهديرها، فتحبى بها الأرض الميته فتصبح مخضّرة بعد أن كانت مغبرة ومعيشة بعد أن كانت مجدبة، قد كسبت ألواناً من نبات عشب ناضرة زاهرة مزينة معاشاً للناس والانعام.

فإذا أفرغ الغمام ماءه ألقع وتفرّق وذهب حيث لا يعاين ولا يُدرى أين توارى، فأدّت العين ذلك إلى القلب أنّ ذلك السحاب لو كان بغير مدبّر وكان ما وصفت من تلقاء نفسه ما احتمل نصف ذلك من الثقل من الماء، وإن كان هو الذي يرسله لما احتمله ألفي فرسخ أو أكثر ولأرسله فيما هو أقرب من ذلك، ولما أرسله قطرةً بعد قطرة بل كان يُرسله إرسالاً فكان يهدم البنيان، ويفسد النبات، ولما جاز إلى بلد وترك آخر دونه، فعرف القلب بالأعلام المنيرة الواضحة أنّ مدبّر الأمور واحد، وأنه لو كان اثنين أو ثلاثة لكان في طول هذه الأزمنة والأبد والدهر اختلاف في التدبير، وتناقض في الأمور، ولتأخّر بعض وتقدّم بعض، ولكان تسفل بعض ما قد علا، ولعلا بعض ما قد سفّل، ولطلع شيءٌ وغاب فتأخّر عن وقته أو تقدّم ما قبله،



فعرف القلب بذلك أن مُدبِّر الأشياء ما غاب منها وما ظهر هو [ الله ] الأوَّل خالق السماء وممسكها، وفارش الأرض وداحيها، وصانع ما بين ذلك ممَّا عدنا وغير ذلك ممَّا لم يحص. وكذلك عاينت العين اختلاف الليل والنهار دائبين جديدين لا ييليان في طول كرَّهما، ولا يتغيَّران لكثرة اختلافهما، ولا ينقصان عن حالهما، النهار في نوره وضياؤه والليل في سواده وظلمته، يلج أحدهما في الآخر حتى ينتهي كل واحدٍ منهما إلى غاية محدودة معروفة في الطول والقصر على مرتبة واحدة ومجرى واحد، مع سكون من يسكن في الليل وانتشار من ينتشر في النهار، وانتشار من ينتشر في الليل وسكون من يسكن في النهار.

ثمَّ الحرَّ والبرد وحلول أحدهما بعقب الآخر حتى تكون الحرُّ برداً والبردُ حرّاً في وقته وإبانه، فكلُّ هذا ممَّا يستدلُّ به القلب على الرب سبحانه وتعالى، فعرف القلب بعقله أنَّ مدبِّر هذه الأشياء هو الواحد العزيز الحكيم الذي لم يزل ولا يزال، وأنَّه لو كان في السماوات والأرضين آلهة معه سبحانه لذهب كلُّ إله بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض، ولفسد كلُّ واحد منهم على صاحبه.

وكذلك سمعت الأذنُّ ما أنزل المدبِّر من الكتب تصديقاً لما أدركته القلوب بعقولها وتوفيق الله إيَّها، وما قاله من عرفه كنه معرفته بلا ولد ولا صاحبة ولا شريك فأدَّت الأذنُّ ما سمعت من اللسان بمقالة الأنبياء إلى القلب.

فقال: قد أتيتني من أبواب لطيفة بما لم يأتني به أحد غيرك، إلاَّ أنه لا يمنعني من ترك ما في يدي إلا الايضاح والحجَّة القويَّة بما وصفت لي وفسرت.

وقلت: أمَّا إذا حجبت عن الجواب واختلف منك المقال فسيأتيك من الدلالة من قبل نفسك خاصَّة ما يستبين لك أنَّ الحواسَّ لا تعرف شيئاً إلاَّ بالقلب، فهل رأيت في المنام أنك تأكل وتشربُ حتى وصلت لذة ذلك إلى قلبك؟

قال: نعم،

قلت: فهل رأيت أنك تضحك وتبكي وتجول في البلدان التي لم ترها والتي قد رأيتها حتى تعلم معالم ما رأيت منها؟

قال: نعم، ما لا أحصي.

قلت: فهل رأيت أحداً من أقاربك من أخ أو أب أو ذي رحم قد مات قبل ذلك حتى تعلمه وتعرفه كمعرفتك إياه قبل أن يموت؟ قال: أكثر من الكثير.

قلت: فأخبرني أيُّ حواسِّكَ أدرك هذه الأشياء في منامك حتّى دلت قلبك على معاينة الموتى وكلامهم وأكل طعامهم والجولان في البلدان والضحك والبكاء وغير ذلك؟

قال: ما أقدر أن أقول لك أيُّ حواسِّي أدرك ذلك أو شيئاً منه، وكيف تدرك وهي بمنزلة الميت لا تسمع ولا تبصر؟!

قلت: فأخبرني حيث استيقظت ألسنت قد ذكرت الذي رأيت في منامك تحفظه وتقضُّه بعد يقظتك على إخوانك لا تنسى منه حرفاً؟

قال: إنَّه كما تقول، وربّما رأيت الشيء في منامي ثمَّ لا أُمسي حتى أراه في يقظتي كما رأيت في منامي.

قلت: فأخبرني أيُّ حواسِّكَ قرَّرت علم ذلك في قلبك حتّى ذكرته بعد ما استيقظت؟

قال: إنَّ هذا الأمر ما دخلت فيه الحواسِّ.

قلت: أفليس ينبغي لك أن تعلم حيث بطلت الحواسِّ في هذا أن الذي عاين تلك الأشياء وحفظها في منامك قلبك الذي جعل الله فيه العقل الذي احتجَّ به على العباد؟!

قال: إنَّ الذي رأيت في منامي ليس بشيءٍ، إنَّما هو بمنزلة السراب الذي يعاينُه صاحبه وينظر إليه لا يشكُّ أنه ماء فإذا انتهى إلى مكانه لم يجده شيئاً، فما رأيت في منامي فهذه المنزلة.

قلت: كيف شبَّهت السراب بما رأيت في منامك من أكلك الطعام الحلو والحامض وما رأيت من الفرح والحزن؟

قال: لأنَّ السرابَ حيث انتهيت إلى موضعه صار لا شيءَ وكذلك صار ما رأيت في منامي حين انتهت.

قلت: فأخبرني إن أتيك بأمر وجدت لَذَّةً في منامك وحقن لذلك قلبك ألسنت تعلم أن الأمر على ما وصفت لك؟

قال: بلى.

قلت: فأخبرني هل احتملت قطُّ حتى قضيت في امرأةٍ نهمتكَ (أي: شهوتك) عرفتها أم لم تعرفها؟

قال: بلى، ما لا أحصيه.

قلت: ألسنت وجدت لذلك لَذَّةً على قدر لَذَّتكَ في يقظتك ففتنبه وقد أنزلت الشهوة حتى يخرج منك بقدر ما يخرج في اليقظة؟ هذا كسر بحجَّتكَ في السراب.

قال: ما يرى المحتمل في منامه شيئاً إلا ما كانت حواسُّه دلَّت عليه في اليقظة.

قلت: ما زدت على أن قويت مقالتي وزعمت أن القلب يعقل الأشياء ويعرفها بعد ذهاب الحواسِّ وموتها، فكيف أنكرت أن القلب يعرف الأشياء وهو يقظان مجتمعٌ له حواسُّه؟ وما الذي عرفه إياها بعد موت الحواسِّ وهو لا يسمع ولا يبصر؟ ولكنك حقيقاً أن لا تنكر له المعرفة وحواسِّه حيّة مجتمعّة إذا أقررت أنه ينظر إلى المرأة بعد ذهاب حواسِّه حتى نكحها وأصاب لذته منها، فينبغي لمن يعقل حيث وصف القلب بما وصفه به من معرفته بالأشياء والحواسِّ ذاهبة أن يعرف أن القلب مُدبِّر الحواسِّ وملكها ورأسها والقاضي عليها، فإنه ما جهل الانسان من شيءٍ فما يجهل أن اليد لا تقدر على العين أن تقلعها ولا على اللسان أن تقطعه، وأنه ليس يقدر شيءٌ من الحواسِّ أن يفعل بشيءٍ من الجسد شيئاً بغير إذن القلب ودلالته وتدييره؛ لأنَّ الله تبارك وتعالى جعل القلب مُدبِّراً للجسد، به يسمع، وبه يبصر، وهو القاضي والأمير عليه، لا يتقدّم الجسد إن هو تأخر، ولا يتأخر إن هو تقدّم، وبه سمعت الحواسِّ وأبصرت، إن أمرها اتّمرت، وإن نهاها

انتهت، وبه ينزل الفرح والحزن، وبه ينزل الألم، إن فسد شيء من الحواس بقي على حاله، وإن فسد القلب ذهب جميعها حتى لا يسمع ولا يبصر.

قال: لقد كنت أظنك لا تتخلص من هذه المسألة وقد جئت بشيء لا أقدر على رده!

قلت: وأنا أعطيك تصاديق ما أنبأتك به وما رأيت في منامك في مجلسك الساعة.  
قال: افعل، فإنني قد تحيرت في هذه المسألة.

قلت: أخبرني هل تحدث نفسك من تجارة أو صناعة أو بناء أو تقدير شيء وتأمر به إذا أحكمت تقديره في ظنك؟

قال: نعم.

قلت: فهل أشركت قلبك في ذلك الفكر شيئاً من حواسك؟

قال: لا.

قلت: أفلا تعلم أن الذي أخبرك به قلبك حق؟

قال: اليقين هو، فزدني ما يذهب الشك عني ويزيل الشبهة من قلبي<sup>(١)</sup>.

- الإمام علي الرضا عليه السلام - لما سأله رجل من الثنوية: «إني أقول: إن صانع العالم اثنان، فما الدليل على أنه واحد؟ - قولك: إنه اثنان دليل على أنه واحد، لأنك لم تدع الثاني إلا بعد إثباتك الواحد، فالواحد مجمع عليه، وأكثر من واحد مختلف فيه»<sup>(٢)</sup>.

### المعلم رقم (٢): الدنيا قنطرة إلى دار المقر

القنطرة: هي ما يبنى على الماء للعبور عليه، وهو يربط بين ضفتين، وقد بينت السماء أن الدنيا ليس حالها إلا كحال ما يوضع بين ضفتين، يعبرهما الإنسان من

(١) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٥٨: ٥٥ - ٦٢.

(٢) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: التوحيد: ٢٧٠.

مكان إلى آخر، فهو غير مستقرّ فيها، وهي ليست مَقَرَّةً، ومعناه أنّ الإنسان يموتُ في هذه الدنيا، وينتقل منها إلى دارٍ أخرى.

وبناءً عليه فإنّ من يتخذُ موقفاً لا يقيم فيه المرء؛ ويقوم فيه بأعمال المقيم؛ فإن أمثاله لا يعدون عقلاء، بل يُقال: إنّ فيهم لوثاً في العقل، أو إن هؤلاء قد مسَّهم الجنون.

إنّ بطبيعته يختلفُ في السلوكِ البشريّ موضع سفره ومحلّ ظعنه لفترة محدودة عن موضع يقيم فيه، ويوطن نفسه فيه، والسماء تبيّنُ للإنسان أنّ عليه أن يتيقنَ أنه ليس مقيماً في هذه الدنيا، وإنّما مقرُّ إقامته هو موضعٌ آخر، وهو الآخرة، فعليه أن يوطنَ نفسه على هذا المبدأ، وأن يُبرهنَ بسلوكه العمليّ ترجمةً لوصوله إلى اليقين.

### القانون التشريعيّ وهذا المعلم:

وقد جاءت النصوص في القانون والتشريع السماوي تتضمن هذه الحقيقة وبكثافة، تنبهاً له عن غفلته، ونصيحةً له بعدم الغفلة عنها، لأن الغفلة عن مثل هذه الحقيقة تجعل الإنسان يتوهم أن الحياة الدنيا هي دار المقر والوطن النهائي لحياته ووجوده، في حين أنّها لا تتعدى كونها جسراً، وقنطرةً، ودارَ سفرٍ، وانتقال.

### المفارقة بين هذا المعلم وبين القانون والتشريع الوضعي:

وعندما نشاهد القانونين السماويّ والوضعيّ سنجد بينهما هنا أيضاً مفارقاتٍ كبيرةً جداً، فإن القانون الوضعي لا يضع في دستوره مثل هذه الحقيقة، ولا يبني بنوده وفق معطيات هذه الحقيقة، فإننا نجدُه مُعَيَّباً هذه الحقيقة في دستوره، وأيضاً في كلّ ما للحياة من مفرداتٍ ومفاهيم نظرية وعملية.

فحضورُ هذا المفهوم في حياة الإنسان الفرديّة والإجتماعيّة – كما هو في الرؤية القرآنية – مؤثّرٌ في شخصية الفرد والمجتمع بشكل إيجابي، وهو حضور منتج، وصانع للشخصية الإيجابية، ومؤدِّ إلى تحقيق سعادة الفرد والمجتمع، ومؤدِّ به إلى تحقيق حضارته أيضاً.

فإن حضوره يعني سلب التعدي والظلم من فكر الإنسان، والعمل على أن يكون هذا الإنسان إنساناً صالحاً في مجتمعه، وفي أسرته، وفي وطنه، فكلما طرأت عليه أفكار من شأنها أن تجعل حياته فيما بعد الدنيا تعيسة طردتها، وكلما وجدَ أمراً يدفعه إلى ارتكاب الأخطاء فإنَّ استحضارَ الانتقال من الدنيا إلى الآخرة يدفعُ عنه ذلك الأمر، وإذا كانت فيه خصلةٌ سلبيةٌ مؤثرةٌ على حياته وإقامته في الآخرة رفعها عن نفسه.

### المعلم الثاني والتوحيد:

إنه لا يمكن فصل التوحيد عن أيِّ معلم من المعالم الأساسية، لكونها قائمة به عزَّ وجلَّ، وتستمدُّ قيمتها ووجودها منه عزَّ اسمه.

ومن أهمِّ ما لاستحضار التوحيد في هذا المعلم هو أن الإنسان عندما يكون منتقلاً إلى النشأة الأخرى، فإنَّ انتقاله ليس إلاَّ ضمنَ مسيرته التكوينية التي تقوده إلى المكان الذي خرج منه، وتُرجعه إلى نقطة انطلاقته، ولكن مع فارق وهو: أنَّ الإنسان إنَّما خرج بلا أيِّ وصف، وسيرجع بوصفٍ إيجابيٍّ صالحٍ أو بوصفٍ سلبيٍّ طالح، وأنَّ رجوعَ الإنسان ليس إلاَّ إلى «الله» تبارك وتعالى.

والنصوص الشريفة قد ذكرت أمر الموت، وأمر الانتقال من الدنيا إلى الآخرة، وبكثرة كما بيَّنا، وأن هذا الانتقال ليس إلاَّ رجوعاً للإنسان إلى مكان انطلاقته وحرسته الوجودية، فلنقف عند بعضها..

### الشواهد النصية:

#### نصوص الثقل (١):

قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَنْقُوتُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام/٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/١٤٧].

وقال تعالى: ﴿ تَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأَنْفَال/ ٦٧].

وقال تعالى: ﴿ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [التوبة/ ٣٨].

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ وَكُنَّا الْأَخِرَةَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ أَنْقَمُوا آفَالَ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف/ ١٠٩].

قال تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص/ ٧٧].

وقال تعالى: ﴿ يَنْقُورِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ [غافر/ ٣٩].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ \* وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ ۖ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُقُوا الْعَذَابَ ۖ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الأنعام/ ٢٩-٣٠].

وقال تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة/ ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون/ ١١٥].

وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَفِضُ وَيَبْضُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة/ ٢٤٥].

وقال تعالى: ﴿ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يونس/ ٥٦].

وقال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء/ ٣٥].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة/ ١٥٦].

## نصوص الثقل (٢):

– رسول الله ﷺ: «يا عجباً كلَّ العَجَبِ للمصدِّقِ بدارِ الحَيوانِ وهو يسعى لدار الغرور!»<sup>(١)</sup>.

– وَقَالَ ﷺ: «ثلاثة من كن فيه يستكمل إيمانه: رجل لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يرائي بشيءٍ من عمله، وإذا عرض عليه أمران أحدهما للدنيا والآخرة، للاخرة، اختار أمر الآخرة على الدنيا»<sup>(٢)</sup>.

– وَقَالَ ﷺ: «فليتزود العبد من دنياه لآخرته، ومن حياته لموته، ومن شبابه لهرمه، فإن الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للاخرة»<sup>(٣)</sup>.

– وَقَالَ ﷺ: «... أيها الناس إن من في الدنيا ضيف، وما في أيديهم عارية، وإن الضيف مرتحل، والعارية مردودة...»<sup>(٤)</sup>.

– أمير المؤمنين ع: «... فإن الدنيا منقطعة عنك، والآخرة قريبة منك...»<sup>(٥)</sup>.

– وَقَالَ ع: «إنكم إلى الآخرة صائرون، وعلى الله معروضون»<sup>(٦)</sup>.

– وَقَالَ ع: «الآخرة دار مستقركم، فجهزوا إليها ما يبقى لكم»<sup>(٧)</sup>.

– وَقَالَ ع: «أيها الناس إنما الدنيا دار مجاز، والآخرة دار قرار، فخذوا من ممرِّكم لمقرِّكم، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففيها اختبرتم، ولغيرها خلقتم...»<sup>(٨)</sup>.

(١) السيوطي: جلال الدين: الدر المنثور: ٥: ١٤٩.

(٢) السيوطي: جلال الدين: الجامع الصغير: ١: ٥٤١.

(٣) الورام: أبو الحسين ورام بن أبي فراس: تنبيه الخواطر: ١: ١٣١.

(٤) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٧٤: ١٨٧.

(٥) نهج البلاغة: كتاب له ع: الرقم: ٣٢.

(٦) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ١٧٤.

(٧) الأمدي: عبد الواحد بن محمد التميمي: غرر الحكم: ٨٢٩٨.

(٨) نهج البلاغة: من كلام له ع: الرقم: ٢٠٣.



- وَقَالَ ﷺ - لابنه الحسن ﷺ -: «واعلم أنك خلقت للآخرة لا للدنيا، وللفناء لا للبقاء، وللموت لا للحياة، وأنت في منزل قلعة ودار بلغة وطريق إلى الآخرة، وأنت طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه، ولا بد أنه مدركه، فكن منه على حذر أن يدركك وأنت على حال سيئة قد كنت تحدث نفسك فيها بالتوبة فيحول بينك وبين ذلك؛ فإذا أنت قد أهلكت نفسك»<sup>(١)</sup>.

- وَقَالَ ﷺ: «أيها الناس أذكركم الدنيا والاعتزاز بها فكأن قد زالت عن قليل عنكم كما زالت عن من كان قبلكم، فاجعلوا اجتهادكم فيها التزود من يومها القصير، ليوم الآخرة الطويل، فإنها دار عمل، والآخرة دار القرار والجزاء»<sup>(٢)</sup>.

- وَقَالَ ﷺ: «إنك مخلوق للآخرة فاعمل لها، إنك لم تُخَلَقْ للدنيا فازهد فيها»<sup>(٣)</sup>.

- وَقَالَ ﷺ: «الدنيا دار ممرٍ، والناس فيها رجالان: رجل باع نفسه فأوبقها، ورجل ابتاع نفسه فأعتقها»<sup>(٤)</sup>.

- وَقَالَ ﷺ: «إن الله سبحانه قد جعل الدنيا لما بعدها، وابتلى فيها أهلها، ليعلم أيهم أحسن عملاً، ولسنا للدنيا خلقنا، ولا بالسعي فيها أمرنا...»<sup>(٥)</sup>.

- وَقَالَ ﷺ: «الدنيا خلقت لغيرها ولم تخلق لنفسها»<sup>(٦)</sup>.

- عن الإمام علي بن الحسين السجاد ﷺ أنه قال يوماً لأصحابه: إخواني! أوصيكم بدار الآخرة، ولا أوصيكم بدار الدنيا فإنكم عليها حريصون وبها متمسكون، أما بلغكم ما قال عيسى ابن مريم ﷺ للحواريين؟ قال لهم: الدنيا

(١) نهج البلاغة: من وصية لابنه الحسن ﷺ.

(٢) نهج البلاغة: من كلام له ﷺ: ٤٢.

(٣) الأمدي: عبد الواحد بن محمد التميمي: غرر الحكم: ٢٤٠٧.

(٤) نهج البلاغة: قصار الكلمات: ١٣٣.

(٥) نهج البلاغة: من كتاب له ﷺ: الرقم: ٥٥.

(٦) نهج البلاغة: قصار الكلمات: الرقم: ٤٦٣.

قنطرة فاعبروها ولا تعمروها. وقال: أَيُّكُمْ يبني على موج البحرِ داراً؟! تلکم الدار الدنيا فلا تتخذوها قراراً»<sup>(١)</sup>.

– عن سفيان... قال وقال جبريل لنوح: «يا أطولَ الأنبياءِ عمراً، كيف وجدت الدنيا وبهجتها؟

قال: كدارٍ لها بابان دخلت من الأول وأخرجت من الآخر»<sup>(٢)</sup>.

### المعلم رقم (٣): الرابطة التكوينية بين النشاطين

لقد أشرنا إلى أن الحياة الدنيا دار سفر، وأن الحياة الآخرة دار مقرّ، وأشرنا إلى أن استحضار النشأة الآخرة يساعد الإنسان في ضبط سلوكه وتفكيره، ويمنعه من التجاوز لحدود الصواب، ولكنَّ سؤالاً مهماً يرد في البين وهو:

– ما هو الأثر الذي يترتب على النشأة الأخروية فيما إذا قام الإنسان بعمل سلبيّ في الدنيا؟!.

– هل هناك علاقة بين ما يعمله الإنسان في هذه النشأة الدنيوية، وبين حياته في دار الآخرة؟!.

وذلك لأنّه إذا لم تكن هناك أية علاقة بين النشاطين فلا معنى لأن ينضبط الإنسان في سلوكه وفكره، وبناء عليه ستكون التشريعات والقوانين السماوية كلّها بلا فائدة تُذكرُ، وبناءً عليه يحقُّ للإنسان أن يختارَ القانونَ الوضعيَّ لتسيير حياته في الدنيا، أو يختارَ القانونَ السماويّ.

ولكن..

إذا كان هناك علاقة بين النشاطين، وأن ما يقوم به هنا في الدنيا في دار سفره يؤثّر في طريقة حياته في الدار الآخرة فإنَّ الأمر سيختلفُ تماماً، وحينها لن يكون لديه خيارُ الإختيار متاحاً، بل سيتعيّنُ عليه أخذُ القانونِ والتشريعِ الذي يحفظ مصالحه الأخروية أيضاً.

(١) الشيخ المفيد: أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي: الأمالي: ٤٣.

(٢) ابن عساکر: أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي: تاريخ مدينة دمشق: ٦٢: ٢٧٤.

إذن.. لنجب على التساؤل المطروح..

الجواب:

لقد بين القرآن الكريم، بل وكل الكتب السماوية بأن هناك ارتباطاً بين الشأئين، وأن هذا الارتباط ليس ارتباطاً اعتبارياً - سيأتينا معناه لاحقاً إن شاء الله تعالى - بل هو ارتباطٌ تكويني، متين، دقيق، وثيق.

فكل ما يحدث هنا فإنه ينعكس في الوقت نفسه في عالم الآخرة ونشأتها؛ كانعكاس الصورة في المرآة، مع لحاظ فارق بين هذه النشأة في ظهور العمل وتشكله، وبين تلك النشأة في ظهور الأثر والنتيجة وتشكله بحسبها، إذ أن ذلك يخضع للقوانين الملازمة لكل من الشأئين، وهذا ما سنتعرف عليه بعد قليل إن شاء الله تعالى.

ومن أهم معالم هذا القانون هو أن هذا الارتباط هو نحو إرتباط لا «خلف» لآثاره ولا لتأثيره، ولا «تخلف» فيها، وهو ما يعرف بـ «الإرتباط التكويني» - وقد تقدم تعريف معنى هاتين الكلمتين سابقاً فراجع -.

ملاحظة مهمة:

ويمكننا أن نسجل ملاحظتين مهمتين في هذا الإرتباط التكويني القائم بين الشأئين، وهما:

التسجيل الأول:

أن ماهية نشأة الدنيا تختلف عن ماهية النشأة الأخرى، فماهية النشأة الدنيا مادية، وأما ماهية النشأة الآخرة، فهي مجردة.

ومن الطبيعي أن تحكم هذه الماهية على جميع ما فيها من الوجودات، فما يكون مادياً في هذه النشأة فإنه يتخذ محله من الحكم المتناسب مع تلك النشأة المجردة.

التسجيل الثاني:

وقع اختلاف بين أعلام المسلمين في طبيعة العلاقة بين العمل الصادر من

الإنسان؛ وبين الجزاء المترتب عليه، ويمكن تقسيم الآراء إلى ثلاثة أقسام، غير أننا نقسمها بالتقسيم الأولي إلى قسمين، وهما:

١ - العلاقة بين العمل والجزاء علاقة اعتبارية.

٢ - العلاقة بين العمل والجزاء علاقة تكوينية.

فلنتحدث عنهما وباختصار إن شاء الله تعالى..

أولاً: العلاقة الإعتبارية.

ويقصد بها: أنه لا توجد أي علاقة بين العمل والجزاء من أصل، وإنما الباري سبحانه وتعالى هو من يعتبر الجزاء كيفما كان، وكيفما اتفق.

مثال ذلك:

إن الجوائز التي توضع في المحلات التجارية نجد بعضها كالاتي: يكتب المسؤولون أرقاماً معينة على ورقة تسمى (كوبون)، ولنفترضها (١١١)، فإذا صارت من نصيب شخص ما، ومسح الموضع الذي ينبغي أن يمسحه، فإذا به يجد أنه قد حصل على رقم معين، فيقدم هذه الورقة، وإذا الجهة المشرفة تطابق الرقم، وبهذا يكشف أنه قد ربح سيارة.

فإذا تساءلنا: ما هي العلاقة بين الرقم (١١١) وبين السيارة؟!.

فيكون الجواب: أنه لا علاقة بينهما أصلاً، وإنما أراد المسؤول ذلك، واعتبر وجود علاقة بين الرقم والسيارة، وقد كان بإمكانه أن يغير الرقم من ١١١، إلى رقمٍ غيره، فلا يحصل أيُّ تغييرٍ إثر هذا التغيير من أصل.

فهذا يعني أن العلاقة بين الرقم والسيارة علاقة إعتبارية، أي: أن المعتبر قد اعتبر وجود علاقة بينهما.

تطبيق المثال على موضوع البحث:

فيقصد أصحاب هذه المدرسة أن العبد مهما فعل من الفعل فإنه لا توجد أيُّ

علقة بين ما عمله وبين الجزاء الذي سوف يحصل عليه يوم القيامة - سواء القيامة الصغرى أو الكبرى -، كيف؟!.

قالوا: لو أن شخصاً صَلَّى صلاةً لله تعالى.. فيمكن أن يكون جزاؤه النار!، ولو أن شخصاً شرب الخمر وترك الصلاة.. فيمكن أن يكون جزاؤه الجنة!.

ولو أن شخصين عبداً لله تعالى بنفس النية، وب نفس العمل، فيمكن أن يختلف جزاء هذا عن ذلك؛ كأن يكون جزاء هذا جنة الفردوس، ولربما يكون الطرد من الجنة إلى النار!، ويكون جزاء ذلك كوخاً في أسفل الجنة!.

وهنا يرد السؤال: ولماذا هذا الاختلاف؟!

فيجيب أصحاب هذه المدرسة: لأنه لا توجد أية علة أو رابطة بين العمل والجزاء، كما هي العلة بين العلة والمعلول، وبين السبب والمسبب، بل هي علة اعتبارية، إذ الخالق يعتبرها كيفما شاء، وكيفما اتفق.

ولو طلب من هؤلاء دليل على ما هم يذهبون إليه، لقالوا: قال تعالى: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [الأنبياء/ ٢٣].

الإشكال على هذا الراي:

أولاً: أن الآية المباركة لا تتحدث عن هذا النحو من التعامل من أصل.

ثانياً: صحيح أن الله تعالى هو صاحب الكون، ومالك المخلوقات، وللمالك الحق أن يفعل بمملكته ومخلوقاته ما يريد، إلا أنه سبحانه وتعالى عندما أسس هذا العالم والوجود والكون ومملكته أجمع إنما أسسه على أساس نظام وقانون محكم، وعلى رغم أن هذه النظام هو من فعل الله تعالى إلا أنه سبحانه «كتب على نفسه» أن لا يغيره ولا يبدله، وأن يُجْرِي الأمور بأسبابها، ومما كتب سبحانه وتعالى على نفسه هو «الرحمة».

قال تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنَّ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام/ ١٢].

وكان ما كتبه سبحانه وتعالى على نفسه هو «وعد» ألزم ذاته المقدسة به، والله سبحانه وتعالى إذا وعد لا يُخلفُ وعدهُ أبداً، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ﴾ [الرعد/٣١].

ومع لحاظ ما كتبه الله تعالى في العالم التكويني من القوانين، وسنجدها كثيرة جداً، فهو سبحانه وتعالى يُجري الأمورَ وفقها، وبناءً على المترتبات التي فيها، إبتدأ من المقدمة والعلة، وانتهاءً إلى النتيجة والمعلول.

وهذه القاعدة وهذا الأساس نجدهما في القرآن الكريم في الآيات المباركة الآتية:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر/٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِطْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا \* سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء/٧٦-٧٧].

وقال تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْهَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا \* مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخْدُوا وَقَتِلُوا قَتِيلًا \* سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب/٦٠-٦٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ الْأَدْبَرُ ثُمَّ لَا يُجِدُونَ وَلِيًا وَلَا نَصِيرًا \* سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح/٢٢-٢٣].

وبين القرآن الكريم أن هذه السنة قد أُجريت على الأمم السابقة، وأن هذه الأمة إذا ما قامت بما قامت به الأمم السابقة؛ فإنَّ السُّنَّةَ الإلهية سوف تنطبق عليها؛ وتجري عليها كما جرت على الأولين، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُعْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال/٣٨].

أضف إلى ذلك الشواهد القرآنية والروائية الكثيرة جداً؛ حيث نجدها تبين

جزاءً معيناً جرّاء عمل معين، ولا نجدها تخلط في الجزاء، ولا نجدها تُحيلها إلى الإعتبار، والجزاف، والإعتباط، وسيأتينا الكلام عن هذه المسألة لاحقاً في المعلم رقم (٥) إن شاء الله تعالى.

فبناءً على ما تقدّم.. نستخلص أنّ العلقّة بين العمل والجزاء ليست علقّة اعتباريّة، بل علقّة حقيقيّة، وهذا ما سنبحث عنه في الفقرة الآتية إن شاء الله تعالى..

### ثانياً: العلقّة التكوينية.

ولنبين معنى «العلقّة التكوينية»: أي: أنّ العلقّة بين الفعل والجزاء هي من قبيل اجتماع جميع أركان العلة، فإذا اجتمعت تلكم الأركان - وقد أشرنا إلى هذه الأركان إلّا أنّنا سنتعرض لبيانها لاحقاً إن شاء الله تعالى - المعروفة فإن الجزاء والنتيجة المترتبة ستكون حتمية الظهور والوقوع.

والذي يهمنا هنا هو: أن نعرف فقط أن العلقّة بين الفعل والجزاء بنحو يكون الجزاء هو نفس العمل، وليس غيره، فالجزاء ليس إلّا صورةً أخرى للفعل، وهو وجهٌ آخر له، وسيأتي توضيحه بأمثلة لاحقاً في المعلم رقم (٥) إن شاء الله تعالى. ولكننا نجد أنّ الذي تبني هذا الرأي وهو: أن العلقّة بين الجزاء والفعل علقّة تكوينية؛ قد انقسم إلى قسمين، وهما:

**القسم الأول:** أن العلقّة بين العمل والجزاء علقّة تكوينية؛ إلّا أنّ ظرف العمل في زمان، وأنّ ظرف الجزاء في زمان آخر.

**القسم الثاني:** أن العلقّة بين العمل والجزاء علقّة تكوينيّة؛ إلّا أنّ ظرف الجزاء هو عينُ ظرفِ العمل.

فإلى بيان ما جاء عنهما وباختصار:

### القسم الأول: اختلاف الطرفين.

فقال أصحاب هذا الإتجاه: إنّ الفعلَ الصادرَ من الإنسان يكون في نشأة الدنيا، أي: في زمان هذه النشأة الدنيوية، ولكنّ الجزاء سيظهرُ يومَ القيامة، وهو زمان

ظهور الجزاء وبروزه، فنجد أن ظرف العمل كان في زمانٍ، وأن ظرف الجزاء كان في زمانٍ آخر.

مثال ذلك:

أن الذي يأكل الأكلات التي تسبب له انسداداً في الشرايين، نجد أنه بعد مضي فترة معينة من الزمن سوف يُصاب هذا الإنسان بانسدادٍ في الشرايين.

فنلاحظ بين الفعل (الأكل لنوعية معينة من الطعام)، وبين الجزاء (انسداد الشرايين) أمرين مهمّين، وهما:

الأمر الأول: أن العلاقة علقية تكوينية، فإن الجزاء من جنس العمل.

الأمر الثاني: أن الفعل في ظرف زمانٍ - وإن كان تراكمياً في مثالنا -، وأن الجزاء في زمانٍ آخر.

واعتمد أصحاب هذا الإتجاه على مجموعة من الآيات القرآنية المباركة، منها:

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ \* مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ نَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ أَنْفَقُوا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد/ ٣٤-٣٥].

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص/ ٤٢].

القسم الثاني: اتّحاد الطرفين.

وأما أصحاب هذه المدرسة الأخرى فيرون أن الفعل الذي يصدر من الإنسان هو نفسه يتضمن في الحقيقة الجزاء أيضاً، ولذا عبروا عن هذا الإتحاد بقولهم: «إنَّ ظرف الجزاء هو عين ظرف العمل».

وبتعبير آخر: أن فعل الإنسان هو ما يظهر منه بكيفية معينة، ولكن هذا الفعل الظاهري يستبطن جزائه، ونحن نعلم أن الظاهر إذا وجد فباطنه معه، ويلازمه.



مثال ذلك:

لو أن سيفاً وقع على الرقبة فإننا سنجد أن نفس وقوع الضربة على الرقبة هو موت ذلك المصروب، فنجد أن ظرف الجزء كان عين ظرف العمل.

واعتمد أصحاب هذا الإتجاه والمسلك على آيات قرآنية تثبت ما ذهبوا إليه، فمن جملة الآيات القرآنية التي استشهدوا بها هي:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء/ ١٠].

بتقريب: أن الآية الكريمة تبين أن نفس الأكل لأموال اليتامى في حقيقته الباطنية هو أكل للنار، وأن هناك جزءاً آخر ينتظرهم في الآخرة.

فالآية الكريمة في الحقيقة تتحدث عن جزئين، لا عن جزء واحد.

ويستشهد هؤلاء على ما يذهبون إليه من هذا الرأي بآيات قرآنية تؤكد أن هناك عالمين في وقت واحد، لا أن هناك عالماً واحداً؛ وأن العالم الآخر سيوجد لاحقاً، فمن جملة ما استشهدوا هو..

قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾ [الروم/ ٧].

بتقريب: أنه بقرينة المقابلة نجد القرآن الكريم استعمل ما يقابل «الظاهر» كلمة أخرى وهي: الآخرة<sup>(١)</sup>، وكأن لفظة الآخرة هي مرادفة للفظ «الباطن».

ولكن من حق الإنسان أن يتساءل.. إذاً لماذا لا نشاهد هذه الحياة الأخرى؟!، ولماذا لا نحس بآثار السليبات إن فعلناها؟!.

فإن جواب هذه المدرسة هو:

(١) قال الزمخشيري في الكشاف ٣: ٢١٥ في تفسير قوله تعالى: ظاهراً من الحياة الدنيا، قال: يفيد أن للدنيا ظاهراً وباطناً.

وقال السيد مصطفى الخميني في تفسيره ٣: ٦٣ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ هُمْ يَرْجُؤْنَ﴾ قال: «وَالْآخِرَةُ» التي هي موجودة بعين وجود الدنيا - فإنها باطنها -...».

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق/ ٢٢].

بتقريبين:

١ - أن الغفلة لا تصدق إلا على شيء موجود، فلو أن الآخرة ستوجد لاحقاً لما صح القول بأنك غافل عنها.

٢ - لو كان الغطاء على الحقائق التي تشير إليها الآية القرآنية الكريمة لكان ينبغي أن يقال: فكشفنا عنها غطاءها.

إلا أن الآية القرآنية تقول: «فكشفنا عنك غطاءك»، فتعطي دلالة على أن الحقيقة كانت موجودة، إلا أن الغطاء كان موجوداً على عين الإنسان وبصره، لذا لم يتمكن من أن يراها، ويتفرع منه: فلو أن الإنسان رفع ذلك الغطاء لشاهدها.

ولإثبات هذه الحقيقة نرى أيضاً وجود شواهد كثيرة جداً، سنعرضها في محلها لاحقاً إن شاء الله تعالى.

### العلاقة الإيجابية والعلاقة السلبية:

وبما أن السلوك الإنساني يمكن تصنيفه إلى إحدى الصفتين وهما:

الصفة الأولى: الإيجابية.

الصفة الثانية: السلبية.

فإن القرآن الكريم قد بين في آياته وسوره النتيجة المسانخة للعمل الذي قام به العبد، فإن كان عمله إيجابياً كان جزاء عمله جزاءً إيجابياً، وإن كان سلبياً كان الجزاء سلبياً.

### خلاصة المطلب:

وبناءً على ما تقدم فإن العلاقة بين الدنيا والآخرة:

١ - علاقة تكوينية، فلا يمكن لأحد أن يقوم بشيء من الأعمال في هذه الدار، إلا بعد أن يعلم بأن عمله هذا يترك أثراً في النشأة الآخرة.

٢- وهي تُظَلُّ بطبيعتها على سلوك الإنسان وتفكيره؛ وعلى المستويين الفردي والاجتماعي.

فما كان إيجابياً هنا يكون إيجابياً هناك، وما كان سلبياً هنا يكون سلبياً هناك، ولا يُحدِّد ما هو إيجابيٌّ وما هو سلبِيٌّ إلا «خالقُ» الخلق، كما ثبت لنا ذلك فيما تقدم.

### الشواهد النصية :

نصوص الثقل (١):

ملاحظة:

ونلفت انتباه القارئ الكريم إلى أن موضوع بحثنا هنا في هذا المعلم رقم (٣) هو إقامة الشواهد على وجود أصل الارتباط التكويني بين النشأتين، من دون الدخول في التفاصيل الموجودة في البين وهذا ما سيأتينا لاحقاً بإذنه تعالى، وبمكنا القول بأن النصوص التي سنوردها هنا هي بحكم بيان القاعدة العامة من دون التعرض إلى التفاصيل، فالمهم عندنا في هذا المقام هو بيان أصل وجود العلة بين الفعل والجزاء، وهي علة حقيقية وتكوينية، وليست علة اعتبارية.

وسيجد القارئ العزيز أننا قد صَنَّفْنَا العلة التكوينية بين العمل والجزاء إلى ثلاثة أقسام، وهي:

القسم الأول: القاعدة العامة.

ونقصد منها النصوص الشريفة التي لا يُشَمُّ منها رائحةُ بيان للعلة بين العمل وجزائه إيجابياً أو سلبياً، أي: يمكن انطباقها على كليهما، فهي بمثابة قاعدة عامة شاملة.

القسم الثاني: العلة التكوينية الإيجابية.

ونقصد منها النصوص الشريفة التي تبين العلاقة بين العمل الإيجابي، وبين جزائه؛ فإنه لا بُدَّ من أن يكون أيضاً إيجابياً بحكم قانون السنخية الذي أوجده «الله» تعالى في الوجود.

## القسم الثالث: العلة التكوينية السلبية.

ونقصد منها النصوص الشريفة التي تبين العلاقة بين العمل السليبي وبين جزائه، فإنه لا بُدَّ من أن يكون أيضاً سلبياً بنفس الحكم المتقدم.

## الشواهد النصية:

نصوص القاعدة العامة لأصل العلة التكوينية<sup>(١)</sup>:

قال تعالى: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [يونس/ ٥٢].

وقال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا مَنَّا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [القصص/ ٨٤].

وقال تعالى: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل/ ٩٠].

## نصوص الثقل (٢):

- رسول الله ﷺ: «... وأنه لا بُدَّ لك يا قيس من قرين يدفن معك وهو حي، وتدفن معه وأنت ميت، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً أسلمك، ولا تُسألُ إلا عنه، ولا تجعله إلا صالحاً، فإنه إن صلح أنست به، وإن فسد لا تستوحشُ إلا منه، وهو فعلك...»<sup>(٢)</sup>.

## العلة التكوينية الايجابية:

فالآيات القرآنية هنا لا تبين خصوص عمل من الأعمال الإيجابية التي لها آثار مخصوصة، بل تبين الأثر العام للفعل الذي ظاهره ذو إنطباق عام.

## نصوص الثقل (١):

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الْأَمْثَالُ لِمَنْ يُرِيدُ لِلَّذِينَ لَا يَرْيُدُونَ عُلُوقًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص/ ٨٣].

(١) وهذه القاعدة تقبل الانطباق هنا على طبيعة العلاقة بين الشأئين، وتقبل الانطباق أيضاً على طبيعة العلة بين العمل والأثر التكويني في عالم الدنيا.

(٢) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: معاني الأخبار: ٢٣٣.

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْتَفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر/ ٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ \* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات/ ٤٠-٤١].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة/ ٨٢].

### العلاقة التكوينية السلبية:

والنصوص هنا أيضاً لا تبين الأثر الخاص للعمل الخاص، بل الآيات القرآنية تبين الأثر العام الذي لا يكون إلا من سنخ ذلك العمل السلبي العام.

### نصوص الثقل (١):

قال تعالى: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾ [الرعد/ ٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء/ ٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَابُونَ﴾ [المؤمنون/ ٧٤].

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [غافر/ ٤٠].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ \* وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات/ ٣٧-٣٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَيْبَتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ [النمل/ ٩٠].

وقال تعالى: ﴿بِكُلِّ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَظَّتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة/ ٨١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُبَدَّلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِثْلُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أُنْتَدِيَ بِهٖ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران/ ٩١].

## نصوص الثقل (٢):

- أمير المؤمنين عليه السلام: «... ألا وإن الخطايا خيلٌ شمسٌ حُمِلَ عليها أهلها وخُلِعَتْ لُجْمُهَا فتَحَمَّتْ بهم في النار...»<sup>(١)</sup>.

- وقال عليه السلام: «من حرص على الآخرة ملك، من حرص على الدنيا هلك»<sup>(٢)</sup>.

- وقال عليه السلام: «... إن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل»<sup>(٣)</sup>.

- وقال عليه السلام: «... فاجعلوا عباد الله اجتهادكم في هذه الدنيا التزود من يومها القصير، ليوم الآخرة الطويل، فإنها دار عمل، والآخرة دار القرار والجزاء...»<sup>(٤)</sup>.

- وقال عليه السلام: «من ابتاع آخرته بدنياه ربحهما، من باع آخرته بدنياه خسرهما»<sup>(٥)</sup>.

- وقال عليه السلام: «إستفرغ جهدك لمعادك تصلح مثواك، ولا تبع آخرتك بدنياك»<sup>(٦)</sup>.

- وقال عليه السلام: «الأعمال في الدنيا تجارة الآخرة»<sup>(٧)</sup>.

- وقال عليه السلام: «معاشر الناس اتقوا الله، فكم من مؤمل ما لا يبلغه، وبان ما لا يسكنه، وجامع ما سوف يتركه، ولعله من باطل جمعه، ومن حق منعه، أصابه حراماً، واحتمل به آثاماً، فباء بوزره، وقدم على ربه، أسفاً لاهفاً، قد ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج/ ١١]»<sup>(٨)</sup>.

- وقال عليه السلام: «من جمع فيه ست خصال ما يدع للجنة مطلباً ولا عن النار مهرباً: من عرف الله فأطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الحق فاتبه، وعرف

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ١٦.

(٢) الأمدى: عبد الواحد بن محمد التميمي: غرر الحكم: ١: ٣٢.

(٣) نهج البلاغة: من كلام له عليه السلام: ٤٢.

(٤) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٨: ١٧٤.

(٥) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٤٤٥.

(٦) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٨٥.

(٧) الأمدى: عبد الواحد بن محمد التميمي: غرر الحكم: ١٣٠٧.

(٨) نهج البلاغة: من كلام له عليه السلام: الرقم: ٣٤٤.

الباطل فاتقاه، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها»<sup>(١)</sup>.

– وقال ﷺ: «ما زاد في الدنيا نقص في الآخرة، ما نقص في الدنيا زاد في الآخرة»<sup>(٢)</sup>.

– الإمام علي السجاد ﷺ: «... والله ما الدنيا والآخرة إلا ككفتي الميزان، فأيهما رجح ذهب بالآخر...»<sup>(٣)</sup>.

#### المعلم رقم (٤) : قانونا النشأة الدنيوية.

إن من أهم المعالم الأساسية التي وضحتها السماء للإنسان هو: أن هناك في عالمنا «قانونين»، ولا يوجد قانونٌ واحدٌ فقط.  
تُرى ما هما هذان القانونان؟!!

الجواب:

القانون المادي: ونقصد منه القوانين الطبيعية في العالم،

مثال ذلك:

لو أننا ألقينا أي شيءٍ ذا وزن إلى الأعلى فإنه سيرجع إلى الأرض، ومن خلال هذه الحادثة اكتشف الإنسان «قانون الجاذبية».

وباكتشاف الكثير من الحالات على وجه الأرض وضعت قوانين في العلوم الطبيعية كعلم الكيمياء، وعلم الفيزياء، وعلم الهندسة، وعلم الطب... الخ، فعالم الطبيعة يجمعه نظامه متناغم متسق دقيق، فلا يخلو أي كائن ولا أي موجود فيه من هذا النظام الموحد، فلذا نجد اكتشاف حالة من حالات الطبيعة يقود إلى اكتشاف قانون خاص بتلك المفردة الطبيعية، وهكذا.

(١) الورام: أبو الحسين ورام بن أبي فراس: تنبيه الخواطر: ١: ١٣٥.

(٢) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٤٨٠.

(٣) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: الخصال: ٦٣.

### القانون الغيبي التكويني:

ونقصد من القانون التكويني: القانون الذي له علاقة مباشرة بالسلوك البشري، ويتأثر به، ونظراً إلى طبيعته علاقته بالسلوك الإنساني والتي هي أشبه بطبيعة العلاقة بين العلة والمعلول؛ فإن نتائجها وثمارها لا «خلف» فيها ولا «تخلف».

فإذا ما تحرك وفق ما يملي عليه السلوك البشري السليبي فإنه يتحرك بشكل تلقائي، ولا يمكن إيقافه إلا بالسلوك البشري المضاد وهو السلوك الإيجابي.

### ملاحظة مهمة:

سؤال: هل يشمل «القانون التكويني» غير السلوك الإنساني أم لا؟!، فهل تسري أحكام القانون التكويني على سائر الكائنات الحية وغير الحية أم لا؟!، وبتعبير آخر.. هل تسري هذه الأحكام التكوينية لهذا القانون التكويني على كل الخلائق أم لا؟.

الجواب: نعم تشملها، ولكن نظراً لأننا نتحدث عن «الإنسان» فسنتصر في حديثنا على الإنسان فقط، وأما إثبات أن الكائنات والمخلوقات تشملهم أحكام القانون التكويني فيحتاج إلى أفراد بحث مستقل، وبناءً عليه سيكون الكلام عن القانون التكويني والإنسان، مع الأخذ في الاعتبار إمكانية الشمولية، وإذا ما وجدنا الإختصاص أشرنا إليه أو بيّنا وجه الإختصاص إن شاء الله تعالى.

### الفرق بين القانون التكويني والقانون المادي:

ويختلف هذا القانون التكويني عن القانون المادي في أهمّ خاصيّة من خاصيّات القوانين الطبيعيّة وهي:

١- أنّ هذا القانون التكويني لا يُلحظ بالمعايير والموازين التي وُضعت لحساب ومعرفة القوانين الطبيعيّة الماديّة، بل إنّ معاييرها معايير أخرى، وإنّ موازينه موازين مختلفة.



٢- وبناءً عليه.. فإن القانون المادي قابل للقياس، وقابل لإخضاعه للتجربة، وأما القانون التكويني فغير قابل للقياس ولا للتجربة.

٣- إن القانون التكويني أشبه بأن يكون قانوناً حرّاً مستقلاً عن تصرفات البشر. إن القانون التكويني مرتبطٌ بسلوك الإنسان الباطني والظاهري، ومرتبٌ بفكره وقلبه وفعله، أي: بالبعد المعنوي فيه، وكأنَّ هذا القانون الغيبي يحملُ مجسّاتٍ دقيقةً جداً تُمكنه من قراءة الأفكار، والإطّلاع على القلوب والمشاعر، وتطلُّ هذه القدرة على المتابعة الدقيقة للإنسان والمخلوق مستمرة، ودائمة.

إلا أنَّ القانونَ الماديَّ للإنسان له إرتباطٌ بفعل الإنسان دون قلبه وفكره وطبيعة سلوكه، فليس له أيّ علاقة بالبعد المعنوي، وإنّما محل عمله ونشاطه البعد المادي فقط.

- إنَّ القانونَ التكوينيَّ له القدرة على التمييز بين الخطأ والصواب، وبين الخير والشرّ، وبين السلوك الصادر من الفرد، والسلوك الصادر من الأفراد، والسلوك الصادر في حال السر، والسلوك الصادر في حال الجهر والعلن، والسلوك الصادر في حال العمد والسلوك الصادر في حال السهو والنسيان والخطأ، فلذا نجده في حركته لا يخلط بين هذا وذاك، وكأنه كائن حي دقيق شديد الدقة وبصير، إلا أن القانون المادي لا يعرف التمييز، إذ أنه إذا ما طُبِّقَ خارجاً شمل بحكمه الإنسان الفاضل، والإنسان صاحب الرذيلة، فهو قانون أعمى وغير واع.

### المشترك بين القانونين:

إن أهم ما يجمع بين القانونين هو «قانون العلية»، فهو الجامع المشترك بينهما، وإن اختلف المحرك لكل منهما، واختلفت الآثار، واختلف معيار القياس.

إذن..

فهذه الحياة الدنيا تشتملُ أيضاً على نظام متين كالنظام الذي عليه القانون الطبيعي من سلسلة حلقات مترابطةٍ ترابطاً تكوِينياً متيناً.

مسميات هذا القانون التكويني الغيبي:

ولهذا القانون مسميات عدة؛ منها: القانون الغيبي، ويعرف أيضاً بـ«السنن الإلهية»، وبـ«القانون التكويني»، ويمكن تسميته أيضاً بـ«القانون الغيبي»، «السنة التكوينية»، «السنة التأريخية».

الشواهد النصية:

لقد أرجأنا إيراد الشواهد النصية التي تذكر القانون المادي، وتبين أيضاً القانون التكويني إلى نهاية المعلم القادم، فإلى هناك بإذنه تعالى.

المعلم رقم (٥): الرابطة التكوينية للإنسان بالقانون التكويني.

وهنا يرد هذا التساؤل المهم:

إذن..

– كيف يكون سلوك الإنسان هو المحرك للقانون التكويني؟!؟

– وما هي الآثار لهذه الرابطة التكوينية على سلوك الإنسان وحياته وسعادته وعلى حضارته؟!؟

– وكيف تعمل هذه الرابطة التكوينية بين القانون التكويني وبين الإنسان؟!؟

الجواب:

يتبين من خلال معرفتنا «للقانون التكويني» أن الإنسان لا يعرف شيئاً عن هذا القانون التكويني، ولم يصل إلى تحليله، وعلمه إلى الآن، وبهذا فهو يعيش فجوة علمية عظيمة جداً، وأصبح هذا الإنسان..

١ – لعدم معرفته بهذا القانون من أصل من جهة..

٢ – ولعدم معرفته بما يحركه وما يسكنه من جهة ثانية..

٣ – ولعدم معرفته بما يحركه سلباً وبما يحركه إيجاباً من جهة ثالثة..

يوقع نفسه في مخاطر جسيمة وعظيمة كلفته في كثير من الأحيان أصل وجوده على البسيطة، ففنت حضارات من على وجه الأرض إثر تحرك هذا القانون سلباً ضد أصحابها !!، وتغيرت معالم جغرافية على الأرض لحركة هذا القانون العملاقة !!، وتبدلت حركة كوكب الأرض بأسره إثر طوفان هذا القانون !!، وكأن الإنسان يُعرّض نفسه لـ «الثقب الأسود» التكويني !!، بل ويفتح بيده أبواب جحيمه، إلا أنه لو عرفه، وعرف كيفية التعامل معه لعاش في جنة الفردوس الدنيوية قبل أن ينتقل إلى جنة الفردوس الأخروية.

### العلاقة بين القانونين المادي والغيبي:

وهناك نحو من التناغم والانسجام بين هذين القانونين، ويمكن توضيح هذا التناغم والانسجام بالبيان المختصر الآتي:

١ - إن القانون الغيبي أقوى من القانون المادي، فإذا وجد هذا القانون الغيبي التكويني في العالم الخارجي فعلاً ألغى فعالية القانون المادي، فهو إذن قانون ذو سلطة على القانون المادي.

٢ - إن القانون الغيبي على رغم تحركه كسلطة قاهرة على القانون المادي؛ فإنه في كثير من الأحيان يتحرك ضمن دائرة الحركة المادية، فيحرك القانون المادي بطريقة لا تكاد تميز العلة الأساسية من وراء حركته.

٣ - إن هذا القانون الغيبي مرتبط بالكائن الحي - ونظراً إلى أننا نتحدث عن الإنسان فسيكون الحديث عنه أولاً وبالذات - ومن أنواع هذا الكائن الحي «الإنسان»، فهذا القانون مرتبط بسلوك الإنسان وبشكل مباشر، أي: من دون أي واسطة بينهما، وهذا السلوك الإنساني هو العلة الأساسية في تحريكه.

### السلوك الإنساني محرك القانون الغيبي:

فكما علمنا أن السلوك الإنساني يؤثر على طبيعة الحياة في النشأة الأخروية، فكذلك له نحو من التأثير على طبيعة الحياة في هذه النشأة الدنيوية، وبيانه هو:

تأثير السلوك الإنساني على النتيجة في النشأة الأخرى:

فأما الأولى - النشأة الأخرى - : فإنَّ الإنسان سوف يلاقي في النشأة الأخرى جزاءً جزاء عمله؛ فإمَّا الجنة وإمَّا الجحيم، وإمَّا القرب وإمَّا الطرد من جنة النعيم، وما هذا الجزاء إلا نتيجة تكوينية طبيعية لفعله ولسلوكه في عالم الدنيا - وسيأتينا تفصيله لاحقاً إن شاء الله تعالى .

تأثير السلوك على النتيجة في النشأة الدنيوية:

وأما الثانية - النشأة الدنيوية - : فإنَّ الإنسان سوف يلاقي جزاء عمله نتائج تكوينية لعمله في دار الدنيا .

مثال ذلك:

كما إذا قام هذا الإنسان وظلم شخصاً ما في ماله بحيث غصبه منه، فإن الرسالة السماوية تقول؛ إنَّ هذا الإنسان الغاصب سوف يواجه جزائين؛ وفي الحقيقة يرجعان بروحهما إلى جزاء واحد، فأحد الجزائين هو جزاء يوم القيامة، والآخر هو جزاء في دار الدنيا؛ ولكنه يختلف عن الجزاء التشريعي والقانوني - وبهذا يواجه المرء ثلاثة جزاءات: التشريعي والتكويني الدنيوي والتكويني الأخرى -، فإن الجزاء التكويني جزاء يوجه إلى الغاصب بشكل تلقائي ومباشر، ويؤثر في حياته بشكل عام، فإمَّا أن يؤثر في صحته كأن يصيبه نبوة قلبية؛ فتحدث النبوة القلبية، وتفسيرها العلمي هو أنَّ سببها انسداد في الشرايين؛ مع أن وراء هذه النبوة القلبية ليس إلا تحرك سهام عالم التكوين؛ لتصيب الغاصب جزاء غصبه مال أخيه المؤمن .

وإمَّا أن يؤثر في رزقه، وإمَّا في مركزه الاجتماعي وإمَّا في منصبه الوظيفي، وإمَّا في تفكيره.... إلخ، وهذا الجزاء يسمى بـ«الجزاء التكويني» أو «الأثر التكويني» .

مرجعية الرابطة التكوينية وأثرها إلى «التوحيد»:

فإنَّ هذا الأثر أو الجزاء لا يُستبعد أن يكون راجعاً إلى كون الوجود يشكل وحدةً واحدةً منسجمةً فيما بين الموجودات كلها، وهي ترجع في حقيقتها إلى تقنين خالقٍ

واحدٍ أحدٍ لهذا الوجود، وترجع أيضاً إلى إدارته الشاملة لكل مفردةٍ من مفردات هذا الوجود الضخم، وهذا ما يعرف بـ «التوحيد».

فهذه الموجودات كتلةٌ واحدةٌ، مركبةٌ بنظام تكوينيٍّ، يجمع أجزاءً بدنها فيما بينها، وكأنها جسم واحد، وعندما يصدر سلوكٌ منحرف من الإنسان؛ بحيث لا ينسجم مع طبيعة تركيب الوجود الـ «توحيدية»؛ فكأنما يبدأ الوجودُ بإفراز إنزيمات يوجهها إلى هذا الخلل؛ ومن تلقاء نفسه؛ لحفظ الكون والموجودات من الفجوة والخلل الذي أحدثه هذا الإنسان في جسم هذا الوجود.

### الرؤية الإيجابية إلى الآثار التكوينية:

ومن رحمة الله عزَّ وجلَّ بعباده؛ أنك ترى أنه سبحانه قد جعل حدوث مثل هذه الآثار التكوينية في العاصي لأوامره التشريعية بمثابة كفارةٍ عن ذنوبه، وتنبهٍ له لإرجاعه إلى مسيرة قافلة الوجود الـ «توحيدية»، والإنابة إليه سبحانه وتعالى، فلا يتصورنَّ أحدٌ أن الآثار التكوينية السلبية عبارة عن العقاب، وإلا فلو تصوَّر المرءُ كونها عقاباً لما ترك «الله» تعالى على الأرض دابةً.

### أثر مخالفة «الخالق» في عالم الطبيعة:

وبهذا نجد أن السماء قد بينت حقيقة مهمة للغاية وهي: أن كل عمل إذا لم يتماش ولم ينسجم مع طلب «الفطرة» الذي هو طلب «الكمال المطلق»؛ فإنه لن يحدث خللاً إجتماعياً - بإحداث اضطراب فيه مثلاً فقط؛ من قبيل: الحالة الاقتصادية؛ والسياسية؛ والصحية؛ والعلمية؛ والثقافية؛ وغيرها - بل إنه سيحدث خللاً على مستوى أكبر وأعظم؛ ليتجاوز فعله السلبي إلى عالم الطبيعة، فيتمدد أثره إلى إحداث خلل في الكائنات الأرضية، بل وسيمتد هذا الأثر لسلوك الإنسان إلى حركة الكون، والمجموعة الشمسية أيضاً، لما ثبت من ترابط جميع الممكنات فيما بينها ارتباطاً تكوينياً وجودياً.

ومن هنا نستطيع أن نفسر الكثير من الإضطرابات التي تعاني منها البشرية، وتعاني منها الأرض وعلى مرَّ التاريخ؛ والتاريخ المعاصر خير شاهد، كإصابتها

بمرض الإيدز والسرطان، وانتشار أمراض فتاكةٍ أُخرى، وبالمجاعة، وتزلزل الحالة الإقتصادية، وحدوث الأعاصير، والزلازل، والبراكين، والفيضانات، وحدوث اضطرابات في الجو، وغيرها من الكوارث والأحداث التي يعجز الإنسان برغم ما وصل إليه من التطور التقني والتكنولوجي؛ عن أن يصل إلى بعض أسرارها، وإلى أسبابها.

### فتلخص:

أن الإنسان لا يعلم مصالحه ومفاسده:

١ - لعدم اطلاعه على أسرار النشاطين من جهة.

٢ - وعلى طبيعة العلاقة القائمة بينهما من جهةٍ أُخرى.

٣ - وعلى طبيعة العلاقة القائمة بين العمل والجزاء على المستويين الدنيوي والأخروي من جهةٍ ثالثة.

والعالم الوحيد بهذه الأسرار والعلاقات ليس إلا «خالق» هاتين النشاطين وما فيهما ومن فيهما، وواضع القانون فيهما، وميّن العلاقة بين العمل والجزاء على تلكما النشاطين، وهو المسمى: «الله» عزّ وجلّ.

ولم يترك «الله» عزّ وجلّ الإنسان من دون أن يُمدّه بمددٍ منه؛ لإرشاده، وتوجيهه، وسوّقه إلى كماله اللائق به، وقد عبّر عن هذا المدد في كتب أهل الكلام بـ «قاعدة اللطف» كما تقدمت الإشارة إليه سابقاً..

### سرُّ عالم التكوين:

إنّ البناء الذي أسّس على يد خالق الأكوان لبناءً متقنٌ ومحكمٌ؛ وهو يدُلُّ على مستواه العالي جدّاً؛ ولا يمكن لأيّ مخلوقٍ مهما تطوّر أن يصل إلى مستواه أبداً.

ويمكن أن نلحظ في عالم التكوين أمرين مهمان، وهما:

الأول: أنه قد زود بترسانةٍ دفاعيةٍ متطورةٍ جدّاً، وزودت هذه الترسانة الدفاعية بمجسات دقيقة وحساسة للغاية؛ بحيث تحس بأقل حركة غير طبيعية تحدث في

قافلة الوجود؛ فإذا حدثت فيها حركة غير متلائمة مع تكوينها التوحيدي؛ فإنها تبدأ بالتحرك ضد من صدر منه هذا السلوك غير السليم؛ للدفاع عن حقوق القافلة الوجودية، بل وبتعبير أدق وأفضل: للدفاع عن حقوق «التوحيد».

الثاني: أنه لم يُعلم وإلى الآن الأسرار التي توجد في عالم التكوين بشكل كافٍ؛ وما يحركها؛ وما يُعرقُّل تحريكها، وما يسرّعها.

### التحليل العلمي وفق أركان العلة:

وغاية ما يمكن القول في المقام هو أن السلوك غير السوي يعتبر علةً لتأثر أوتار عالم التكوين، ومن المعلوم أن قانون العلية يتكون من ثلاثة عناصر تؤسس وجوده وهي:

العنصر الأول: المقتضي.

العنصر الثاني: تحقق الشرط.

العنصر الثالث: ارتفاع المانع.

فعند اجتماع العناصر الثلاثة تتحقق العلة التامة، فإذا وجد «الذنب» ووجدت «المعصية» فقد وجد «المقتضي» لتحرك أوتار الغيب.

ولكن..

نجد أن الغالب وبحسب الظاهر هو عدم تحرك هذا القانون التكويني ضد السلوك الإنساني السلبي.. فلماذا؟!.

الجواب: ذلك لأن السبب يرجع إلى عدم معرفتنا بشروط تحقق العلة، وبالموانع التي قد تحجب اكتمال الدائرة الكهربائية لتحركها ضد العدو.

ولعل عدم إخبار النصوص السماوية والرسالية عن تلك التفاصيل في العلة التامة مرجعه هو إلى أحد أمرين:

١ - ليبقى العبد في خوف من كل مخالفة.

٢ - لتشابك خيوط المسائل المعنوية فيما بينها؛ إلى درجة يصعب على المقابل تحملها واستيعابها استيعاباً صحيحاً، فلو أخبرت عنها النصوص الشريفة لوجدها الإنسان صعبة الفهم والاستيعاب، وربما تؤدي به إلى تعطيل حياته؛ ولربما يفقد اندفاعه إلى تشكيل حضارته إنسانية.

فيبقى الإنسان حينئذ يتجاذبه ركنا (الأمل والخوف، الرجاء والخشية)، آملاً الوصول إلى غايته، ولعل تردده بين هذين الركنين يدفعه إلى الالتفات إلى نفسه؛ والتنبيه إلى خطواته، واليقظة في كل حركاته وسكناته؛ تجنباً لكل ما يوجب الخروج عن المنظومة الوجودية، وتجنباً للتعدي على الخالق سبحانه وتعالى.

### القانون التكويني كالمعادلة الرياضية:

إنَّ القانونَ التكوينيَّ كالمعادلة الرياضيّة - كما أشرنا سابقاً - التي لا تقبل «الخلف» ولا «التخلف»، فإن النتيجة الطبيعية للعملية الرياضية:  $٢ = ١ + ١$ ؛ فذلك نجد أن كل ما يخضع للقانون التكويني فإنه يكون محكوماً بنفس مستوى الأداء بين الفعل (المقدمة) وبين الأثر (النتيجة).

وهذا ما سنشاهده في النصوص الواردة في معارف الثقلين لاحقاً بإذنه تعالى.

### فعل القانون التكويني بلحاظ الفرد والجماعة:

ومن أهم الأحكام التي تحكم الفعل والجزاء هو تناسب الأثر والجزاء للفعل الصادر فرداً وجماعةً، فكما أن الفعل الصادر من الفرد له جزاؤه الخاص (المختص بهذا الفرد بالخصوص) فكذلك الفعل الصادر من فردين أو من مجموعة أفراد - والذي يصطلح عليه اليوم بـ«الظاهرة» الإجتماعية - فإن له جزاءه الخاص (المختص به).

وهكذا يمكن أن نقسم حركة الإنسان على نحوين أساسيين، وهما:

### النحو الأول: السلوك الفردي.

فإنه إذا صدر منه أي عمل منافٍ لطبيعة الحركة التوحيدية؛ فإن القانون الغيبي



سيتحرّك ضد هذا الفرد خاصة، فإن ما يأتي به الفرد من الأفعال على مستواه الفردي يرى أثره بما يتناسبُ وفعله، كمّاً وكيفاً ونوعاً.

النحو الثاني: السلوك الاجتماعي.

فإذا صدر من مجموع الأفراد عملٌ منافٍ لطبيعة الحركة الـ «توحيدية»؛ وأصبح هذا العمل الاجتماعي ظاهرةً إجتماعيةً؛ فإن القانون الغيبي سيتحرّك ضد هؤلاء الأفراد، أي: ضد ما يسمى بـ«المجتمع».

أي: أنه إذا ما تحوّل الفعل الفرديّ إلى ممارسة علنية وجهرية بين شخصين أو مجتمع؛ وأصبحت يمارسها مجموعة من الأفراد؛ بحيث تصبح ظاهرة إجتماعية؛ ففي هذه الحالة يتحول الجزء والأثر إلى مستواه الاجتماعي كمّاً وكيفاً ونوعاً.

معنى الظاهرة والجهر في عرف الثقلين:

وهنا تختلف المفاهيم المتعارفة فيما بين الوسط الثقافي العام، وبين معارف الثقلين، والسبب قد اتضح سابقاً، وهو راجع إلى النظرة والرؤية التي يمتلكها الإنسان للعالم والوجود، فإمّا أن تكون محدودة بحدود الدنيا، أو أن تكون أشمل.

ولذا فإنّ «الجهر» بالعمل والفعل في معارف الثقلين هو خروج الفعل من الحالة الفرديّة البحتة إلى شموليتها لمن هو غير صاحب الفعل، وبعبارةٍ أخرى هي: أنّ كلّ فعل يقوم به الإنسان وحده، فإنّه يتّصف بالسريّة، والخصوصيّة، ولكنّه بمجرد أن يظهر لشخصٍ آخر ولو كان فرداً واحداً فإنه يكتسب خصوصية الإعلان، ويوصف حينئذٍ بـ«الجهر» و«التجاهر».

نعم إذا تحوّل إلى ظاهرة عامة كسلوك إجتماعي عام وموحد؛ ففي هذه الحالة تتأكد الحالة الجهرية.

ولكن..

كيف يكون الجزء بالنسبة إلى الحالة الجهرية المتحققة بين شخصين؟!، وكيف يكون الجزء بالنسبة إلى الحالة الجهرية المتحققة بين مجموعة أفراد؟!،

وكيف يكون الجزاء بالنسبة إلى الحالة الجهرية بين مجموع المجتمع؟!؛ فهذا ما يحتاج إلى بحث مستقل، وإن كانت ظواهر الكتاب العزيز وكثير من الأخبار الشريفة تؤكد في الجملة أن العواقب تكون وخيمة جداً، فأليك بعض المرويات الشريفة المتعلقة بالمقام، فهي ما يكشف لنا هذه الحقيقة، ويوضح لنا هذا المطلب:

– رسول الله ﷺ: «كلُّ أمتي معافى إلا المجاهرين الذين يعملون العمل بالليل فيستره ربه، ثم يصبح فيقول: يا فلان إني عملت البارحة كذا وكذا، فكشف ستر الله عزَّ وجلَّ»<sup>(١)</sup>.

– أمير المؤمنين عليه السلام: «مجاهرة الله سبحانه بالمعاصي تعجل النقم»<sup>(٢)</sup>.

– الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إذا جاهر الفاسق بفسقه فلا حرمة له ولا غيبة»<sup>(٣)</sup>.

– الإمام علي الرضا عليه السلام: «... والمذيع بالسيئة مخذول، والمستتر بالسيئة مغفور له»<sup>(٤)</sup>.

القواعد العامة في دلالات نصوص الثقلين، والدلالات الخاصة فيهما:

فالنصوص التي وردت في القرآن الكريم والسنة الشريفة التي تحمل دلالات الأثر التكويني للفعل، وارتباطه بالجزاء كثيرة جداً.

وكما تقدم الكلام عن النصوص التي تبين العلة بين الفعل والجزاء، والتي قسمناها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: القاعدة العامة لأصل العلة التكوينية.

القسم الثاني: العلة التكوينية الإيجابية.

القسم الثالث: العلة التكوينية السلبية.

(١) المتقي الهندي: علاء الدين علي: كنز العمال: ٤: ٢٣٩.

(٢) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٤٨٨.

(٣) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: الامالي: ٩٣.

(٤) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٢: ٤٢٨.

فإنه ينطبق أيضاً فيما نحن فيه، ويمكن أن نضيف تمثيلاً وتشبيهاً آخراً وهو: تمثيله وتشبيهه بـ«المرآة العاكسة».

### الشواهد النصية:

وقد قلنا: إن هذه النشأة تتضمن القانونين، القانون المادي، والقانون الغيبي التكويني، فمع الرجوع إلى القرآن الكريم سنجد ذكر كلا القانونين في آياته وسوره الشريفة، وفي ذكر القانون المادي دلالة أن القرآن الكريم يعير اهتماماً له، ولكنه لا يجعله في نفس كفة القانون الغيبي، لما يرى ما لهذا القانون الأخير من قوة وسيطرة على الأول، ولذا ما جاء في نصوص الثقلين من ذكر القانونين.

أولاً: القانون المادي:

نصوص الثقل (١):

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾. [البقرة/ ٢٢].

وقال تعالى: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ﴾ [البقرة/ ٢٥٨].

قال تعالى: ﴿فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكُفْرِينَ﴾ ﴿٨٨﴾ بِسْمَا أَسْرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا \* اللَّهُ بَعِيًا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِعَضْبٍ عَلَى عَضْبٍ \* [الأنعام/ ٩٦-٩٧].

قال تعالى: ﴿عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ، وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تقتلون أنبياءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٩١﴾ \* وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ ﴿٩٢﴾ \* وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ حُدُودًا مَاءً آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمَعُوا﴾ [الأنعام/ ٩٩].

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُجْعَلْ صَدْرُهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام/ ١٢٥].

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا

ثِقَالًا سُقْنَهُ لِيَلِدَ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿ [الأعراف/ ٥٧].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿ [يونس/ ٣].

قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ يَأْتِكُمُ اللَّهُ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿ [الحج/ ٦١].

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿ [الحج/ ٦٣].

قال تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿ [لقمان/ ١٠].

قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسُقْنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿ [فاطر/ ٩].

قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ \* وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَاحَ فِيهِ مَوَآخِرٌ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ. وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ \* يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿ [فاطر/ ١١-١٣].

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿ [فاطر/ ٢٢].

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُعْنَى \* ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى \* فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى \* أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿ [القيامة/ ٣٧-٤٠].

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنْ أَلْبَعَثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤَفِّقُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدِّدُ إِلَىٰ أَزْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ ﴿[الحج/٥].

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْنِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿[الروم/٤٦].

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُحْمَلُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَىٰ الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ حِلَلِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿[الروم/٤٨].

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿[الروم/٥٤].

قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿[الأعراف/٣١].

قال تعالى: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا \* رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا \* وَأَغَطَّشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا \* وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا \* أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرَعَهَا \* وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا \* مَنَّاعًا لَكُمْ وَلِتَنْمِلَكُمْ ﴿[النازعات/٢٧-٣٣].

### نصوص الثقل (٢):

– رسول الله ﷺ: «... واعلم أن المعدة بيت الداء، وأن الحمية هي الدواء، وأعود البدن ما اعتاد...»<sup>(١)</sup>.

– أمير المؤمنين عليه السلام: «أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً بِلَا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا وَلَا تَجْرِبَةٍ اسْتِفَادَهَا وَلَا حَرَكَةَ أَحَدَتْهَا وَلَا هَمَامَةَ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا أَحَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا وَلَا مَبْيَنَ مُخْتَلِفَاتِهَا وَغَرَزَ غَرَائِزَهَا وَأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا عَالِمًا بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا

(١) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: الخصال: ٥١١.

مُحِيطاً بِحُدُودِهَا وَانْتِهَائِهَا عَارِفاً بِقَرَائِنِهَا وَأَحْنَائِهَا ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتَقَّ الْأَجْوَاءَ وَشَقَّ الْأَرْجَاءَ وَسَكَتِ الْهَوَاءَ فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلَاطِماً تَيَّارُهُ مُتْرَاكِماً زَخَّارُهُ حَمَلُهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ وَالزَّرْعِ وَالزَّرْعِ الْقَاصِفَةِ فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ وَسَلَطَهَا عَلَى شَدِّهِ وَقَرَنَهَا إِلَى حَدِّهِ الْهَوَاءَ مِنْ تَحْتِهَا فَتَيَّقُ وَالْمَاءَ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَمَمَ مَهَبُّهَا وَأَدَامَ مُرَبَّهَا وَأَعَصَفَ مَجْرَاهَا وَأَبْعَدَ مَنَشَأَهَا فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ وَإِثَارَةِ مَوْجِ الْبِحَارِ فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السَّقَاءِ وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ تَرْدُ أَوْلَاهُ إِلَى آخِرِهِ وَسَاجِيَهُ إِلَى مَائِرِهِ حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ وَرَمَى بِالزَّبْدِ رُكَّامُهُ فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ وَجَوٍّ مُنْفَهَقٍ فَسَوَى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً وَعُليَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَسَمَكاً مَرْفُوعاً بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعُمُهَا وَلَا دِسَارٍ يَنْظُمُهَا ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكُوكَبِ وَضِيَاءِ الثَّوَابِقِ وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً وَقَمراً مُنِيراً فِي فَلَكَ دَائِرٍ وَسَقْفٍ سَائِرٍ وَرَقِيمٍ مَائِرٍ<sup>(١)</sup>.

- وقال عليه السلام: «... ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزَنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا وَعَذْبِهَا وَسَبْخِهَا تَرْبَةً سَنَهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ وَلَاطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةَ ذَاتِ أَحْنَاءٍ وَوُضُوءٍ وَأَعْضَاءٍ وَفُضُولٍ أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلَّصَتْ لَوْقَتٍ مَعْدُودٍ وَأَمَدٍ مَعْلُومٍ ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثَلَتْ إِنْسَاناً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا وَفِكْرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا وَجَوَارِحٍ يَخْتَدِمُهَا وَأَدْوَاتٍ يُقَلِّبُهَا وَمَعْرِفَةٍ يُفَرِّقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْأَذْوَاقِ وَالْمَشَامِ وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ مَعْجُوناً بِطِينَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ وَالْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ وَالْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ...»<sup>(٢)</sup>.

- وقال عليه السلام لولده الإمام الحسن عليه السلام: «أَلَا أَعْلَمُكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ تَسْتَعِينِي بِهَا

عَنِ الطَّبِّ؟

قال: بلى يا أمير المؤمنين.

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١.

(٢) نهج البلاغة: «الخطبة ١».

قال: لا تجلس على الطعام إلا وأنت جائع، ولا تَقْمُ عن الطعام إلا وأنت تشتهيهِ، وَجَوْدِ المضغِ، وإذا تَمَّت فاعرض نفسك على الخلاء، فإذا استعملت هذا استغنيت عن الطب<sup>(١)</sup>.

- وقال عليه السلام: «أربع كلمات في الطب لو قالها بقراط وجالينوس لقدم أمامها مائة ورقة ثم زينها بهذه الكلمات وهي قوله: توقوا البرد في أوله، وتلقوه في آخره، فإنه يفعل في الأبدان كفعله بالأشجار، أوله يحرق، وآخره يورق»<sup>(٢)</sup>.

- وقال عليه السلام: «لا صحة مع النهم»<sup>(٣)</sup>.

- الإمام السجاد عليه السلام: «والحمد لله الذي ركب فينا آلات البسط، وجعل لنا أدوات القبض، وتمعنا بأرواح الحياة، وأثبت فينا جوارح الأعمال، وغذانا بطيبات الرزق، وأغنانا بفضله، وأقنانا بمنه...»<sup>(٤)</sup>.

- الإمام الصادق عليه السلام: «التفاح يفرج المعدة، وقال: كل التفاح فإنه يطفىء الحرارة، ويبرد الجوف، ويذهب بالحمى. وفي حديث آخر يذهب بالوباء»<sup>(٥)</sup>.

- وقال عليه السلام: «في السواك اثنتا عشرة خصلة، هو من السنة، ومطهرة للفم، ومجلاة للبصر، ويُرضي الربَّ، ويبيض الأسنان، ويذهب بالحفر، ويشد اللثة، ويشهى الطعام، ويذهب بالبلغم، ويزيد في الحفظ، ويضاعف الحسنات، وتفرح به الملائكة»<sup>(٦)</sup>.

- وقال عليه السلام: «من افتتح طعاماً بالملح وختمه بالملح دُفِعَ عنه سبعون داءً»<sup>(٧)</sup>.

(١) الراوندي: قطب الدين: الدعوات: ٧٤.

(٢) الزيات: لابني سابور والحسين ابني بسطام: طب الأئمة: ٣.

(٣) الزيات: لابني سابور والحسين ابني بسطام: طب الأئمة: ٣.

(٤) الصحيفة السجادية: ١٩.

(٥) البرقي: أحمد بن محمد بن محمد بن خالد: المحاسن: ٢: ٥٥١. (ملاحظة: إن أحكام الفواكه قد تختلف من بلد إلى آخر، ومن طبائع إلى أخرى، وليس الغرض في ذكرها هنا إلا إثبات ما وضع الله تعالى من آثار خاصة ضمن النظام الأحسن والمختص بعالم المادة، والذي يصطلح عليه بالقانون المادي).

(٦) البرقي: أحمد بن محمد بن محمد بن خالد: المحاسن: ٢: ٥٦٢.

(٧) البرقي: أحمد بن محمد بن محمد بن خالد: المحاسن: ٢: ٥٩٢.

- وقال ﷺ لمفضل بن عمر: «يا مفضل أول العبر والدلالة على الباري جل قدسه، تهيئة هذا العالم، وتأليف أجزائه ونظمها، على ما هي عليه، فإنك إذا تأملت العالم بفكرك وخبرته بعقلك، وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج إليه عباده، فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالبساط، والنجوم مضيئة، كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر، وكلُّ شيءٍ فيها لشأنه مُعدُّ، والإنسان كالمالك ذلك البيت، والمخول جميع ما فيه. وضروب النبات مهياةً لمآربه، وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه. ففي هذا دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتقدير وحكمة ونظام وملاءمة، وأن الخالق له واحد، وهو الذي ألفه ونظمه بعضاً إلى بعض، جلَّ قدسه وتعالى جده وكرمه وجهه ولا إله غيره تعالى عما يقول الجاحدون، وجلَّ وعظم عما ينتحله الملحدون»<sup>(١)</sup>.

- وقال ﷺ: «فاعتبر بما ترى من ضروب المآرب في صغير الخلق وكبيره، وبما له قيمة وما لا قيمة له، وأخس من هذا وأحقره، الزبل والعذرة التي اجتمعت فيها الخساسة والنجاسة معاً، وموقعها من الزرع والبقول والخضر اجمع، الموقع الذي لا يعدله شيءٌ، حتى أن كل شيءٍ من الخضر لا يصلح ولا يزكو الا بالزبل والسماذ، الذي يستقذره الناس ويكرهون الدنو منه، واعلم أنه ليس منزلة الشيء على حسب قيمته، بل هما قيمتان مختلفتان بسوقين، وربما كان الخسيس في سوق المكتسب نفيساً في سوق العلم، فلا تستصغر العبرة في الشيء لصغر قيمته، فلو فطنوا طالبوا الكيمياء لما في العذرة، لا شتروها بأنفس الأثمان وغالوا بها»<sup>(٢)</sup>.

- وقال ﷺ في خلق الإنسان وتدبير الجنين في الرحم: «نبدأ يا مفضل بذكر خلق الإنسان فاعتبر به.. فأول ذلك ما يدبر به الجنين في الرحم، وهو محجوب في ظلمات ثلاث: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، حيث لا حيلة عنده في طلب غذاء، ولا دفع أذى. ولا استجلاب منفعة، ولا دفع مضرة، فإنه

(١) الجعفي: المفضل بن عمر: التوحيد: ١١ - ١٢.

(٢) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرك الوسائل: ١٣: ١٢١.



يجري إليه من دم الحيض ما يغذوه، الماء والنبات، فلا يزال ذلك غذاؤه... حتى إذا كمل خلقه واستحكم بدنه وقوى أديمه على مباشرة الهواء وبصره على ملاقاته الضياء هاج الطلق بأمه فأزعجه أشد إزعاج وأعنفه حتى يولد، فإذا ولد صرف ذلك الدم الذي كان يغذوه من دم أمه إلى ثديها وانقلب الطعم واللون إلى ضرب آخر من الغذاء وهو أشد موافقة للمولود من الدم فيوافيه في وقت حاجته إليه، فحين يولد قد تلمظ وحرك شفثيه طلباً للرضاع، فهو يجد ثدي أمه كالأدوتين المعلقتين لحاجته فلا يزال يتغذى باللبن، ما دام رطب البدن رقيق الأمعاء لين الأعضاء.

حتى إذا تحرّك، واحتاج إلى غذاء فيه صلابة ليشتدّ ويقوى بدنه، طلعت له الطواحن من الأسنان والأضراس ليمضغ بها الطعام، فيلين عليه، ويسهل له إساغته، فلا يزال كذلك حتى يدرك، فإذا أدرك وكان ذكراً طلع الشعر في وجهه، فكان ذلك علامة الذكر، وعزّ الرجل الذي يخرج به من جدة الصبا وشبه النساء. وإن كانت أنثى يبقى وجهها نقيّاً من الشعر، لتبقى لها البهجة، والنضارة التي تحرك الرجل لما فيه دوام النسل وبقاؤه. اعتبر يا مفضل فيما يدبر به الإنسان في هذه الأحوال المختلفة، هل ترى مثله يمكن أن يكون بالإهمال؟ أفرايت لو لم يجر إليه ذلك الدم وهو في الرحم، ألم يكن سيذوي ويجفّ كما يجفّ النبات إذا فقد الماء، ولو لم يزعجه المخاض عند استحكامه ألم يكن سيبقى في الرحم كالمؤود في الأرض؟ ولو لم يوافقه اللبن مع ولادته ألم يكن سيموت جوعاً أو يغتذي بغذاء لا يلائمه، ولا يصلح عليه بدنه، ولو لم تطلع له الأسنان في وقتها ألم يكن سيمتنع عليه مضغ الطعام وإساغته. أو يقيمه على الرضاع فلا يشتد بدنه ولا يصلح لعمل؟ ثم كان يشغل أمه بنفسه عن تربية غيره من الأولاد؟!<sup>(١)</sup>.

- وقال ﷺ: «فكر يا مفضل في أعضاء البدن أجمع، وتدبير كل منها للأرب، فاليدان للعلاج، والرجلان للسعي، والعينان للاهتمام، والفم للاغتذاء والمعدة للهضم، والكبد للتخليص، والمنافذ لتنفيذ الفضول، والأوعية لحملها، والفرج

(١) الجعفي: المفضل بن عمر: التوحيد: ١٢ - ١٤.

لإقامة النسل، وكذلك جميع الأعضاء، إذا ما تأملتها وأعملت فكرك فيها ونظرك، وجدت كل شيء منها قد قُدِّرَ لشيءٍ على صواب وحكمة»<sup>(١)</sup>.

– وقال عليه السلام: «فكر يا مفضل في وصول الغذاء إلى البدن، وما فيه من التدبير، فإن الطعام يصير إلى المعدة فتطبخه، وتبعث بصفوه إلى الكبد، في عروق دقاق واشجة بينهما، وقد جعلت كالمصفاي للغذاء، لكيلا يصل إلى الكبد منه شيءٌ فينكأها، وذلك أن الكبد رقيقة لا تحتمل العنف، ثم إن الكبد تقبله فيستحيل بلطف التدبير دما، وينفذه إلى البدن كله في مجاري مهية لذلك، بمنزلة المجاري التي تهيأ للماء ليترد في الأرض كلها وينفذ ما يخرج منه من الخبث والفضول إلى مفاصل قد أعدت لذلك فما كان منه من جنس المرة الصفراء جرى إلى المرارة وما كان من جنس السوداء جرى إلى الطحال، وما كان من البلّة والرطوبة جرى إلى المثانة.

فتأمل حكمة التدبير في تركيب البدن، ووضع هذه الأعضاء منه مواضعها، وإعداد هذه الأوعية فيه، لتحمل تلك الفضول، لئلا تنتشر في البدن فتسقمه وتنهكه، فتبارك من أحسن التقدير، وأحكم التدبير، وله الحمد كما هو أهله ومستحقه.

### (أول نشوء الأبدان: تصوير الجنين في الرحم)

قال المفضل فقلت: صف نشوء الأبدان ونموها حالاً بعد حال حتى تبلغ التمام والكمال، قال عليه السلام: أول ذلك تصوير الجنين في الرحم حيث لا تراه عين ولا تناله يد، ويدبره حتى يخرج سوياً مستوفياً جميع ما فيه قوامه وصلاحه من الأحشاء والجوارح والعوامل، إلى ما في تركيب أعضائه من العظام، واللحم، والشحم، والعصب، والمخ، والعروق والغضاريف. فإذا خرج إلى العالم تراه كيف ينمو بجميع أعضائه وهو ثابت على شكل وهيئة لا تتزايد ولا تنقص إلى أن يبلغ أشده إن مد في عمره أو يستوفي مدته قبل ذلك، هل هذا إلا من لطيف التدبير والحكمة.

### (اختصاص الإنسان بالانتصاب والجلوس دون البهائم)

أنظر مفضل ما خصّ به الإنسان في خلقه تشرفاً، وتفضلاً على البهائم، فإنه خلق

(١) الجعفي: المفضل بن عمر: التوحيد: ١٨.

ينتصب قائماً، ويستوي جالساً، ليستقبل الأشياء بيديه وجوارحه، ويمكنه العلاج والعمل بهما، فلو كان مكبواً على وجهه كذوات الأربع، لما استطاع أن يعمل شيئاً من الأعمال.

### (تخصص الإنسان بالحواس وتشرّبها دون غيره)

أنظر الآن يا مفضل إلى هذه الحواس التي خصّ بها الإنسان في خلقه، وشرف بها على غيره. كيف جعلت العينان في الرأس، كالمصباح فوق المنارة؟ ليمكن من مطالعة الأشياء، ولم تجعل في الأعضاء التي تحتهن، كاليدين والرجلين، فتعترضها الآفات ويصيبها من مباشرة العمل والحركة، ما يعللها ويؤثر فيها وينقص منها، ولا في الأعضاء التي وسط البدن، كالبطن، والظهر، فيعسر ثقلها، واطلاعها نحو الأشياء.

### (الحواس الخمس وأعمالها وما في ذلك من الأسرار)

فلما لم يكن لها في شيء من هذه الأعضاء موضع، كان الرأس أسنى المواضع للحواس، وهو بمنزلة الصومعة لها. فجعل الحواس خمساً تلقى خمساً لكي لا يفوتها شيء من المحسوسات.. فخلق البصر ليدرك الألوان فلو كانت الألوان ولم يكن بصر يدركها، لم تكن فيها منفعة. وخلق السمع ليدرك الأصوات، فلو كانت الأصوات ولم يكن سمع يدركها، لم يكن فيها إرب، وكذلك سائر الحواس. ثم هذا يرجع متكافياً، فلو كان بصر ولم تكن الألوان، لما كان للبصر معنى، ولو كان سمع ولم تكن أصوات، لم يكن للسمع موضع<sup>(١)</sup>.

– وقال عليه السلام: «فانظر كيف قدر بعضها يلقي بعضاً، فجعل لكل حاسة محسوساً يعمل فيه، ولكل محسوس حاسة تدركه، ومع هذا فقد جعلت أشياء متوسطة بين الحواس والمحسوسات، لا تتم الحواس إلا بها، كمثّل الضياء والهواء، فإنه لو لم يكن ضياء يظهر اللون للبصر، لم يكن البصر يدرك اللون، ولم يكن هواء يؤدي الصوت إلى السمع، لم يكن السمع يدرك الصوت. فهل يخفى عليه من صحّ نظره

(١) الجعفي: المفضل بن عمر: التوحيد: ١٩ - ٢٢.

وأعمل فكره، أن مثل هذا الذي وصفت من تهيئة الحواس والمحسوسات بعضها يلقي بعضاً، وتهيئة أشياء أخر بها تتم الحواس، لا يكون إلا بعمل وتقدير من لطيف خبير<sup>(١)</sup>.

- وقال عليه السلام: «أطل الفكر يا مفضل في الصوت والكلام وتهيئة آتاه في الإنسان، فالحنجرة كالأنبوبة لخروج الصوت، واللسان والشفتان والأسنان لصياغة الحروف والنغم. ألا ترى أن من سقطت أسنانه لم يقم السين، ومن سقطت شفته لم يصح الفاء، ومن ثقل لسانه لم يفصح الراء، وأشبه شئ بذلك المزمارة الأعظم، فالحنجرة تشبه قصبه المزمارة، والرئة تشبه الزق الذي ينفخ فيه لتدخل الريح، والعضلات التي تقبض على الرئة ليخرج الصوت كالأصابع التي تقبض على الزق حتى تجري الريح في المزامير. والشفتان والأسنان التي تصوغ الصوت حروفاً ونغماً كالأصابع التي تختلف في فم المزمارة فتصوغ صفيه ألقاناً، غير أنه وإن كان مخرج الصوت يشبه المزمارة بالآلة والتعريف فإن المزمارة - في الحقيقة - هو المشبه بمخرج الصوت»<sup>(٢)</sup>.

- وقال عليه السلام: «فكر يا مفضل في هذه المعادن، وما يخرج من الجواهر المختلفة، مثل الجص، والكلس، والجبين والمرتك، والتوتيا، والزئبق، والنحاس، والرصاص، والفضة، والذهب، والزرجد، والياقوت، والزمرد، وضروب الحجارة، وكذلك ما يخرج منها من القار، والموميا، والكبريت، والنفط، وغير ذلك مما يستعمله الناس في مآربهم، فهل يخفى على ذي عقل أن هذه كلها ذخائر ذخرت للإنسان في هذه الأرض، ليستخرجها فيستعملها عند الحاجة إليها، ثم قصرت حيلة الناس عما حاولوا من صنعتها، على حرصهم واجتهادهم في ذلك، فإنهم لو ظفروا بما حاولوا من هذا العلم، ثم كان لا محالة سيظهر ويستفيض في العالم، حتى يكثر الذهب والفضة، ويسقطا عند الناس، فلا يكون لها قيمة، ويبطل الانتفاع بهما في الشراء والبيع والمعاملات، ولا كان يجبي السلطان الأموال ولا

(١) الجعفي: المفضل بن عمر: التوحيد: ٢٢ - ٢٣.

(٢) الجعفي: المفضل بن عمر: التوحيد: ٢٥.

يدخرهما أحد للأعقاب، وقد أعطى الناس مع هذا صنعة الشبه من النحاس، والزجاج من الرمل، والفضة من الرصاص، والذهب من الفضة، وأشباه ذلك مما لا مضرة فيه، فانظر كيف أعطوا إرادتهم فيما لا مضرة فيه، ومُنِعوا ذلك فيما كان ضاراً لهم لو نالوه»<sup>(١)</sup>.

- وحضر أبو عبد الله عليه السلام مجلس المنصور يوماً وعنده رجل من الهندي يقرأ كتب الطب فجعل أبو عبد الله عليه السلام ينصت لقراءته فلما فرغ الهندي قال له: يا أبا عبد الله: أتريد مما معي شيئاً؟!.

قال: لا، فإن معي ما هو خير مما معك.

قال: وما هو؟

قال: أدوي الحار بالبارد والبارد بالحار والرطب باليابس واليابس بالرطب وأزُدَّ الأمرَ كلَّه إلى الله عزَّ وجلَّ وأستعمل ما قاله رسول الله ﷺ واعلم أنَّ المعدة بيت الداء وأنَّ الحمية هي الدواء وأعودُ البدنَ ما اعتاد فقال الهندي: وهل الطب إلا هذا؟

فقال الصادق عليه السلام: أفراني من كتب الطب أخذت؟

قال: نعم.

قال: لا والله ما أخذت إلا عن الله سبحانه، فأخبرني أنا أعلم بالطب أم أنت؟

قال الهندي: لا بل أنا.

قال الصادق عليه: فأسألك شيئاً.

قال: سل.

قال: أخبرني يا هندي لِمَ كان في الرأس شؤون؟

قال: لا أعلم.

(١) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ١٣: ١٨٥ - ١٨٦.

قال: فَلِمَ جعل الشعر عليه من فوق؟

قال: لا أعلم.

قال: فَلِمَ خلت الجبهة من الشعر؟

قال: لا أعلم.

قال: فَلِمَ كان لها تخطيط وأسارير؟

قال: لا أعلم.

قال: فَلِمَ كان الحاجبان من فوق العينين؟

قال: لا أعلم.

قال: فَلِمَ جعل العينان كاللوزتين؟

قال: لا أعلم.

قال: فَلِمَ جعل الأنف فيما بينهما؟

قال: لا أعلم.

قال: فَلِمَ كانت ثقب الأنف في أسفله؟

قال: لا أعلم.

قال: فَلِمَ جعلت الشفة والشارب من فوق الفم؟

قال: لا أعلم.

قال: فَلِمَ احتد السن وعرض الضرس وطال الناب؟

قال: لا أعلم.

قال: فَلِمَ جعلت اللحية للرجال؟

قال: لا أعلم.

قال: فَلِمَ خلت الكفان من الشعر؟

قال: لا أعلم.

قال: فَلِمَ خلا الظفر والشعر من الحياة؟

قال: لا أعلم.

قال: فَلِمَ كان القلب كحَب الصنوبرة؟

قال: لا أعلم.

قال: فَلِمَ كان الرئة قطعتين وجعل حركتها في موضعها؟

قال: لا أعلم.

قال: فَلِمَ كانت الكبد حدباء؟

قال: لا أعلم.

قال: فَلِمَ كانت الكلية كحَب اللوبيا؟

قال: لا أعلم.

قال: فَلِمَ جعل طيِّ الركبة إلى الخلف؟

قال لا أعلم.

قال: فَلِمَ تخرست القدم؟

قال: لا أعلم.

فقال الصادق عليه السلام: لكني أعلم.

قال: فأجب.

فقال الصادق عليه السلام: كان في الرأس شؤون؛ لأنَّ المجوف إذا كان بلا فصل

أسرع إليه الصداع فإذا دخل ذا فصول كان الصداع منه أبعد.

وجعل الشعر من فوقه ليوصل بوصوله الأدهان إلى الدماغ ويخرج بأطرافه

البخار منه ويرد عنه الحر والبرد الواردين عليه.

وخلت الجبهة من الشعر لأنها مصب النور إلى العينين .  
وجعل فيها التخطيط والأسارير ليجلس العرق الوارد من الرأس عن العين قدر  
ما يمتطيه الإنسان عن نفسه كالأنهار في الأرض التي تحبس المياه .  
وجعل الحاجبان من فوق العينين ليوردا عليهما من النور قدر الكفاية، ألا ترى  
يا هنديّ أنّ من غلبه النور جعل يده على عينيه ليرد عليهما قدر كفايتهما منه .  
وجعل الانف فيما بينهما ليقسم النور قسمين إلى كل عين سواء وكانت العين  
كاللوزة ليجرى فيها الميل بالدواء ويخرج منها الداء ولو كانت مربعة أو مدورة ما  
جرى فيها الميل وما وصل إليها دواء ولا خرج منها داء .  
وجعل ثقب الانف في أسفله لينزل منه الأدوية المنحدرة من الدماغ وتصعد فيه  
الروائح إلى المشام ولو كان في أعلاه لما أنزل داء ولا وجد رائحة .  
وجعل الشارب والشفة فوق الفم ليحس ما ينزل من الدماغ عن الفم لئلا  
يتنغص على الإنسان طعامه وشرابه فيميطه عن نفسه .  
وجعلت اللحية للرجال ليستغني بها عن الكشف في المنظر ويعلم بها الذكر  
من الأنثى .  
وجعل السن حاداً؛ لأنّ به يقع العض .  
وجعل الضرس عريضاً؛ لأنّ به يقع الطحن والمضغ .  
وكان الناب طويلاً ليشدد الأضراس والأسنان كالأسطوانة في البناء .  
وخلأ الكفان من الشعر؛ لأنّ بهما يقع اللمس فلو كان بهما شعر ما درى الإنسان  
ما يقابله ويلمسه .  
وخلأ الشعر والظفر من الحياة؛ لأنّ طولهما وسخ يقبح وقصّهما حسن، فلو  
كان فيهما حياة لألم الإنسان لقصّهما .  
وكان القلب كحب الصنوبر؛ لأنّه منكّس، فجعل رأسه رقيقاً ليدخل في الرية  
فيتروح عنه ببردها لألا يشيط الدماغ بحرّه .



وجعلت الرئة قطعتين ليدخل في مضاعفها فتروح عنه بحركتها.

وكانت الكبد حذاء لتثقل المعدة، وتقع جميعها عليها، فتعصرها فيخرج ما فيها من البخار.

وجعلت الكلية كحب اللوبيا؛ لأنَّ عليها مصبَّ المنى نقطةً بعد نقطة فلو كانت مربَّعةً أو مدوّرةً لاحتبست النقطة الأولى الثانية فلا يلتذ بخروجها الحي إذ المنى ينزل من فقار الظهر إلى الكلية فهي كالدودة تنقبض وتنبسط ترميه أولاً فأولاً إلى المثانة كالبنديقة من القوس.

وجعل طيُّ الركبة إلى خلف؛ لأنَّ الإنسان يمشي إلى ما بين يديه فتعتدل الحركات، ولولا ذلك لسقط في المشي.

وجعلت القدم متخصرة؛ لأنَّ الشيء إذا وقع على الأرض جميعه ثقل ثقل حجر الرحا، وإذا كان على طرفه دفعه الصبي، وإذا وقع على وجهه صعب نقله على الرجل.

فقال الهندي من أين لك هذا العلم؟

فقال عليه السلام: أخذته عن آبائي عليهم السلام، عن رسول الله ﷺ عن جبرئيل عليه السلام عن رب العالمين جل جلاله الذي خلق الأجساد والأرواح.

فقال الهندي: صدقت وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله وعبده، وأنك أعلم أهل زمانه»<sup>(١)</sup>.

– الإمام الرضا عليه السلام: «ليس من دواء إلا ويهيج داءً، وليس شيء في البدن أنفع من إمساك البدن إلا عمّا يحتاج إليه»<sup>(٢)</sup>.

– وقال عليه السلام: «التين يذهب بالبخر، ويشدُّ العظم، ويُنبت الشعر، ويذهبُ بالداء حتى لا يحتاج معه إلى دواء. وقال: التين أشبه شيء بنبات الجنة وهو يذهب بالبخر»<sup>(٣)</sup>.

(١) الصدوق: أبو جعفر بن محمد بن علي ابن الحسن: علل الشرائع: ١: ٩٨ – ١٠١.

(٢) الحر العاملي: الشيخ محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٢: ٤٠٨.

(٣) البرقي: أحمد بن محمد بن خالد: المحاسن: ٢: ٥٥٤.

ثانياً: القانون التكويني:

أقسام دلالات النصوص في العلة بين العمل والجزاء:

لقد تقدّم الكلام عن النصوص التي تبين العلة بين الفعل والجزاء، وكان الكلام فيها عن أصل وجود العلة بين العمل والجزاء، إلا أن الكلام هنا في النظر إلى الأخبار الشريفة وإلى الشواهد النصية في معارف الثقلين؛ التي تبين العلاقة بين الفعل والجزاء، وتكشف مستواها أيضاً، وهكذا فقد قسمناها إلى ثلاثة أقسام، وهي:

القسم الأول: النصوص العامة.

القسم الثاني: نصوص العلة التكوينية الإيجابية.

القسم الثالث: نصوص العلة التكوينية السلبية.

فأمّا فيما يتعلق بالنصوص العامة، فهي شاملة للقسمين، وهي بقوة القاعدة العامة، التي تقبل الإنطباق على الأثر التكويني عامة، سواء أكان على مستوى العلة التكوينية بين الفعل والجزاء الأخرى - كما مر ذكره سابقاً -، أم كان على مستوى العلة التكوينية بين الفعل والجزاء الدنيوي.

وأما القسم الثاني: فهي الشواهد النصية التي بيّنتها تحمل الدلالات الإيجابية للعمل والجزاء، وقد عبرنا عن نوع علقته وربطتها سابقاً بـ «العلة التكوينية الإيجابية».

وأما القسم الثالث: فهي الشواهد النصية التي بيّنتها تحمل الدلالات السلبية للعمل والجزاء، وقد عبرنا عن نوع علقته وربطتها سابقاً بـ «العلة التكوينية السلبية».

ملاحظة:

١ - ونؤكد هنا أن الحديث عن العلة التكوينية بين الفعل والجزاء هنا في هذا الباب ليس عن الأصل بل عن جزء الفعل الدنيوي الذي لا يكون إلا من سنخ فعل الإنسان الذي يقوم به في حياته اليومية.

٢ - ولقد تعمدنا إيراد الكثير من النصوص الشريفة لأجل أن يطلع القارئ على هذه النصوص ومدى إهتمامها بتربية الإنسان عملاً فضلاً عن العلم، وتبين للإنسان الأثر التكويني لعمله وسلوكه الذي يمارسه في الحياة، ليعلم أن السبب الرئيسي والأول لأزماته هو ذاته لا غيره، وأن الحلول بيده، وألا يقلق إن احتاج إلى مرشد يرشده.

### نصوص الثقيلين:

والآيات القرآنية الواردة في بيان هذه الحقيقة كثيرة جداً؛ ولربما تزيد نسبتها عن ٧٥٪ - ٨٠٪ منها، بل وسنجد أيضاً الكم الهائل من الروايات التي تتعلق بالمطلب المذكور.

### تنويه:

ونوه هنا إلى أننا قد قمنا بذكر الآيات والروايات في المقام من دون إدراجها تحت عناوين محددة، بل وقمنا بإيرادها بشكل عشوائي، كي:

١ - لا يُقيد ذهن القارئ العزيز النص الشريف بعنوان معين ناشئ عن انتزاع مفاهيم أخرى مفيدة في البين.

٢ - وتعم الفائدة أكثر إن شاء الله تعالى.

فإليك بعض تلكم النصوص الشريفة:

### الدلالات ذات القاعدة العامة، والشاملة:

#### الثقل (١):

قال تعالى: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [يونس/ ٥٢].

قال تعالى: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل/ ٩٠].

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ

اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال/ ٥٣].

## الثقل (٢):

- رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَنَسًا مِنْ أُمَّتِي سَيَتَفَقَهُونَ فِي الدِّينِ، وَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، وَيَقُولُونَ: نَأْتِي الْأَمْرَاءَ فَنُصِيبُ مِنْ دُنْيَاهُمْ وَنَعْتَزِلُهُمْ بِدِينِنَا، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ. كَمَا لَا يُجْتَنَى مِنَ الْقِتَادِ إِلَّا الشُّوكُ»<sup>(١)</sup>.

- وعنه ﷺ: «كَمَا لَا يُجْتَنَى مِنَ الشُّوكِ الْعَنْبُ؛ كَذَلِكَ لَا يَنْزِلُ الْفَجَارُ مَنَازِلَ الْأَبْرَارِ، وَهَمَا طَرِيقَانِ؛ فَأَيُّهُمَا أَخَذْتُمْ أَدْرَكْتُمْ إِلَيْهِ»<sup>(٢)</sup>.

- أمير المؤمنين ع: «كُلُّ امْرَأٍ يَلْقَى مَا عَمِلَ، وَيُجْزَى بِمَا يَصْنَعُ»<sup>(٣)</sup>.

- وعنه ع: «لَنْ يَلْقَى جِزَاءَ الشَّرِّ إِلَّا عَامِلُهُ، وَلَنْ يَجْزَى جِزَاءَ الْخَيْرِ إِلَّا فَاعِلُهُ»<sup>(٤)</sup>.

- وعنه ع: «... إِعْلَمَنَّ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتًا، وَكُلِّ نَبَاتٍ لَا غِنَى بِهِ عَنِ الْمَاءِ، وَالْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ فَمَا طَابَ سَقِيهِ طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَّتْ (وَاحْلَوْلَتْ) ثَمْرَتُهُ، وَمَا خَبِثَ سَقِيهِ خَبِثَ غَرْسُهُ وَأَمْرَتْ ثَمْرَتُهُ»<sup>(٥)</sup>.

## الدلالات ذات الأثر الخاص:

## نصوص الثقل (١):

## أولاً: البعد الإيجابي.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَرَى \* وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل / ٥-٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف / ٩٦].

(١) القزويني: محمد بن يزيد: سنن ابن ماجه: ٩٣.

(٢) السيوطي: جلال الدين: الجامع الصغير: ٢: ٢٩٤.

(٣) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٣٧٧.

(٤) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٤٠٧.

(٥) نهج البلاغة: الخطبة رقم: ١٥٥.

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل/٩٧].

وقال تعالى: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرِسُوْلِهِ يُوْتِكُمْ كَهْلِيْنَ مِنْ رَّحْمَتِهِ وَبَجْعَلْ لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ، وَيَعْفِرْ لَكُمْ ؕ وَاللَّهُ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ﴾ [الحديد/٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَبِرزْقِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۗ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق/٢-٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا \* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا \* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِيْنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح/١٠-١٢].

وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة/١١٢].

وقال تعالى: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُوْلِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال/٢٤].

وقال تعالى: ﴿أَوْمِنَ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِيْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام/١٢٢].

وقال تعالى: ﴿الَّذِيْنَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُوْلِ مِنْ بَعْدِ مَا ءَاخَذْنَاهُمُ الْقَرْحَ لِلَّذِيْنَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيْمٌ \* الَّذِيْنَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيْلُ \* فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى اللَّهِ فَفَضَّلَهُمْ لِمَ يَمَسُّهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيْمٍ﴾ [آل عمران/١٧٢-١٧٤].

وقال تعالى: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيْمِ﴾ [الأنفال/٢٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِيْنَ هُمْ يُحْسِنُونَ﴾ [النحل/١٢٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَٰغِيْفٌ مِّنَ الشَّيْطٰنِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف/٢٠١].

وقال تعالى: ﴿إِن مَّمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ سَأَوْهُمْ وَإِن تُصَبِّكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران/ ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢٨٢].

وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلَك رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه/ ١٣٢].

ثانياً: البعد السلبي.

قال تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران/ ١١٧].

وقال تعالى: ﴿فَاعْرَضُوا فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ حَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرُ﴾ [سبأ/ ١٦-١٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نُجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يونس/ ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِن لَهُ مَعِيشَةٌ ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى \* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَد كُنْتُ بَصِيرًا \* كَذَلِكَ أَنْتَ أَعْيُنَا فَسِنِينَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى \* وَكَذَلِكَ نُجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه/ ١٢٤-١٢٧].

وقال تعالى: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّعِقَةَ يُظْلِمُهُمُ﴾. [النساء/ ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف/ ١٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ \* قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَّوَكَّلَ مِنْ آهِنَاتِنَا فَإِنَّا بِمَا نَعْدُنَا إِن كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ \* قَالَ إِنَّمَا أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِنُكُمْ قَوْمًا بِجَهْلُوْت \* فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرٌ نَّآ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ

بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ \* تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿[الأحقاف/ ٢١-٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأحقاف/ ٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ \* وَلَقَدْ وَصَلْنَا لَهُمْ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص/ ٥٠-٥١].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ \* فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف/ ٥٥-٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصَّ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف/ ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ [ق/ ٣٦].

وقال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُم عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء/ ١٨٩].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ [إبراهيم/ ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ \* وَتِلْكَ ءَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ \* وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ ءَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بَعْدَ لَعَادٍ قَوْمٍ هُودٍ﴾ [هود/ ٥٨-٦٠].

وقال تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعَدَّ غَيْرَ مَكْدُوبٍ \* فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ \* وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ﴾ [هود/ ٦٥-٦٧].

وقال تعالى: ﴿فَتَمَتَّعُوا ۖ وَإِذَا آذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا ۗ ظَهَرَ أَلْسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ \* قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلَ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ [الروم/ ٤١-٤٢].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى/ ٣٠].

وقال تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين/ ١٤].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة/ ٥٥].

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ \* وَآمَطْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء/ ١٧٢-١٧٣].

وقال تعالى: ﴿ فِيمَا نَقَضَهُمْ مِّتَقَهُمْ وَكَفَرَهُمْ بَيَّاتٍ اللَّهُ وَقَلِيلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بَعِيرٍ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء/ ١٥٥].

وقال تعالى: ﴿ فَيُظَلِّمُونَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبَّيْتِ أَجَلَتْ لَهُمْ وَبَصَدَّهُمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا \* وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ هُمُوا عَنْهُ وَأَكَلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَطْلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء/ ١٦٠-١٦١].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُعْزِلَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا \* إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [النساء/ ١٦٨-١٦٩].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الَّذِينَ إِنَّمَا جَزَأُوا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة/ ٣٣].

وقال تعالى: ﴿ وَأَن أَحْكَمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْنَا أَنبَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة/ ٤٩].

وقال تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مُتُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة/ ٦٠].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ آتَمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن



فَوَقَّهْمَ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مَنَّهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ [المائدة/٦٦].

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَّكَّنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦٦﴾ [الأنعام/٦٦].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ [الأنعام/٤٢].

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَوَّجُوا بِمَاءٍ أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَعْتَةً فِإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ [الأنعام/٤٤].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَنْجِيكُمْ مِنْ ظُلْمَتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيِّنَ أَبْحَنَّا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ \* قُلْ اللَّهُ يَنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ \* قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ سُيْعًا وَيَدِينَكُمْ بَعْضُكُم بِأَسْبَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ ﴿٦٣-٦٥﴾ [الأنعام/٦٣-٦٥].

وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ [الأنعام/١٢٥].

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّنُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ [الأنعام/١٢٩].

وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ [هود/٨].

وقال تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ \* فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣-٣٤﴾ [النحل/٣٣-٣٤].

وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ [الجاثية/٢١].

وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَغَلَّبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ عَشْنَوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [البجائية/ ٢٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتِنَا ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء/ ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَعْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَارِعُوا إِلَىٰ الْحَسَنَاتِ \* فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة/ ٥٨-٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ مُوسَىٰ إِذْ قُلْتُمْ يَلْمُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَآئِهَا فُومَهَا وَفُومَهَا وَعَدْسِهَا وَبَصِلَهَا قَالِ أَسْتَبْدِلُوكَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكِنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة/ ٦١].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَلَقْنَا لَهُمْ كُتُوبًا قِرْدَةً خَاسِئِينَ \* فَعَلَنَهَا نِكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة/ ٦٥-٦٦].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ \* فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرْدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف/ ١٦٥-١٦٦].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرَجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَفْدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة/ ٨٥].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيًا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة/ ١١٤].

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَذَبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ [آل عمران/ ٥٦].

وقال تعالى: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقَّهُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [آل عمران/ ١١٢].

وقال تعالى: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران/ ١٥١].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [آل عمران/ ١٥٥].

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمَّْا أَصَبْنَاكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْنَا إِنَّا هَٰذَا قُلُوبٌ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران/ ١٦٥].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [آل عمران/ ١٧٨].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ ۗ إِنَّ أَوْلِيَآؤَهُ إِلَّا الْمُتَنَفِّونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ \* وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ \* إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال/ ٣٤-٣٦].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف/ ٩٦].

نصوص الثقل (٢):

أولاً: الأثر الإيجابي:

- الحديث القدسي: «... أهل طاعتي في ضيافتي، وأهل شكري في زيادتي، وأهل ذكري في نعمتي، وأهل معصيتي لا أؤيسهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيهم، وإن دَعَوْا فأنا مجيبهم، وإن مرضوا فأنا طيبهم، أداويهم بالمحن والمصائب، لأطهرهم من الذنوب والمعائب»<sup>(١)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «- وهو يحدث عن ربه -: النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، من تركها من مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه»<sup>(٢)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «العمرة إلى العمرة كفارة ما بينهما، والحجة المتقبلة ثوابها الجنة، ومن الذنوب ذنوب لا تُغْفَرُ إلا بعرفات»<sup>(٣)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «أربع من كُنَّ فيه وكان من قرنه إلى قدمه ذنوباً بدَّلها الله حسنات: الصدق، والحياء، وحسن الخلق، والشكر»<sup>(٤)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «ما أصاب المؤمن من نصب ولا وصب ولا حزن حتى الهمُّ يُهَمُّهُ إلا كَفَّرَ الله به عنه من سيئاته»<sup>(٥)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «قال الله: ما تحب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ ممَّا افترضته عليه، وإنه ليتحب إليَّ بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، إذا دعاني أحبته، وإذا سألتني أعطيتة...»<sup>(٦)</sup>.

(١) الحلبي: إين فهد: عدة الداعي: ٢٣٧.

(٢) الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد: المعجم الكبير: ١٠: ١٧٣.

(٣) النعمان المغربي: أبو حنيفة بن محمد القاضي: دعائم الإسلام: ١: ٢٩٤.

(٤) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٢: ١٠٨.

(٥) الحراني: الحسن بن علي ابن شعبة: تحف العقول: ٣٨.

(٦) البرقي: أحمد بن محمد بن خالد: المحاسن: ١: ٢١٩.

- رسول الله ﷺ: «حب الدنيا وحب الله لا يجتمعان في قلب أبدا»<sup>(١)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «- سئل (رسول الله ﷺ) عن الرجل تمر به المرأة فينظر إليها، فقال: أول نظرة لك، والثانية عليك ولا لك، والنظرة الثالثة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها لله لا لغيره، أعقبه الله إيماناً يجد طعمه»<sup>(٢)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، فمن تركها خوفاً من الله أعطاه إيماناً يجد حلاوته في قلبه»<sup>(٣)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «عُصِّوا أبصاركم تَرَوْا العجائب...»<sup>(٤)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «من أسرَّ ما يُرضي الله عزَّ وجلَّ أظهر الله له ما يُسرُّه... ومن تواضع لله رفعه الله... ومن عاد مريضاً فإنه يخوض في الرحمة وأوماً رسول الله إلى حقويه، فإذا جلس عند المريض غمرته الرحمة، ومن خرج من بيته يطلب علماً شيعه سبعون ألف مَلَكٍ يستغفرون له، ومن كظم غيظاً ملاً الله جوفه إيماناً، ومن أعرض عن محرم أبدله الله به عبادةً تسرُّه، ومن عفا عن مظلمة أبدله الله بها عزراً في الدنيا والآخرة...»<sup>(٥)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «النظر إلى محاسن النساء سهم من سهام إبليس، فمن تركه أذاقه الله طعم عبادة تسرُّه»<sup>(٦)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «لو أن السماوات والأرض كانتا رتقا على عبد ثم اتقى الله، لجعل الله له منهما فرجاً ومخرجاً»<sup>(٧)</sup>.

(١) الورام: أبو الحسين ورام بن أبي فراس: تنبيه الخواطر: ٢: ١٢٢.

(٢) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرك الوسائل: ١٤: ٢٦٧.

(٣) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرك الوسائل: ١٤: ٢٦٨.

(٤) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرك الوسائل: ١٤: ٢٧٠.

(٥) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٦٦: ٣٨٢.

(٦) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرك الوسائل: ١٤: ٢٧١.

(٧) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٦٧: ٢٨٥.

- رسول الله ﷺ: «أَتَحَبُّ أَنْ يَلِينَ قَلْبَكَ، وَتَدْرِكَ حَاجَتَكَ؟: إِرْحَمِ الْيَتِيمَ، وَامْسَحْ رَأْسَهُ، وَأَطْعِمَهُ مِنْ طَعَامِكَ، يَلِنَ قَلْبُكَ وَتَدْرِكَ حَاجَتَكَ»<sup>(١)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «خَصْلَةٌ مِنْ لَزْمِهَا أَطَاعَتُهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ، وَرَبِحَ الْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ، قِيلَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: التَّقْوَى، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ أَعَزَّ النَّاسِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ تَلَا: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾»<sup>(٢)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ بِصَدَقِ النِّيَّةِ لاحتاجت إليه الأمور ممن دونه، فكيف يحتاج هو ومولاه الغني»<sup>(٣)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «ما من مسلم ينظر امرأة أول رمقة ثم يغض بصره إلا أحدث الله تعالى له عبادة يجد حلاوتها في قلبه»<sup>(٤)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها في قلبه»<sup>(٥)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «- لما قرأ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ -: مخرجاً من شبهات الدنيا، ومن غمرات الموت، وشدائد يوم القيامة»<sup>(٦)</sup>.
- رسول الله ﷺ: يا أيها الناس! اتخذوا التقوى تجارة يأتكم الرزق بلا بضاعة ولا تجارة، ثم قرأ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾»<sup>(٧)</sup>.
- رسول الله ﷺ: ما ترك أحد منكم لله شيئاً إلا آتاه الله مما هو خير له منه من حيث لا يحتسب، ولا تهاون به وأخذه من حيث لا يعلم إلا آتاه الله ممّا هو أشدُّ عليه منه من حيث لا يحتسب»<sup>(٨)</sup>.

(١) المتقي الهندي: علاء الدين علي: كنز العمال: ٣: ١٦٩.

(٢) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرك الوسائل: ١١: ٢٦٧.

(٣) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرك الوسائل: ١١: ٢١٧.

(٤) السيوطي: جلال الدين: الجامع الصغير: ٢: ٥٢٣.

(٥) المناوي: محمد بن عبد الرؤوف: فيض القدير: ٥: ٦٣٣.

(٦) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٦٧: ٢٨١.

(٧) المتقي الهندي: علاء الدين علي: كنز العمال: ٣: ٩٦.

(٨) المتقي الهندي: علاء الدين علي: كنز العمال: ٣: ٦٩٨.

– رسول الله ﷺ: «الصائم في عبادة الله وإن كان نائماً على فراشه، ما لم يغترب مسلماً»<sup>(١)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «ما من صائم يحضر قوماً يطعمون إلا سبحت أعضاؤه، وكانت صلاة الملائكة عليه، وكانت صلاتهم استغفاراً»<sup>(٢)</sup>.

– رسول الله ﷺ، – في طلب رجل منه بالوصية: – «... أوصيك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله، قلت يا رسول الله زدني، قال: عليك بتلاوة القرآن وذكر الله، فإنه نور لك في الأرض، وذخر لك في السماء...»<sup>(٣)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «من قرأ هذه الآية عند منامه ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ...﴾ إلى آخرها، سطع له نور إلى المسجد الحرام، حشو ذلك النور ملائكة يستغفرون له حتى يصبح»<sup>(٤)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر: يقول الله تبارك وتعالى: إن أحبَّ العباد إليَّ المتحابون من أجلي، المتعلقة قلوبهم بالمساجد، والمستغفرون بالأسحار، أولئك إذا أردت بأهل الأرض عقوبة ذكرتهم فصرفت العقوبة عنهم»<sup>(٥)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «من آثر محبة الله على محبة نفسه كفاه الله مؤنة الناس»<sup>(٦)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله»<sup>(٧)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «أربع من كنَّ فيه كان في نور الله الأعظم: من كان عصمة أمره شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، ومن إذا أصابته مصيبة قال: إنا لله وإنا

(١) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين: الأمالي: ٦٤٥.

(٢) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين: من لا يحضره الفقيه: ٢: ٨٦.

(٣) ابن حبان: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي: صحيح ابن حبان: ٢: ٧٩.

(٤) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين: من لا يحضره الفقيه: ١: ٤٧٠.

(٥) الشيخ الطبرسي: رضي الدين أبو نصر الحسن بن الفضل: مكارم الأخلاق: ٤٦٧.

(٦) المتقي الهندي: علاء الدين: كنز العمال: ١٥: ٧٩٠.

(٧) المتقي الهندي: علاء الدين: كنز العمال: ٣: ١٠١.

إليه راجعون، ومن إذا أصاب خيراً قال: الحمد لله رب العالمين، ومن إذا أصاب خطيئة قال: أستغفر الله وأتوب إليه»<sup>(١)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «من ترك لبس ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعاً كساءه الله حُلَّةَ الكرامة»<sup>(٢)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «حجّوا تستغنوا، وسافروا تصحّوا»<sup>(٣)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «تذاكروا وتلاقوا وتحديثوا فإنّ الحديث جلاءٌ للقلوب، إنّ القلوب لترين كما يرين السيف، جلاؤها الحديث»<sup>(٤)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «إن آدم شكاً إلى الله ما يلقي من حديث النفس والحزن، فنزل عليه جبرئيل ﷺ فقال له: يا آدم، قل: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله. فقالها فذهب عنه الوسوسة والحزن»<sup>(٥)</sup>.

- رسول الله ﷺ: من توكل على الله كفاه مؤنته ورزقه من حيث لا يحسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها»<sup>(٦)</sup>.

- رسول الله ﷺ: يا أبا ذرّ، لو أنّ الناس كلّهم أخذوا بهذه الآية لكفتهم: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾<sup>(٧)</sup>»<sup>(٨)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «بكى شعيب ﷺ من حب الله عزّ وجلّ حتّى عمي فردّ الله عزّ وجلّ عليه بصره، ثم بكى حتّى عمي فردّ الله عليه بصره، ثمّ بكى حتّى عمي

(١) البرقي: أحمد بن محمد بن خالد: المحاسن: ١: ٨.

(٢) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: الحاج ميرزا حسين: مستدرك الوسائل: ١١: ٣٠٤.

(٣) السيوطي: جلال الدين: الجامع الصغير: ١: ٥٧٠.

(٤) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ١: ٤١.

(٥) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين: الأُمالي: ٦٣٦.

(٦) المتقي الهندي: علاء الدين علي: كنز العمال: ٣: ١٠٣.

(٧) سورة الطلاق: ٢ - ٣

(٨) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرك الوسائل: ١١: ٢١٦.



فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بصره، فلَمَّا كانت الرابعة أوحى اللَّهُ إليه: يا شعيبُ! إلى متى يكون هذا أبداً منك؟ إن يكن هذا خوفاً من النار فقد أجرْتُكَ، وإن يكن شوقاً إلى الجنة فقد أبحتك، قال: إلهي وسيدي أنت تعلم أني ما بكيت خوفاً من ناركَ ولا شوقاً إلى جنتك ولكن عقد حبك على قلبي فلست أصبر أو أراك، فأوحى اللَّهُ جلَّ جلاله إليه: أما إذا كان هذا هكذا فمن أجل هذا سأُخِدمُكَ كليمي موسى بن عمران<sup>(١)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «قال لأبي لما قال له رضوان الله عليه: إني أحبكم أهل البيت، فقال له النبي ﷺ: إن كنت تحبنا فأعد للفقير تجفافاً، فإن الفقر أسرع إلى من يحبنا من السيل من أعلى الأكمة إلى أسفلها»<sup>(٢)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»<sup>(٣)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «من خرج من ذل المعصية إلى عز الطاعة آنسه الله عز وجل بغير أنيس وأعانه بغير مال»<sup>(٤)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «إن عيسى بن مريم كان يمشي على الماء، ولو زاد يقيناً لمشى في الهواء»<sup>(٥)</sup>.

– رسول الله ﷺ: لو أن أخي عيسى كان أحسن يقيناً مما كان لمشى في الهواء وصلَّى على الماء»<sup>(٦)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»<sup>(٧)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر! ما زهد عبد في الدنيا إلا أنبت الله الحكمة في قلبه،

(١) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: علل الشرائع: ٥٧.

(٢) الحاكم النيسابوري: الحافظ أبو عبد الله الحاكم: المستدرک على الصحيحين: ٤: ٣٣١.

(٣) الجزائرى: السيد عبد الله: التحفة السنية: ٨١.

(٤) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٧٢: ٣٥٩.

(٥) الميزر النوري: مستدرک الوسائل: ١١: ١٩٨.

(٦) المتقي الهندي: علاء الدين علي: كنز العمال: ٣: ٤٣٩.

(٧) الجزائرى: السيد عبد الله: التحفة السنية: ٥٢.

وأنطق بها لسانه، ويبصره عيوب الدنيا وداءها ودواءها، وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام.

يا أبا ذر! إذا رأيت أخاك قد زهد في الدنيا فاستمع منه فإنه يلقن الحكمة»<sup>(١)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «من يرغب في الدنيا فطال فيها أمله أعمى الله قلبه على قدر رغبته فيها، ومن زهد فيها فقصر فيها أمله أعطاه الله علماً بغير تعلم، وهدى بغير هداية، وأذهب عنه العمى وجعله بصيراً»<sup>(٢)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «– لما خرج ذات يوم فقال –: هل منكم من يريد أن يؤتية الله علماً بغير تعلم وهدياً بغير هداية؟!، هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيراً؟! ألا إنه من زهد الدنيا وقصر أمله فيها أعطاه الله علماً بغير تعلم وهدياً بغير هداية...»<sup>(٣)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «يا علي! واللّه لو أن المتواضع في قعر بئر لبعث الله عزّ وجلّ إليه ريحاً يرفعه فوق الأخيار في دولة الأشرار»<sup>(٤)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «من انقطع إلى الله كفاه الله كلّ مؤونة، ومن انقطع إلى الدنيا وكَلَهُ اللهُ إليها»<sup>(٥)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «ما أخلص عبد لله عزّ وجلّ أربعين صباحاً إلا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»<sup>(٦)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «قال الله عزّ وجلّ: لا أطلع على قلب عبد فأعلم منه حب الإخلاص لطاعتي لوجهي وابتغاء مرضاتي إلا تولّيت تقويمه وسياسته»<sup>(٧)</sup>.

(١) الشيخ الطبرسي: رضي الدين أبو نصر الحسن بن الفضل: مكارم الأخلاق: ٤٦٣.

(٢) النمازي الشاهرودي: الشيخ علي: مستدرك سفينة البحار: ٣: ٣٥٦.

(٣) السيوطي: جلال الدين: الدر المنثور: ١: ٦٧.

(٤) الشيخ الطبرسي: رضي الدين أبو نصر الحسن بن الفضل: مكارم الأخلاق: ٤٣٨.

(٥) النيسابوري: محمد بن الفثال: روضة الواعظين: ٤٢٦.

(٦) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: عيون أخبار الرضا ﷺ: ١: ٧٤.

(٧) النوري: الميرزا حسين: مستدرك الوسائل: ٤: ٤٨٣.

– رسول الله ﷺ: «ما من آدمي إلا وفي رأسه حكمة بيد ملك، فإذا تواضع قيل للملك: ارفع حكمته، وإذا تكبر قيل للملك: ضع حكمته»<sup>(١)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «من رزقه الله حب الأئمة من أهل بيتي فقد أصاب خير الدنيا والآخرة، فلا يشكَّن أنه في الجنة، وإن في حب أهل بيتي عشرين خصلة، عشر في الدنيا، وعشر في الآخرة.

أما في الدنيا فالزهد والحرص على العلم والورع في الدين والرغبة في العبادة والتوبة قبل الموت والنشاط في قيام الليل، واليأس مما في أيدي الناس والحفظ لامر الله ونهيه والتسعة بغض الدنيا والعاشرة السخاء.

وأما في الآخرة فلا ينشر له ديوان ولا ينصب له ميزان ويُعطى كتابه بيمينه ويكتب له براءة من النار، ويبيض وجهه ويكسى من حُلل الجنة ويُشَفَّع في مئة من أهل بيته وينظر الله بالرحمة ويتوج من تيجان الجنة، والعاشرة يدخل الجنة بغير حساب فطوبى لمحبي أهل البيت»<sup>(٢)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «من أحبنا أهل البيت فليحمد الله على أول النعم، قيل: وما أول النعم؟ قال: طيب الولادة، ولا يحبنا إلا من طابت ولادته»<sup>(٣)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «من اتقى الله عاش قوياً، وسار في بلاد عدوّه آمناً»<sup>(٤)</sup>.

– وعنه ﷺ الطاهرين وأصحابه المنتجبين: «... وأصلحوا الذي بينكم وبين ربكم تسعدوا، وأكثروا من الصدقة تُرزقوا، وأمروا بالمعروف تحصنوا، وانتهوا عن المنكر تُنصروا...»<sup>(٥)</sup>.

(١) المباركفوري: محمد بن عبد الرحمن ابن عبد الرحيم: تحفة الأحوذى: ٦: ١٥٠.

(٢) النيسابوري: محمد بن الفتال: روضة الواعظين: ٢٧١.

(٣) البرقي: أحمد بن محمد بن خالد: المحاسن: ١: ١٣٨.

(٤) الراوندي: قطب الدين: الدعوات: ٢٩٢.

(٥) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٧٤: ١٧٧.

– رسول الله ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد»<sup>(١)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «من تواضع لله رفعه الله، فهو في نفسه ضعيف وفي أعين الناس عظيم، ومن تكبر وضعه الله، فهو في أعين الناس صغير وفي نفسه كبير، حتى لهو أهون عليهم من كلب أو خنزير»<sup>(٢)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «لا يزيد في العمر إلا البر»<sup>(٣)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «ثلاثة يذهب النسيان ويحدثن الذكر: قراءة القرآن، والسواك، والصيام»<sup>(٤)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «وجدت الحسنه نوراً في القلب، وزيناً في الوجه، وقوة في العمل، ووجدت الخبيثة سواداً في القلب، ووهناً في العمل، وشيناً في الوجه»<sup>(٥)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «إن أسرع الخير ثواباً البر، وإن أسرع الشر عقاباً البغي...»<sup>(٦)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يزيد الله بهن إلا خيراً: التواضع لا يزيد الله به إلا ارتفاعاً، وذلل النفس لا يزيد الله به إلا عزاً، والتعفف لا يزيد الله به إلا غنى»<sup>(٧)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «يا أنس أكثر من الطهور يزد الله في عمرك، وإن استطعت أن تكون بالليل والنهار على طهارة فافعل، فإنك تكون إذا متت على الطهارة شهيداً...»<sup>(٨)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: وعزتي وجلالي، وعلائي وارتفاعي

(١) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٤: ٢٥٥.

(٢) المتقي الهندي: علاء الدين علي: كنز العمال: ٣: ١١٣.

(٣) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ٥: ١٧٧.

(٤) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٥٩: ٢٦٦.

(٥) المتقي الهندي: علاء الدين علي: كنز العمال: ١٦: ١١٠.

(٦) عدة محدثين: الأصول الستة عشر: ٢٦٠.

(٧) الطبرسي: أبو الفضل علي: مشكاة الأنوار: ٣٩٧.

(٨) الشيخ المفيد: أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي: الأمالي: ٦٠.

مكاني، لا يؤثر عبد هواي على هواه إلا استحفظته ملائكتي وكفلت السماوات والأرضين رزقه، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر، وأتته الدنيا وهي راغمة»<sup>(١)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «من اتقى الله أهاب الله منه كل شيء، ومن لم يتق الله أهابه الله من كل شيء»<sup>(٢)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «صلة الرحم تزيد في العمر وتنفي الفقر»<sup>(٣)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «من سره أن يُبسَطَ له في رزقه ويُيسَأَ له في أجله فليصل رحمه»<sup>(٤)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «صلة الرحم تعمر الديار، وتزيد في الأعمار وإن كان أهلها غير أخيار»<sup>(٥)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «إن القوم ليكونون فجرة، ولا يكونون بررة فيصلون أرحامهم فتنمى أموالهم، وتطول أعمارهم، فكيف إذا كانوا أبرارا بررة»<sup>(٦)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليصل رحمه وما بقي من عمره إلا ثلاثة أيام فينسه الله عزَّ وجلَّ ثلاثين سنة، وإن الرجل ليقطع الرحم وقد بقي من عمره ثلاثون سنة فيصيره الله إلى ثلاثة أيام»<sup>(٧)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «- لما قيل له: أحب أن يُوسَّعَ عليَّ في الرزق؟ -: دُمَّ على الطهارة يُوسَّعَ عليك في الرزق...»<sup>(٨)</sup>.

(١) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٢: ٣٣٥.

(٢) السيوطي: جلال الدين: الجامع الصغير: ٢: ٥٥١.

(٣) الراوندي: ضياء الدين أبو الرضا فضل الله: النوادر: ٨٣.

(٤) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: الخصال: ٣٢٠.

(٥) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرك الوسائل: ١٥: ٢٤١.

(٦) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٢: ١٥٥.

(٧) المتقي الهندي: علاء الدين علي: كنز العمال: ٣: ٣٥٧.

(٨) المتقي الهندي: علاء الدين علي: كنز العمال: ١٦: ١٢٩.

- رسول الله ﷺ: «كيلوا طعامكم، فإنَّ البركة في الطعام المكيل»<sup>(١)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل همٍّ فرجاً، ومن كل ضيقٍ مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»<sup>(٢)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «إتخذوا الأهل فإنه أرزق لكم»<sup>(٣)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «زوجوا أيامكم فإن الله يحسن لهم في أخلاقهم ويوسع لهم في أرزاقهم ويزيدهم في مرواتهم»<sup>(٤)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «يا علي: أمان لأمتي من الهمِّ: (لا حول ولا قوة إلا بالله، لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه)»<sup>(٥)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «ثلاث فيهن البركة: البيع إلى أجل، والمقارضة، وإخلاق البر بالشعير للبيت لا للبيع»<sup>(٦)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «- في حديث طويل في الرجعة -... ولتنزلنَّ البركة من السماء والأرض، حتى أنَّ الشجرة لتصيف بما يريد الله فيها من الثمرة، وليؤكل ثمرة الشتاء في الصيف وثمره الصيف في الشتاء، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا﴾»<sup>(٧)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «من رزق تقى فقد رزق خير الدنيا والآخرة»<sup>(٨)</sup>.
- الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «بالعدل تتضاعف البركات»<sup>(٩)</sup>.

(١) الجزائري: السيد عبد الله: التحفة السنية: ٢٢٩.

(٢) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ٥: ٢٧٧.

(٣) الجزائري: السيد عبد الله: التحفة السنية: ٢٦٠.

(٤) الراوندي: ضياء الدين أبو الرضا فضل الله: النوادر ١٧٨.

(٥) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: من لا يحضره الفقيه: ٤: ٣٧١.

(٦) القزويني: محمد بن يزيد: سنن ابن ماجه: ٢: ٧٦٨.

(٧) الحوزي: الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي: تفسير نور الثقلين: ٢: ٥٢.

(٨) السيوطي: جلال الدين: الجامع الصغير: ٢: ٦٠٤.

(٩) الأمدي: عبد الواحد: الأمدي: عبد الواحد بن محمد التميمي: غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٢١١.

- وعنه عليه السلام: «... وتعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور...»<sup>(١)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «هدي من أشعر التقوى قلبه»<sup>(٢)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «هدي من تجلبب جلباب الدين»<sup>(٣)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «هدي من أدرع لباس الصبر واليقين»<sup>(٤)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «ثمرة التواضع المحبة، ثمرة الكبر المسبة»<sup>(٥)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «التواضع يُكسبكَ السلامة»<sup>(٦)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «التواضع يكسوك المهابة»<sup>(٧)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «من تواضع قلبه لله لم يسأم بدنه من طاعة الله»<sup>(٨)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «بخفض الجناح تنتظم الأمور»<sup>(٩)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «هدي من أخلص إيمانه»<sup>(١٠)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «أصل قوة القلب التوكل على الله»<sup>(١١)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «كما أن الشمس والليل لا يجتمعان، كذلك حبُّ الله وحبُّ الدنيا لا يجتمعان»<sup>(١٢)</sup>.

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ١١٠.

(٢) الأمدي: عبد الواحد بن محمد التميمي: غرر الحكم: ١٠١١.

(٣) الواسطي: عل بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٥١٢.

(٤) الواسطي: عل بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٥١٢.

(٥) الواسطي: عل بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٢٠٩.

(٦) النوري: الميرزا حسين: مستدرك الوسائل: ١١: ٢٩٨.

(٧) الحراني: الحسن بن علي ابن شعبة: تحف العقول: ٩٨.

(٨) الكراجكي: أبو الفتح محمد بن علي: كنز الفوائد: ١٢٨.

(٩) الأمدي: عبد الواحد بن محمد التميمي: غرر الحكم: ٤٦١٣.

(١٠) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٥١١.

(١١) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ١٢٠.

(١٢) النوري: الميرزا حسين: مستدرك الوسائل: ١٢: ٤٢.

- وعنه عليه السلام: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: علمني عملاً يحبني الله عليه، ويحبني المخلوقون، ويثري الله مالي، ويصحّ بدني، ويطيل عمري، ويحشرني معك. قال: هذه ست خصال تحتاج إلى ست خصال: إذا أردت أن يحبك الله فخفه واتقه، وإذا أردت أن يحبك المخلوقون فأحسن إليهم وارفض ما في أيديهم، وإذا أردت أن يثري الله مالك فزكّه، وإذا أردت أن يصحّ الله بدنك فأكثر من الصدقة، وإذا أردت أن يطيل الله عمرك فصل ذوي أرحامك، وإذا أردت أن يحشرك الله معي فأطل السجود بين يدي الله الواحد القهار»<sup>(١)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «إذا أراد الله عزّ وجلّ بعد خيراً فأذنب ذنباً تبعه بنقمة ويذكره الاستغفار، وإذا أراد الله عزّ وجلّ بعد شراً فأذنب ذنباً تبعه بنعمة ليُسيئه الاستغفار ويتمادى به، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿سَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بالنعمة عند المعاصي»<sup>(٢)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «... فإن العبد ليمشي في حاجة أخيه المؤمن فيوكل الله عزّ وجلّ به ملكين: واحداً عن يمينه وآخر عن شماله، يستغفران له ربّه ويدعوان بقضاء حاجته...»<sup>(٣)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «... إعلموا أنّه من يتق الله يجعل له مخرجاً من الفتن، ونوراً من الظلم، ويخلّده فيما انتهت نفسه، وينزله منزل الكرامة عنده، وفي دار اصطنعها لنفسه، ظلها عرشه، ونورها بهجته، وزوارها ملائكته، ورفقاؤها رسله...»<sup>(٤)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «من زهد في الدنيا، ولم يجزع من ذلّها، ولم ينافس من عزّها، هداه الله بغير هداية من مخلوق، وعلمه بغير تعليم، وأثبت الحكمة في صدره وأجراها على لسانه»<sup>(٥)</sup>.

(١) النوري: الميرزا حسين: مستدرك الوسائل: ٤: ٤٧٢.

(٢) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: علل الشرائع: ٢: ٥٦١.

(٣) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٢: ١٩٥.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة: ١٨٣.

(٥) الحراني: الحسن بن علي ابن شعبة: تحف العقول: ٢٢٤.



- وعنه عليه السلام: «- وقد خرج للاستسقاء -... إن الله يبتلي عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات وإغلاق خزائن الخيرات، ليتوب تائب ويقلع مقلع ويتذكر متذكر ويزدجر مزدجر، وقد جعل الله سبحانه الاستغفار سبباً لدرور الرزق ورحمة الخلق فقال: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا \* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا \* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ فرحم الله أمراءاً استقبل توبته، واستقال خطيئته، وبادر منيته...»<sup>(١)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «حسن الأخلاق يدرُّ الأرزاق ويؤنس الرفاق»<sup>(٢)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «... في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق»<sup>(٣)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «حب الله إذا أضاء على سرِّ عبد أخلاه عن كل شاغل، وكل ذكر سوى الله ظلمة، والمحب أخلص الناس سرّاً لله تعالى، وأصدقهم قولاً، وأوفاهم عهداً، وأزكاهم عملاً، وأصفاهم ذكراً، وأعبداهم نفساً، تتباهى الملائكة عند مناجاته وتفتخر برؤيته، وبه يعمر الله تعالى بلاده، وبكرامته يُكرم عباده، يعطيهم إذا سألوه بحقِّه، ويدفع عنهم البلايا برحمته، فلو علم الخلق ما محله عند الله ومنزلته لديه ما تقربوا إلى الله إلا بتراب قدميه»<sup>(٤)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «لن يستكمل العبد حقيقة الإيمان حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه»<sup>(٥)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «من غرس أشجار التقى جنى ثمار الهدى»<sup>(٦)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «صابروا أنفسكم على فعل الطاعات، وصونوها عن دنس السيئات، تجدوا حلاوة الإيمان»<sup>(٧)</sup>.

(١) نهج البلاغة: من كلام له عليه السلام: رقمه: ١٤٣.

(٢) الأمدي: عبد الواحد: الأمدي: عبد الواحد بن محمد التميمي: غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٥٦٥.

(٣) الحراني: الحسن بن علي ابن شعبة: تحف العقول: ٢١٤.

(٤) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٦٧: ٢٤.

(٥) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٧٥: ٨١.

(٦) الكراجكي: أبو الفتح محمد بن علي: كنز الفوائد: ١٢٨.

(٧) الواسطي: عل بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٣٠٥.

– وعنه عليه السلام: «... إن تقوى الله دواء داء قلوبكم، وبصر عمى أفندتكم، وشفاء مرض أجسادكم، وصلاح فساد صدوركم، وطهور دنس أنفسكم، وجلاء عشا أبصاركم، وأمن فزع جأشكم، وضياء سواد ظلمتكم...»<sup>(١)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «داووا بالتقوى الأسقام، وبادروا بها قبل هجوم الحمام واعتبروا بمن أضاعها ولا يعتبرنَّ بكم من أطاعها»<sup>(٢)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «أوصيكم بتقوى الله... أيقظوا بها نومكم، واقطعوا بها يومكم، وأشعروها قلوبكم، وارحضوا بها ذنوبكم، وداووا بها الأسقام، وبادروا بها الحمام...»<sup>(٣)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «أوصيكم بتقوى الله عباد الله فإن التقوى أفضل كنز، وأحرز حرز، وأعز عز، فيه نجات كل هارب، ودرك كل طالب، وظفر كل غالب...»<sup>(٤)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «– فيما كتب إلى بعض أصحابه –: أوصيك ونفسي بتقوى من لا يحلُّ لك معصيته، ولا يرجى غيره، ولا الغنى إلا إليه، فإن من اتقى الله عزَّ وقوي وشيع وروي ورفع عقله عن أهل الدنيا، فبدنه مع أهل الدنيا وقلبه وعقله مع أهل الآخرة، فأطفأ بضوء قلبه ما أبصرت عيناه من حبِّ الدنيا...»<sup>(٥)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «بالصدقة تُفسح الآجال»<sup>(٦)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «من كان متوكِّلاً لم يُعَدِّم الإعانة»<sup>(٧)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «من حسنت نيَّته، زيدَ في رزقه»<sup>(٨)</sup>.

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ١٩٨.

(٢) الواسطي: عل بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٢٥٠.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة: ١٩١.

(٤) المير جهاني: محمد حسن: مصباح البلاغة: (مستدرک نهج البلاغة): ٢: ١١٤.

(٥) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٢: ١٣٦.

(٦) لواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ١٨٧.

(٧) لواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٤٤٣.

(٨) الكراجكي: أبو الفتح محمد بن علي: كنز الفوائد: ٢٩١.

- وعنه عليه السلام: «من توكل على الله ذلت له الصعاب، وتسهلت عليه الأسباب وتبوأ الخفض والكرامة»<sup>(١)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «من توكل على الله أضاعت له الشبهات وكفي المؤمنات وأمن التبعات»<sup>(٢)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «مخالفة الهوى شفاء العقل»<sup>(٣)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «الأمانة تجر الرزق، والخيانة تجر الفقر»<sup>(٤)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «... لا تخافوا في الله لومة لائم، يكفكم من أرادكم وبغى عليكم...»<sup>(٥)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «... يا كميل: إنه مستقر ومستودع فاحذروا أن تكونوا من المستودعين».

يا كميل، إنما تستحق أن تكون مستقراً إذا لزمت الجادة الواضحة التي لا تخرجك إلى عوج، ولا تزيلك عن منهج ما حملناك عليه و[ما] هديناك إليه»<sup>(٦)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «قال عند تلاوته «رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله» إن الله سبحانه وتعالى جعل الذكر جلاء للقلوب: تسمع به بعد الوقرة، وتبصر به بعد العشوة، وتنقاد به بعد المعاندة، وما برح لله - عزت آلاؤه - في البرهة بعد البرهة، وفي أزمان الفترات، عباد ناجاهم في فكرهم، وكلمهم في ذات عقولهم، فاستصبحوا بنور يقظة في الأبصار والأسماع والأفئدة...»<sup>(٧)</sup>.

(١) لواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٤٢٦.

(٢) لواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٤٦٣.

(٣) لواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٤٨٨.

(٤) المتقي الهندي: علاء الدين علي: كنز العمال: ٣: ٦١.

(٥) الحراني: الحسن بن علي ابن شعبة: تحف العقول: ١٩٩.

(٦) المير جهاني: محمد حسن: مصباح البلاغة: ١: ١٢٣.

(٧) نهج البلاغة: الخطبة: ٢٢٢.

– وعنه عليه السلام: «ثمره الذكر استنارة القلوب»<sup>(١)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «الذكر يؤنس اللب، ويُنير القلب، ويستنزل الرحمة»<sup>(٢)</sup>.

– وعنه عليه السلام – رواه اصبع بن نباتة قال: كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام فأتاه رجل، فسلم عليه ثم قال: يا أمير المؤمنين! إني واللّه لأحبك في اللّه، وأحبك في السر كما أحبك في العلانية، وأدين اللّه بولايتك في السر كما أدين بها في العلانية – ويبد أمير المؤمنين عود – طأطأ رأسه ثم نكت بالعود ساعة في الأرض، ثم رفع رأسه إليه فقال: إن رسول اللّه ﷺ حدثني بألف حديث، لكل حديث ألف باب، وإن أرواح المؤمنين تلتقي في الهواء فتشم وتتعارف، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، وبحق اللّه لقد كذبت، فما أعرف وجهك في الوجوه ولا اسمك في الأسماء.

ثم دخل عليه رجل آخر فقال: يا أمير المؤمنين إني لأحبك في السر كما أحبك في العلانية، قال: فنكت الثانية بعوده في الأرض، ثم رفع رأسه فقال له: صدقت... اذهب فاتخذ للفقر جلبابا، فإني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: يا عليُّ بن أبي طالب! الفقر أسرع إلى محبينا من السيل إلى بطن الوادي»<sup>(٣)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «... يا نوف صل رحمك يزد اللّه في عمرك كل يوم وليلة يزدك اللّه...»<sup>(٤)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «من وثق باللّه أراه السرور، ومن توكل عليه كفاه الأمور»<sup>(٥)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «... أيها الناس توكلوا على اللّه وثقوا به، فإنه يكفي ممن سواه»<sup>(٦)</sup>.

(١) الواسطي: عل بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٢٠٨.

(٢) الأمدى: عبد الواحد بن محمد التميمي: غرر الحكم: ٨٥.

(٣) الصفار: محمد بن الحسن: بصائر الدرجات: ٤١١.

(٤) المير جهاني: محمد حسن: مصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة) ٢: ١٢٦.

(٥) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٦٨: ١٥١.

(٦) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٣٣: ٣٤٧.

- وعنه عليه السلام: «هُدِيَّ مِنْ سَلَمٍ مَقَادَتِهِ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَوَلِيَّ أَمْرِهِ»<sup>(١)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «إِذَا ابْتَلَى اللَّهُ عَبْدًا أَسْقَطَ عَنْهُ مِنَ الذُّنُوبِ بِقَدْرِ عِلْتِهِ»<sup>(٢)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «عِنْدَ تَحَقُّقِ الْإِخْلَاصِ تَسْتَنِيرُ الْبَصَائِرُ»<sup>(٣)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «فِي إِخْلَاصِ النِّيَّاتِ نَجَاحُ الْأُمُورِ»<sup>(٤)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «– لِأَبِي ذَرٍّ لَمَّا أُخْرِجَ إِلَى الرِّبْذَةِ –: يَا أَبَا ذَرٍّ! إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلَّهِ، فَارْجُ مِنْ غَضَبِهِ لَهُ... وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ كَانَتَا عَلَى عَبْدِ رَتَقًا، ثُمَّ اتَّقَى اللَّهُ لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجًا! لَا يُؤْنَسُكَ إِلَّا الْحَقُّ، وَلَا يُوحَشُّكَ إِلَّا الْبَاطِلُ...»<sup>(٥)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «إِنْ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ... وَحَجَّ الْبَيْتَ وَعَاتَمَارَهُ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيَرْحِضَانِ الذَّنْبَ، وَصَلَةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا مِثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، وَمَنْسَأَةٌ فِي الْأَجْلِ، وَصَدَقَةُ السَّرِّ فَإِنَّهَا تَكْفِرُ الْخَطِيئَةَ، وَصَدَقَةُ الْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ، وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مِصَارِعَ الْهَوَانِ...»<sup>(٦)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «... وَاسْتَمْتَمُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَالْمَحَافَظَةِ عَلَى مَا اسْتَحْفَظْتُمْ مِنْ كِتَابِهِ، أَلَا وَإِنَّهُ لَا يُضَرِّكُمْ تَضْيِيعَ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ، أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ حَافِظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ...»<sup>(٧)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «مَنْ اتَّقَى اللَّهَ سَبَّحَانَهُ جَعَلَ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمَنْ كُلَّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا»<sup>(٨)</sup>.

(١) الواسطي: عل بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٥١٢.

(٢) النعمان المغربي: أبو حنيفة القاضي: دعائم الإسلام: ١: ٢١٨.

(٣) الواسطي: عل بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٣٣٨.

(٤) الواسطي: عل بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٣٥٤.

(٥) نهج البلاغة: كلام له عليه السلام: الرقم: ١٣٠.

(٦) نهج البلاغة: الخطبة: ١١٠.

(٧) نهج البلاغة: كلام له عليه السلام: ١٧٣.

(٨) الأمدي: عبد الواحد بن محمد التميمي: غرر الحكم: ٨٨٤٧.

– وعنه عليه السلام: «من أخذ بالتقوى عزبت عنه الشدائد بعد دنوها، واحلوت له الأمور بعد مرارتها، وانفرت عنه الأمواج بعد تراكمها، وأسهلت له الصعاب بعد إنصابتها»<sup>(١)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «أكثر صمتك يتوفر فكرك، ويستتر قلبك، ويسلم الناس من يدك»<sup>(٢)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «نوم الصائم عبادة، وصمته تسبيح، ودعاؤه مستجاب، وعمله مضاعف، وقال: إن للصائم عند إفطاره دعوة لا ترد»<sup>(٣)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «– يصف السالكين الواصلين–: قد أحيا عقله، وأمات نفسه، حتى دق جليله، ولطف غليظه، وبرق له لامع كثير البرق، فأبان له الطريق، وسلك به السبيل، وتدافعت الأبواب إلى باب السلامة ودار الإقامة، وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الامن والراحة بما استعمل قلبه وارضى ربه»<sup>(٤)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «بالهدى يكثر الاستبصار»<sup>(٥)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «بالتواضع تتم النعمة»<sup>(٦)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «عباد الله إن من أحب عباد الله إليه عبدا أعانه الله على نفسه، فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف، فزهر مصباح الهدى في قلبه... فخرج من صفة العمى ومشاركة أهل الهوى، وصار من مفاتيح أبواب الهدى، ومغاليق أبواب الردى، قد أبصر طريقه، وسلك سبيله، وعرف مناره، وقطع غماره، استمسك من العرى بأوثقها، ومن الحبال بأمتنها، فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس، قد نصب نفسه لله سبحانه في أرفع الأمور من إصدار كل وارد عليه، وتصيير كل فرع

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ١٩٨.

(٢) الأمدي: عبد الواحد بن محمد التميمي: غرر الحكم: ٢٢٧٩.

(٣) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٩٠: ٣٦٠.

(٤) البحراني: أبين ميثم: شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين: ٢٢٣.

(٥) الواسطي: عل بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ١٨٧.

(٦) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ١١: ٢٩٦.

إلى أصله، مصباح ظلمات، كشاف عشوات، مفتاح مبهمات، دقاع معضلات، دليل فلوات، فهو من معادن دينه، وأوتاد أرضه...»<sup>(١)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «ثلاث من حفظهن كان معصوماً من الشيطان الرجيم ومن كل بليّة: من لم يخلُ بامرأة ليس يملك منها شيئاً، ولم يدخل على سلطان، ولم يُعِنْ صاحب بدعةٍ بدعته»<sup>(٢)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «من كفّارات الذنوب العظام: إغاثة الملهوف، والتنفيس عن المكروب»<sup>(٣)</sup>.

– الإمام الحسن عليه السلام: «من عبد الله عبّد الله له كل شيء»<sup>(٤)</sup>.

– الإمام السجاد عليه السلام: «لما سئل عن علة كون المتجهدين بالليل من أحسن الناس وجهاً –: لأنهم خلّوا بالله فكساهم الله من نوره»<sup>(٥)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «حجوا واعتمروا، تصحّ أجسامكم، وتتسع أرزاقكم، ويصلح إيمانكم، وتكفّوا مؤونة الناس ومؤونة عيالكم»<sup>(٦)</sup>.

– الإمام الباقر عليه السلام: «من توكل على الله لا يُغلب، ومن اعتصم بالله لا يُهزم»<sup>(٧)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «وجدنا في كتاب عليّ عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال – وهو على منبره –: والذي لا إله إلا هو، ما أعطي مؤمن قط خير الدنيا والآخرة إلا بحسن ظنه بالله ورجائه له وحسن خلقه والكف عن اغتياب المؤمنين...»<sup>(٨)</sup>.

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ٨٧.

(٢) الراوندي: ضياء الدين أبو الرضا فضل الله: النوادر: ١٢٠.

(٣) الراوندي: قطب الدين: الدعوات: ٢٢٣.

(٤) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٦٨: ١٨٤.

(٥) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: علل الشرائع: ٢: ٣٦٥.

(٦) الحر العاملي: الشيخ محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ١١: ١٥.

(٧) الطبرسي: أبو الفضل علي: مشكاة الأنوار: ٥١.

(٨) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٢: ٧١.

- وعنه عليه السلام: «صلة الأرحام تزكي الأعمال وتنمي الأموال، وتدفع البلوى، وتيسر الحساب وتنسى في الأجل»<sup>(١)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «صلة الأرحام تحسن الخلق وتُسمِّحُ الكفَّ وتطيبُّ النفسَ، وتزيد في الرزق وتُنسى في الأجل»<sup>(٢)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «- سلام - : كنت عند أبي جعفر عليه السلام فدخل عليه حمران بن أعين فسأله عن أشياء، فلما همَّ حمران بالقيام قال لأبي جعفر عليه السلام: أخبرك أطال الله بقاءك وأمتعنا بك أنا نأتيك فما نخرج من عندك حتى ترقَّ قلوبنا وتسلو أنفسنا عن الدنيا، ويهون علينا ما في أيدي الناس من هذه الأموال، ثم نخرج من عندك فإذا صرنا مع الناس والتجار أحببنا الدنيا؟

قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: إنما هي القلوب مرَّة يصعبُ عليها الأمرُ ومرَّةً يسهلُ. ثم قال أبو جعفر عليه السلام: أما إن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله نخاف علينا النفاق!.

قال: فقال لهم، ولم تخافون ذلك؟.

قالوا: إنا إذا كنا عندك فذكرتنا، رُوِّعنا ووجلنا ونسينا الدنيا وزهدنا فيها حتى كأننا نُعاینُ الآخرةَ والجنةَ والنارَ، ونحن عندك. وإذا دخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والأهل والمال يكاد أن نحول عن الحال التي كنا عليها عندك وحتى كأننا لم نكن على شيءٍ، أفتخاف علينا أن يكون هذا النفاق؟.

فقال لهم رسول الله ﷺ: كلا، هذا من خطوات الشيطان ليرغبكم في الدنيا، والله لو أنكم تدمون على الحال التي تكونون عليها وأنتم عندي في الحال التي وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة ومشيتم على الماء...»<sup>(٣)</sup>.

(١) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٢: ١٥٠.

(٢) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٢: ١٥١.

(٣) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٦٧: ٥٧.



- وعنه عليه السلام: «الغنى والعزُّ يجولان في قلب المؤمن، فإذا وصلا إلى مكان فيه التوكل أقطناه»<sup>(١)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «عليك بالدعاء لإخوانك بظهر الغيب، فإنه يُهيل الرزق - يقولها ثلاثاً -»<sup>(٢)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «إذ جاءه رجل فقال: واللَّهِ إنِّي لأحِبُّكم أهل البيت - فاتخذ للبلاء جلبابا، فواللَّهِ إنه لأسرِعُ إلينا وإلى شيعتنا من السيل في الوادي، وبنا يبدأ البلاء ثمَّ بكم، وبنا يبدأ الرخاء ثمَّ بكم»<sup>(٣)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «البرُّ وصدقةُ السرِّ ينفيان الفقر، ويزيدان في العمر، ويدفعان عن سبعين ميتةً سوء»<sup>(٤)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «الحجُّ تسكينُ القلوب»<sup>(٥)</sup>.

- الإمام الصادق عليه السلام: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ﷺ كثرت ذنوبي وضعف عملي، فقال رسول الله ﷺ: أكثر السجود فإنه يحطُّ الذنوب كما تحطُّ الريحُ ورق الشجر»<sup>(٦)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «من حجَّ حجتين لم يزل في خيرٍ حتى يموت»<sup>(٧)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «مسكين ابن آدم! لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لأمنهما جميعاً، ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين»<sup>(٨)</sup>.

(١) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٧٥: ١٨٦.

(٢) الحر العاملي: الشيخ محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٧: ١٠٧.

(٣) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ٢: ٤٣٧.

(٤) الجزائري: السيد عبد الله: التحفة السنينة: ١٥٩.

(٥) الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن: أمالي: ٦٦٨.

(٦) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: الأمالي: ٥٨٩.

(٧) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: الخصال: ٦٠.

(٨) الورام: أبو الحسين ورام بن أبي فراس: تنبيه الخواطر: ٢: ١١٢.

- وعنه عليه السلام: «من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء»<sup>(١)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «من اعتصم بالله لا يهزم»<sup>(٢)</sup>

- وعنه عليه السلام: «إنَّ الله جبل النبيين على نبوتهم فلا يرتدون أبداً، وجبل الأوصياء على وصاياهم فلا يرتدون أبداً، وجبل بعض المؤمنين على الإيمان فلا يرتدون أبداً، ومنهم من أعير الإيمان عاريةً، فإذا هو دعا وألح في الدعاء مات على الإيمان»<sup>(٣)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «... فإن أردت أن تقرَّ عينك وتنال خير الدنيا والآخرة فاقطع الطمع عما في أيدي الناس، وعدَّ نفسك في الموتى، ولا تُحدِّثَنَّ نفسك أنك فوق أحدٍ من الناس، واخزن لسانك كما تخزن مالك»<sup>(٤)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا...﴾ هؤلاء قوم من شيعتنا ضعفاء ليس عندهم ما يتحملون به إلينا فيسمعون حديثنا، ويقتبسون من علمنا، فيرحل قوم فوقهم وينفقون أموالهم، ويتعبون أبدانهم حتى يدخلوا علينا فيسمعوا حديثنا فينقلوه إليهم، فيعيه هؤلاء ويضيعه هؤلاء، فأولئك الذين يجعل الله عزَّ وجلَّ ذكره لهم مخرجا ويرزقهم من حيث لا يحتسبون»<sup>(٥)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «إذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار فإن الله عزَّ وجلَّ قال في كتابه «استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يُرسل السماء عليكم مدراراً ويمدِّدكم بأموال وبنين «يعني في الدنيا» ويجعل لكم جناتٍ «يعني في الآخرة»»<sup>(٦)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «- لميسر - : يا ميسر لقد زيد في عمرك فأبى شيءٍ تعمل؟

(١) الجزائري: السيد عبد الله: التحفة السنية: ٧٠

(٢) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ١١: ٢١٤.

(٣) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٢: ٤١٩.

(٤) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: الخصال: ١٢١.

(٥) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٨: ١٧٨.

(٦) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٧٥: ٢٠٠.

- قلت: كنت أجيراً وأنا غلام بخمسة دراهم فكنت أجريها على خالي»<sup>(١)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «أيضاً -: «يا ميسر قد حضر أجلك غير مرّة، وكلُّ ذلك يؤخّرُكَ اللهُ بصلتك رَحِمَكَ، وبرِّك قرابتك»<sup>(٢)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «يموت المؤمن بكل ميتة، يموت غرقاً، ويموت بالهدم، ويبتلى بالبيع، ويموت بالصاعقة، ولا يُصيبُ ذاكَرَ اللهُ»<sup>(٣)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «من أهان لي ولياً فقد أُرصد لمحاربتني، وأنا أسرع شيءٍ إلى نصرته أوليائي...»<sup>(٤)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «حسنُ الخُلُقِ يزيدُ في الرزق»<sup>(٥)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب يسوق إلى الداعي الرزق ويصرف عنه البلاء ويقول له المَلَكُ: لك مثلاه»<sup>(٦)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «دعاء المؤمن للمؤمن يدفعُ عنه البلاء ويدرُّ عليه الرزق»<sup>(٧)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «إن البرَّ وحُسْنَ الخُلُقِ يُعَمِّران الديار ويزيدان في الأعمار»<sup>(٨)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «ليس من باطل يقوم بإزاء الحق إلا غلبَ الحقُّ الباطل، وذلك قوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾»<sup>(٩)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «إنَّ صلةَ الرِّحِمِ والبرِّ لِيُهَوِّنَا الحِسابَ ويعصمانِ من الذنوب، فَصَلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَبَرُّوا بِإِخْوَانِكُمْ وَلَوْ بِحَسَنِ السَّلَامِ وَرَدَّ الْجَوَابُ»<sup>(١٠)</sup>.

(١) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرك الوسائل: ١٥: ٢٤٨.

(٢) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرك الوسائل: ١٥: ٢٤٩.

(٣) الحلبي: ابن فهد: عدة الداعي: ٢٣٤.

(٤) الكوفي الأهوازي: الحسين بن سعيد: كتاب المؤمن: ٣٢.

(٥) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرك الوسائل: ٨: ٤٤٥.

(٦) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: ثواب الأعمال: ١٥٣.

(٧) الكوفي الأهوازي: الحسين بن سعيد: كتاب المؤمن: ٥٥.

(٨) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٢: ١٠٠.

(٩) البرقي: أحمد بن محمد بن خالد: المحاسن: ١: ٢٧٧.

(١٠) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٢: ١٥٧.

- وعنه عليه السلام: «من حجَّ ثلاث حججٍ لم يُصِبْهُ فقرٌ أبداً»<sup>(١)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «ان المؤمن ليخشع له كلُّ شيءٍ ويهابه كلُّ شيءٍ، ثمَّ قال: إذا كان مخلصاً لله أخاف الله منه كلُّ شيءٍ حتى هوائم الأرض وسباعها وطير السماء»<sup>(٢)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «بروا آباءكم يبرِّكم أبناءكم، كُفِّوا عن نساء الناس تَعَفُّ نساؤكم»<sup>(٣)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «من كسا مؤمناً ثوباً من عري كساه الله من إستر بق الجنة، ومن كسا مؤمناً ثوباً من غنى لم يزل في ستر من الله ما بقي من الثوب خرقة»<sup>(٤)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «يا سفيان إذا حزتك أمر من سلطان أو غيره فأكثر من قول: (لا حول ولا قوة إلا بالله) فإنها مفتاح الفرج، وكنز من كنوز الجنة»<sup>(٥)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «عليكم بحجِّ هذا البيت فادمنوه، فإن في إدمانكم الحجِّ دفع مكاره الدنيا عنكم، وأهوال يوم القيامة»<sup>(٦)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «- وقد سأله إسحاق بن عمار: إنِّي قد وطنت نفسي على لزوم الحجِّ كلِّ عام بنفسي أو برجل من أهل بيتي بمالي - وقد عزمت على ذلك؟ قلت: نعم، قال: فإن فعلت [ذلك] فأيقن بكثرة المال، أو أبشر بكثرة المال»<sup>(٧)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «- في صفة محبيهم -: وطبقة يُحبُّوننا في السر والعلانية، هم النمط الأعلى، شربوا من العذب الفرات، وعلموا تأويل الكتاب، وفصل الخطاب، وسبب الأسباب، فهم النمط الأعلى، الفقر والفاقة وأنواع البلاء أسرع إليهم من ركض الخيل، مسْتَهْمُ البأساء والضراء وزُلزلوا وفتنوا، فمن بين مجروح
- 
- (١) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: الخصال: ١١٨.
- (٢) الشيخ النجفي: هادي: موسوعة أحاديث أهل البيت: ١: ١٣٠.
- (٣) ابن بابويه: أبو الحسن علي: فقه الرضا: ٣٥٥.
- (٤) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٢: ٢٠٥.
- (٥) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٧٥: ٢٠١.
- (٦) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٩٦: ١٤.
- (٧) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين: من لا يحضره الفقيه: ٢: ٢١٨.

ومذبح متفرقين في كل بلاد قاصية، بهم يشفي الله السقيم ويُغني العديم وبهم تُنصرون وبهم تُمطرون وبهم تُرزقون وهم الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً وخطراً...»<sup>(١)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «يعيش الناس بإحسانهم أكثر ممّا يعيشون بأعمارهم، ويموتون بذنوبهم أكثر ممّا يموتون بأجالهم»<sup>(٢)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «... لا تدومُ النعمُ إلا بعد ثلاث [إلا بثلاث - خ ل] معرفة بما يلزم لله سبحانه فيها، وأداء شكرها، والتعب فيها»<sup>(٣)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «... وطلبت حلاوة العبادة فوجدتها في ترك المعصية، وطلبت رقة القلب فوجدتها في الجوع والعطش، وطلبت نور القلب فوجدته في التفكير والبكاء، وطلبت الجواز على الصراط فوجدته في الصدقة، وطلبت نور الوجه فوجدته في صلاة الليل، وطلبت فضل الجهاد فوجدته في الكسب للعيال، وطلبت حبَّ الله عزَّ وجلَّ فوجدته في بغض أهل المعاصي...»<sup>(٤)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «يا أبا حمزة الوضوء قبل الطعام وبعده يُذهب الفقر...»<sup>(٥)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «إن رسول الله ﷺ صلى بالناس الصبح، فنظر إلى شاب في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه، مصفراً لونه، قد نحف جسمه وغارت عيناه في رأسه، فقال له رسول الله ﷺ: كيف أصبحت يا فلان؟

قال: أصبحت يا رسول الله موقنا.

فعجب رسول الله ﷺ من قوله وقال: إن لكلِّ يقين حقيقةً فما حقيقةُ يقينك؟.

فقال: إنَّ يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنتني وأسهر ليالي وأظمأ هواجري،

(١) الحراني: الحسن بن علي ابن شعبة: تحف العقول: ٣٢٥.

(٢) الرواندي: قطب الدين: الدعوات: ٢٩١.

(٣) الحراني: الحسن بن علي ابن شعبة: تحف العقول: ٣١٨.

(٤) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرك الوسائل: ١٢: ١٧٣.

(٥) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٦: ٢٩٠.

فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها، حتى كأني أنظرُ إلى عرش ربي وقد نُصِبَ للحساب، وحُسِرَ الخلائق لذلك وأنا فيهم...

فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: هذا عبدٌ نَوَّرَ اللهُ قلبَهُ بالإيمان. ثم قال له: إلزم ما أنت عليه.

فقال الشاب: أَدْعُ اللهُ لي يا رسول الله أن ارزق الشهادة معك، فدعا له رسول الله ﷺ، فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي ﷺ فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر<sup>(١)</sup>.

- وعنه ﷺ: «اليقين يوصل العبد إلى كلِّ حالٍ سنيٍّ ومقام عجيب، كذلك أخبر رسول الله ﷺ عن عِظَمِ شأنِ اليقين حين دُكِرَ عنده أن عيسى بن مريم كان يمشي على الماء، فقال: لو زاد يقينه لمشى في الهواء...»<sup>(٢)</sup>.

- وعنه ﷺ: «- لما قال له اسحاق بن عمار: إنني قد وطئت نفسي على لزوم الحج كلِّ عام بنفسي، أو برجلٍ من أهل بيتي بمالي - فقال: وقد عزمت على ذلك؟ قلت: نعم.

قال: إن فعلت فأبشِرْ بكثرة المال»<sup>(٣)</sup>.

- وعنه ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى<sup>(٤)</sup>: إِنَّمَا أَقْبِلُ الصَّلَاةَ مِمَّنْ تَوَاضَعَ لعظمتي، ويكفُّ نفسه عن الشهوات من أجلي، ويقطعُ نهارَهُ بذكري، ولا يتعظَّمُ على خلقي، ويُطعمُ الجائع، ويكسو العاري، ويرحمُ المُصاب، ويؤوي الغريب، فذلك يُشرق نوره مثل الشمس، أجعل له في الظلمة نوراً، وفي الجهالة حلماً، أكألهُ بعزتي، وأستحفظُهُ ملائكتي، يدعونني فألبيه، ويسألني

(١) البرقي: أحمد بن محمد بن خالد: المحاسن: ١: ٢٥١.

(٢) مصباح الشريعة: المنسوب إلى الإمام الصادق ﷺ: ١٧٧.

(٣) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٤: ٢٥٣.

(٤) يقصد الحديث القدسي.

فأعطيه، فمثل ذلك العبد عندي كمثل جنات الفردوس، لا يسبق أثمارها، ولا تتغير عن حالها»<sup>(١)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «ما اغتنم أحد بمثل ما اغتنم بغضّ البصر، فإنّ البصر لا يُغضُّ عن محارم الله إلاّ وقد سبق إلى قلبه مشاهدة العظمة والجلال»<sup>(٢)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «ال نظرة سهم من سهام إبليس مسموم، من تركها لله عزّ وجلّ لا لغيره أعقبه الله إيماناً يجد طعمه»<sup>(٣)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «أيّما مؤمن أقبل قبل ما يُحبُّ الله أقبل الله عليه قبل كلّ ما يُحبُّ، ومن اعتصم بالله بتقواه عصمه الله، ومن أقبل الله عليه قبله وعصمه لم يُبال لو سقطت السماء والأرض، وإن نزلت نازلة على أهل الأرض فشملتهم بليّة كان في حرز لله بالتقوى من كلّ بليّة، أليس الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾»<sup>(٤)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «... أمّا بعدُ فإنّي أوصيك بتقوى الله، فإنّ الله قد ضمن لمن اتقاه أن يحوّله عما يكره إلى ما يُحبُّ، ويرزقه من حيث لا يحتسب...»<sup>(٥)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «من اعتصم بالله عزّ وجلّ هُدي...»<sup>(٦)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «ما نقل الله عزّ وجلّ عبداً من ذلّ المعاصي إلى عزّ التقوى إلاّ أعناه من غير مال، وأعزّه من غير عشيرة، وأنسه من غير بشر»<sup>(٧)</sup>.

- الإمام الكاظم عليه السلام: عن علي بن جعفر عليه السلام، قال: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام: إنّ قوماً من مؤاليك يدخلون في عمل السلطان، ولا يؤثرون على

(١) البرقي: أحمد بن محمد بن خالد: المحاسن: ١: ١٥.

(٢) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ١٤: ٢٦٩.

(٣) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: من لا يحضره الفقيه: ٤: ١٨.

(٤) الحلبي: ابن فهد: عدة الداعي: ٢٨٨.

(٥) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٨: ٤٩.

(٦) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٦٦: ٣٩٩.

(٧) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٢: ٧٦.

إخوانهم، وإن نابت أحداً من مواليك نائبة قاموا، فكتب: «أولئك هم المؤمنون حقاً، عليهم مغفرة من ربهم ورحمة، وأولئك هم المهتدون»<sup>(١)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «تعاهدوا عباد الله! نِعْمَهُ بِإِصْلَاحِكُمْ أَنْفُسَكُمْ تَزِدَادُوا يَقِيناً، وَتَرْبِحُوا نَفْساً ثَمِيناً»<sup>(٢)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «قال المسيح عليه السلام: ... يا عبيدَ السوء، نَقُوا القمح وطَيِّبُوهُ وَأَدِقُوا طَحْنَهُ تَجِدُوا طَعْمَهُ وَيُهَيِّئْكُمْ أَكْلَهُ، كَذَلِكَ فَأَخْلَصُوا الإِيمَانَ وَأَكْمَلُوهُ تَجِدُوا حِلَاوَتَهُ وَيَنْفَعُكُمْ غُبُهُ...»<sup>(٣)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «من حسن برّه بإخوانه وأهله مُدَّ في عمره»<sup>(٤)</sup>.

- وعنه عليه السلام لعلبي بين يقطين: «اضمن لي واحدةً أضمن لك ثلاثاً: إضمن لي أنه لا يأتي أحدٌ من موالينا في دار الخلافة إلا قمت له بقضاء حاجته، أضمن لك: أن لا يصيبك حرُّ السيفِ أبداً، ولا يُظَلِّكَ سَقْفُ سَجْنٍ أبداً، ولا يدخل الفقرُ بيتك أبداً»<sup>(٥)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «يا هشام إنَّ الزرعَ ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا، فكذلك الحكمةُ تعمر في قلب المتواضع، ولا تعمر في قلب المتكبرِ الجبار، لأنَّ الله جعل التواضع آلةَ العقل، وجعل التكبرَ من آلة الجهل...»<sup>(٦)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «- إستاذن رجل أبا الحسن موسى عليه السلام في أعمال السلطان-، فقال: «لا، ولا قطة قلم، إلا لإعزاز مؤمن أو فك أسره، ثم قال له: كفارة أعمالكم الإحسان إلى إخوانكم»<sup>(٧)</sup>.

(١) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ١٣: ١٣٠.

(٢) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٢: ٢٦٨.

(٣) الحراني: الحسن بن علي ابن شعبة: تحف العقول: ٣٩٢.

(٤) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ١٢: ٤٢١.

(٥) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ١٣: ١٣٧.

(٦) الحراني: الحسن بن علي ابن شعبة: تحف العقول: ٣٩٦.

(٧) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ١٣: ١٣١.



- وعنه عليه السلام: «- وعن الفضل بن عبد الرحمن الهاشمي قال: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام، أستأذنه في أعمال السلطان -، فقال: «لا بأس به ما لم يغيّر حكماً، ولم يُبطل حدّاً وكفّارته قضاءً حوائج إخوانكم»<sup>(١)</sup>.

- الإمام الرضا عليه السلام: «من لم يقدر على ما يكفر به ذنوبه، فليكثر من الصلوات على محمّد وآله فإنها تهدم الذنوب هدماً»<sup>(٢)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «أوحى الله عزّ وجلّ إلى نبيّ من الأنبياء: إذا أطعت رضىت، وإذا رضىت باركت، وليس لبركتي نهاية...»<sup>(٣)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «- في علّة الوضوء -... لأنّه يكون العبد طاهراً إذا قام بين يدي الجبار عند مناجاته إيّاه، مطيعاً له فيما أمره، نقيّاً من الأدناس والنجاسة، مع ما فيه من ذهاب الكسل وطرده النعاس، وتزكية الفؤاد للقيام بين يدي الجبار...»<sup>(٤)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «إستعمال العدل والإحسان مؤذنٌ بدوام النعمة ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله»<sup>(٥)</sup>.

- الإمام محمد الجواد عليه السلام: «- فيما كتب إلى سعد الخير -:... إن الله عزّ وجلّ يقي بالتقوى عن العبد ما عذب عنه عقله، ويُجلب بالتقوى عنه عماه وجهله، وبالتقوى نجا نوح ومن معه في السفينة، وصالح ومن معه من الصاعقة، وبالتقوى فاز الصابرون، ونجت تلك العصب من المهالك...»<sup>(٦)</sup>.

- الإمام علي الهادي عليه السلام: «إلقوا النعم بحسن مجاورتها، والتمسوا الزيادة فيها بالشكر عليها، واعلموا أنّ النفس أقبلُ شيءٍ لما أُعطيت، وأمنعُ شيءٍ لما مُنعت»<sup>(٧)</sup>.

(١) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرك الوسائل: ١٣: ١٣٢.

(٢) المحقق البحراني: يوسف: الحدائق الناضرة: ٨: ٤٧١.

(٣) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٢: ٢٧٥.

(٤) الحر العاملي: الشيخ محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ١: ٣٦٧.

(٥) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١: ٢٦.

(٦) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٨: ٥٢.

(٧) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٧٥: ٣٧٠.

- وعنه عليه السلام: «... - فيما كلم الله تعالى به موسى عليه السلام - «قال موسى: إلهي فما جزاء من وصل رحمه؟

قال: يا موسى أنسىء له أجله، وأهون عليه سكرات الموت...»<sup>(١)</sup>.

- الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «ما ترك الحق عزيزاً إلا ذللاً، ولا أخذ به ذليلاً إلا عزاً»<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: الأثر السلبي:

- رسول الله صلى الله عليه وآله: «من علامات الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، وشدة الحرص في طلب الرزق، والإصرار على الذنب»<sup>(٣)</sup>.

- رسول الله صلى الله عليه وآله: «اتقوا الذنوب فإنها ممحقة للخيرات، إن العبد ليذنب الذنب فينسى به العلم الذي كان قد علمه، وإن العبد ليذنب الذنب فيمتنع به من قيام الليل، وإن العبد ليذنب الذنب فيحرم به الرزق، وقد كان هيئاً له، ثم تلا هذه ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ إلى آخر الآية»<sup>(٤)</sup>.

- رسول الله صلى الله عليه وآله: «- في حديث الإسراء، وما رآه مكتوباً على أبواب الجنة والنار - قال: «... ورأيت على أبواب النار مكتوباً على الباب الأول - إلى أن قال - وعلى الباب الرابع مكتوب ثلاث كلمات: أذل الله من أهان الإسلام، أذل الله من أهان أهل البيت أذل الله من أعان الظالمين على ظلمهم للمخلوقين، وعلى الباب الخامس مكتوب ثلاث كلمات: لا تتبعوا الهوى فالهوى يخالف الايمان، ولا تكثر منطلقك فيما لا يعينك فتسقط من رحمة الله، ولا تكن عوناً للظالمين»<sup>(٥)</sup>.

- رسول الله صلى الله عليه وآله: «من قارف ذنباً فارقه عقلٌ لا يرجع إليه أبداً»<sup>(٦)</sup>.

(١) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: الأمالي: ٢٧٦.

(٢) الحراني: الحسن بن علي ابن شعبة: تحف العقول: ٤٨٩.

(٣) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: الخصال: ٢٤٢.

(٤) الحلبي: ابن فهد: عدة الداعي: ١٩٧.

(٥) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ١٣: ١٢٦.

(٦) الكاشاني: محسن بن الشاه مرتضى: المحجة البيضاء: ٨: ١٦٠.

- رسول الله ﷺ: «من لم يتعزَّ بعزاء الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات، ومن رمى ببصره إلى ما في يدي غيره كثُرَ همُّه، ولم يَشْفِ غِيظُهُ، ومن لم يعلم أن لله عليه نعمة إلا في مطعم أو ملبس فقد قَصُرَ عمله، ودنا عذابُهُ، ومن أصبح على الدنيا حزيناً أصبح على الله ساخطاً، ومن شكَا مصيبةً نزلت به، فإنما يشكو ربَّه، ومن دخل النار من هذه الأمة ممن قرأ القرآن فهو ممن يتَّخذُ آيات الله هُزُواً، ومن أتى ذا ميسرة فتخشع له طلب ما في يديه، ذهب ثلثا دينه.

ثم قال: ولا تعجل، وليس يكون الرجل ينال من الرجل المرفق فيجعله ويؤقرُّه فقد يجب ذلك له عليه، ولكن تراه أنه يريد بتخشعه ما عند الله، أو يريد أن يخلِّته عمّا في يديه»<sup>(١)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «من أصبح وأمسى والآخرة أكبر همّه جعل الله الغنى في قلبه وجمع له أمره ولم يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه، ومن أصبح وأمسى والدنيا أكبر همه جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه أمره ولم ينل من الدنيا إلا ما قسم له»<sup>(٢)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «ثلاثة من الذنوب تعجل عقوبتها ولا تؤخر إلى الآخرة: عقوق الوالدين، والبغي على الناس، وكفر الإحسان»<sup>(٣)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «للمؤمن اثنان وسبعون سترًا، فإذا أذنب ذنباً انهتكت عنه ستره، فإن تاب رده الله إليه وسبعة معه، وإن أبى إلا قدماً قدماً في المعاصي تهتكت عنه أستاره، فإن تاب ردها الله إليه ومع كل ستر منها سبعة، فإن أبى إلا قدماً قدماً في المعاصي تهتكت أستاره وبقي بلا ستر وأوحى الله تعالى إلى ملائكته أن استروا عبدي بأجنحتكم فإن بني آدم يغيرون ولا يغيرون، وأنا غير ولا أغير، فإن أبى إلا قدماً قدماً في المعاصي شكت الملائكة إلى ربها ورفعت أجنحتها وقالت: يا رب إن عبدك هذا قد أقدرنّا ممّا يأتي من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، قال: فيقول

(١) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٧٠: ٨٩.

(٢) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: ثواب الأعمال: ١٦٨.

(٣) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرك الوسائل: ١٢: ٣٦٠.

الله تعالى لهم: كفوا عنه أجنحتكم، فلو عمل الخطيئة في سواد الليل أو في ضوء النهار أو في مفازة أو قعر بحر لأجراها الله تعالى على ألسنة الناس فاسألوا الله تعالى أن لا يهتك أستاركم»<sup>(١)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «... إِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الضَّحِكِ، فَإِنَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَذْهَبُ بِنُورِ الْوَجْهِ...»<sup>(٢)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «لا تشبعوا فيطفأ نور المعرفة من قلوبكم»<sup>(٣)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «... والبعد من الله الذي قوي به على المعاصي الشيع، فلا تشبعوا بطونكم فيطفأ نور الحكمة من صدوركم...»<sup>(٤)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «احذر الغيبة والنميمة، فَإِنَّ الْغَيْبَةَ تُفْطِرُ، وَالنَّمِيمَةَ تُوْجِبُ عَذَابَ الْقَبْرِ»<sup>(٥)</sup>.

وعنه ﷺ: «... لو أن أحدكم هرب من رزقه لتبعه حتى يدركه كما أنه إن هرب من أجله تبعه حتى يدركه، من خان خيانة حسبت عليه من رزقه وكتب عليه وزرها»<sup>(٦)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «ثلاثة مجالستهم تميم القلب: مجالسة الأندال، والحديث مع النساء، والجلوس مع الأغنياء»<sup>(٧)</sup>.

رسول الله ﷺ: «... ومن أسرَّ ما يُسْخِطُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَظْهَرَ اللَّهَ مَا يُخْزِيهِ، وَمَنْ كَسَبَ مَالًا مِنْ غَيْرِ حَلِّهِ أَفْقَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ... ومن أذَلَّ مؤمناً أذَلَّهُ اللَّهُ...»<sup>(٨)</sup>.

(١) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٧٠: ٣٦٢.

(٢) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: الخصال: ٥٢٦.

(٣) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ١٦: ٢١٨.

(٤) المتقي الهندي: علاء الدين علي: كنز العمال: ١٥: ٨٧٥.

(٥) الحراني: الحسن بن علي ابن شعبة: تحف العقول: ١٤.

(٦) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٥: ٣٠٤.

(٧) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٢: ٦٤١.

(٨) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٦٦: ٣٨٢.

- رسول الله ﷺ: «لا تطلبوا عثرات المؤمنين، فإن من تتبّع عثرات أخيه تتبّع الله عثراته، ومن تتبّع الله عثراته فضحّه ولو في جوف بيته»<sup>(١)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «يقول الله عزّ وجلّ: ما من مخلوق يعتصم دوني إلاّ قطعْتُ أسباب السماوات وأسباب الأرض من دونه، فإن سألني لم أعطه وإن دعاني لم أجبه...»<sup>(٢)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «ما اختلج عرق ولا عثرت قدمٌ إلاّ بما قدّمت أيديكم، وما يعفو الله (عزّ وجلّ) عنه أكثر»<sup>(٣)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «من أكل لقمةً من حرام لم تُقبَلْ له صلاةٌ أربعين ليلةً، ولم تُستجبْ له دعوةٌ أربعين صباحاً...»<sup>(٤)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «الرغبة في الدنيا تورث الهمّ والحزن، والزهد في الدنيا يُريح القلبَ والبدن»<sup>(٥)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «إياكم والذنوب التي لا تُغفر: الغلُولُ فمن غلّ شيئاً يأتي به يوم القيامة، وأكل الربا فإنّ أكل الربا لا يقوم إلاّ كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ»<sup>(٦)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «أربّع لا تدخل بيتاً واحدةً منهنّ إلاّ خرب ولم يعمر بالبركة: الخيانة، والسرقة، وشرب الخمر، والزنا»<sup>(٧)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «كثرة المزاح يذهب بماء الوجه، وكثرة الضحك يمحو الإيمان، وكثرة الكذب يذهب بالبهاء»<sup>(٨)</sup>.

(١) الطبرسي: أبو الفضل علي: مشكاة الأنوار: ١٩١.

(٢) الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن: الأمالي: ٥٨٥.

(٣) الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن: الأمالي: ٥٧٠.

(٤) المتقي الهندي: علاء الدين علي: كنز العمال: ٤: ١٥.

(٥) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: الخصال: ٧٤.

(٦) المتقي الهندي: علاء الدين علي: كنز العمال: ١٦: ٢٤.

(٧) العلامة الحلي: الرسالة السعدية: ١٤٧.

(٨) النيسابوري: محمد بن الفتال: روضة الواعظين: ٤١٩.

- رسول الله ﷺ: «... إن أعجل الشرِّ عقوبةُ البغي...»<sup>(١)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «الفقهاء أمناءُ الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا.
- قيل: يا رسول الله فما دخولهم في الدنيا؟
- قال: إتباعُ السلطان، فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على أديانكم»<sup>(٢)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «من ترك معصيةَ الله مخافةً من الله، أرضاهُ اللهُ يوم القيامة، ومن مشى مع ظالمٍ ليعينه وهو يعلم أنه ظالمٌ، فقد خرج من الإيمان»<sup>(٣)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «إن العبد ليرفع يده إلى الله ومطعمه حرام، فكيف يستجاب له وهذا حاله؟»<sup>(٤)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «- لمن قال له: أُحِبُّ أن يستجابَ دعائي -: طَهَّرْ مأكلكَ ولا تُدخِلْ بطنَكَ الحرام»<sup>(٥)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «أطبَّ كسبك تُستَجَبَ دعوتُك، فإنَّ الرجل يرفع اللقمة إلى فيه حرام، فما تستجاب له دعوة أربعين يوماً»<sup>(٦)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «إيَّاكم وأبوابَ السلطان وحواشيها، فإنَّ أقربُكم من أبواب السلطان وحواشيها أبعدُكم من الله تعالى، ومن آثرَ السلطانَ على الله تعالى أذهبَ اللهُ عنه الورعَ وجعله حيران»<sup>(٧)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «يقول الله عزَّ وجلَّ: وعزَّتي وجلالي لأنتقمَنَّ من الظالم في عاجله وآجله، ولأنتقمَنَّ ممن رأى مظلوماً فقدر أن ينصره فلم يفعل»<sup>(٨)</sup>.

(١) عدة من المحدثين: الأصول الستة عشر: ٢٦.

(٢) الراوندي: ضياء الدين أبو الرضا فضل الله: النوادر: ١٥٥.

(٣) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرك الوسائل: ١٣: ١٢٥.

(٤) الديلمي: أبو محمد الحسن بن أبي الحسن: ارشاد القلوب: ١٤٩.

(٥) الحلبي: ابن فهد: عدة الداعي: ١٢٩.

(٦) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرك الوسائل: ٥: ٢١٧.

(٧) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: ثواب الاعمال: ٢٦٠.

(٨) الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد: المعجم الأوسط: ١: ١٥.

- رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَفُضُولَ الطَّعَامِ فَإِنَّهُ يَسِئُ الْقَلْبَ بِالقِسْوَةِ، وَيُطِئُ بِالْجَوَارِحِ عَنِ الطَّاعَةِ، وَيُصِئُ الهمم عن سماع الموعظة، إِيَّاكُمْ وَفُضُولَ النِّظَرِ فَإِنَّهُ يَبْذُرُ الهوى وَيُوَلِّدُ الغفلة، وَإِيَّاكُمْ وَاسْتِشْعَارَ الطَّمَعِ فَإِنَّهُ يَشُوبُ الْقَلْبَ بِشِدَّةِ الحِرْصِ، وَيَخْتِمُ الْقَلْبَ بِطَاعِ حَبِّ الدُّنْيَا، وَهُوَ مِفْتَاحُ كُلِّ مَعْصِيَةٍ، وَرَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَسَبَبُ إِحْبَاطِ كُلِّ حَسَنَةٍ»<sup>(١)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «... وَأَمَّا الْمَهْلَكَاتُ فَشُحُّ مَطَاعٍ، وَهَوَى مُتَّبِعٍ، وَإِعْجَابُ المرءِ بِنَفْسِهِ...»<sup>(٢)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «مَنْ حَبَسَ عَنِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ شَيْئًا مِنْ حَقِّ حَرَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ بَرَكَةُ الرِّزْقِ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ»<sup>(٣)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «لَا تَزَالُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَحْبِبُ غَضَبَ الرَّبِّ عَنِ النَّاسِ، مَا لَمْ يَبَالُوا مَا ذَهَبَ مِنْ دِينِهِمْ إِذَا صَلَحَتْ لَهُمْ دُنْيَاهُمْ فَإِذَا قَالُوا قِيلَ لَهُمْ كَذَبْتُمْ لَسْتُمْ مِنْ أَهْلِهَا»<sup>(٤)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «لَا تَزَالُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَنْفَعُ مَنْ قَالَهَا حَتَّى يَسْتَخَفَّ بِهَا، وَالِاسْتِخْفَافُ بِحَقِّهَا أَنْ يَظْهَرَ الْعَمَلُ بِالْمَعَاصِي فَلَا يَنْكُرُوهُ وَلَا يَغْيِرُوهُ»<sup>(٥)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ فَإِنَّهُ يَخْرِبُ قُلُوبَكُمْ»<sup>(٦)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «الطَّمَعُ يُذْهِبُ الْحِكْمَةَ مِنْ قُلُوبِ الْعُلَمَاءِ»<sup>(٧)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «إِذَا عَظَّمَتْ أُمَّتِي الدُّنْيَا نَزَعَ اللَّهُ مِنْهَا هَيْبَةَ الْإِسْلَامِ

(١) الحلبي: ابن فهد: عدة الداعي: ٢٩٤.

(٢) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: الخصال: ٨٤.

(٣) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ١٠١: ٢٩٣.

(٤) المتقي الهندي: علاء الدين علي: كنز العمال: ١: ٦٣.

(٥) المتقي الهندي: علاء الدين علي: كنز العمال: ١: ٦٣.

(٦) زيد بن علي: مسند الإمام زيد بن علي: ٤٨٩.

(٧) السيوطي: جلال الدين: الجامع الصغير: ٢: ١٤٢.

- رسول الله ﷺ: «لا يدخل ملكوت السماوات والأرض من ملأ بطنه»<sup>(١)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «... ومن (ي) رغب في الدنيا فطال فيها أمله أعمى الله قلبه على قدر رغبته فيها...»<sup>(٢)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «يا علي في الزنا ستُّ خصال: ثلاثٌ منها في الدنيا، وثلاثٌ في الآخرة فأما التي في الدنيا فيذهب بالبهاء، ويُعجّل الفناء، ويقطع الرزق، وأما التي في الآخرة فسوء الحساب، وسخط الرحمن، والخلود في النار»<sup>(٣)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «من كان أكثر همّه نيل الشهوات نزع من قلبه حلاوة الإيمان»<sup>(٤)</sup>.
- رسول الله ﷺ: قال الله تعالى لداؤد عَلَيْهِ السَّلَامُ: «حرامٌ على كل قلب عالم محب للشهوات أن يجعله إماماً للمتقين»<sup>(٥)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإن القلب يموت كالزرع إذا كثر عليه الماء...»<sup>(٦)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «مالي لا أرى عليكم حلاوة العبادة؟  
قالوا: وما حلاوة العبادة؟  
قال: التواضع»<sup>(٧)</sup>.
- رسول الله ﷺ: «حرامٌ على كل قلب عزى بالشهوات أن يجول في ملكوت السماوات»<sup>(٨)</sup>.

(١) الورام: أبو الحسين ورام بن أبي فراس: تنبيه الخواطر: ٢: ١١٩.

(٢) الحراني: الحسن بن علي ابن شعبة: تحف العقول: ٦٠.

(٣) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: الخصال: ٣٢٠.

(٤) الورام: أبو الحسين ورام بن أبي فراس: تنبيه الخواطر: ٢: ١١٦.

(٥) الشيخ الحويزي: تفسير نور الثقلين: ٤: ٤٤.

(٦) النيسابوري: محمد بن الفثال: روضة الواعظين: ٤٥٧.

(٧) الورام: أبو الحسين ورام بن أبي فراس: تنبيه الخواطر: ١: ٢٠١.

(٨) الورام: أبو الحسين ورام بن أبي فراس: تنبيه الخواطر: ٢: ١٢٢.



- رسول الله ﷺ: «إن صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، وهلاك آخرها بالشح والأمل»<sup>(١)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «الزنا يورث الفقر ويدعُ الديار بلاقع»<sup>(٢)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «يقول الله عزَّ وجلَّ: وعزتي وجلالي وعظمتي وكبريائي ونوري وعلوي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبدٌ هواه على هواي إلا شئت عليه أمره، ولبست عليه دنياه، وشغلت قلبه بها، ولم أوته منها إلا ما قدّرت له»...<sup>(٣)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «إياكم واليمين الفاجرة، فإنها تدع الديار بلاقع من أهلها»<sup>(٤)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «انقوا الله في اليمين الكاذبة فإنها منققةٌ للسلعة، وممحققةٌ للبركة، ومن حلف يميناً كاذبةً فقد اجترأ على الله، فليتنظر عقوبته»<sup>(٥)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا البغي وعقوق الوالدين أو قطيعة الرحم يُعَجَّلُ لصاحبه في الدنيا قبل الموت»<sup>(٦)</sup>.

- الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ما جفت الدموع الا لقسوة القلوب، وما قست القلوب الا لكثرة الذنوب»<sup>(٧)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «من تجبَّرَ حَقَرَهُ اللهُ ووضعه»<sup>(٨)</sup>.

- عنه عليه السلام: «إِيَّاكَ وَالتَّجَبُّرَ عَلَى عِبَادِ اللهِ، فَإِنَّ كُلَّ مُتَجَبِّرٍ يَقْصِمُهُ اللهُ»<sup>(٩)</sup>.

(١) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: الأمالي: ٢٩٧.

(٢) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: من لا يحضره الفقيه: ٤: ٢٠.

(٣) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٢: ٣٣٥.

(٤) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ١٠١: ٢٠٩.

(٥) النعمان المغربي: القاضي: دعائم الإسلام: ٢: ٩٤.

(٦) البخاري: محمد بن اسماعيل: الأدب المفرد: ١٢٩.

(٧) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: علل الشرائع: ١: ٨١.

(٨) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٤٤٩.

(٩) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٩٨.

- وعنه عليه السلام: «من أطلق ناظره أتعب خاطره، من تابعت لحظاته دامت حسراته»<sup>(١)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «مجاهرة الله سبحانه بالمعاصي تُعَجِّلُ النِّقْمَ»<sup>(٢)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «أعوذ بالله من الذنوب التي تعجل الفناء فقام إليه عبد الله بن الكواء يشكري فقال: يا أمير المؤمنين: أَوَ يَكُونُ ذَنْبٌ تُعَجِّلُ الْفَنَاءَ؟ فقال: نعم ويلك قطيعة الرحم.

- وعنه عليه السلام: «الحسد لا يجلبُ إلا مضرَّةً وغيظاً يوهنُ قلبك ويُمرضُ جسمك»<sup>(٣)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «- في خطبة له -: أعوذ بالله من الذنوب التي تعجل الفناء، فقام إليه عبد الله بن الكواء يشكري.

فقال: يا أمير المؤمنين، أوتكون ذنوب تعجل الفناء؟.

فقال: نعم ويلك! قطيعة الرحم، إنَّ أهل البيت ليجتمعون ويتواسون وهم فجرةٌ فيرزقهم الله وإنَّ أهل البيت ليتفرقون ويقطع بعضهم بعضاً فيحرمهم الله وهم أتقياء»<sup>(٤)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «الجدلُ في الدين يُفسدُ اليقين»<sup>(٥)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «من كثر ضحكته مات قلبه»<sup>(٦)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «من قصرَ في العمل ابتلاه الله سبحانه بهم...»<sup>(٧)</sup>.

(١) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ١٤: ٢٦٨.

(٢) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٤٨٨.

(٣) الكراجكي: أبو الفتح محمد بن علي: كنز الفوائد: ٥٧.

(٤) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٢: ٣٤٨.

(٥) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٢٩.

(٦) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٤٣٠.

(٧) نهج البلاغة: قصار الكلمات: الرقم: ١٢٧.

- وعنه عليه السلام: «... إِيَّاكُمْ وَالْجِدَالَ فَإِنَّهُ يورِثُ الشُّكَّ...»<sup>(١)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «(لا يخلو بامرأة رجل)، فما من رجلٍ خلا بامرأة، إلا كان الشيطان ثالثهما»<sup>(٢)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «ومن لَجَّ وتمادى فهو الراكس الذي رانَ الله على قلبه، وصارت دائرة السوء على رأسه»<sup>(٣)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «... وإِيَّاكَ أَنْ توجِفَ بك مطايا الطمع فتوردك مناهل الهلكة...»<sup>(٤)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «أيها الناس إنما هلك من هلك ممن كان قبلكم بركوبهم المعاصي، ولم ينههم الربانيون والأخبار...»<sup>(٥)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «النظر إلى البخيل يُقسِّي القلب، النظر إلى الأحقق يُسَخِّنُ العين»<sup>(٦)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «... ومجالسة أهل الهوى منسأة للإيمان، ومحضرة للشيطان»<sup>(٧)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «... ومن أتى غنيًّا فتواضع له لغناه ذهب ثلثا دينه...»<sup>(٨)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «إنما أهلك من كان قبلكم أنهم منعوا الناس الحقَّ فاشتروهُ، وأخذوهم بالباطل فاقتدَوْهُ»<sup>(٩)</sup>.

(١) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: الخصال: ٦١٥.

(٢) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ١٤: ٢٦٥.

(٣) الأمدى: عبد الواحد بن محمد التميمي: غرر الحكم: ٤٩٧٥.

(٤) نهج البلاغة: من وصيته لإبنه الإمام الحسن عليه السلام: الرقم: ٣١.

(٥) المير جهاني: محمد حسن: مصباح البلاغة: (مستدرک نهج البلاغة) ١: ٤٨.

(٦) الحراني: الحسن بن علي ابن شعبة: تحف العقول: ٢١٤.

(٧) نهج البلاغة: الخطبة: ٨٦.

(٨) نهج البلاغة: قصار الكلمات: الرقم: ٢٢٨.

(٩) نهج البلاغة: من كتاب له: الرقم: ٧٩.

- وعنه عليه السلام: «كيف يصل إلى حقيقة الزهد من لم يُمِتْ شهوته»<sup>(١)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «لا أحسب أحدكم ينسى شيئاً من أمر دينه إلا لخطيئةٍ أخطاها»<sup>(٢)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «الحكمة لا تحلُّ قلبَ المنافق إلا وهي على ارتحال»<sup>(٣)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «حرامٌ على كلِّ عقلٍ مغلولٍ بالشهوة أن ينتفع بالحكمة»<sup>(٤)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «أهلك شيءٌ استدامةُ الضلال»<sup>(٥)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «إنَّ من غرَّتْهُ الدنيا بمحالِ الآمالِ وخدعته بزور الأمانِي أورثته كمَّها وألبسته عميٌّ، وقطعته عن الأخرى، وأوردته موارد الردى»<sup>(٦)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «سببُ فسادِ اليقينِ الطمع»<sup>(٧)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «التخمة تُفسدُ الحكمة»<sup>(٨)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «البطنة تحجِّبُ الفطنة»<sup>(٩)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «إذا ملئَ البطنُ من المباحِ عميَ القلبِ عن الصلاح»<sup>(١٠)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «من شبع عوقب في الحال ثلاث عقوباتٍ: يُلقى الغطاءُ على قلبه، والنعاس على عينه، والكسل على بدنه»<sup>(١١)</sup>.

(١) الأمدى: عبد الواحد بن محمد التميمي: غرر الحكم: ٦٩٨٧.

(٢) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ١١: ٣٢٦.

(٣) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٥٧.

(٤) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٢٣٣.

(٥) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ١٢٤.

(٦) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ١٥٢.

(٧) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ١٢: ٧١.

(٨) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٣٢.

(٩) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٣٢.

(١٠) الأمدى: عبد الواحد بن محمد التميمي: غرر الحكم: ٦٥١.

(١١) المعتزلي: عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني: شرح نهج البلاغة: ٢٠: ٣٢٠.

- وعنه عليه السلام: «... ألا وإنه من لا ينفعه اليقين يضُرُّه الشك، ومن لا ينفعه حاضر لُبِّه ورأيه فغائبه عنه أعجز...»<sup>(١)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «الذنوب التي تحبس الرزق، الزنا».
- وعنه عليه السلام: «ألا وإنه من لم ينفعه الحق ضُرُّه الباطل، ومن لم يستقم به الهدى جار به الضلال»<sup>(٢)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «حبُّ المال يوهن الدين ويفسد اليقين»<sup>(٣)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «... وإن من لا ينفعه الحق يضره الباطل، ومن لا يستقيم به الهدى تضره الضلالة، ومن لا ينفعه اليقين يضُرُّه الشك...»<sup>(٤)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «دع الحسد والكذب والحقد، فإنهنَّ ثلاثة تشين الدين، وتهلك الرجل»<sup>(٥)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «خلطة أبناء الدنيا تشين الدين، وتضعف اليقين»<sup>(٦)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «خلطة أبناء الدنيا رأس البلوى وفساد التقوى»<sup>(٧)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «من لم يوقن بالجزاء أفسد الشك يقينه»<sup>(٨)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «حرام على كل قلب متوله بالدنيا أن يسكنه التقوى»<sup>(٩)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «ليس في البدن شيء أقلُّ شكراً من العين، فلا تعطوها سؤلها فتشغلكم عن ذكر الله عزَّ وجلَّ»<sup>(١٠)</sup>.

(١) الشيخ المفيد: أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي: الإرشاد: ١: ٢٣٦.

(٢) الشيخ المحمودي: الشيخ محمد باقر: نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة: ٣: ٢٥١.

(٣) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٢٣١.

(٤) الحراني: الحسن بن علي ابن شعبة: تحف العقول: ١٥٢.

(٥) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ١٢: ٢٣.

(٦) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٢٤٢.

(٧) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٢٤١.

(٨) الأمدى: عبد الواحد بن محمد التميمي: غرر الحكم: ٥٥١٣.

(٩) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٢٣٣.

(١٠) الجزائري: السيد عبد الله: التحفة السنية: ٣١٨.

– وعنه عليه السلام: «توقوا الذنوب، فما من بليّة ولا نقص رزق إلا بذنب، حتّى الخدش والكبوّة والمصيبة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾»<sup>(١)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «من نسي الله أنساه نفسه»<sup>(٢)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «من نسي الله سبحانه أنساه الله نفسه وأعمى قلبه»<sup>(٣)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «كلّ عزٍّ لا يؤيّدُهُ دينٌ مذلّة»<sup>(٤)</sup>.

– وعنه عليه السلام: – من كتابه للأشتر حين ولاه مصر –: «... إِيَّاكَ والدماءَ وسفكها بغير حلّها، فإنه ليس شئٌ أدنى لنتمة، ولا أعظم لتبعة، ولا أحرى بزوال نعمة، وانقطاع مدة، من سفك الدماء بغير حقها...»<sup>(٥)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «كيف يستطيع الهدى من يغلبه الهوى»<sup>(٦)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «... وأوصيكم بمجانبة الهوى، فإنّ الهوى يدعو إلى العمى، وهو الضلال في الآخرة والدينا...»<sup>(٧)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «من اتبع هواه أعماه، وأصمه، وأذله، وأضله»<sup>(٨)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «إِنَّكَ إِنْ أَطَعْتَ هَوَاكَ أَصَمَّكَ وَأَعْمَاكَ، وَأَفْسَدَ مَنْقَلَبَكَ وَأَرْدَاكَ»<sup>(٩)</sup>.

(١) الاسكافي: محمد بن همام: كتاب التمهيص: ٣٨.

(٢) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٤٢٤.

(٣) الأمدي: عبد الواحد بن محمد التميمي: غرر الحكم: ٦٠٢.

(٤) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٣٧٦.

(٥) نهج البلاغة: الرقم: ٥٣.

(٦) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٣٨٣.

(٧) النعمان المغربي: أبو حنيفة القاضي: دعائم الإسلام: ٢: ٣٤٩.

(٨) السيد البروجردي: حسين الطباطبائي: جامع أحاديث الشيعة: ١٣: ٢٥٠.

(٩) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ١٢: ١١٤.

– وعنه عليه السلام: «ما أنعم الله على عبد نعمة فظلم فيها، إلا كان حقيقاً أن يُزيّلها عنه»<sup>(١)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «... وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإن الله يسمع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد»<sup>(٢)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «ما من عبد إلا وعليه أربعون جنة حتى يعمل أربعين كبيرة، فإذا عمل أربعين كبيرة انكشفت عنه الجنة فيوحي الله إليهم أن استروا عبيدي بأجنتكم فستره الملائكة بأجنتها، قال: فما يدع شيئاً من القبيح إلا قارفه حتى يمتدح إلى الناس بفعله القبيح، فيقول الملائكة: يا رب هذا عبدك ما يدع شيئاً إلا ركبته وإنما لنتحي مما يصنع، فيوحي الله عز وجل إليهم أن ارفعوا أجنتكم عنه فإذا فعل ذلك أخذ في بغضنا أهل البيت فعند ذلك ينهتك ستره في السماء وستره في الأرض، فيقول الملائكة: يا رب هذا عبدك قد بقي مهتوك الستر فيوحي الله عز وجل إليهم: لو كانت لله فيه حاجة ما أمركم أن ترفعوا أجنتكم عنه»<sup>(٣)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «غلبة الشهوة تبطل العصمة، وتورد الهلك»<sup>(٤)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «لا تفسد التقوى إلا غلبة الشهوة»<sup>(٥)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «البغي يسلب النعمة، الظلم يجلب النعمة»<sup>(٦)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «البغي يجلب النقم»<sup>(٧)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «البغي يوجب الدمار»<sup>(٨)</sup>.

(١) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٤٨٢.

(٢) نهج البلاغة: من عهده لمالك الأشتر: الرقم: ٥٣.

(٣) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٢: ٢٧٩.

(٤) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٣٤٩.

(٥) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ١١: ٣٤٥.

(٦) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ١٢: ٨٧.

(٧) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ١٨.

(٨) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ١٢: ٨٧.

- وعنه عليه السلام: «البغي يصرع الرجال ويؤذي الآجال»<sup>(١)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «إيّاك والبغي فإنه يُعجّل الصرعة، ويحل بالعامل به العبر»<sup>(٢)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «إذا ظهرت الجنایات ارتفعت البركات»<sup>(٣)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «من اعتر بغير الله أهلكه العز»<sup>(٤)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «- في صفة أهل الدنيا... سلكت بهم الدنيا طريق العمى، وأخذت بأبصارهم عن منار الهدى، فتأهوا في حيرتها، وغرقوا في نعمتها، واتخذوها ربا...»<sup>(٥)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «... قد يبتي الله المؤمن بالبلىة في بدنه أو ماله أو ولده أو أهله، وتلا هذه الآية ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ وضم يده ثلاث مرات ويقول: ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾»<sup>(٦)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «- لما سُئل: أيُّ ذنبٍ أعجل عقوبةً لصاحبه؟ - من ظلم من لا ناصر له إلا الله، وجاور النعمة بالتقصير، واستطال بالبغي على الفقير»<sup>(٧)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «لا يفلح من يتبجح بالردائل»<sup>(٨)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «من تلذذ بمعاصي الله أكسبته ذلاً»<sup>(٩)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «وأيّم الله، ما كان قوم قط في غضّ نعمة من عيش فزال عنهم إلاّ بذنوبٍ اجترحوها، لأن الله ليس بظلام للعبيد، ولو أن الناس حين تنزل بهم النقم،

(١) السيد البروجردي: جامع أحاديث الشيعة: ١٣: ٤١٠.

(٢) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرك الوسائل: ١٢: ٨٧.

(٣) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ١٣٤.

(٤) الأمدى: عبد الواحد بن محمد التميمي: غرر الحكم: ٨٢١٧.

(٥) نهج البلاغة: من وصية له لإبنه الإمام الحسن عليه السلام: الرقم: ٣١.

(٦) الحراني: الحسن بن علي ابن شعبة: تحف العقول: ٢١٣.

(٧) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرك الوسائل: ١٢: ١٠٢.

(٨) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٥٣٨.

(٩) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٤٣٦.



وتزول عنهم النعم، فزعوا إلى ربهم بصدق من نياتهم، ووله من قلوبهم، لردّ عليهم كلّ شارد، وأصلح لهم كلّ فاسد»<sup>(١)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «... فإن للطاعة أعلاماً واضحة، وسبلاً نيرة، ومحجة نهجة، وغاية مطلوبة يردها الأكياس، ويخالفها الأنكاس، من نكب عنها جار عن الحق، وخبط في التيه، وغير الله نعمته، وأحل به نعمته...»<sup>(٢)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «إذا أراد الله سبحانه إزالة نعمة عن عبد كان أول ما يغير عنه عقله، وأشدُّ شيءٍ عليه فقده»<sup>(٣)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «يا بن آدم! إذا رأيت ربك سبحانه يتابع عليك نعمه وأنت تعصيه فاحذره»<sup>(٤)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «أيها الناس ليركم الله من النعمة وجلين كما يراكم من النعمة فرقين، إنه من وسع عليه في ذات يده فلم ير ذلك استدرجاً فقد أمن مخوفاً، ومن ضيق عليه في ذات يده فلم ير ذلك اختباراً فقد ضيع مأمولاً»<sup>(٥)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «... فما زالت نعمة ولا نضارة عيش إلا بذنوب اجترحوا، إن الله ليس بظلام للعبيد...»<sup>(٦)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «... وسينتقم الله ممن ظلم، مأكلاً بمأكل، ومشرباً بمشرب، من مطاعم العلقم، ومشارب الصبر والمقر...»<sup>(٧)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «مجالسة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار»<sup>(٨)</sup>.

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ١٧٨.

(٢) نهج البلاغة: من كتاب له عليه السلام: الرقم: ٣٠.

(٣) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ١٣٧.

(٤) نهج البلاغة: فصار الكلمات: الرقم: ٢٥.

(٥) نهج البلاغة: فصار الكلمات: الرقم: ٣٥٨.

(٦) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: الخصال: ٦٢٣.

(٧) نهج البلاغة: الخطبة: ١٥٨.

(٨) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: الأمالي: ٥٣١.

- وعنه عليه السلام: «أسرع المعاصي عقوبةً أن تبغي على من لا يبغي عليك».
- الإمام الحسين عليه السلام: «- مخاطباً جيش عمر بن سعد بعد أن استنصتهم فلم ينصتوا -: ويلكم ما عليكم أن تنصتوا إليّ فتسمعوا قولي، وإنما أدعوكم إلى سبيل الرشاد... وكلكم عاص لأمرى غير مستمع قولي فقد ملئت بطونكم من الحرام وطبع على قلوبكم...»<sup>(١)</sup>.
- الإمام السجاد عليه السلام: «من بات شبعانا وبحضرته مؤمن جاع طاو قال الله عزَّ وجلَّ: ملائكتي، أشهدكم على هذا العبد أنني أمرته فعصاني وأطاع غيري، وكتته إلى عمله، وعزتي وجلالي لا غفرت له أبداً»<sup>(٢)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «الذنوب التي تغيّر النعم: البغي على الناس، والزوال عن العادة في الخير، واصطناع المعروف، وكفران النعم، وترك الشكر، قال الله عزَّ وجلَّ: إنَّ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم... والذنوب التي تنزل النقم: عصيان العارف بالبغي، والتناول على الناس والاستهزاء بهم والسخرية منهم.
- والذنوب التي تدفع القسم: إظهار الافتقار، والنور على العتمة، وعن صلاة الغداء، واستحقار النعم، وشكوى المعبود عزَّ وجلَّ.
- والذنوب التي تهتك العصم: شرب الخمر، واللعب بالقمار، وتعاطي ما يُضحك الناس من اللغو والمزاح، وذكر عيوب الناس، ومجالسة أهل الريب.
- والذنوب التي تنزل البلاء: ترك إغاثة الملهوف، وترك معاونة المظلوم، وتضييع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- والذنوب التي تُدليل<sup>(٣)</sup> الأعداء: المجاهرة بالظلم، وإعلان الفجور، وإباحة المحظور، وعصيان الأخيار، والانطباع<sup>(٤)</sup> للأشرار.

(١) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٤٥: ٨.

(٢) البرقي: أحمد بن محمد بن خالد: المحاسن: ١: ٩٨.

(٣) الادالة: أخذ الدولة منهم وإيتاؤها أعدائهم.

(٤) الانطباع: الانقياد.

والذنوب التي تعجّل الفناء: قطيعة الرحم، واليمين الفاجرة، والأقوال الكاذبة، والزنا، وسدّ طرق المسلمين، وادّعاء الإمامة بغير حقّ.

والذنوب التي تقطع الرجاء: اليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، والثقة بغير الله، والتكذيب بوعد الله عزّ وجلّ.

والذنوب التي تظلم الهواء: السحر، والكهانة، والإيمان بالنجوم، والتكذيب بالقدر، وعقوق الوالدين.

والذنوب التي تكشف الغطاء: الاستدانة بغير نية الأداء، والإسراف في النفقة على الباطل، والبخل على الأهل والولد وذوي الأرحام وسوء الخلق، وقلة الصبر، واستعمال الضجر، والكسل، والاستهانة بأهل الدين.

والذنوب التي تردّ الدعاء: سوء النية، وخبث السريرة، والنفاق مع الإخوان، وترك التصديق بالإجابة، وتأخير الصلوات المفروضات حتى تذهب أوقاتها، وترك التقرب إلى الله عزّ وجلّ بالبر والصدقة، واستعمال البداء، والفحش في القول.

والذنوب التي تحبس غيث السماء: جور الحكام في القضاء، وشهادة الزور، وكتمان الشهادة، ومنع الزكاة والقرض والماعون، وقساوة القلوب على أهل الفقر والفاقة، وظلم اليتيم والأرملة، وانتهاج السائل ورّدّه بالليل<sup>(١)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «... أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني، أو لعلك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني، أو لعلك رأيتني آلف مجالس البطالين فيبني وبينهم خليّتي...»<sup>(٢)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «من ضحك ضحكة مبح من عقله مجة علم»<sup>(٣)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «... أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني، أو لعلك

(١) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: محمد بن علي بن الحسين: معاني الأخبار: ٢٧٢.

(٢) أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن: محمد بن الحسن بن علي: مصباح المتعجب: دعاء أبي حمزة الثمالي: ٥٨٨.

(٣) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٧٥: ١٥٨.

رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني، أو لعلك رأيتني آلف مجالس البطالين  
فبيني وبينهم خليتني...»<sup>(١)</sup>.

- الإمام محمد الباقر عليه السلام: «ما من عبد إلا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب ذنباً  
خرج في النكتة نكتة سوداء، فإن تاب ذهب ذلك السواد، وإن تمادى في الذنوب  
زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض، فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير  
أبداً، وهو قول الله عز وجل: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»<sup>(٢)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «ما من شيء أفسد للقلب من خطيئة»<sup>(٣)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا قطعوا الأرحام جعلت  
الأموال في أيدي الأشرار»»<sup>(٤)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «وجدنا في كتاب رسول الله ﷺ: إذا كثُر الزنا من بعدي كثُر  
موت الفجأة»<sup>(٥)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «إن العبد يسأل الله الحاجة فيكون من شأنه قضاءها إلى أجل  
قريب أو إلى وقت بطيء، فيذنب العبد ذنباً فيقول الله تبارك وتعالى للملك: لا  
تقض حاجته واحرمه إياها، فإنه تعرض لسخطي واستوجب الحرمان مني»<sup>(٦)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «يا زياد إياك والخصومات، فإنها تورث الشكَّ، وتُحبط العملَ،  
وتُردي صاحبها، وعسى أن يتكلم الرجل بالشيء لا يُعفر له...»<sup>(٧)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «- الإمام الباقر عليه السلام: أوحى الله تعالى إلى شعيب النبي:

(١) أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن: محمد بن الحسن بن علي: مصباح المتعجب: دعاء أبي حمزة الثمالي: ٥٨٨.

(٢) الجزائري: السيد عبد الله: التحفة السنية: ٢٥.

(٣) الجزائري: السيد عبد الله: التحفة السنية: ٢٥.

(٤) السيد البروجردي: حسين الطباطبائي: جامع أحاديث الشيعة: ١٦: ٢٧٤.

(٥) البرقي: أحمد بن محمد بن خالد: المحاسن: ١: ١٠٧.

(٦) الجزائري: السيد عبد الله: التحفة السنية: ٢٥.

(٧) البرقي: أحمد بن محمد بن خالد: المحاسن: ١: ٢٣٨.

إني معذب من قومك مائة ألف: أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم، فقال: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فأوحى الله عز وجل إليه: داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا الغضبي»<sup>(١)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «أربعة أسرع شيء عقوبة: رجل أحسنت إليه ويكافيك بالإحسان إليه إساءة، ورجل لا تبغي عليه وهو يبغي عليك، ورجل عاهدته على أمر فمن أمرك الوفاء له ومن أمره الغدر بك، ورجل يصل قرابته ويقطعونه»<sup>(٢)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «في كتاب أمير المؤمنين عليه السلام: ثلاث خصال لا يموت صاحبهن حتى يرى وبالهن: البغي، وقطيعة الرحم، واليمين الكاذبة»<sup>(٣)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «كان في وصية علي عليه السلام لأولاده: لا تتركوا حج بيت ربكم فتهلكوا...»<sup>(٤)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «- في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ...﴾: هؤلاء قوم كانت له قرى متصلة ينظر بعضهم إلى بعض، وأنهار جارية، وأموال ظاهرة، فكفروا بأنعم الله وغيروا ما بأنفسهم، فأرسل الله عز وجل عليهم سيل العرم فغرق قراهم وخرَّب ديارهم وأذهب أموالهم وأبدلهم مكان جناتهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل، ثم قال الله عز وجل: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ﴾»<sup>(٥)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «إنه ما من سنة أقل مطراً من سنة، ولكن الله يضعه حيث يشاء، إن الله عز وجل إذا عمل قوم بالمعاصي صرف عنهم ما كان قدر لهم من المطر»<sup>(٦)</sup>.

(١) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٥: ٥٦.

(٢) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: الخصال: ٢٢٩.

(٣) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٢: ٣٤٧.

(٤) الاحسائي: ابن أبي جمهور: عوالي اللئالي: ٤: ٢٧.

(٥) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٢: ٢٧٣.

(٦) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٢: ٢١٧.

- عن الصادقين عليهما السلام: «أنهم قالوا: إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه، فإن لم يفعل سلب نور الإيمان»<sup>(١)</sup>.
- الإمام الصادق عليه السلام: «قال: «قال عيسى بن مريم عليها السلام لبني إسرائيل: لا تعينوا الظالم على ظلمه، فيبطل فضلكم»<sup>(٢)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «ما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلا خذله الله في الدنيا والآخرة»<sup>(٣)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، وما تلف مال في بر ولا بحر إلا بمنع الزكاة»<sup>(٤)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «إياكم والخصومة في الدين، فإنها تشغل القلب عن ذكر الله عز وجل، وتورث النفاق، وتكسب الضغائن، وتستجيز الكذب»<sup>(٥)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «من منع حقاً لله عز وجل أنفق في باطل مثليه»<sup>(٦)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «من سره أن يستجاب دعاؤه فليطيب كسبه»<sup>(٧)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «إذا فشت أربعة ظهرت أربعة: إذا فشا الزنا ظهرت الزلازل، وإذا أمسكت الزكاة هلكت الماشية، وإذا جار الحاكم في القضاء أمسكت القطر من السماء، وإذا خُفرت الذمّة نُصِرَ المشركون على المسلمين»<sup>(٨)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «إذا أراد أحدكم أن يستجاب له فليطيب كسبه وليخرج من

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ١١: ٥١١.

(٢) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ١٢: ١٠٩.

(٣) البرقي: أحمد بن محمد بن خالد: المحاسن: ١: ٩٩.

(٤) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٩: ٢٥: ح: ١١٤٢٧.

(٥) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: الأمالي: ٥٠٣.

(٦) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٣: ٥٠٦.

(٧) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٩٠: ٣٧٣.

(٨) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: الخصال: ٢٤٢.

مظالم الناس، وإن الله لا يرفع دعاء عبد وفي بطنه حرام أو عنده مظلمة لأحد من خلقه»<sup>(١)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «كثرة السحت يمحق الرزق»<sup>(٢)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «في التوراة أربع مكتوبات وأربع إلى جانبهن: من أصبح على الدنيا حزينا أصبح على الله ساخطاً، ومن شكا مصيبةً نزلت به فإتما يشكو ربه، ومن أتى غنياً فتضع له لشيء يصيبه منه ذهب ثلثا دينه، ومن دخل من هذه الأمة النار ممن قرأ القرآن فهو ممن يتخذ آيات الله هزواً، والأربعة إلى جانبهن: كما تُدين تُدان، ومن ملك استأثر، ومن لم يستشر يندم، والفقر هو الموت الأكبر»<sup>(٣)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «إذا اتهم المؤمن أخاه انماث الإيمان من قلبه كما ينماث الملح في الماء»<sup>(٤)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «... من يطلب العز بغير حق يذل، ومن عاند الحق لزمه الوهن...»<sup>(٥)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «... وأيم الله، ما اختلفت أمة قط بعد نبيا إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها إلا ما شاء الله»<sup>(٦)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «... ولعمري ما أتى الجهال من قبل ربهم، وإنهم ليرون الدلالات الواضحات والعلامات البينات في خلقهم، وما يعاينون من ملكوت السماوات والأرض، والصنع العجيب المتقن الدال على الصانع، ولكنهم قوم فتحوا على أنفسهم أبواب المعاصي وسهلوا لها سبيل الشهوات، فغلبت الأهواء

(١) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٩٠: ٣٢١.

(٢) الحراني: الحسن بن علي ابن شعبة: تحف العقول: ٣٧٢.

(٣) الشيخ المفيد: أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان: الاختصاص: ٢٢٥.

(٤) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٢: ٣٦١.

(٥) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٨: ٢٠.

(٦) المير جهاني: محمد حسن: مصباح البلاغة: (مستدرک نهج البلاغة): ١: ٥٢.

على قلوبهم، واستحوذ الشيطان بظلمهم عليهم، وكذلك يطبع الله على قلوب المعتدين...»<sup>(١)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «قال عيسى بن مريم عليه السلام: إياكم والنظرة، فإنها تزرع في القلب الشهوة، وكفى بها لصاحبها فتنة»<sup>(٢)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «... وإياكم ومجالسة الملوك وأبناء الدنيا، ففي ذلك ذهاب دينكم ويعقبكم نفاقاً، وذلك داء دوي لا شفاء له، ويورث قساوة القلب، ويسلبكم الخشوع، وعليكم بالأشكال من الناس والأوساط من الناس فعندهم تجدون معادن الجواهر...»<sup>(٣)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت»<sup>(٤)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «لا تبقى الأرض يوماً واحداً بغير إمام منا تفرع إليه الأمة»<sup>(٥)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «... وليس شئ أضر لقلب المؤمن من كثرة الأكل، فيورث شيئين: قسوة القلب، وهيجان الشهوة...»<sup>(٦)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «ما ذئبان ضاريان في غنم قد فارقتها رعاؤها أحدهما في أولها والآخر في آخرها، بأفسدَ فيها من حبِّ المالِ والشرفِ في دين المسلم»<sup>(٧)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «أيما ناش نشأ في قوم ثم لم يؤدّب على معصية فإن الله عزّ وجلّ أول ما يعاقبهم فيه أن ينقص من أرزاقهم»<sup>(٨)</sup>.

(١) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٣: ١٥٢.

(٢) الشيخ النمازي الشاهرودي: علي: مستدرک سفينة البحار: ١٠: ٨٧.

(٣) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ١٢: ٣١٠.

(٤) المحقق التراقي: أحمد بن محمد مهدي: مستند الشيعة: ٦: ٢٥.

(٥) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: كمال الدين وتمام النعمة: ٢٣٠.

(٦) مصباح الشريعة المنسوب إلى الإمام الصادق عليه السلام: ٧٧.

(٧) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٢: ٣١٥.

(٨) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: ثواب الأعمال: ٢٢٣.



– وعنه عليه السلام: «إذا اذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب انمحت وإن زاد زادت حتى تغلب على قلبه فلا يفلح بعدها أبداً»<sup>(١)</sup>.

– عنه عليه السلام: «ما أنعم الله على عبد نعمة فسلبها إياه حتى يذنب ذنباً يستحق بذلك السلب»<sup>(٢)</sup>.

– وعنه عليه السلام: – لَمَّا سمعه المدائني وهو يقول: كان أبي عليه السلام يقول: «إن اله قضى قضاء حتماً ألا ينعم على العبد بنعمة فيسلبها إياه حتى يحدث العبد ذنباً يستحق بذلك النعمة»<sup>(٣)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «أيما رجل دعا على ولده أورثه الفقر»<sup>(٤)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «... إنه من خضع لصاحب سلطان ولمن يخالفه على دينه طلباً لما في يديه من دنياه أحمله الله ومقته عليه، ووكله إليه، فإن هو غلب على شيء من دنياه فصار إليه منه شيء نزع الله جلَّ اسمه البركة منه، ولم يُوجِرْهُ على شيء منه ينفقه في حج ولا عمرة ولا عتق ولا بر»<sup>(٥)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «... وما عذب الله أمة إلا عند استهانتهم بحقوق فقراء إخوانهم...»<sup>(٦)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «إحذروا سطوات الله بالليل والنهار، فقلت – يعني زيد الشحام: وما سطوات الله؟ فقال: أخذه على المعاصي»<sup>(٧)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «حُرِّمَ الحريصُ خصلتين ولزمتهُ خصلتان: حُرِّمَ القناعة فافتقد الراحة، وحُرِّمَ الرضا فافتقد اليقين»<sup>(٨)</sup>.

(١) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٧٣: ٣٢٧.

(٢) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٢: ٢٧٤.

(٣) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٢: ٢٧٣.

(٤) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ١٠١: ٩٩.

(٥) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ١٧: ١٧٨.

(٦) الحراني: الحسن بن علي ابن شعبة: تحف العقول: ٣٠٣.

(٧) الكوفي: الحسين بن سعيد: كتاب الزهد: ١٩.

(٨) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: الخصال: ٦٩.

– وعنه عليه السلام: «في قوله تعالى: ﴿سَسْتَدْرِكُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾: هو العبد يذنب الذنب، فتجدد له النعمة معه، تلهيه تلك النعمة عن الاستغفار من ذلك الذنب»<sup>(١)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «ما من مؤمن يعين مؤمناً مظلوماً إلا كان أفضل من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام، وما من مؤمن ينصر أخاه وهو يقدر على نصرته إلا نصره الله في الدنيا والآخرة، وما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلا خذله في الدنيا والآخرة»<sup>(٢)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «كان أبي عليه السلام إذا رأى شيئاً من الطعام في منزله قد رُمي به نقص من قوت أهله مثله، وكان يقول في قول الله (عزَّ وجلَّ): وضربَ الله مثلاً قريةً كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون. قال: هم أهل القرية كان الله (عزَّ وجلَّ) قد أوسع عليهم في معيشتهم فاستخسروا الاستنجاء بالحجارة، واستعملوا من الخبز مثل الأفهار، فكانوا يستنجون به، فبعث الله عليهم دواب أصغر من الجراد، فلم تدع لهم شيئاً مما خلقه الله من شجر ولا نبات إلا أكلته، فبلغ بهم الجهد إلى أن رجعوا إلى الذي كانوا يستنجون به من الخبز فيأكلونه»<sup>(٣)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «أما إنه ليس من عرق يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض إلا بذنب، وذلك قول الله عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ ثم قال: وما يعفو الله أكثر مما يؤاخذ به»<sup>(٤)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «إنَّ الرجلَ يُذنبُ الذنبَ فيُحرِّمُ صلاةَ الليل، وإنَّ العملَ السيِّءَ أسرعُ في صاحبه من السكين في اللحم»<sup>(٥)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «عن مهزم قال: كُنَّا نزلواً بالمدينة وكانت جارية لصاحب المنزل

(١) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٢: ٤٥٢.

(٢) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: ثواب الاعمال: ١٤٧.

(٣) النعمان المغربي: أبو حنيفة القاضي: دعائم الإسلام: ٢: ١١٤.

(٤) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ١٥: ٢٩٩.

(٥) البرقي: أحمد بن محمد بن خالد: المحاسن: ١: ١١٥.

تعجبني، وإني أتيت الباب فاستفتحت ففتحت لي الجارية، فغمزت ثديها، فلما كان من الغد دخلت على أبي عبد الله عليه السلام، فقال: «يا مهزم، أين كان أقصى أترك اليوم؟».

فقلت: ما برحت المسجد.

فقال: «أما تعلم أن أمرنا هذا لا ينال إلا بالورع»<sup>(١)</sup>.

- عنه عليه السلام: «من يموت بالذنوب أكثر ممن يموت بالأجال...»<sup>(٢)</sup>.

- الإمام موسى الكاظم عليه السلام: إن المسيح عليه السلام قال للحواريين: ... إن صغار الذنوب ومحقراتها من مكائد إبليس، يحقرها لكم ويصغرها في أعينكم فتجتمع وتكثر فتحيط بكم...»<sup>(٣)</sup>.

- وعنه عليه السلام: - من وصيته لهشام بن الحكم -: «يا هشام، إيتك والطمع، وعليك باليأس ممّا في أيدي الناس، وأمّيت الطمع من المخلوقين، فإن الطمع مفتاح للذل، واختلاس العقل، واختلاق المروات، وتدنيس العرض، والذهاب بالعلم...»<sup>(٤)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «من سلط ثلاثاً على ثلاث فكأنما أعان على هدم عقله: من أظلم نور تفكيره بطول أملة، ومحاط طرائف حكمته بفضول كلامه، وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه، فكأنما أعان هواه على هدم عقله، ومن هدم عقله أفسد عليه دينه ودنياه»<sup>(٥)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «- لداود الصرمي -: «يا داود، إن الحرام لا يُنمّي، وإن نمّي لم يبارك له فيه، وما أنفق له لم يوجر عليه، وما خلّفه كان زاده إلى النار»<sup>(٦)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «ثلاث موبقات: نكث الصفقة، وترك السنّة، وفراق الجماعة»<sup>(٧)</sup>.

(١) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرك الوسائل: ١٤: ٢٧٢.

(٢) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرك الوسائل: ١١: ٣٢٧.

(٣) الحراني: الحسن بن علي ابن شعبة: تحف العقول: ٣٩٢.

(٤) الحراني: الحسن بن علي ابن شعبة: تحف العقول: ٣٩٩.

(٥) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ١: ١٦.

(٦) الحر العاملي: الشيخ محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ١٧: ٨٢.

(٧) مسائل علي بن جعفر بن الإمام الصادق عليه السلام: ٣٤٥.

– الإمام علي الرضا عليه السلام: «المذيع بالسيئة مخذول، والمستتر بالسيئة مغفور له»<sup>(١)</sup>.

– عنه عليه السلام: «إذا كذب الولاة حُبِسَ المطر، وإذا جارَ السلطان هانت الدولة، وإذا حُبِسَت الزكاة ماتت المواشي»<sup>(٢)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «كلّما أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعملون أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون»<sup>(٣)</sup>.

– الإمام محمد الجواد عليه السلام: «... إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْحَلِيمُ الْعَلِيمُ، إِنَّمَا غَضِبَهُ عَلَيَّ مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ رِضَاهُ، وَإِنَّمَا يَمْنَعُ مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ عَطَاهُ، وَإِنَّمَا يُضِلُّ مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ هِدَاةَهُ...»<sup>(٤)</sup>.

– الإمام علي الهادي عليه السلام: «العقوب يُعَقَّبُ القلّة، ويؤدّي إلى الذلّة»<sup>(٥)</sup>.

#### خلاصة ما ذكر:

إن الله تبارك وتعالى قد نظّم الأمور الوجودية، وجعلها ضمن نظام متقن، فكان هو النظام الأحسن، بحيث يعمل بدقة، وقانون دقيق، وهو يُدار بعدالة، وإنصاف، وجعل السلوك الفردي والاجتماعي ضمن هذه الدائرة النظامية المتقنة، وهذا يرفع كلّ نحو من أنحاء الظلم المتصور في الذهن.

#### المعلم رقم (٦): نشأة الآخرة وأحكامها.

يوم يجمع «الله» تعالى كل العباد في عرصة واحدة، ويكون هناك الحساب، ومن ثم يكون الجزاء النهائي الأبدي، وهو يوم «القيامة الكبرى»، يوم «الحشر الأكبر»، يوم «الحساب»، يوم «عرض الأعمال».

(١) الجزائري: السيد عبد الله: التحفة السنوية: ٢٣.

(٢) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ٦: ١٨٨.

(٣) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٢: ٢٧٥.

(٤) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٨: ٥٢.

(٥) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ١٥: ١٩٥.

وإنَّ هذا الجزاء لا يعتمد على غير ما قدمه الإنسان لنفسه في عالم الدنيا، فما قدمه عبارة عن المخزون من الأعمال والملكات؛ وهذا ما يحدد مصيره حينئذ.

وبتعبير آخر.. إنه اليوم الذي تظهر فيه ما قام به العبد من أعمال، لتسوقه بحسب ما برمجه العبد لنفسه من برمجة في دار الدنيا، وتسير به في النشأة الآخرة بما خطط له من نشأة الدنيا.

### أهمية يوم القيامة:

ويمكن القول بأنَّ أهمية «يوم القيامة» تتجلى في مجموعة من الأمور والتي منها أمران اللذان يُهمّاننا الآن بلحاظ هذا البحث؛ وهما:

### الأمر الأول: القصاص من الظالم.

فإذا لم تتحقّق العدالة في حقّه في الدنيا، ومات وهو مظلوم، وبقي الظالم يهنأ في الدنيا، فإن هذا اليوم هو يوم أخذ الحقوق وإرجاعها إلى أصحابها.

وبـ «يوم القيامة» تتجلى حقائق «الحياة الإجتماعية» التي كانت في عالم الدنيا، فإن ما يقوم به العبد من الأعمال في دار الدنيا؛ وما يتصرف به من تصرفات في هذه النشأة غير مغيب أبداً؛ ولا مهمش؛ ولا ملغى، بل إنه مسجل تسجيلاً دقيقاً؛ إلى درجة لا يتصورها الإنسان نفسه، ولا تخطر على باله.

وهذا الواقع هو الذي يعطي «الحياة الإجتماعية» قيمة في عالم الدنيا، وهذا ما يساهم في جعل النفس الإنسانية مطمئنة في كل الأحوال، فإذا أصبحت محاطة بعباد يظلمونها فإنها لا تأس أبداً، ولا يصيبها النكد، ولا يعترها الهُم، ولا تصبح أسيرة للحزن؛ لأنها تكون قد وصلت إلى مستوى مشاهدة تلكم الحقائق، ومن وضع يده في النار، فهل تخدعه الألفاظ بأساليبها؟!.

### قبول الآخرة والإعتراف بها:

إن الذي يتعامل في عالم الدنيا بروح التوحيد، فإن من أهم ما يتزوّد به هذا العبد

من المعارف هو معرفة عالم الآخرة، ومعرفة حقيقتها التي لا مناص من قبولها، فإن الذي يوصل الإنسان إلى القبول بعالم الآخرة أمران، وهما:

١ - العقل.

٢ - الشرع.

فأما العقل، فإن ما يشاهده مما يقوم به العباد من الأعمال، وما يجده من تقلب الأحوال، وما يسجله من حركة الكائنات - التي منها الإنسان - لينتهي إلى نتيجة وهي: إستحالة العبثية، وأن وراء كل هذا لأمرًا عظيمًا، وخطبًا جسيمًا، وغاية تعطي للحياة الدنيا وما فيها من الحركات والسكنات قيمة خاصة.

وأما الشرع، فإنه بعد أن يثبت إنتماءه لله تعالى، وأنه لم يأت إلا لأجل التوحيد؛ فإنه قد بين في أهم مفرداته التوحيدية أن الوجود بأسره سائر إليه سبحانه وتعالى، وأن موعد هذا المسير هو «يوم القيامة».

إن من يؤمن بشخص يُثبت للناس بالأدلة الإعجازية أنه قد شاهد الحقائق، ويطلب منهم اتباعه لا لأجله، بل لأجل مصلحتهم، ويقول لهم: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا \* وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا \* وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا \* وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم/ ٣٠-٣٣]، ويقول لهم: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران/ ٣١-٣٢]، فإن العقل يقضي بأن يسلم له زمام القيادة، لأنه أثبت أنه متم إلى حيث العدالة العظمى، وإلى حيث انعدام الظلم، وإلى حيث السلم والسلام، وإلى حيث الصفاء، وإلى حيث الكمال المطلق، وهكذا كان حال أتباع النبي الأكرم «محمد» ﷺ رضوان الله تعالى عليهم في اتباعهم له ﷺ، لأنهم شاهدوا منه ما أوجب لهم السير خلفه بلا نقاش ولا جدال، وفرض عليهم العقل التسليم له ﷺ مطلقًا، فنالوا الرتب العالية من الشرف والزلفى، رضي الله عنهم ورضوا عنه.

## ملاحظة:

لم نتعرّض للأمر الثالث وهو القلب، لكونه في نهاية الأمر محتاجاً إلى دعم من العقل والقلب في تلقي الحقائق، واستببانها، وتنقيحها، وتنقيتها من الشوائب.

الأمر الثاني: حصول الجزاء.

فإن ما يقوم به العبد من الأعمال في هذه الدار ليُنظر عليه الجزاء، وإنه لا يشاهد الجزاء في هذه الدار كما يَؤدُّه ويرغب فيه، ويشاهد في الوقت نفسه وجود آخرين وهو يقومون بنفس الفعل، إلا أنه يجد اختلافاً في الدوافع، وفي النوايا التي تنكشف له، فيدرك أن هناك نوايا مختلفة تدفع الناس إلى غاياتهم، فإن هذا يقوده إلى القول بوجود يوم تُكشَف فيه النوايا ليأخذ الجميع حقوقهم بصفة عادلة، وبحسب ما كانت عليه نواياهم.

## «الموت» دليل على إثبات «الآخرة»:

إن ما انتهى إليه العقل الإنساني من ضعف المخلوق والعالم الإمكاناني هو برهان عمليّ - إذ انتهى إلى - وجود «الموت»، وهذا التصرف في الموجود الإمكاناني، وفي الفرد المخلوق هو على نحو قهريّ، فهو يحدث في سير وسلوك العبد على نحو غير إراديّ له، وإن هذا لدرس لهذا العبد في الرجوع إلى أحكام العقل، وتوظيف نفسه لأسسه ومبادئه.

فمن كان حاله مقهوراً للموت، ومجبوراً على الخروج من عالم الدنيا، لا يوجد لديه إيمانٌ بوجود الآخرة، وأنه سيخرج من الحدث ليوم القيامة.

## العلم بالآخرة يؤدي إلى اتزان الشخصية:

إن من يدرك حقيقة الآخرة لتتغير سلوكياته، ويستقيم أمره، لأنه يعلم أنه غير مغيب عن الحق، وأن جميع ما يقوم به مسجل، وأنه سيرد على العدل الحكيم وسيحاسب، وأنه سيُجزى جزاءً حسب عمله ونيته، وهذا ما يدفعه إلى الإلتزام في سلوكه، وفي فكره، وفي نواياه، وهذا يمنعه من الطغيان والتجبر والتمرد على أحكام خالقه، ويمنعه من التجاوز للحدود الإنسانيّة.

وإليك الآن الشواهد النصية التي وردت من قبل الثقلين حول يوم القيامة ..

### الشواهد النصية :

#### نصوص الثقل (١):

قال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ \* وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ الْمُبْطِلُونَ \* وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ \* وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَاستَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمِينَ ﴿ [الجاثية/ ٢٦-٣١].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ \* وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿ [الأحقاف/ ٥-٦].

وقال تعالى: ﴿ لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ \* وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ اللّٰوَمَةِ \* أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن نَّبْعَثَ عِظَامَهُ \* بَلَىٰ قَدِيرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿ [القيامة/ ١-٤].

وقال تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة/ ٨٥].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ؕ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [البقرة/ ١١٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ؕ مِمَّا قَلِيلًا ؕ أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُرَكِّبُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة/ ١٧٤].

وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعََنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء/ ٨٧].



وقال تعالى: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء/ ١٤١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام/ ١٢].

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفًا رَبُّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ \* يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج/ ١-٢].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ \* فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْحَةٍ يُحْبَرُونَ \* وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [الروم/ ١٤-١٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود/ ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنزِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [غافر/ ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة/ ٢٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَقُولُ عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ \* قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَعْتَهُ قَالُوا لَوْ كُنَّا نَحْسَرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أوزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ [الأنعام/ ٣٠-٣١].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ \* وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ \* فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الروم/ ٥٥-٥٧].

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُوَفَّ وَمِنْكُمْ مَّن يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَرَأَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ \* ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج/٥-٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف/٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا \* أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا \* فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا \* ثُمَّ لَنَنْزَعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا \* ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا \* وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا \* ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مریم/٦٦-٧٢].

وقال تعالى: ﴿أَمْنَ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَمَنْ يَرْزُقُهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل/٦٤].

وقال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا \* وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَفْقَالَهَا \* وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَٰذَا \* يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا \* بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا \* يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَانًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ \* فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة/١-٨].

وقال تعالى: ﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ \* يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ \* إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ \* يَوْمَ تَشْقَى الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَسْرَةً عَلَيْنَا يَسِيرٌ \* نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق/٤١-٤٥].

وقال تعالى: ﴿خُشِعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ \* مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر/٧-٨].

وقال تعالى: ﴿فَدَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ \* يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُؤْفُضُونَ \* خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِفُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [المعارج/٤٢-٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَؤُا لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ زَعَمُونَ﴾ [الأنعام/٩٤].

### نصوص الثقل (٢):

– رسول الله ﷺ: «المعاد مضممار العمل، فمغتبط بما احتقر من العمل غانم، ومبتئس بما فاته من العمل نادم»<sup>(١)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «يا بني عبد المطلب! إن الرائد لا يكذب أهله، والذي بعثني بالحق لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، وما بعد الموت دار إلا جنة أو نار، وخلق جميع الخلق وبعثهم على الله عز وجل كخلق نفس واحدة وبعثها، قال الله تعالى: ﴿مَا خَلَقْكُمْ وَلَا بَعَثْكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾»<sup>(٢)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «يموت الرجل على ما عاش عليه، ويحشر على ما مات عليه»<sup>(٣)</sup>.

– رسول الله ﷺ: «– لما سئل عن وجه تسمية القيامة –: ... لأن فيها قيام الخلق للحساب»<sup>(٤)</sup>.

– رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة أنبت الله لطائفة من أممي أجنحة، فيطرون

(١) الورام: أبو الحسين ورام بن أبي فراس: تنبيه الخواطر: ٣: ٢١٥٠.

(٢) الحر العاملي: محمد بن الحسن: الفصول المهمة في أصول الأئمة: ١: ٣٤٢.

(٣) الورام: أبو الحسين ورام بن أبي فراس: تنبيه الخواطر: ٣: ١٣٣.

(٤) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: علل الشرائع: ٢: ٤٧٠.

من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاؤوا، فتقول لهم الملائكة:  
هل رأيتم حساباً؟

فيقولون: ما رأينا حساباً.

فيقولون: هل جزتم على الصراط؟.

فيقولون: ما رأينا صراطاً.

فيقولون لهم: هل رأيتم جهنم؟.

فيقولون: ما رأينا شيئاً.

فتقول الملائكة: من أمة من أئمة من أنتم؟.

فيقولون: من أمة محمد ﷺ.

فيقولون: نشدناكم الله حدثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا؟.

فيقولون: خصلتان كانتا فينا، فبلغنا الله هذه المنزلة بفضل رحمته.

فيقولون: وما هما؟.

فيقولون: كنا إذا خلونا نستحيي أن نعصيهُ، ونرضى باليسير مما قسم لنا.

فتقول الملائكة: يحق لكم هذا<sup>(١)</sup>.

– لما عاد رسول الله ﷺ من تبوك إلى المدينة قدم إليه عمرو بن معدي كرب،

فقال له النبي ﷺ: أسلم يا عمرو يؤمنك الله من الفزع الأكبر.

قال: يا محمد! وما الفزع الأكبر؟ فإني لا أفزع!.

فقال: يا عمرو إنه ليس كما تظن وتحسب! إن الناس يُصاح بهم صيحة واحدة

فلا يبقى ميت إلا نُشِرَ، ولا حي إلا مات إلا ما شاء الله، ثم يُصاح بهم صيحة أخرى

فينشر من مات ويُصَفون جميعاً، وتنشق السماء، وتهد الأرض، وتخرّ الجبال

هداً... فأين أنت يا عمرو من هذا؟!.

(١) الشهيد الثاني: الشيخ زين الدين علي بن أحمد الجبعي العاملي: مسكن الفؤاد: ٨٠.

قال: ألا إني أسمع أمراً عظيماً، فأمن بالله ورسوله، وآمن معه من قومه ناس ورجعوا إلى قومهم»<sup>(١)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «إِنَّ ابْنَ آدَمَ لَفِي غَفْلَةٍ عَمَّا خُلِقَ لَهُ، إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ خَلْقَهُ قَالَ لِلْمَلِكِ: اكْتُبْ رِزْقَهُ، اكْتُبْ أَجْلَهُ، شَقِيئاً أَمْ سَعِيداً، ثُمَّ يَرْتَفِعُ ذَلِكَ الْمَلِكُ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكاً فَيَحْفَظُهُ حَتَّى يَدْرِكَ ثُمَّ يَرْتَفِعُ ذَلِكَ الْمَلِكُ، ثُمَّ يُوَكِّلُ اللَّهُ بِهِ مَلَكَيْنِ يَكْتُبَانِ حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ. فَإِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ ارْتَفَعَ ذَانِكَ الْمَلَكَانِ، وَجَاءَ مَلِكُ الْمَوْتِ لِيَقْبُضَ رُوحَهُ. فَإِذَا أُدْخِلَ قَبْرَهُ رَدَّ الرُّوحَ فِي جَسَدِهِ وَجَاءَهُ مَلِكَا الْقَبْرِ فَامْتَحَنَاهُ ثُمَّ يَرْتَفِعَانِ. فَإِذَا قَامَتِ السَّاعَةُ انْحَطَّ عَلَيْهِ مَلِكُ الْحَسَنَاتِ وَمَلِكُ السَّيِّئَاتِ فَبَسَطَا كِتَاباً مَعْقُوداً فِي عُنُقِهِ، ثُمَّ حَضَرَا مَعَهُ وَاحِدٌ سَائِقٌ وَآخَرٌ شَاهِدٌ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ قُدَّامَكُمْ لِأَمْرًا عَظِيماً لَا تَقْدِرُونَهُ، فَاسْتَعِينُوا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ»<sup>(٢)</sup>.

- الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «من طال حزنه على نفسه في الدنيا، أقرَّ الله عينه يوم القيامة وأحلَّهُ دارَ المُقامة»<sup>(٣)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «... حتى إذا تصرمت الأمور، وتقضت الدهور، وأزف النشور، أخرجهم من ضرائح القبور، وأوكار الطيور، وأوجرة السباع، ومطارج المهالك، سراعاً إلى أمره، مهطعين إلى معاده...»<sup>(٤)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «... حتى إذا بلغ الكتاب أجله، والأمر مقاديره، وألحق آخر الخلق بأوله، وجاء من أمر الله ما يريد من تجديد خلقه، أماد السماء وفطرها، وأرجَّ الأرض وأرجفها، وقلع جبالها ونسفها، ودكَّ بعضها بعضاً من هيبة جلالته، ومخوف سطوته، وأخرج من فيها فجددهم بعد إخلاقهم، وجمعهم بعد تفرقهم ثم ميزهم لما يريد من مسألتهم عن خفايا الأعمال، وخبايا الأفعال، وجعلهم فريقين: أنعم على هؤلاء وانتقم من هؤلاء...»<sup>(٥)</sup>.

(١) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٧: ١١٠.

(٢) السيوطي: جلال الدين: الدر المنثور: ٦: ١٠٦.

(٣) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ٤٢٧.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة: ٨٣.

(٥) نهج البلاغة: الخطبة: ١٠٩.

- وعنه عليه السلام: «... فكأنكم بالساعة تحذوكم حدو الزاجر بشؤله... وكان الصيحة قد أتتكم، والساعة قد غشيتكم، وبرزتم لفصل القضاء، قد زاحت عنكم الأباطيل، واضمحلّت عنكم العلل...»<sup>(١)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «... احذروا يوماً تفحص فيه الأعمال، ويكثر فيه الزلزال، وتشيب فيه الأطفال...»<sup>(٢)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «... وأرجّ الأرض وأرجفها... وأخرج من فيها، فجددهم بعد إخلاقهم، وجمعهم بعد تفرقهم...»<sup>(٣)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «... إسمع يا ذا الغفلة والتصريف من ذي الوعظ والتعريف، جعل يوم الحشر يوم العرض والسؤال والحباء والنكال، يوم تقلب إليه أعمال الأنام، وتحصى فيه جميع الآثام، يوم تذوب من النفوس أحداق عيونها، وتضع الحوامل ما في بطونها...»<sup>(٤)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «وذلك يوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين لنقاش الحساب وجزاء الأعمال، خضوعاً، قياماً، قد أجمعهم العرق، ورجفت بهم الأرض، فأحسنهم حالاً من وجد لقدميه موضعاً، ولنفسه متسعاً...»<sup>(٥)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «... إنَّ بعد البعث ما هو أشدُّ من القبر، يوم يشيب فيه الصغير، ويسكر منه الكبير، ويسقط فيه الجنين... إنَّ فزع ذلك اليوم ليرهب الملائكة الذين لا ذنب لهم... فكيف من عصى بالسمع والبصر واللسان واليد والرجل والفرج والبطن إن لم يغفر الله له ويرحمه من ذلك اليوم»<sup>(٦)</sup>.

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ١٥٧.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة: ١٥٧.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة: ١٠٩.

(٤) المير جهاني: محمد حسن: مصباح البلاغة: (مستدرك نهج البلاغة): ٢: ١٧٦.

(٥) نهج البلاغة: الخطبة: ١٠٢.

(٦) المير جهاني: محمد حسن: مصباح البلاغة: (مستدرك نهج البلاغة): ٤: ١٠٤.

– وعنه عليه السلام: «... كل نفس معها سائق وشهيد: سائق يسوقها إلى محشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها»<sup>(١)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «... فُدِّكَتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا، ومُدَّتْ لِأَمْرِ يُرَادُ بِهَا مَدًّا مَدًّا، واشتدَّ المثارونَ إلى اللَّهِ شَدًّا شَدًّا، وتزاحفت الخلائق إلى المحشر زحفًا زحفًا...»<sup>(٢)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «فإن الغاية أمامكم، وإن وراءكم الساعة تحذوكم، تخففوا تلحقوا، فإنما ينتظرُ بأولِكمُ آخرُكمُ...»<sup>(٣)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «... فاللَّهُ اللَّهُ عبادَ اللَّهِ! فإنَّ الدنيا ماضيةٌ بكم على سَنَنِ، وأنتم والساعة في قَرْنٍ، وكأنها قد جاءت بأشراطها، وأزفتُ بأفراطها...»<sup>(٤)</sup>.

– الإمام علي السجاد عليه السلام: «– من مواعظه–: واعلم يا بن آدم أن من وراء هذا أعظم وأفظع وأوجع للقلوب يوم القيامة، ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود، يجمع الله فيه الأولين والآخرين...»<sup>(٥)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «... العجب كل العجب لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى الأولى...»<sup>(٦)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «أشدُّ ساعات ابن آدم ثلاث ساعات: الساعة التي يعاين فيها ملك الموت، والساعة التي يقوم فيها من قبره، والساعة التي يقف فيها بين يدي الله تبارك وتعالى فإمّا إلى الجنة (وإمّا) إلى النار»<sup>(٧)</sup>.

– الإمام محمد الباقر عليه السلام: «– في قوله تعالى: ﴿يَوْمَلِنَا مِنْ بَعْثَنَا مِنْ مَرْقَدَانَا﴾ فإن

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ٨٥.

(٢) المير جهاني: محمد حسن: مصباح البلاغة: (مستدرک نهج البلاغة): ٢: ١٧٥.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة: ٢١.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة: ١٩٠.

(٥) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٨: ٧٣.

(٦) البرقي: أحمد بن محمد بن خالد: المحاسن: ١: ٢٤٢.

(٧) الراوندي: قطب الدين: الدعوات: ٢٤٤.

القوم كانوا في القبور، فلما قاموا حسبوا أنهم كانوا نياما، قالوا: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا؟ قال الملائكة: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «أيام الله عز وجل ثلاثة: يوم يقوم القائم، ويوم الكثرة، ويوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

- الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «جاء أبي بن خلف فأخذ عظماً بالياً من حائط ففتته، ثم قال: يا محمد! إذا كنا عظاما ورفاتا إننا لمبعوثون؟ فأنزل الله: ﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ \* قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾»<sup>(٣)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «مثل الناس يوم القيامة إذا قاموا للرب العالمين مثل السهم في القرب ليس له من الأرض إلا موضع قدمه، كالسهم في الكنانة لا يقدر أن يزول ههنا ولا ههنا»<sup>(٤)</sup>.

- الإمام علي الرضا عليه السلام: «إن أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد ويخرج من بطن أمه فيرى الدنيا، ويوم يموت فيعابن الآخرة وأهلها، ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا...»<sup>(٥)</sup>.

#### المعلم رقم (٧): القانون التشريعي.

ولأجل أن تسير الحياة في النشأة الدنيوية بشكل سليم، وأن تتوزع فيها الحقوق بشكل عادل وصحيح؛ كان لابد من إيجاد قانون ينظم تلك الحركة الإجتماعية، ويجمع مفرداتها في عقد مترابط، فكان ذلك القانون والعقدما يعرف ويسمى بـ«القانون التشريعي»، وهو ما يكون قبال «القانون الوضعي».

والنصوص الشريفة التي وردت في معارف الإسلام يمكن أن نقسمها إلى قسمين:

(١) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٧: ١٠٣.

(٢) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: الخصال: ١٠٨.

(٣) الحر العاملي: الشيخ محمد بن الحسن: الفصول المهمة في أصول الأئمة: ١: ٣٤٤.

(٤) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٨: ١٤٣.

(٥) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢: ٢٣٣.



القسم الأول: الذي يتضمن الأساس القاعدي لتلكم الأحكام.

القسم الثاني: التفصيل وبيان المصاديق للأحكام التي تتفرع من ذلك الأساس.

إن العقل بما أنه هو الذي ينتهي إلى معرفة الخالق، فإنه أيضاً يجد نفسه أمام حقيقة مهمة وهي: ضرورة أن يكون لهذا الخالق معارفٌ بصورة القانون والتشريع كي يُوجِّهَ العبد، ويُرشِّدَهُ إلى ما فيه صلاحه من فساده، ومن هناك يحكم العقل بضرورة حضور الأحكام والتشريع الإلهي في كل حركةٍ وسكنةٍ للإنسان، فلا يمكن أن يجد شيئاً في الحياة الإنسانية إلا وشملته الأحكام الإلهية، ولا بد من هذه الشمولية؛ لأن كل حركةٍ وسكنةٍ لهذا الإنسان عبارة عن مفرزة من المفردات التي تقود وتؤدِّي إلى تحقيق حضارته الإنسانية، وهي أيضاً تسير إلى تحقيق السعادة المطلقة، سواءً أكانت هذه الحركة الإنسانية في ثوبها الفردي أم كانت في لباسها الاجتماعي.

قال العلامة الحكيم: «فالحديث القائل بما مؤداه: (ما من واقعة إلا ولله فيها حكم حتى أرش الخدش)... ومن البديهي أن جميع أفعال المكلفين حاضرة لديه تعالى، وعالم بما فيه المصلحة منها مما ليس فيه، ومع حضورها لديه في مقام الثبوت، فلا بد وأن يكون قد جعل لها حكماً»<sup>(١)</sup>.

إنه بالبيانات التشريعية الصادرة من الله تعالى عبر كتبه ورسله وأوصياء رسله قد توضح للعباد ما يقع في طريق تحقيق سعادتهم، وما يشكل عائقاً وحاجزاً يحول دون الوصول إلى تحقيق هدفهم الإنساني، وفي الوقت نفسه بينت لوازم الموافقة والطاعة، ولوازم المخالفة والمعصية؛ وعلى مستوى النشاطين الدنيوية - وعلى مستوى كلا القانونين - والأخروية بكل تفاصيله الدقيقة المتصورة للإنسان وغير المتصورة.

كاشفية الأحكام التشريعية:

إن الأحكام التشريعية - كما تقدم الكلام في هذا المعنى سابقاً - ليست أحكاماً

(١) الحكيم: السيد محمد تقي: الاصول العامة للفقهاء المقارن: ٦١٩.

إعتبارية ليس لها واقعٌ وحقيقةٌ كما هو حال القوانين الوضعيّة، بل إنّ تلك الأحكام الإلهيّة - وإن كانت مصاغَةً بصياغةٍ إعتباريةٍ إلا أنها - تحكي عن وجود وقائعٍ وحقائقٍ ما وراءها.

فعندما يقول الشارع المقدس في لسان حكمه بأن هذا «محرمٌ» وممنوعٌ، فإنه يريد من هذا التحريم ومن هذا المنع: تبين العلاقة بين هذه الحرمة وبين الأثر التكويني؛ وعلى المستويين: القانون التكويني في النشأة الدنيا، وفي يوم القيامة - الصغرى والكبرى -.

وهكذا هو الحال لكل ما ورد في لسان الشرع المقدس، لذا كان من الضروري أخذ أحكام الدين الإسلامي بعين الإعتبار، لأنها ليست أحكاماً خاليةً من الحقائق والوقائع، بل هي حاكيةٌ وكاشفةٌ عنها، ومنسجمةٌ مع الحياة الطبيعية، وآخذةٌ لحقوق الجميع في صميم تركيبها التشريعية، ومحققةٌ لمطالب جميع الكائنات، وغير غافلةٍ عنها، وهذا يعني ما عليه التشريع السماوي من مستوى الدقة، والعمق، والاستيعاب، والشمولية؛ بحيث استطاع أن يُلبّي متطلّبات جميع المخلوقات من دون أن يوجد أي اختلالٌ في التوازن في المجتمع الإنساني الفردي والاجتماعي، وفي المجتمع الطبيعي، وفي المجتمع الكوني، وهذا ما يقودنا إلى القول باستحالة صدور هكذا تشريع من الإنسان، للإسباب والعلل التي ذكرناها سابقاً.

### الشواهد النصية:

نصوص الثقل (١):

ملحوظة مهمة:

إن المصدر الأساسي للأحكام التشريعية هو «القرآن الكريم» مع «السنة الشريفة»؛ نظراً إلى أن القرآن الكريم - كما شاءت المشيئة الإلهية - لا يُفصل في الأحكام في الجملة، بل شاء الله تعالى أن يجعل أمر التفصيل تحت قيادة وإدارة النبي «محمد» ﷺ، ومن هنا كانت الحاجة ملحةً جداً إلى «السنة النبوية»؛ لفهم

القران الكريم، واستيعاب مفرداته، وتطبيق أحكامه، وتفصيل حقائقه، وتبيين محكمه، وتوضيح متشابهه.

فالقرآن الكريم قد صرّح في آياته الشريفة بأنّ فيه «آيات محكمات»، وفيه أيضاً «آيات متشابهات»، ولا ثالث لهذا التصنيف الثنائي.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ﴾ [آل عمران/ ٧].

فأصبح «العلم الإجمالي» يدور مدار هذين العنوانين، وهنا تطبق قواعد «العلم الإجمالي» القاضية باجتناّب أطراف الشبهة إلى حين انتقالها إلى «العلم التفصيلي». ومن هنا توجّه الأعلام إلى البحث عن «الآيات المحكمة»، وعن «الآيات المتشابهة»، خشية الوقوع في المحذور القرآني المذكور.

ويمكننا القول – وباختصار شديد – بأنّ المحكمات لا تُحدّد بآية فقط، بل بما أن الآية القرآنية مطلقة، وقد شملت كلّ القرآن الكريم؛ فبناءً عليه نجد شمول الإطلاق لجميع المفردات القرآنية؛ من الألفاظ وما تتضمنها من المفاهيم والدلالات من جهة، ومن الجمل من جهة ثانية، ومن الآية الواحدة من جهة ثالثة، وبانضمامها أيضاً إلى الأخرى من جهة رابعة، ولأنّ البحث مطول وسيخرجنا عما نحن فيه؛ نرجئه إلى محل آخر، ولكن لا مانع من أن نشير إشارةً مختصرةً جدّاً؛ لضرورة النظر في المحكمات والمتشابهات بدقة متناهية، فهناك:

١ – «محكماتٌ عقليةٌ» وفي المقابل نجد «متشابهاتٍ عقليةً».

٢ – «محكماتٌ حكميةٌ» وفي المقابل نجد «متشابهاتٍ حكميةً».

٣ – «محكماتٌ متعلّقةٌ بالسلوك الاجتماعي» وفي المقابل نجد «متشابهاتٍ» في

نفس الموضوع.

هذا ويضعنا البحث على تنوع أشكال المحكم والمتشابه، فهناك ما يتعلق بالمصدق، والآخر بالمفهوم، والثالث بالتطبيق، والرابع باتحاد المفهوم

والمصداق مع اختلاف التطبيق، وهكذا نجد وجود تفصيل في موضوع المحكم والمتشابه.

هذا، وعلى كُلِّ من يريد «تدبُّر القرآن»، أو «تفسير القرآن»، أو «البحث في القرآن»، أو «دراسة القرآن»... إلخ، أن يدرك هذه الحقيقة ويتعرَّفَ عليها، ومن ثمَّ ينتقل إلى «استنطاق القرآن»، وإلى «استخراج» جواهره، وإلى «الوقوف» على مضامينه، وإلى «التعرَّف» على دلالته.

و«السنة الشريفة» قد تكفَّلت بهذا الدور الكبير، وأوضحت ما يمكن أن يُلبَسَ على من يقرأ القرآن ويتدبَّر فيه ويدرسه.

مثال ذلك:

١ - أن القرآن الكريم بيَّنَ حكمَ «الصلاة»، وهي أهمُّ عبادةٍ في التصنيف العباديِّ في «الإسلام»، حتى أنها وصفت بـ«عمود الدين»؛ إلا أن القرآن الكريم لم يبين «ماهية الصلاة»، و«كيفية الصلاة»، وما هي «أحكام الصلاة» المترتبة عليها، فترك أمر بيانها بيد «السنة الشريفة»، وكما نحن نعلم من «الحكيم» عن وجود علة في أقواله وأفعاله، فإن «الله» تبارك وتعالى قد أبهم أمر «عمود الدين» لحكمة عظيمة، ولعل منها عدم فصل المسلم نفسه عن النبي الأكرم ﷺ، وأن لا يعتمد المرء على فهمه الخاص لآيات القرآن الكريم؛ بل يرجع في هذا إلى رسول الله ﷺ فيستبين ما ذكره، ووضحه، وبيَّنه، وشرحه، وفسَّره، وأوَّله، وفصَّله.

وهكذا نجد الحال في سائر المسائل الفقهية (الفقه الأصغر)، بل وأغلب القضايا العقدية والأخلاقية غيرها من المسائل الإجتماعية.

وإليك الآن بعض هذه النصوص الشريفة المتعلقة بالجانب التشريعي والتقني:

نصوص الثقل (١):

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ

النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد/٢٥].

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا \* وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ءَاتَاخُذُونَهُ بُهْتِنًا وَإِثْمًا مُبِينًا \* وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا \* وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا \* حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ ءُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ أَلَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرُّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَبَاتُكُمْ أَلَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ أَلَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا \* وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَإِجْلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَسْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ ؕ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنْ أَلَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا \* وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَيَتَيْكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الَّذِي سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿ [النساء/ ١٩-٢٦].

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْجُوعًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا ﴿ [النساء/ ٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِبِخِيَةٍ فَحْيُوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء/٨٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا صَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا \* وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَائِفَةً مِنْهُمْ مَعَكُمْ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكُمْ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَجِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا \* فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُوعًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا \* وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَرَجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء/١٠١-١٠٤].

وقال تعالى: ﴿وَسَتَفْتَنُوكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِنِكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُنِبَ لَهُنَّ وَرَغِبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا \* وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا \* وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا \* وَإِنْ يَفْرَقَا يَعْزُبْ عَنْ اللَّهِ كُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء/١٢٧-١٣٠].

وقال تعالى: ﴿سَتَفْتَنُوكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِنِكُمْ فِي الْكَلْبَةِ إِنْ أَمْرُؤُا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ إِخْوَةٌ فَأَلْهَمَ نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ بَرُّهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتْ أَثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حِظِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء/١٧٦].

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْمَتُهُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ

عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ \* يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا مُحِلُّو شَعَائِرِ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ فَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ \* حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالِدَمُ وَالْحَمُّ الْخَنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ؕ وَالْمَنْخِفَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّدَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ يَوْمَ الدِّينِ يَنْسَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْتَصِرٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ \* يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ \* أَيُّومٌ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ \* يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ [المائدة/ ١-٦].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ لَا آجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ؕ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ عَفُورٌ رَحِيمٌ \* وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالنَّعَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿ [الأنعام/ ١٤٥-١٤٦].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَنُؤَلِّ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ إِلَّا تَشْرَكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ

إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ تَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَنَّمَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ \* وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمْ وَصَنَّمَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿[الأنعام/ ١٥١-١٥٢].

وقال تعالى: ﴿أَلَا تَفْقَهُونَ قَوْمًا تَكْثُرُوا أَيَّمَنْهُمْ وَهَمُّوْا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُكُمْ أَوْلَكِ مَرَّةً اتَّخَسَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* قَتَلْتَهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَصْرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ \* وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿[التوبة/ ١٣-١٥].

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿[التوبة/ ٢٨].

وقال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ \* إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَازِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۗ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ \* وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمْ الْكُذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿[النحل/ ١١٤-١١٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ \* وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿[المائدة/ ٥٥-٥٦].

وقال تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ \* لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿[المعارج/ ١-٢].

## نصوص الثقل (٢):

- رسول الله ﷺ: «صلاة الكسوف فريضة»<sup>(١)</sup>.

(١) الشيخ المفيد: المقنعة: ٢٠٩.



- أمير المؤمنين عليه السلام: «كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مُبَيَّنًّا حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ وَرُخْصَهُ وَعَزَائِمَهُ وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ وَعِبْرَهُ وَأَمْثَالَهُ وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ مُفَسَّرًا مُجْمَلَهُ وَمُبَيَّنًّا غَوَامِضَهُ بَيْنَ مَاخُودِ مِيثَاقِ عِلْمِهِ وَمَوْسَعِ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ وَبَيْنَ مُثَبَّتِ فِي الْكِتَابِ فَرْضَهُ وَمَعْلُومِ فِي السُّنَّةِ نَسْخَهُ وَوَاجِبِ فِي السُّنَّةِ أَخْذَهُ وَمُرْتَحِّصِ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ وَبَيْنَ وَاجِبِ بَوَاقِيهِ وَزَائِلِ فِي مُسْتَقْبَلِهِ وَمُبَايِنِ بَيْنَ مَحَارِمِهِ مِنْ كَبِيرٍ أَوْ عَدَ عَلَيْهِ نِيرَانُهُ أَوْ صَغِيرٍ أُرْصَدَ لَهُ عُفْرَانُهُ وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ مُوسَعٍ فِي أَقْصَاهُ»<sup>(١)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ عَالَبَهُ فَجَعَلَهُ أَمْنًا لِمَنْ عَلِقَهُ وَسَلْمًا لِمَنْ دَخَلَهُ وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ عَنْهُ وَتُورًا لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِ وَفَهْمًا لِمَنْ عَقَلَ وَلُبًّا لِمَنْ تَدَبَّرَ آيَةً لِمَنْ تَوَسَّسَ وَتَبَصَّرَ لِمَنْ عَزَمَ وَعِبْرَةً لِمَنْ اتَّعَظَ وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ وَجَنَّةً لِمَنْ صَبَرَ فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ وَأَوْضَحُ الْوَلَائِحِ مُشْرِفُ الْمَنَارِ مُشْرِقُ الْجَوَادِّ مُضِيءُ الْمَصَابِيحِ كَرِيمُ الْمِضْمَارِ رَفِيعُ الْعَايَةِ جَامِعُ الْحَلْبَةِ مُتَنَافِسُ السُّبْقَةِ شَرِيفُ الْفُرْسَانِ التَّصْدِيقُ مِنْهَاجُهُ وَالصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ وَالْمَوْتُ غَايَتُهُ وَالدُّنْيَا مِضْمَارُهُ وَالْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ وَالْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ»<sup>(٢)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «ولا تسافر في يوم الجمعة حتى تشهد الصلاة إلا ناصلاً في سبيل الله، أو في أمر تُعَدَّرُ به»<sup>(٣)</sup>.

- الإمام محمد الباقر عليه السلام: «إذا كانت المرأة طامثاً فلا تحل لها الصلاة، وعليها أن تتوضأ وضوء الصلاة عند وقت كل صلاة، ثم تقعد في موضع طاهر فتذكر الله عزَّ وجلَّ، وتسبحه، وتهلله، وتحمده، كمقدار صلاتها، ثم تفرغ لحاجتها»<sup>(٤)</sup>.

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ١.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٠٦.

(٣) الحر العاملي: الشيخ محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٧: ٣٠٧: ح: ٩٧٠٦.

(٤) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٣: ١٠١.

- وعنه عليه السلام: «إذا دخل الوقت وجب الطهور والصلاة، ولا صلاة إلا بطهور»<sup>(١)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «إذا أدركت الرجل عند النزح فلقنه كلمات الفرج: لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، سبحان الله رب السماوات السبع ورب الأرضين السبع، وما فيهن وما بينهن ورب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين...»<sup>(٢)</sup>.

- وعنه عليه السلام: - سأله سفيان الثوري عن التخضير - فقال: «إن رجلاً من الأنصار هلك، فأوذن رسول الله ﷺ بموته، فقال لمن يليه من قرابته: خضروا صاحبكم، فما أقلّ المخضّرينَ يوم القيامة.  
قال: وما التخضير؟!.

قال: جريدة خضرة توضع من أصل اليدين إلى أصل الترقوة»<sup>(٣)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «لا تعاد الصلاة إلا من خمسة، الطهور، والوقت، والقبلة، والركوع، والسجود»<sup>(٤)</sup>.

- وعنه عليه السلام: - سألته زرارة عمن يخرج عن أهله بالصقورة والبزاة والكلاب يتنزّه الليلة والليلتين والثلاثة هل يقصر من صلاته أم لا؟ - قال: إنّما خرج في لهو، لا يقصر»<sup>(٥)</sup>.

- الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «كل ماء طاهر إلا ما علمت أنه قدر»<sup>(٦)</sup>.

- وعنه عليه السلام - لما سأله محمد بن مسلم: الحمام يغتسل فيه الجنب، وغيره،

(١) أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن: تهذيب الأحكام: ٢: ١٤٠.

(٢) أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن: تهذيب الأحكام: ١: ٢٨٨.

(٣) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٣: ٢١.

(٤) المحقق البحراني: الحدائق الناضرة: ٨: ٢٤٥.

(٥) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٨: ٤٧٩: ح: ١١٢١٦.

(٦) الشيخ الجواهري: محمد حسن النجفي: جواهر الكلام: ١: ١٦٩.

أغتسل من مائه؟، قال: - نعم، لا بأس أن يغتسل منه الجنب، ولقد اغتسلت فيه وجئت فغسلت رجلي وما غسلتهما إلا بما لزق بهما من التراب»<sup>(١)</sup>.

- وعنه عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: «افتتح الصلاة الوضوء، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم»<sup>(٢)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «إمسح على مقدم رأسك، وامسح على القدمين، وابدأ بالشق الأيمن»<sup>(٣)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «ركعتان بالسواك أفضل من سبعين ركعةً بغير سواك»<sup>(٤)</sup>.

- وعنه عليه السلام: - قال أبو بصير: سألته أعليها غسل مثل غسل الجنب؟ - قال: نعم - يعني الحائض -»<sup>(٥)</sup>.

- وعنه عليه السلام: - عن بكر بن محمد قال: خرجنا من المدينة نريد منزل أبي عبد الله عليه السلام فلحقنا أبو بصير خارجاً من زقاق وهو جنب ونحن لا نعلم حتى دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام، قال: فرفع رأسه إلى أبي بصير فقال: - يا أبا محمد أما تعلم أنه لا ينبغي لجنب أن يدخل بيوت الأنبياء؟! -

قال (الراوي): فرجع أبو بصير ودخلنا»<sup>(٦)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «إن السنة لا تقاس، ألا ترى أن المرأة تقضي صومها، ولا تقضي صلاتها...؟»<sup>(٧)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «إلبسوا البياض، فإنه أطيب وأطهر، وكفنوا فيه موتاكم»<sup>(٨)</sup>.

(١) أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن: تهذيب الأحكام: ١: ٣٧٨.

(٢) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ١: ٣٦٦.

(٣) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٣: ٣٠.

(٤) المحقق الحلبي: نجم الدين أبو القاسم جعفر بن الحسن: المعتمد: ١: ١٦٩.

(٥) أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن: الاستبصار: ١: ٩٨.

(٦) الحميري القمي: أبو العباس عبد الله بن جعفر: قرب الإسناد: ٤٣.

(٧) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ١: ٥٧.

(٨) المحقق النراقي: أحمد بن محمد مهدي: مستند الشيعة: ٣: ٢٠٩.

- وعنه عليه السلام: «كان رسول الله ﷺ يزرع الرجل أن يتشبه بالنساء، وينهى المرأة أن تشبه بالرجال في لباسها»<sup>(١)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «لا تجعل في يدك خاتماً من ذهب»<sup>(٢)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «إذا أحرمت فعليك بتقوى الله وذكر الله وقلة الكلام إلا بخير، فإن تمام الحج والعمرة أن يحفظ المرء لسانه إلا من خير كما قال الله تعالى، فإن الله يقول: ﴿فَمَنْ قَرَضَ فِيهِمْ لَمَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾، فالرفث الجماع، والفسوق الكذب والسباب، والجidal قول الرجل لا والله وبلى والله»<sup>(٣)</sup>.

- الإمام موسى الكاظم عليه السلام: «الصلوات المفروضات في أول وقتها إذا أُقيم حدودها أطيب ريحاً من قصب الآس حين يؤخذ من شجره في طيبه وريحه وطرأوته، وعليكم بالوقت الأول»<sup>(٤)</sup>.

- الإمام الرضا عليه السلام - وقد سألته عبد الله بن المغيرة ومحمد بن عبد الله، قالوا: سألنا الرضا عليه السلام عن الرجل ينام على دابته، فقال: - إذا ذهب النوم بالعقل فليعد الوضوء»<sup>(٥)</sup>.

- وعنه عليه السلام: - لما سألته أحمد بن محمد عن أدنى ما يكون من الحيض - فقال: ثلاثة أيام، وأكثره عشرة»<sup>(٦)</sup>.

- عنه عليه السلام: لما سألته ابو نصر البيزنطي: ما يوجب الغسل على الرجل والمرأة؟ - فقال: إذا أولجه وجب الغسل والمهر والرجم»<sup>(٧)</sup>.

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٥: ٢٦: ح: ٥٧٩٤.

(٢) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٤: ٤١٣: ح: ٥٥٦٦.

(٣) أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن: تهذيب الاحكام: ٥: ٢٩٦.

(٤) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٤: ١١٨.

(٥) أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن: الاستبصار: ١: ٧٩.

(٦) أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن: الاستبصار: ١: ١٣٠.

(٧) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٢: ١٨٥.

### التشريع وفقه المجتمع:

لابد من التنويه بأن الدين الإسلامي قد اهتمَّ بالبعد الاجتماعي، ونظر إليه كحلقة من أهم الحلقات في سلسلة البناء الحضاري للفرد والمجتمع، وهو من أهم عناصر تحقيق التكامل البشري، ولن نعدوَ الحقيقة إن قلنا بأن جميع الأحكام والتشريعات قد أخذَ فيها البعد الاجتماعي، ورُعت فيها متطلبات الجهة الاجتماعيّة، وقد أعلنها رسول الله ﷺ في وقتها: «الدين المعاملة»، وذلك لأنَّ جميع الأحكام والتشريعات تتضمن روح التعامل الحسن مع أفراد المجتمع.

ونحن نعلم جيّداً أن المعاملة فرع الإندماج والإجتمع، فلا يمكن معرفة ما عليه الإنسان إلا بعد دخوله إلى الحيز الاجتماعي، وخروج الملكات النفسانية من باطنه عبر سلوكه الخارجي.

### الحضور الاجتماعي في العبادات:

ويمكن ملاحظة الأحكام الشرعية مع ما لها من بعد اجتماعي إلى قسمين:

**القسم الأول:** ما يكون لها حضورٌ غير مباشرٍ من قبيل الصوم، والصلاة منفرداً في البيت مثلاً... إلخ.

**القسم الثاني:** ما يكون لها حضورٌ مباشرٌ في التركيبة الاجتماعيّة من قبيل: صلاة الجماعة، الحج، الزكاة، الخمس، الصدقة... إلخ.

إن التشريع السماوي لمدرُك وبشكلٍ دقيقٍ يبيِّنُ أن الإنسان إذا التحم مع أخيه الإنسان سيدخل في عالم التزاحم؛ وعالم الصِّراع، فكان لابد من وضع أحكام توجه الفرد والمجتمع إلى الإلتحام بنحو لا يُخلِّ بمتطلِّبات الفطرة، ولا يكون ابتعاداً عن الهدف الذي خلق «الله» تعالى الإنسان لأجل تحقيقه، فوُضعت الكثير من التعليمات الشرعية لحصانة المجتمع والأفراد من الخروج عن حد الوسط، ووُضعت الكثير من الأحكام لترفع عن المجتمع والأفراد اللوازم السلبية للتزاحم، ولتمنعه من الدخول إلى الصِّراع.

ومع الوقوف على الآيات والروايات الشريفة سنجد أن ما من موقع يتصوره

الإنسان بحيث يحتمل وقوع الاختلاف والتنازع فيه إلا وكان للإسلام فيه ما يرفع ذلك الاختلاف والتنازع.

وهنا يرد هذا التساؤل..

وما هي الأمور التي كان للإسلام فيها رأيي فيما يتعلق بمصالح الإنسان تحقيقاً لغايته، وتلبيةً لمتطلبات فطرته؟!..

**الجواب:**

كما تقدم.. (أن ما من واقعة إلا ولله فيها حكم) وبناءً عليه، سيكون للإسلام رأيي في كل ما يمارسه الإنسان من الأنشطة في حياته، من قبيل: النشاط الإقتصادي، النشاط الاجتماعي، النشاط الفكري الثقافي، النشاط السياسي، النشاط الرياضي، النشاط التربوي، النشاط العلمي، النشاط الأسري... إلخ، نظراً إلى أن كل شيء في حياته خاضع لقانون التكوين، ومرتبط بعالم الآخرة.

وقد شملت أحكام الدين، وما جاء به من مفاهيم كل ما يقع تحت تكليف الإنسان، ولذا سنجد في النصوص الشريفة بيانات علمية وعملية تؤكد على هذه الحقيقة بشكل أو بآخر، فمن جملة تلكم الأحكام والتشريعات الآتي:

### **النصوص الشريفة:**

نصوص الثقل (١):

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٗ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء/ ٥٨-٥٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ \* إِلَّا الَّذِينَ

تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ [المائدة/ ٣٣-٣٤].

وقال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿ [النساء/ ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يِعْبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿ [الزمر/ ١٠].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَجْهِ اللَّهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِنْ شَرِّ مَا تَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ \* قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ \* قُلْ إِنْ رَبِّي يَفْزِقُ بِالْحَقِّ عَنَّمُ الْعُيُوبِ \* قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلَ وَمَا يُعِيدُ \* قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿ [سبا/ ٤٦-٥٠].

وقال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَ لَكُمْ إِذَا كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبَّتْهَا فَنَعَالَيْكَ أُمْتِعْتَكُمْ وَأَسْرَحْتَكُمْ سَرَلًا جَمِيلًا \* وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنَكَ أَجْرًا عَظِيمًا \* يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ مَنِ بَأْتٍ مِنْكَ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَّفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ؕ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿ [الأحزاب/ ٢٨-٣٠].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ \* وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُ، إِنَّا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿ [لقمان/ ٢٢-٢٣].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنزِهِمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ يَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ، إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \* وَإِنْ تَكَذَّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمْرٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ \* أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ \* قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ \* وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ

مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ \* وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَسُوءُ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿العنكبوت/ ١٦-٢٣﴾.

قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُمُسُهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآبِئِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْفَتَىٰ أَلْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿الأنفال/ ٤١﴾.

وقال تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ الْإِنْسُ فَتَأْوِنَكُمْ وَآيِدِكُمْ بِبَصْرِهِ وَرِزْقِكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿الأنفال/ ٢٦﴾.

وقال تعالى: ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ آبَ صَرْبٍ أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْعَجْرَ فَأَنْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ \* وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَعْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿الأعراف/ ١٦٠-١٦١﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ \* وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ \* إِنْ مَاتُوا عَدُونَ لَاتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ \* قُلْ يَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿الأنعام/ ١٣٢-١٣٥﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ \* يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ \* فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ \* وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ \* إِلَّا أَنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ \* وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ \* وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ \* اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ \*



أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَاةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦٦﴾ [البقرة/ ٨-١٦٦].  
 وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ  
 الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ  
 عَلَىٰ عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ  
 بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ [البقرة/ ١٤٣].

وقال تعالى: ﴿ وَنَلْبِؤُنَا بِمَنِيٍّ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقَصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ  
 وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٧﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٨﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ  
 مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٩﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ  
 فِي الْكِتَابِ ۖ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٦٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَئِكَ  
 أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦١﴾ [البقرة/ ١٥٩-١٦٠].

### نصوص الثقل (٢):

- رسول الله ﷺ: «من كانت عنده أمانته فليؤدّها إلى من ائتمنه عليها فإنه لا  
 يحلُّ دُمُّ امرئٍ مسلمٍ ولا ماله إلا بطيب نفس منه»<sup>(١)</sup>.

- وعنه ﷺ: «ومن كان مؤذياً لجاره من غير حقِّ حرمة الله ریح الجنة ومأواه  
 النار، ألا وإن الله يسأل الرجل عن حقِّ جاره، ومن ضيَّع حقَّ جاره فليس منّا، ومن  
 منع الماعون من جاره إذا احتاج إليه منعه الله فضله يوم القيامة، ووكله إلى نفسه،  
 ومن وكله الله عزَّ وجلَّ إلى نفسه هلك، ولا يقبل الله عزَّ وجلَّ له عذراً»<sup>(٢)</sup>.

- وعنه ﷺ: «من صلَّى بقوم فاخصَّ نفسه بالدعاء دونهم فقد خانهم»<sup>(٣)</sup>.

- رسول الله ﷺ: «- جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: علِّمني عملاً أدخل به الجنة.

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٥: ٣٨.

(٢) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٥: ٣٤١.

(٣) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٧: ١٠٦.

فقال: أَطْعِمِ الطَّعَامَ، وَأَفْشِ السَّلَامَ.

قال: لَا أُطِيقُ ذَلِكَ.

قال: فَهَلْ لَكَ إِبِلٌ؟

قال: نَعَمْ.

قال: فَانظُرْ بَعِيرًا فَاسْقِ عَلَيْهِ أَهْلَ بَيْتٍ لَا يَشْرَبُونَ الْمَاءَ إِلَّا غَبْنًا، فَعَلَّهُ لَا يَنْفِقُ بَعِيرُكَ وَلَا يَتَخَرَّقُ سِقَاؤُكَ حَتَّى تَجِبَ لَكَ الْجَنَّةُ»<sup>(١)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «يَا عَلِيُّ، ثَلَاثٌ مِنْ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ: الْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ، وَإِنْصَافُكَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَذْلُ الْعِلْمِ لِلْمَتَعَلِّمِ»<sup>(٢)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «أَنَّ اللَّهَ كَرِهَ لِي سِتَّ خِصَالٍ وَكَرِهْتَهُنَّ لِلْأَوْصِيَاءِ مِنْ وَلَدِي وَأَتْبَاعِهِمْ مِنْ بَعْدِي: الْعَبْثُ فِي الصَّلَاةِ، وَالرَّفْثُ فِي الصُّومِ، وَالْمَنُّ بَعْدَ الصَّدَقَةِ، وَإِتْيَانُ الْمَسَاجِدِ جَنْبًا، وَالتَّطَلُّعُ فِي الدَّوْرِ، وَالضَّحْكُ بَيْنَ الْقُبُورِ»<sup>(٣)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «مَنْ أَسَدَى إِلَى مَوْءٍ مَعْرُوفًا ثُمَّ آذَاهُ بِالْكَلَامِ أَوْ مَنَّ عَلَيْهِ فَقَدْ أَبْطَلَ اللَّهَ صَدَقَتَهُ»<sup>(٤)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «إِسْتَرَشِدُوا الْعَاقِلَ، وَلَا تَعْصُوهُ فَتَنْدَمُوا»<sup>(٥)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «أَنْظُرُوا مِنْ تَحَادِثُونَ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَنْزِلُ بِهِ الْمَوْتُ إِلَّا مِثْلُ لَهُ أَصْحَابِهِ إِلَى اللَّهِ، فَإِنْ كَانُوا خِيَارًا فَخِيَارًا، وَإِنْ كَانُوا شَرَارًا فَشَرَارًا، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَمُوتُ إِلَّا تَمَثَّلَتْ لَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ»<sup>(٦)</sup>.

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٩: ٤٧٤.

(٢) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٩: ٤٣٠.

(٣) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٩: ٤٥٣.

(٤) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٩: ٤٥٥.

(٥) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ١٢: ٢٠.

(٦) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ١٢: ٢٣.

- وعنه عليه السلام - لما سأله أمير المؤمنين عليه السلام: فأخبرني يا رسول الله بصفة المؤمن؟ - فنكس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفع رأسه فقال: عشرون خصلةً في المؤمن فإن لم تكن فيه لم يكمل إيمانه أن من أخلاق المؤمنين يا علي:

الحاضرون الصلاة، والمسارعون إلى الزكاة، والمطعمون المسكين، الماسحون رأس اليتيم، المطهرون أطمارهم، المتزرون على أوساطهم، الذين إن حدثوا لم يكذبوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، إذا ائتمنوا لم يخونوا، وإذا تكلموا صدقوا، رهبان بالليل، أسد بالنهار، صائمون النهار، قائمون الليل، لا يؤذون جاراً ولا يتأذى بهم جار، الذين مشيهم على الأرض هون، وخطاهم إلى بيوت الأراامل وعلى أثر الجنائز، جعلنا الله وإياكم من المتقين»<sup>(١)</sup>.

- عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنَّ الوفاءَ توأمُ الصدقِ، ولا أعلمُ جنةً أوقى منه، ولا يغدر من علم كيف المرجع، ولقد أصبحنا في زمان قد اتخذ أكثر أهلِه الغدرَ كَيْساً ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة، ما لهم قاتلهمُ الله، قد يرى الحوَل القلب وجه الحيلة ودونها مانع من أمر الله ونهيه، فيدعُها رأيَ العين بعد القدرة عليها، وينتهزُ فرصتها من لا حريجة له في الدين»<sup>(٢)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «إنما سُمِّيَ الرفيقُ رفيقاً؛ لأنَّه يرفقك على صلاح دينك فمن أعانك على صلاح دينك فهو الرفيق الشفيق»<sup>(٣)</sup>.

- الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام: «إنَّ الملائكة إذا سمعوا المؤمن يدعو لأخيه المؤمن بظهر الغيب أو يذكره بخير قالوا: نِعَمَ الأُخ أنتَ لأخيك، تدعو له بالخير وهو غائب عنك، وتذكره بخير، قد أعطاك الله عزَّ وجلَّ مثل ما سألت له، وأثنى عليك مثل ما أثنت عليه، ولكَ الفضلُ عليه»<sup>(٤)</sup>.

(١) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٢: ٢٣٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة: ٤١.

(٣) الواسطي: علي بن محمد الليثي: عيون الحكم والمواعظ: ١٧٨.

(٤) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٧: ١١١.

- وعنه عليه السلام: «- كان زين العابدين يُقبَلُ يَدَهُ عند الصدقة، فقيل له في ذلك؟ - فقال: إنها تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل»<sup>(١)</sup>.

- الإمام الباقر عليه السلام: «- عن زرارة قال: سألته عن الرجل يُشيعُ أخاه اليوم واليومين في شهر رمضان؟- قال: يُفطرُ ويقصِّرُ فإن ذلك حق عليه»<sup>(٢)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «لعن رسول الله ﷺ رجلاً ينظر إلى فرج امرأة لا تحلُّ له، ورجلاً خان أخاه في امرأته، ورجلاً يحتاج الناس إلى نفعه فسألهم الرشوة»<sup>(٣)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «قال الله تبارك وتعالى: لأعذبنَّ كلَّ رعية في الإسلام دانت بولاية كلِّ إمام جائرٍ ليس من الله وإن كانت الرعية في أعمالها برّةً تقيّةً، ولأعفونَّ عن كل رعية في الإسلام دانت بولاية كلِّ إمام عدلٍ من الله وإن كانت الرعية في أنفسها ظالمةً مسيئةً»<sup>(٤)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «كان فيما ناجى الله عزَّ وجلَّ به موسى عليه السلام قال: يا موسى، أكرم السائل ببذلٍ يسيرٍ أو برِّدٍ جميلٍ، لأنه يأتيك من ليس بإنس ولا جانٍّ ملائكةٌ من ملائكة الرحمن يبلونك فيما خوَّلُتكَ، ويسألونك عما توَّلُتكَ، فانظر كيف أنت صانع يا بنَّ عمران؟»<sup>(٥)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «- لما أخبره أبو إسماعيل: جعلت فداك إن الشيعة عندما كثير - فقال: فهل يعطف الغني على فقيرهم؟، وهل يتجاوز المحسن عن المسيء، ويتواسون؟.

فقلت: لا.

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٩: ٤٣٣ - ٤٣٤.  
(٢) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٨: ٤٨٣: ح: ١١٢٢٨.  
(٣) أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن: تهذيب الأحكام: ٦: ٢٢٤.  
(٤) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ١: ٣٧٦.  
(٥) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٩: ٤١٩.

فقال: ليس هؤلاء شيعة، الشيعة من يفعل هذا»<sup>(١)</sup>.

– الإمام جعفر الصادق عليه السلام – لما سأله عبد الله بن سنان عن عورة المؤمن على المؤمن حرام؟ – قال: نعم.

قلت: أعني سُفْلِيهِ!

فقال: «ليس حيث تذهب إنما هو إذاعة سرِّه»<sup>(٢)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «نهى رسول الله ﷺ أن يطلع الرجل في بيت جاره»<sup>(٣)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «أن أمير المؤمنين عليه السلام صاحب رجلاً ذمياً فقال له الذمّي: أين تريد يا عبد الله؟

فقال: أريد الكوفة.

فلما عدل الطريق بالذمي عدل معه أمير المؤمنين عليه السلام فقال له الذمّي: ألسنت زعمت أنك تريد الكوفة؟

فقال له: بلى.

فقال له الذمّي: فقد تركت الطريق.

فقال له: قد علمت.

قال: فلم عدلت معي وقد علمت ذلك؟!!

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: هذا من تمام حسن الصحبة أن يُشيع الرجل صاحبه هنيهة إذا فارقه وكذلك أمرنا نبينا ﷺ.

فقال له الذمّي: هكذا قال؟.

قال: نعم.

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٩: ٤٢٨.

(٢) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٢: ١.

(٣) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٥: ٣٣٧.

قال الذمّي: لا جرم إنما تبعه من تبعه لأفعاله الكريمة، فأنا أشهد أنّي على دينك ورجع الذمّي مع أمير المؤمنين عليه السلام فلما عرفه أسلم»<sup>(١)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «لأهل الإيمان أربع علامات: وجه منبسط، ولسان لطيف، وقلب رحيم، ويد معطية»<sup>(٢)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «لا تكون الصداقة إلا بحدودها، فمن كانت فيه هذه الحدود أو شيء منها فانسبه إلى الصداقة، ومن لم يكن فيه شيء منها فلا تنسبه إلى شيء من الصداقة:

فأولها أن تكون سريرته وعلايته لك واحدة.

والثاني أن يرى زينك زينه وشينك شينه.

والثالثة أن لا تغيره عليه ولاية ولا مال.

والرابعة أن لا يمنعك شيئاً تناله مقدرته.

والخامسة وهي تجمع هذه الخصال أن لا يسلمك عند النكبات».

- وعنه عليه السلام: «خياركم سمحواؤكم، وشراركم بخلاؤكم، ومن صالح الأعمال البرّ بالإخوان، والسعي في حوائجهم، وفي ذلك مرغمة للشيطان، وتزحزح عن النيران، ودخول الجنان.

يا جميل، أخبر بهذا الحديث غرر أصحابك»<sup>(٣)</sup>.

- وعنه عليه السلام: - دخل على الإمام رجل فسلم فسأله -: كيف من خلفت من إخوانك؟

قال: فأحسن الثناء وزكى وأطرى.

(١) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٢: ٦٧٠.

(٢) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٩: ٤٥٩.

(٣) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٩: ٤٣٠.

فقال له: كيف عيادة أغنيائهم على فقرائهم؟

فقال: قليلة.

قال: فكيف مشاهدة أغنيائهم لفقرائهم؟

قال: قليلة.

قال: فكيف صلة أغنيائهم لفقرائهم في ذات أيديهم؟

قال: إنك لتذكر أخلاقاً ما هي فيمن عندنا.

قال: فكيف تزعم هؤلاء أنهم شيعة<sup>(١)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «إن الله يَغْضُ شَهْرَةَ اللباس»<sup>(٢)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «دعاء المرء لأخيه بظهر الغيب يدُرُّ الرزق، ويدفَعُ المكروه»<sup>(٣)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «ليجتمع في قلبك الافتقار إلى الناس، والاستغناء عنهم، يكون افتقارك إليهم في لين كلامك، وحسن سيرتك، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزك»<sup>(٤)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «المعروف ابتداء، فأما من أعطيته بعد المسألة فإنما كافيته بما بذل لك من وجهه، يبيت ليلته أرقاً متملماً، يمثل بين (الرجاء واليأس) لا يدري أين يتوجه لحاجته ثم يعزم بالقصد لها فيأتيك وقلبه يرجف، وفرائضه ترعد، قد ترى دمه في وجهه، لا يدري أيرجع بكآبة أم بفرح»<sup>(٥)</sup>.

– وعنه عليه السلام – لما سأله سماعة فقال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل ليس عنده إلا قوت يومه، أيعطف من عنده قوت يومه على من ليس عنده شيء؟

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٩: ٤٢٨.

(٢) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٥: ٢٤.

(٣) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٧: ١٠٧.

(٤) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ١٢: ٩.

(٥) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٩: ٤٥٦.

ويعطف من عنده قوت شهر على من دونه؟ والسنة على نحو ذلك؟ أم ذلك كله الكفاف الذي لا يلام عليه؟ -

فقال: هو أمران، أفضلكم فيه أحرصكم على الرغبة والاشرة على نفسه، فإن الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَيُؤْتِرُونَكَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، والأمر الآخر، لا يلام على الكفاف، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول<sup>(١)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «- في حديث طويل: إِنَّ الصَّوْفِيَّةَ احتجوا عليه بقوله تعالى: ﴿وَيُؤْتِرُونَكَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ - فقال: إن ذلك كان مباحاً جائزاً ولم يكونوا نُهوا عنه، وثوابهم منه على الله عزَّ وجلَّ، وذلك أن الله أمر بخلاف ما عملوا به فصار أمره ناسخاً لفعالهم، وكان نهي الله تبارك وتعالى رحمةً منه للمؤمنين، ونظراً لكيلا يضربوا بأنفسهم وعيالاتهم، منهم الضعفة الصغار، والولدان والشيخ الفاني والعجوز الكبير، الذي لا يصبرون على الجوع، فمن ثم قال رسول الله ﷺ: خمس تمرات أو خمس قرص أو دنانير أو دراهم يملكها الإنسان وهو يريد أن يمضيها فأفضلها ما أنفقها الإنسان على والديه، ثم الثانية على نفسه وعياله، ثم الثالثة على قرابته الفقراء، ثم الرابعة على جيرانه الفقراء، ثم الخامسة في سبيل الله وهو أحسنها أجراً، قال: وقال ﷺ للأَنْصَارِيِّ حين أعتق عند موته خمسة أو ستة من الرقيق ولم يكن يملك غيرهم وله أولاد صغار: لو أعلمتموني أمره ما تركتكم تدفنونه مع المسلمين بترك صبيته صغاراً يتكففون الناس»، ثم قال: حدثني أبي أن رسول الله ﷺ قال: إبدأ بمن تعول، الأدنى فالأدنى<sup>(٢)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «خيرُ شبابكم من تشبه بكهولكم، وشرُّ كهولكم من تشبه بشبابكم»<sup>(٣)</sup>.

- وعنه عليه السلام: «وطني نفسك على حسن الصحابة لمن صحبت، وحسن خلقك،

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٩: ٤٣١.

(٢) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٩: ٤٣٢ - ٤٣٣.

(٣) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٥: ٢٦.



وَكُفَّ لِسَانِكَ، وَاكْظَمَ غِيْظَكَ، وَأَقْلَّ لَغْوَكَ، وَتَغْرَسَ عَفْوَكَ، وَتَسْخُو نَفْسَكَ»<sup>(١)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «مَنْ قَدَّمَ فِي دَعَائِهِ أَرْبَعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ دَعَا لِنَفْسِهِ اسْتَجِيبَ لَهُ»<sup>(٢)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «إِنْ الْجَسَدُ إِذَا لَبَسَ الثُّوبَ اللَّيِّنَ طَغَى»<sup>(٣)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «لَيْسَ مِنَ الْمُرُوءَةِ أَنْ يُحَدِّثَ الرَّجُلُ بِمَا يَلْقَى فِي السَّفَرِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ»<sup>(٤)</sup>.

– وعنه عليه السلام – قال أبو أسامة زيد الشحام: قال لي أبو عبد الله عليه السلام -: «إِقْرَأْ عَلِيٌّ مِنْ تَرَى أَنَّهُ يَطِيعُنِي مِنْهُمْ وَيَأْخُذُ بِقَوْلِي السَّلَامَ، وَأَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْوَرَعَ فِي دِينِكُمْ، وَالِاجْتِهَادَ لِلَّهِ، وَصَدَقَ الْحَدِيثَ، وَأَدَاءَ الْأَمَانَةِ، وَطَوْلَ السُّجُودِ، وَحَسْنَ الْجَوَارِ، فَبِهَذَا جَاءَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، وَأَدَّوْا الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ اتَّيَمَّنَكُمْ عَلَيْهَا بَرًّا أَوْ فَاجِرًا، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله كَانَ يَأْمُرُ بِأَدَاءِ الْخَيْطِ وَالْمَخِيْطِ، صَلُّوا عَشَائِرَكُمْ، وَاشْهَدُوا جَنَائِزَهُمْ، وَعُودُوا مَرْضَاهُمْ، وَأَدَّوْا حَقُوقَهُمْ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا وَرَعَ فِي دِينِهِ وَصَدَقَ الْحَدِيثَ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ وَحَسَّنَ خُلُقَهُ مَعَ النَّاسِ قِيلَ: هَذَا جَعْفَرِيٌّ، فَيَسْرُنِي ذَلِكَ، وَيَدْخُلُ عَلَيَّ مِنْهُ السَّرُورُ، وَقِيلَ: هَذَا أَدَبُ جَعْفَرٍ، وَإِذَا كَانَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ دَخَلَ عَلَى بِلَاؤِهِ وَعَارِهِ، وَقِيلَ هَذَا أَدَبُ جَعْفَرٍ، وَاللَّهُ لِحَدَّثَنِي أَبِي عليه السلام أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَكُونُ فِي قَبِيلَةٍ مِنْ شَيْعَةِ عَلِيِّ عليه السلام فَيَكُونُ زِينَهَا أَدَاهُمْ لِلْأَمَانَةِ، وَأَفْضَاهُمْ لِلْحَقُوقِ، وَأَصْدَقَهُمْ لِلْحَدِيثِ إِلَيْهِ وَصَايَاهُمْ وَوَدَائِعَهُمْ، تَسْأَلُ الْعَشِيرَةُ عَنْهُ فَتَقُولُ: مِنْ مِثْلِ فَلَانٍ إِنَّهُ أَدَّانَا لِلْأَمَانَةِ، وَأَصْدَقُنَا لِلْحَدِيثِ»<sup>(٥)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «يَا فَضْلُ لَا يَأْتِي الْمَسْجِدَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ إِلَّا وَافِدَهَا، وَمَنْ كُلُّ أَهْلِ بَيْتٍ إِلَّا نَجِيْبُهَا، يَا فَضْلُ لَا يَرْجِعُ صَاحِبُ الْمَسْجِدِ بِأَقْلٍ مِنْ إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ:

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ١٢: ١٠.

(٢) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٧: ١١٧.

(٣) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٥: ٣٨.

(٤) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ١٢: ١٢.

(٥) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ١٢: ٥.

إِمَّا دَعَاءٌ يَدْعُوهُ يُدْخِلُهُ اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَإِمَّا دَعَاءٌ يَدْعُوهُ فَيَصْرَفُ اللَّهُ عَنْهُ بِهِ بَلَاءَ الدُّنْيَا، وَإِمَّا أَخٌ يَسْتَفِيدُهُ فِي اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

– الإمام الكاظم عليه السلام: «– قال له علي بن سويد السائي: أوصني.

فقال: أَمُرُّكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، ثُمَّ سَكَتَ.

فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ قَلَّةَ ذَاتِ يَدَيَّ، وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَقَدْ عَرِيتُ حَتَّى بَلَغَ مِنْ عَرِيَّتِي أَنْ أَبَا فُلَانَ نَزَعَ ثَوْبَيْنِ كَانَا عَلَيْهِ فَكَسَانِيهِمَا.

فَقَالَ: صُمْ وَتَصَدَّقْ.

فَقُلْتُ: أَتَصَدَّقُ مِمَّا وَصَلَنِي بِهِ إِخْوَانِي وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا؟

قَالَ: تَصَدَّقْ بِمَا رَزَقَكَ اللَّهُ، وَلَوْ آثَرْتَ عَلَى نَفْسِكَ»<sup>(٢)</sup>.

– الإمام علي الرضا عليه السلام: «كُلُّ طَرِيقٍ يَوْطَأُ وَيُتَطَّرَقُ كَانَتْ فِيهِ جَادَّةٌ أَمْ لَمْ تَكُنْ لَا يَنْبَغِي الصَّلَاةُ فِيهِ.

قُلْتُ: فَأَيْنَ أُصَلِّي؟

قَالَ: يَمْنَةً وَيَسْرَةً»<sup>(٣)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «– عن معمر بن خلاد: كان أبو الحسن الرضا عليه السلام إذا أكل أْتَيْ بِصَحْفَةٍ فَتَوْضَعُ بِقَرْبِ مَائِدَتِهِ، فَيَعْمَدُ إِلَى أَطْيَبِ الطَّعَامِ مِمَّا يَأْتِي بِهِ فَيَأْخُذُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ شَيْئًا فَيَضَعُ فِي تِلْكَ الصَّحْفَةِ ثُمَّ يَأْمُرُ بِهَا الْمَسَاكِينَ، ثُمَّ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ ﴿فَلَا أَقْنَمُ الْعَقَبَةَ﴾ ثُمَّ قَالَ: – عَلِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ إِنْسَانٍ يَقْدِرُ عَلَى عَتَقِ رَقَبَةٍ فَجَعَلَ لَهُمُ السَّبِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ»<sup>(٤)</sup>.

– وعنه عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِثَلَاثَةِ مَقْرُونٍ بِهَا ثَلَاثَةٌ أُخْرَى: أَمْرٌ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٥: ١٩٣.

(٢) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٩: ٤٣٢.

(٣) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٣: ٣٨٩.

(٤) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٩: ٤٧٢.

فمن صَلَّى ولم يُزَكَّ لم تُقَبَلْ منه صلاته، وأمر بالشكر له وللوالدين فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله، وأمر باتقاء الله وصلة الرحم فمن لم يصل رحمه لم يتق الله<sup>(١)</sup>.

### شمول التشريعات لغير الإنسان :

ولم تقتصر الأحكام التشريعية على المجتمع الإنساني؛ بل شملت حتى الكائنات الحية كالحيوانات والحشرات، بل وحتى التي يصطوح عليها بـ «الجمادات»، وهذا من أهم ما يميز التشريعات السماوية عن الوضعيّة، إذ هذه الأخيرة - التشريعات الوضعيّة - لم تُراعِ حقوق بقية الكائنات، ولم تجعل في بنود دستورها أحكاماً تتعلق بها، نعم قد تضاف فيها بعض البنود أو تلحق بها لمصلحة ماديّة، أو لضغط من الرأي العام الذي تقوده بعض المنظمات - علماً بأن هذا لم يحصل في تأريخ الإنسان المدوّن إلا في فترة هذه العصور المتأخرة جداً وبمستوى مُخجلٍ جداً - .

ولو قلنا بأنها تضيف أو تلحق بعض البنود في نصوص القانون الوضعي فهي تكون بمستوى لا يوفق توفيقاً عادلاً بين متطلبات الإنسان من جهة، وبين متطلبات تلكم الكائنات من جهة أخرى، فإن الصيغة المتوازنة مفقودة في القانون الوضعي، وهي أشبه ما يكون بالنسبة إليها بالمثالية وضرباً من الخيال.

غير أن الشريعة السماوية قد تجاوزت أزمة الصيغة المتوازنة في نصوصها ومتونها الدستورية القانونية، فكما أنها وضعت للإنسان قانوناً وتشريعاً يحفظ حقوقه، ويلبي رغباته، ويحقق متطلباته، فإنها في الوقت نفسه اهتمت بما حوله من الكائنات، وهذا بأسلوبين:

**الأسلوب الأول:** الأسلوب المباشر، وذلك بوضع بنودٍ مختصةٍ بالكائنات.

**الأسلوب الثاني:** الأسلوب غير المباشر، وذلك بوضع بنودٍ للإنسان، وهي تتضمن أيضاً تحقيق متطلبات الكائنات التي حوله.

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٩: ٢٥.

## الأمثلة:

مثال الأسلوب الأول: الأسلوب المباشر.

لقد ورد أن أقدر الذنوب قتل البهيمة، ويقصد هنا قتلها من غير الإنتفاع منها، فإن مثل هذا الفعل يستهجنه الشرع المقدس، ويحاسب عليه الإنسان، لأن الكائنات إنَّما وجدت لخدمته، وقتلها بالشكل المتقدم لا يحقق هدف خلقتها أبداً وأن الذي يُفوّتُ عليه مثل هذه الخدمة يكون محاسباً في المحكمة الإلهية.

وقد يتساءل البعض عن كيفية وضعها لخدمة الإنسان، ويكون قتلها على يد الإنسان ذنباً وأمرأ يحاسبُ عليه؟!، ألا يكون هذا تهافتاً?!.

والجواب: أنه لا بُدَّ من وضع مرتكزات الخلق في الإعتبار، فإن استعمال واستخدام ما هو مخلوق للإنسان مشروطٌ بهدف.. وإنَّما كان هذا - إذا ما صار في طريق - لأجل تحقيق هدف الخلق ليس إلا، فإنَّ استعمال «البهيمة» - حسب المثال - لا بُدَّ أن يكون لأجل ما يحقق هدف الخلق، وأما إذا استعملت خلافاً لذلك فقد أصبح الفعل «ذنباً ومن أقدر الذنوب».

مثال الأسلوب الثاني: الأسلوب غير المباشر.

لقد ورد أن على الإنسان ألا يَمَلأَ بطنه بالأكل، إذ لا بُدَّ أن يترك للهواء والماء مكاناً، فنجد في مثل هذه النصوص الروائية اندماجاً بين الحقوق، ولكن تضمَّنْها نصُّ واحدٌ، بصيغةٍ واحدةٍ، وموجَّهةٍ إلى الإنسان، وبلحاظٍ كَيْفِيَّةٍ تعامله مع بطنه.

فإنَّ البطن محتاجٌ إلى الهواء، ومحتاجٌ إلى الماء، ولا بُدَّ أن يكونا بقدر معلوم، فلو مَلَأَ المرءُ بطنه بالماء لطغى على حقِّ دخول الأكل، وبالتالي يحصل أذى البطن، ويتأذى ما هو موجودٌ في البدن.

حقوق متداخلة:

ومع قليلٍ من التأمُّل في النصوص الشريفة سنجد فيها ما يجعل العقل يعيد

حساباته التي بناها على نسق «القانون الوضعي» ليضعها على نسق «القانون التشريعي» الإلهي؛ إذ نجد في النصوص تعاملاً مع هذا «البدن» وكأنه كائن حيّ في كائن حي آخر وهو «الإنسان»، فيرى للإنسان حقوقاً، وكذلك يرى أن لأعضائه حقوقاً عليه، وكما أن الإنسان يدرك أن من يهدر حقه يكون محاسباً فكذلك نجد في النصوص الشريفة أن من يهدر حقوق الأعضاء والجوارح يكون محاسباً، فلا يظنُّ أحدٌ أنه مالكٌ لأعضائه، وله أن يتصرف فيها كيفما شاء؛ بل هو مستأمنٌ عليها، مأذونٌ في التصرف فيها، ومعلومٌ عقلاً وعرفاً بل وحتى في القانون الوضعي أن المأذون لا يحقُّ له التصرف فيما أُذن له فيه إلا بما شاء صاحب الملك، وكيفما شاء، وقد تقدم الكلام في «المالكيّة» فليراجع.

- الإمام السجاد عليه السلام: «إعلم رحمك الله أن لله عليك حقوقاً محيطة بك في كل حركة تحركتها، أو سكنة سكتتها، أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلبتها وآلة تصرفت بها، بعضها أكبر من بعض وأكبر حقوق الله عليك ما أوجه لنفسه تبارك وتعالى من حقه الذي هو أصل الحقوق ومنه تفرع.

ثم أوجه عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك، فجعل لبصرك عليك حقاً، ولسمعك عليك حقاً، وللسانك عليك حقاً، وليدك عليك حقاً، ولرجلك عليك حقاً، ولبطنك عليك حقاً، ولفرجك عليك حقاً، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال، ثم جعل عزّ وجلّ لأفعالك عليك حقوقاً... ثم تخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذوي الحقوق الواجبة عليك...»<sup>(١)</sup>.

وهكذا نجد النصوص مراعيةً لمتطلبات الإنسان بما هو هو، وفي الوقت نفسه مراعيةً لمتطلبات الكائنات التي حوله، وهذه تُعدُّ أهمَّ خاصيةٍ تُميّزُ النصوص القرآنيّة والروائيّة عن سائر البنود التشريعية في القوانين التي سنّها ويسنّها الإنسان في عالمه وحياته.

(١) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: الخصال: ٥٦٤ - ٥٦٥.

## أسلوب التعامل مع غير الإنسان:

وقد راعت الشريعة المقدسة وبأسلوبٍ متوازنٍ جداً أسلوب التعامل مع سائر الكائنات، فلا يجوز أن يكون التعامل على خلاف ما تطلبه الفطرة، وهذا ما نجده بجلاء - على سبيل المثال - في كيفية التعامل في ذبح الذبيحة؛ الذي اشترطت الشريعة فيه أن يكون بكيفيةٍ خاصّةٍ، وبرفقٍ.

فإليك الآن بعض الشواهد النصية في المقام:

### الشواهد النصية:

#### ملاحظة:

إن الآيات القرآنية عندما تحدّثت عن حلية الأكل أو حرمة فهي قد تضمنت الوجه الذي يكون عليه استعمال المحلّل والمحرمّ، وأمّا إذا ما استعمل على غير الوجه الذي أمر الإنسان به، أو نُهي عنه فإنّه يكون متعدياً على الحقّ، ومن هنا نجد عدم استعمال اللحم - مثلاً - في غير وجهه ذا تعدّد ثلاثيّ:

١- التعدي على نفس الحكم.

٢- التعدي على النفس، (ويُقصد منه نفس الفاعل).

٣- التعدي على الكائن الحي.

ولا يخلو المرء من المحاسبة أبداً؛ لا في الحلال ولا في الحرام معاً.

نصوص الثقل (١):

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْاَنْعَامِ اِلَّا مَا يُتَلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَاَنْتُمْ حُرْمٌ اِنَّ اللّٰهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيْدُ \* يَأْتِيهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا لَا يُحِلُّوْا شَعَائِرَ اللّٰهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهُدٰى وَلَا الْاَقْلٰسِدَ وَلَا ءَامِيْنَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُوْنَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَاِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوْا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ يَوْمٍ اَنْ صَدُوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ اَنْ تَعْتَدُوْا وَتَعَاوَنُوْا عَلٰى الْاِيْبِ وَالنَّقْوٰى وَلَا تَعَاوَنُوْا عَلٰى الْاِيْمِ وَالْعُدُوْنَ وَاَتَقُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِ \*

حَرَمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِزْيِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ وَالْمُنْخَنِقَةَ وَالْمَوْقُوذَةَ وَالْمُتَرَدِّدَةَ  
وَالنَّطِيحَةَ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ  
فِسْقٌ ۗ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ  
وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ۖ فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ  
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ۚ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ  
مُكَلِّبِينَ يُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَسْكَنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَقْنُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ  
سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿المائدة/ ١-٤﴾.

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا  
أُكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا  
حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ \* وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ  
وَقَرَسَاءٌ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ \* ثَمَنِيَّةٌ  
أَزْوَاجٌ مِّنَ الضَّيَّانِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَالَّذِينَ كَفَرُوا حَرَّمَ أَمْ الْأُنثَيْنِ أَمَّا اسْتَمَلْتُمْ  
عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ يُنْعَوْنِي يُعَلِّمُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ \* وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ۗ  
قُلْ ءَالَّذِينَ كَفَرُوا حَرَّمَ أَمْ الْأُنثَيْنِ أَمَّا اسْتَمَلْتُمْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ  
إِذْ وَصَّيْتُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ  
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ \* قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا  
أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِزْيِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۗ فَمَنْ  
أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي  
ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا  
أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۗ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِنِعْمِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿الأنعام/ ١٤١-١٤٦﴾.

وقال تعالى: ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ \* وَلَكُمْ  
فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ \* وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّا تَكُونُوا لَهَا  
بِلَاقِيهِ إِلَّا يَشِقُّ الْإِنْفُسَ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ \* وَالْحَيْلَ وَالْغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَرِيضَةً  
وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ \* وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَّيْتُمْ أَجْمَعِينَ \*  
هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ \* يُنْبِتُ

لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿النحل/٥-١١﴾.

وقال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ \* إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۗ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل/١١٤-١١٥].

### نصوص الثقل (٢):

- رسول الله ﷺ: «أكرموا عمتمكم النخلة والزبيب»<sup>(١)</sup>.
- وعنه ﷺ: «من قتل عصفوراً عبثاً، جاء يوم القيامة وله صراخ حول العرش، يقول: ربِّ سَلْ هذا فيم قتلني من غير منفعة؟!»<sup>(٢)</sup>.
- وعنه ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخَذَ مِيثَاقَ الْآدَمِيِّينَ أَنْ لَا يَأْخُذُوا فِرَاحَ الطَّيْرِ الطُّورَانِيَّةِ مِنْ وَكُورِهَا حَتَّى تَنْهَضَ»<sup>(٣)</sup>.
- (الصدوق في المقنع: الصفحة: ٤٢٢، والهداية: الصفحة: ٣١٢): ولا يجوز أخذ الفراخ من أوكارها، في جبل أو بئر أو أجمة حتى تنهض).
- وعنه ﷺ: «أَنَّهُ نَهَى أَنْ تَسْلَخَ الذَّبِيحَةَ، أَوْ يَقْطَعَ رَأْسَهَا، قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ وَتَهْدَأَ»<sup>(٤)</sup>.
- وعنه ﷺ: «أَنَّهُ نَهَى أَنْ يَأْكُلَ الرَّجُلُ وَهُوَ مُنْبَطِحٌ عَلَى بَطْنِهِ»<sup>(٥)</sup>.
- أمير المؤمنين عليه السلام: «أَنَّهُ رَكِبَ بَغْلَةً رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الشَّهْبَاءَ بِالْكَوْفَةِ، فَآتَى سَوْقًا سَوْقًا، فَآتَى طَاقَ اللَّحَامِينَ، فَقَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعْشَرَ الْقَصَّابِينَ، لَا تَنْخَعُوا، وَلَا تَعْجَلُوا الْأَنْفُسَ حَتَّى تَزْهَقَ»<sup>(٦)</sup>.

(١) السيد البروجردي: حسين الطباطبائي: جامع أحاديث الشيعة: ٢٣: ٣٩٢.

(٢) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ٨: ٣٠٣.

(٣) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ١٦: ١١٧.

(٤) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ١٦: ١٣٥.

(٥) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ١٦: ٢٢٥.

(٦) الميرزا انوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ١٦: ١٣٤.



- وعنه عليه السلام - في وصيته لكميل - : يا كميل، «لا توقرنَّ معدتك طعاماً، ودع فيها للماء موضعاً، وللريح مجالاً...»<sup>(١)</sup>.

- وعنه عليه السلام : «إذا جلس أحدكم على طعام فليجلس جلسة العبد، ولا يضعنَّ أحدكم إحدى رجليه على الأخرى، ولا يتربّع فإنها جلسة يُغضُّها الله عزَّ وجلَّ ويمقتُّ صاحبها»<sup>(٢)</sup>.

- وعنه عليه السلام : «إياك وإدمانَ الشبع، فإنه يهيجُ الأسقام، ويثيرُ العلل»<sup>(٣)</sup>.

- الإمام الباقر عليه السلام : «إن الله تبارك وتعالى يحب إبراد الكبد الحرّى، ومن سقى كبداً حرّى من بهيمة وغيرها أظله الله يوم لا ظلَّ إلا ظله»<sup>(٤)</sup>.

- وعنه عليه السلام : «يرفق بالذبيحة ولا يعنف بها قبل الذبح ولا بعده، وكره أن يضرب عرقوب الشاة بالسكين»<sup>(٥)</sup>.

- الإمام الصادق عليه السلام : «أفضل الصدقة إبراد كبدِ حرّى»<sup>(٦)</sup>.

- وعنه عليه السلام : «أقذر الذنوب ثلاثة: قتلُ البهيمة، وحبسُ مهر المرأة، ومنع الأجير أجره»<sup>(٧)</sup>.

- وعنه عليه السلام - لما سُئلَ عن الشاة تُذبحُ قائمةً - قال: «لا ينبغي ذلك، السنّة أن تُضجَعَ ويُستقبلُ بها القبلة»<sup>(٨)</sup>.

(١) الحراني: الحسن بن علي ابن شعبة: تحف العقول: ١٧٢.

(٢) البرقي: أحمد بن محمد بن خالد: المحاسن: ٢: ٤٤٢.

(٣) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ١٦: ٢٢١.

(٤) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٩: ٤٧٤.

(٥) النعمان المغربي: أبو حنيفة القاضي: دعائم الإسلام: ٢: ١٧٩.

(٦) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٩: ٤٧٣.

(٧) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ١١: ١.

(٨) الميرزا النوري: حسين الطبرسي: مستدرک الوسائل: ١٦: ١٣٢.

- وعنه عليه السلام: «من لم يُسَمِّ إذا ذبح فلا تأكله»<sup>(١)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «حج علي بن الحسين عليه السلام على ناقته عشر سنين ما قرعها بسوط، ولقد بركت به سنة من سنواته فما قرعها بسوط»<sup>(٢)</sup>.
- وعنه عليه السلام: «لا تأكل وأنت ماشٍ، إلا أن تُضطرَّ إلى ذلك»<sup>(٣)</sup>.
- الإمام الرضا عليه السلام: «يؤكل من السمك ما كان له فلوس، وذكاة السمك والجراد أخذه، ولا يؤكل ما يموت في الماء من سمك وجراد وغيره، وإذا اصطدت سمكاً وفي جوفه أخرى أكلت إذا كان لها فلوس...»<sup>(٤)</sup>.

#### المعلم رقم (٨): الرابطة بين القانون التشريعي وبين القانونيين والنشأتين.

لو نظرنا إلى القانون الوضعي لوجدناه ناظراً إلى البعد المادي فقط، وإذا تعدى عنه إلى البعد الاجتماعي والمعنوي فإنه لا يتمكن من أن يغض طرفه عن البعد المادي، حتى أصبح حال الكثير من الدول أنها تنظر إلى البعد المعنوي من خلال ما لها من قيمة مادية، فلا تعير هذه الدول لشعوبها اهتماماً بما يليق بالإنسان بما هو إنسان، وهذا ما شاهدناه ولمسناه في زيارتنا المتكررة لبعض الدول الغربية، وفي مشاهدتنا لكثير من الأفلام الوثائقية لها أو سماعنا عنها، وما يرد في الوسائل الإعلامية العالمية، وعلى الشبكات والمواقع التواصلية.

ف نجد القانون الوضعي لا يراعي سوى جوانب معينة فقط، وبالتالي لا يشمل كل ما في الأرض من الكائنات، فضلاً عن النشأة الأخروية، ولا يشمل القانون التكويني، وأنى له ذلك وهو لا ينظر إلا بعين غير بصيرة.

وأما القانون السماوي فقد ضمن في تشريعاته كل الحقوق، ولكل الكائنات، ولم تكن هذه الحقوق حقوقاً مادية فقط، أو ذات نشأة دنيوية فقط، بل إن التشريع

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ٢٤: ٣٠.

(٢) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ١١: ٥٤٢.

(٣) البرقي: أحمد بن محمد بن خالد: المحاسن: ٢: ٤٥٩.

(٤) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٦٢: ٢١٣.

السماوي ضمن في بنوده ونصوصه حق القانون التكويني، وحق النشأة الأخروية، فإذا نظرنا إلى النص التشريعي وهو يتوجه إلى الإنسان فإنه يحتوي على مجموعة من الضمانات، التي هي:

- ١- ضمان العيش الكريم، والحياة الحضارية للإنسان.
- ٢- ضمان عدم الإخلال بتوازن الحياة الطبيعية.
- ٣- ضمان التفاعل الإيجابي من قبل الكائنات لصالح الإنسان.
- ٤- ضمان التفاعل الإيجابي من قبل الكون والعالم لصالح الإنسان.
- ٥- ضمان الانتقال من النشأة الدنيوية إلى النشأة الأخروية بسلام وأمان.
- ٦- ضمان العيش في عالم البرزخ بسعادة.
- ٧- ضمان الحشر إلى القيامة بسلام.
- ٨- ضمان الدخول إلى الجنة.

إن مثل هذه الضمانات لا تقدمها سوى التشريعات السماوية، ولا أحد يستطيع أن يقدمها من سائر الكائنات والمخلوقات، بل والأمر بالنسبة إليها يكاد أن يكون مستحيلًا، والأمر ينعكس إذا ما انعكس السلوك وكان سلبياً؛ فقس هذا على ما تقدم من انتفاء كل ما ذكر بانتفاء المسبب والعلة.

إنَّ هذا الإنسجام والتنسيق بين القانون التشريعي وبين القانونين «المادي» و«التكويني» وبين النشأتين «الدنيوية» و«الأخروية» لهو من إعجاز السماء، ومن قدراتها المطلقة في إدارة الكون والوجود، وهذا من أهمِّ السمات التي تؤهل السماء دون غيرها للتصدّي لاستلام زمام إدارة المجتمع الإنساني، ولهي كاشفة عن استحالة ما هو غيرها من التصدي لهذه المهمة الخطيرة، ومنه هذا الإنسان المسكين الذي لم، ولا، ولن يستطيع أن يعرف أو يتعرف على العالم المادي كما ينبغي فكيف يتمكّن من غيره؟!!!

### نية الإنسان ومدخليتها في تحقيق الكمال والسعادة والحضارة:

لقد أشرنا قبل قليل إلى موضوع النية، ولكن للإهمية وجدنا ضرورة تخصيص عنوانٍ مستقلٍ له، ويمكن تلخيصه وإيجازه في الآتي، فنقول:

إنَّ من أهمِّ ما تواجهه «القوانين الوضعيَّة» في مرحلتها التنفيذية بلحاظ «الاستباق للجريمة والحدث» هو: عدم معرفة ما إذا كان الإنسان المتَّهم يريد ارتكاب الجريمة والمخالفة أم لا، وتتأكد الخصوصية في حق المجرم صاحب السوابق، فهل هو ناو الإستممرار في جريمته وفي مخالفته للقانون أم لا !!، وهل سينقلب ويصبح إنساناً صالحاً في المجتمع أم لا !!، وأسئلةٌ من هذه كثيرةٌ ومُقلقةٌ ترد إلى الذهن.

وتزداد هموم المجتمعات عندما تكون غير واثقة بالمتَّهم، وخاصةً إذا كان صاحب سوابق، فيعيش المجتمع في قلقٍ شديدٍ، فهَمُّ المعيشة من جهة، وهَمُّ الضغوط الاجتماعيَّة من جهةٍ أخرى، وإذا بهَمَّ عدم الثقة في من يشاطرُه المعيشة في المجتمع من جهةٍ ثالثةٍ...

ونظراً لعدم القدرة على سبر أغوار الذهن البشري؛ وعدم القدرة على معرفة ما يدور في نفس الإنسان من أفكارٍ وهو اجسّ وخططٍ؛ وفي المقابل يريد المجتمع الإنساني العيش الكريم؛ ويريد الراحة في محيطه الذي يعيشه؛ واستقراراً نفسياً في الأجواء التي يتعامل فيها؛ خرجت مجموعة من النظريَّات، كُلُّ منها تريد تقديم حلٍ لعلاج هذه المعضلة، تمهيداً لبثِّ الأمان والإطمئنان في المجتمع الإنساني.

فمن جملة ما خرج من الأفكار كأطروحاتٍ علاجيَّةٍ - وتُرجمَ حتى على مستوى الأفلام في الغرب - هو: اختراع أجهزةٍ تكشف النوايا، وتسبق الحدث، ولعل جهاز كشف الكذب يسير في طريق هذا الإختراع المبدع.

ولكن..

هل يمكن للبشرية التوصلُ إلى ذلك..؟!..

الجواب: أنه لا شك في أن الحَلَّ يظلُّ حلماً لديها، لأن اكتشاف وسبر أسرار عالم النفس غير ممكنٍ إلى وقتنا الحالي، وتبقى التساؤلات قائمةً:

١- هل يمكن معرفة الإنسان من أعماقه؟!؟.

٢- وهل يمكن تسجيل المتغيرات النفسانية التي تطرأ عليه في مسيرته؟!؟.

٣- وهل يمكن للقانون الوضعي أن يؤكد أن هذا الإنسان المجرم لن يتغير أبداً؟!؟.

٤- وهل يمكن للقانون الوضعي التمكن من تسجيل جميع المؤثرات الخارجية على الإنسان؟!؟.

فإذا كان لهذه التساؤلات واقعٌ حقيقيٌّ؛

٥- فهل يمكن لجهاز كشف النوايا أن يدرك هذه الأمور أم لا؟!؟،

٦- وهل يمكن استباق الأحداث والأزمان لمعرفة ما إذا كانت الظروف الزمانية والمكانية تساعده على فعل جريمته أم لا؟!؟،

وإذا ما توصل إلى الإمكانية..

٧- فهل يُلقى القبض على المجرم قبل ارتكابه للجرم أم لا؟!؟،

وفي فرض كلتا الحالتين..

٨- فهل عمله سيكون موافقاً لمبدأ العدالة أم لا؟!؟،

أظن المسألة ليست سهلة، فتحديات الحياة كثيرة أمام القانون الوضعي، وعليه أن يتوصل إلى تشريع يعصمه من ارتكاب الأخطاء، وإلا أصبح هو مطلوباً للعدالة.

ومن جملة الأفكار المطروحة أيضاً هو: معرفة ما إذا كان الإنسان يملك قابليةً إجراميةً أم لا!!، كي يُمنع في الأصل من الانخراط في المجتمع، وهذا ما يحاوله القانون الوضعي في الاستفادة مما توصل إليه العلم الحديث حيث اكتشف في علم الموروثات الجينية ما يُسمّى بـ (DNA).

ومن جملة الأفكار أيضاً.. عزل المجرمين الذين لهم سوابق إجراميةً، ووضعهم

في بلدانٍ نائيةٍ، أو في أماكنٍ بعيدةٍ عن المجتمعات الحضارية؛ كي يعيش المرء في مجتمعه في سلام، من دون أن يفكر في أن هناك من ينغص عليه عيشته.

وهناك أفكارٌ عديدةٌ تُطرحُ في البين؛ إلا أنها لا تجد لها صدًى إجتماعياً؛ لأنَّ أغلبها مخالفٌ للواقع الاجتماعي، أو أنها طرقٌ غير إنسانيةٍ، وفيها نحو من تأصيلٍ لروح الإجرام لدى المجرم، بدلاً من معالجته بالطرق الحضارية، أو أنها ليس من مقدور الإنسان اليوم تطبيقها.

والمسألة لا تقتصر على الإنسان المجرم، والإنسان أصحاب السوابق، بل تتجاوزه لتشمل الإنسان الصالح أيضاً، فسنجد تراكمًا من الأسئلة حول كيفية معرفة الإنسان الصالح، ومعرفة مستقبل فكره، وتفكيره، وخططه، فإذا كانت معرفة ما إذا كان المجرم ينوي الاستمرار في جرمه قد حازت اهتمام القانون الوضعي، وبذل لها من الأفكار ما بذل؛ فإن هذه القوانين الوضعية لم تفكر في الإنسان الصالح، فهل سينحرف أم لا؟!، إذ هو أيضاً ينبغي سبر غوره لمعرفة ما إذا كان صلاحه مخلصاً صادقاً أم أنه يتظاهر بالإخلاص وبالحب وبالولاء؟!، الأمر الذي يزيد من هواجس المخاطر لدى الشعوب الإنسانية، ويزيدها قلقاً لا يكاد أن يزول.

ومن هنا كان لابد من وضع منهجٍ دقيقٍ لمعرفة النوايا، ووضع آليةٍ متقنةٍ تُعرفُ بها الخلجات النفسية، ووضع وسيلةٍ فائقةٍ الإلتقاط والتسجيل لمعرفة ما يدور في فكر هذا الإنسان، ولابد من أن تكون هذه الأجهزة موافقة لمعايير العدالة، وتنطبق عليها شروطها.

١- فهل لدى البشرية هذا المنهج الدقيق؟!.

٢- وهل لديها تلكم الآلية المتقنة؟!.

٣- وهل تستطيع أن تضع الوسيلة الفائقة؟!.

إنَّ حال البشرية منذ أول تسجيل لتأريخها إلى هذا العصر الحديث ليؤكد

النفي!!.

وبما أن البشريّة عانت ولا تزال من مشكلات قامت بها مجموعات أو أفراداً تظاهروا بالحب والولاء لأوطانهم، والإخلاص لشعوبهم، والتفاني لمجتمعاتهم، وإذا بهم بعد الوصول إلى غاياتهم، وبعد تربعهم على كرسي الإمرة، وبعد الجلوس على دفة الحكم؛ يتغير حالهم، فيقودون مجتمعاتهم إلى المهالك، وينهبون أموال الضعفاء، ويسفكون دماء الأبرياء، ويهتكون أعراض الشرفاء، متذرعين بذرائع لا يقبلها العاقل فضلاً عن العقل، فحينها تصيح المجتمعات.. ياليتنا كنا نعرف ما كان ينوي فلو عرفناه لما انتخبناه..!!، فحينها لا ينفع الندم، وإذا ما كان هناك ما يمكن نفعه فبعد دفع أثمان باهضة من النفوس والأعراض والأموال..

فلأهمية معرفة ما يدور في النفس، وتأثير ذلك في المجتمع واستقراره؛ كان لابد من وجود وسيلة لكشف الحقائق، ومعرفة الأفكار والخطط، وإدراك الواقع، فإذا كانت القدرة منعدمة لدى الإنسان، وفي قانونه الوضعي؛ فهل هناك قدرة لدى السماء لا اختراق النفس، ومعرفة ما تفكر، وما تخطط له، وما يدور في أعماقها؟!..!!

### الجواب:

أنَّ الله تبارك وتعالى قد بيّن مؤكداً أنَّه لا شيء يقوم به الإنسان؛ ولا يوجد شيء في أعماق وباطن نفسه إلا وهو مكشوف لديه سبحانه وتعالى وكأنه عالمٌ ظاهريٌّ، بل؛ فلا شيء لدى الباري سبحانه وتعالى يُعدُّ باطناً إذ كلُّ شيءٍ لديه ظهورٌ، ولا شيء لدى الله سبحانه يُعدُّ خفياً إذ كلُّ شيءٍ لديه معلنٌ واضحٌ، ولا شيء لدى الله تعالى يُعدُّ سرّاً إذ كلُّ شيءٍ لديه مكشوف، ولا شيء لدى الله تعالى يُعدُّ مُشَفَّراً، إذ كلُّ شيءٍ لديه بلا شفرة.

فإذا كان المرء في بادئ أمره صالحاً، ويُحتمل انقلابه مستقبلاً؛ فإن هذا الإنسان أيضاً معروف لديه سبحانه وتعالى، ومعلوم الحال مطلقاً..

لذا جاء في القرآن الكريم لمثل هذه الحقيقة بيانات واضحة جداً، وقد بيّنا بعضها في الصفات التي يتصف بها الباري سبحانه وتعالى، وإليك بعض الآيات في هذا المجال:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الحديد/٦].

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنَطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمد/٢٦].

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [التغابن/٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَسْرَأُ قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ \* أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك/١٣-١٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَّمْنَا فِيهِ نَفْسَهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق/١٦].

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ حَايَةَ الْأَغْنَىٰ وَمَا خَفَىٰ الصُّدُورِ﴾ [غافر/١٩].

ومثل هذا العلم الكاشف للقلوب؛ وما تكنه الصدور يكون واقفاً على مواقف الفرد والمجتمع، وعلى حقيقة أفعالهم وتصرفاتهم، لذا نجد القرآن الكريم - على سبيل المثال - قد بيّن الواقع الاجتماعي إبان نزوله بأن هناك مجموعة من الأشخاص يقولون ما ليس في قلوبهم، ويظهرون عكس ما يُبتنون، لذا نجده قد فضحهم كي يأخذ الناس حذرهم منهم، ولا يُعطوهم مجالاً للتسلق على الأكتاف والمبادئ إلى حيث الأخذ برقبة المجتمع، فإن أمثال هؤلاء يملكون من القابلية لتدمير المجتمع الإنساني، بإدخاله في أتون الفتن، والحروب الأهلية، وإبادة الأمم، وتجويع الشعوب، وهتك الأعراض، وسفك الدماء، ونهب الأموال...

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ شَهِدٌ لِّبِهِمْ لَكَذِبُونَ﴾ [الحشر/١١].

وقال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَذِبُونَ﴾ [المنافقون/١].



وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ [آل عمران/ ١٥٤].

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن نُخْرِجَ اللَّهُ أضعفهم \* وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُم فَتْرَفَنَّهُمْ بِسِيمَتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٢٩-٣٠﴾ [محمد/ ٢٩-٣٠].

وقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نِعْمًا بَلْ كَانَ اللَّهُ يَمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا \* بَلْ ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنَ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا \* وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا \* وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْفُرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا \* سَكَتَ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسُدُونَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١١-١٥﴾ [الفتح/ ١١-١٥].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ \* فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِأَلْبِينَتٍ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ \* فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ \* فَلَمَّ يَكُ يَفْعَعُهُمْ إِيْمَانَهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا سَنَّتْ اللَّهُ إِلَيْهِ قَد حَلَّتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢-٨٥﴾ [غافر/ ٨٢-٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ \* يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ \* فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ \* وَإِذَا قِيلَ لَهُم لَآ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ \* أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ \* وَإِذَا قِيلَ لَهُم ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا

ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ۖ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ \* وَإِذَا لَفُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا  
إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ \* اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ \*  
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَمَا رَبِحَت بِحَدِيثِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿البقرة/ ٨-١٦﴾.

اللّٰه يزود وليه بما لديه من العلم والمعرفة:

ومثل هذا التزود بالعلم بما في النفوس والصدور قد زود الله تبارك وتعالى  
وليه الذي سماه القرآن الكريم «نبياً» و«رسولاً» و«وصياً»، فإن الله قد أخبر عباده  
بأن هؤلاء مَنْ يملكون القدرة على تحقيق العدالة على وجه الأرض، وعلى إعادة  
أمجاد الفطرة وأحلامها، وعلى بناء حضارة الإنسان، وعلى إيصال البشرية إلى  
السعادة المطلقة، فلا بد وأن تكون نفوس العباد وصدورهم وقلوبهم وأفكارهم  
كلها واضحة لديهم، ومكشوفة عندهم، فيعلمون كل شيء، وهذا الأمر قد وضّحته  
سيرة الأنبياء والرسل والأوصياء، وقد نقلته الكتب السماوية كلها، فتجد هذا  
الأمر في توراة النبي موسى، وإنجيل النبي عيسى، وزبور النبي داود، وفرقان النبي  
محمد ﷺ، وإليك بعض النماذج من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ  
بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف/ ١٥].

وقال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحْزَنِي إِلَى اللَّهِ وَعَلِمَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾  
[يوسف/ ٨٦].

وقال تعالى: ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن  
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران/ ٤٩].

وقد جاء على لسان الإمام الصادق عليه السلام وهو حفيد من أحفاد رسول الله ﷺ،  
وواحد من خلفائه الإثني عشر قوله: «والله إنني لأعلم كتاب الله من أوله إلى آخره،  
كأنه في كفي، فيه خبر السماء وخبر الأرض، وخبر ما كان وخبر ما هو كائن». وسيأتينا بيان هذا المطلوب وبشكل أوسع إن شاء الله تعالى لاحقاً.

## المنهجية السماوية في تحقيق الحضارة الإنسانية

أمران مهمّان:

هناك أمران نجد من الضرورة التعرف عليهما، ونتعرف على رأينا ووجهة نظرنا فيه، وهما:

الأمر الأول: معنى الحضارة الإنسانيّة:

فقبل كل شيء لا بأس في أن نتعرف على معنى الحضارة حيث أننا قد كررنا لفظ «الحضارة الإنسانيّة» في البحث لعدة مرات، فماذا نقصد منه؟!.

إننا نقصد من «الحياة الحضارية» ومن «الحضارة الإنسانيّة»؛ الرؤية التوفيقية المتوازنة في توفير المتطلّبات اللازمة للنشأتين الدنيوية والآخروية معاً، فمع إيجاد متطلّباتهما، وتوفير احتياجاتهما يكون الإنسان قد حقق فعلاً الحياة الحضارية، وحقق حلم البشريّة الخالد.

ومع اختلال التوازن في المتطلّبات؛ بحيث تطغى متطلّبات إحداها على الأخرى؛ فإن المسيرة لا تسير نحو تحقيق الحضارة، بل؛ ولن تسير أبداً، وإن حملت شعاراته وهتفت بهتافاته.

الأمر الثاني: منهجية بحثنا.

نلفت انتباه القارئ العزيز إلى أننا عندما بدأنا بحثنا من أول الكتاب فقد مشينا فيه بمنهجية منطقية وضعت أمامنا طريقاً حصريّاً ببعض البنود، وهذا الطريق قادنا إلى

هذه الجزئية المهمة تلقائياً، وهي عبارة عن كيفية وضع السماء الحلول لمعالجة المشكلة التي عجزت عنها البشرية برمتها، فهذا ما ستعرّف عليه إن شاء الله في الصفحات التالية، فإنّ منهجية بحثنا التي انطلقنا منها فيه لتفرض علينا أن يكون كلامنا منطلقاً من صفات خالق الوجود، ومنه ننتقل إلى ما قدمه لحل المشكلة، وكيف قدمه، وما هي المعايير التي اعتمدها في هذه التقديم؟!، لذا ستكون انطلاقتنا بالحديث عن:

أولاً: التشريع السماوي.

ثانياً: الأشخاص الذين يملكون القدرة على حمل التشريع السماوي.  
وبهذه المنهجية نجد أنفسنا في خط متسلسل منطقي إن شاء الله تعالى.  
والآن إلى بيان المطلب..

### القنوات التواصلية بين السماء والأرض:

إننا عندما وجدنا الإنسان فاقداً لكلّ مكونات السعادة التي يحلم بها لتحقيق متطلّباته الفطرية؛ وكان لا بد من تدخل السماء كنتيجة منطقية عقلية لازمة لهذا الإخفاق الإنساني، وقد عُيِّت مدارس كثيرة بهذا الموضوع، لأهميته، فلأجل أن تتضح الصورة جيداً، وتستبين المسألة بجلاء إن شاء الله تعالى علينا أن ننظر إلى التواصل السماوي الأرضي بطريقة عمودية، أي: أن ننظر إلى هذه العملية التواصلية من خلال السماء نزولاً إلى الأرض.

وهذا يعني أن نبحت أولاً في الرسالة السماوية في خطوطها العامة، وكيف أنها تمثل السماء في كل حرف من حروفها ومفاهيمها، ومن ثمّ نترج إلى من لديه القدرة والأهلية من البشر لحمل هذه الرسالة السماوية، وهناك مجموعة من الأسئلة والتساؤلات التي قد ترد في البين، فسنجيب عليها بحسب موقعها البحثي إن شاء الله تعالى.

إن البحث بهذه الطريقة في هذه المسألة ضروريٌّ جدّاً، لأنها:

- ١ - ستبين دور السماء في حركة الإنسان نحو الكمال.
- ٢ - وما هي الطرق التي اعتمدها السماء في تحقيق حضارة الإنسان، وفي تحقيق سعادته التي يسعى إليها منذ نعومة أظفاره التكوينية.
- ٣ - كما أنها سترفع الكثير من الإستفهامات حول أهمية التدخل السماوي، ومستوى هذه الأهمية لصالح الإنسان وتكامله.
- ٤ - وسيحدد مستوى صلاحية الإنسان في وضع القوانين لتنظيم المجتمع الإنساني.
- ٥ - وهل يمكن لهذا الإنسان أن يدير دفة إدارة مجتمعة وحياته، أم لا يمكنه ذلك؟!؟

فهذا ما ستتعرف عليه خلال الأسطر الآتية إن شاء الله تعالى.

### الرسالة السماوية بين الكمال الربوبي والعجز الإنساني:

مع قليل من التأمل في الرسالة السماوية؛ فسنعدها تتركب من خاصيتين أساسيتين، وهما:

الخاصية الأولى: أنها من جهة الكمال المطلق.

الخاصية الثانية: أنها إلى الإنسان.

فهي موجهة إلى الإنسان لتقديمها أفضل عرض للوصول إلى السعادة المطلقة، وهذا يعني أن هذه الرسالة السماوية تحوي في صياغتها، ومفرداتها، ومفاهيمها، ونصوصها:

١ - أُسس الكمال المطلق ومعالمه من جهة.

٢ - خطاباً يراعي مستويات الفهم البشري من جهة أخرى.

والسبب في ذلك يرجع إلى أن السماء عندما تَضَعُ مَعَالِمَ رسالتها فإنها:

١ - بلحاظ ما عليها من العلو المعرفي الذي يصطلح عليه بـ«المطلق» لَأَمْرٌ

يحتاج إلى أن يمر بمرحلة «الفلتر» من حيث القدرة على الفهم، كي يتسنى للإنسان المحدود فهم واستيعاب وتطبيق ما تطلب منه الرسالة السماوية.

٢ - إضافة إلى أنها لا بُدَّ من أن تأخذ في صميم التركيبة النصية، وفي مفرداتها، ومفاهيمها متطلبات الفطرة والإنسان، وبهذا اللحاظ لا بدَّ من أن تناغم الحاجة الملحة للإنسان، وهذا ما سيقودنا إلى النقطة الآتية إن شاء الله تعالى وهي:

### الطبيعة التكوينية تحدد معالم التشريع:

إنَّ السماء لم ترسل إلى الإنسان رسالةً مختلفةً عن طبيعته الفطرية التي هو عليها، ولم تطرح مواضيع بعيدةً عن طبيعة مشكلته التي يعيشها، فإن هذا خلاف الحكمة، والسماء كما تبين سابقاً هي الحكمة، ومن صفات الخالق «الحكيم»، وبناءً على هذا يكون وضع التشريع التنظيمي القانوني للإنسان مراعيًا أهمَّ مسألة وهي:

لله تحقيق المتطلبات الدنيوية في عين تحقيق المتطلبات الأخروية من دون طغيان هذا على ذلك، ومثل هذا الأمر وإن كان يشكل نحوًا من الإستحالة لبني البشر، إلا أنه ليس كذلك لخالق الوجود.

لله ويتفرع منه ما يلي:

بما أن الإنسان موجود يسعى نحو الكمال المطلق، فإنَّ هذا يعني أن تُوفَّر له كلُّ الإمكانيات الممكنة في صميم النص التشريعي بما يكون داخلاً ضمن قدرة هذا الإنسان تسهيلاً للوصول إلى هدفه الذي خلق لأجله.

لله ولازم هذا..

أن يراعى حقُّ كلِّ ما هو داخل أو سيدخل تحت مظلة تحقيق هذا الهدف.

ومن هنا سيتوجه بنا الحديث إلى ضرورة التعرّف على رسالة «الكمال المطلق»، وبتعبيرٍ آخر.. رسالة «الله» سبحانه وتعالى إلى البشر.

## رسالة «الكمال المطلق» «كمال مطلق»

طبيعة العلاقة بين الرسالة العرفية وبين الواضع البشري:

إن العلاقة القائمة بين الرسالة والمرسل البشريين العرفيين تحكمها علائق اعتبارية، لذا نجد الناس عندما تنظر إليهما، فإنَّها تنظر إلى كل من الرسالة والمرسل بعدة اعتبارات، ولكن تبقى جميعها ضمن الإطار الإعتباري الذي يقبل في نفسه الخلف والتخلف، ومن إحدى لوازم الإعتباريات أنك تجد فيها في الأحيان الكثيرة استتباع إستدراكات على ما يصدر من المرسل، وهذا الأمر طبيعي في عالم الإعتبار الوضعي العرفي.

طبيعة العلاقة بين الرسالة السماوية وبين الله تعالى:

إلا أنَّ مثل هذه العلقة الإعتبارية لا نجدُها بين الرسالة السماوية وبين المرسل وهو «الله» تبارك وتعالى، فإنَّنا نجدُها علاقة حقيقية، وهذا يعني أن تكون الرسالة حاكية عن مرسلها تمام المحاكاة، فتكون مرآته بكل ما للكلمة من معنى، وهذا ما نجده واضحاً في كتاب الله عزَّ وجلَّ وهو «القرآن الكريم»، وفي الدين الذي سنَّه للبشرية وهو «الدين الإسلامي»، وقد جاء في كلمات الإمام الصادق عليه السلام هذه الحقيقة، «لقد تجلَّى الله لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون»، وعندما نقول: إنَّ هذا «كتاب الله تعالى» فإنَّنا نستعمل في التعريف «لفظ الجلالة»، ولاستعمال لفظ الجلالة أبعاداً معرفيةً تضيفي على المورد الذي تضاف إليه مجموعة من المطالب منها:

- ١- العلقة الحقيقية بين المضاف والمضاف إليه.
- ٢- العلقة ذات الرابطة الوصفية التي تحملها دلالة «لفظ الجلالة».
- ٣- واللازم لهذه الرابطة، وهو مستوى ما عليه هذا الكتاب من القوة المعرفية، والتي لا تقبل سوى القول بأنَّها قوة «الكمال المطلق».
- ٤- ثمرته: أنَّ كلَّ من يريد حمل هذه الكتاب الإلهي لا بُدَّ أن يكون مؤهلاً لمثل هذا المستوى من الحمل، وأن يكون قادراً عليه.

والوصف الذي أُعطي لهذا الكتاب الإلهي وهو «الكمال المطلق» لانتسابه إلى «الكمال المطلق» فقط، مع حفظ الفارق بين الذات والمستقل وبين التابع وغير المستقل.

فمن أراد أن يتعرف على حقيقة الكمال المطلق؛ وأن يتعرف على صفاته وأسمائه، وعلى معارفه فما عليه سوى التركيز بالحقيقة والإخلاص وصفاء الباطن على آيات وسور القرآن الكريم، والعمل بما جاء فيها؛ فحينها سيجد ما يبحث عنه، وهناك تكمن سعادته وحضارته.

### طبيعة العلاقة الثلاثية المرسل والرسالة والرسول

طبيعة العلاقة بين المرسل والرسالة والرسول العرفيين الوضعيين:

كما أن هناك أمراً آخرَ في طبيعة الرسالة الوضعيّة العرفية وهو تلقي الناس للثلاثي «المرسل والرسالة والرسول»، فلو عرفناها ومن ثمّ قارناها بطبيعة العلاقة السماوية في الثلاثي المذكور سنجد بينهما فرقاً جوهرياً، وسحب الكثير من النخب والمفكرين وبعض الأعلام أحكام طبيعة الرسالة الوضعيّة إلى أحكام الرسالة السماوية، وهو ما أدّى به إلى الوقوع في خطأ جسيمة كلفته الكثير من متبنيات العقيدة الجوهريّة على المستوى العقيدي والفكري والسلوكي تجاه الرسول بالخصوص، فما هو هذا الأمر؟!.

الجواب:

ولأجل أن تتضح الفكرة سنضرب مثلاً عرفياً يقرب المعنى إن شاء الله تعالى.. لو أنّ حاكماً أراد أن يوجّه خطاباً إلى شعبه ولكنه لم يرد أن يكون هو بنفسه القارئ لهذا الخطاب، بل أراد أن يكون عبر وزير ما، أو عبر وسيلة إعلامية رسمية ما، ففي هذه الحالة إذا ما بدأ الخطاب بالتلاوة على الشعب فإن الشعب لن يلتفت إلى الوسيلة التي اختارها الحاكم لتلاوة خطابه، فنجلُّ همّه هو أمران، وهما:



الأمر الأول: نص الخطاب.

الأمر الثاني: الحاكم.

فإنَّ المرتكز لدى الشعب سيكون هو مراد الحاكم، وفي هذا الإرتكاز يكون المحور الأمرين المتقدمين فقط، ولكن أين ذهبت الوسيلة التي كانت الواسطة في نقل رسالة الحاكم ونصه وخطابه؟!.

الجواب:

تكون في حيز الفناء لدى المستمع، أي: أنها تكون معدومة الإلتفات إليها، فهذا التقيد الذهني بين الحاكم وخطابه، وتمحوره على هذه الأمرين فقط قام بإلغاء الواسطة، تماماً، والعلة التي ترجع إلى هذا الإلغاء هي:

١ - إعتباريّة النص الذي لا يتقوم هنا بالواسطة، بل يكفي في تحققه أن يكون منتسباً إلى صاحبه، وأن يحكي عن مراده الجدي.

٢ - عدم مدخلية الواسطة في قوام شخصية النص، ولذا، فإنّه ما دام النص يُقرأ على الشعب فإن الواسطة ليس لها مدخلية في تكوينه الشخصي، وتبين هذه الحقيقة فيما لو قرأ النص شخص اعتيادي على التلفاز كمقدم برنامج الأخبار، أو نقلته جريدة على أوراقها، أو قرأه وزير معين، فإن كل هذا غير معتبر لدى الشعب، وذلك لأن الشعب يرى الفصل بين الواسطة وبين المرسل والرسالة.

ويمكن تشبيه هذه الحالة بـ«ساعي البريد»، إذ غرضه توصيل الرسالة إلى المرسل إليه، وأما أن يعرف محتواها وما فيها من المضامين فليس في عالمه، بل ولا توجد أية علاقة بينه وبين المرسل والرسول أبداً، ومع فرض إطلاعه على النص، ووجده عالي الجودة والراقي أو تعرف على المرسل ووجده من أفضل الناس فإن هذا الإطلاع والتعرف لن يشكلا بالنسبة إليه مسألة هامة، ولن يتركأ عليه أي تأثير، لكون هذا الساعي البريدي مهمته تنحصر في إيصال الرسالة إلى الرسول فقط، وبهذا تنتهي مهمته، وهكذا هو الحال في العلاقة في الثلاثي المذكور في العالم العرفي الوضعي، ولكن يرد هنا أسئلة مهمّة، وهي:

- ١- هل مهمة الرسول الإلهي كمهمة الرسول العرفي؟!..
- ٢- هل مهمته كساعي البريد في إيصال الرسالة إلى المرسل إليه، بحيث تنحصر مهمته في هذا الأمر فقط؟!..
- ٣- هل حال الرسول الإلهي كحال الرسول العرفي الذي لا يمت إلى النص بصلة، وليس بالضرورة أن يتعرف على المرسل، فإن هذا الأمر وذاك لا يشكلان بالنسبة إليه أي فرق؟!..
- فهذا ما سنتعرفُ عليه بإذن الله تعالى فيما يلي..

### طبيعة العلاقة بين المرسل والرسالة والرسول الإلهي:

إن النبي المرسل ليس «ساعي البريد»، فمهمته ليست مجرد إيصال الرسالة السماوية إلى العباد كما حاول البعض أن يقرأ بعض آيات القرآن الكريم بفهمه العرفي، ففسرها بشكل غير موضوعي، وبالتالي ابتعد عن معنى الآية بعيداً، ففصل النبي والرسول عن مضامين الرسالة، ووضعها في موقع السفراء السياسيين العرفيين، وأصبح تعامله معه تعامل الناس العاديين، ووقع في سوء فهم لاصطلاح «البشر» الذي وصف به القرآن الكريم الأنبياء والرسل، والعلّة وراء هذا الإشتباه هي عدمُ الوقوع على المضامين الموضوعية التي تناولتها الآيات والسور بالنسبة لهذه الذوات المقدّسة.

إنّ قراءة القرآن تتطلب الوقوف على كل الآيات التي ورد فيها موضوع البعث والإرسال والإنباء بالإضافة إلى الآيات التي تتحدث عن دور الأنبياء والرسل في أممهم، وهو ما يكشف لنا حقيقة مهمتهم التي لا تنحصر في التبليغ العرفي، وهذا يعني أن نقرأ النص التبليغي بقراءة قرآنية، وللقرآن الكريم الكثير من المواضيع التي يختلف فيها في فهمه وقراءته عن الفهم العرفي وقراءته، وهذا ما يعبر عنه بـ«الإصطلاح»، وبـ«الحقيقة الشرعيّة»، ويتطلب مثل هذا البحث الوقوف على سياق القرآن الكريم العام والخاص، ولا أقول بمجرد الوقوف على سياق الآية أو الآيتين، أو على سياق السورة الواحدة، فلكل من هذه الوقوفات معطيات مختلفة

عن الأخرى، ولربما يوقَع بعضها مَنْ لم يركب مركب التدبر والتفسير المناسب في محاذير خطيرة، وإذا لم يختر المتدبر والمفسر الراحلة الصحيحة يقَع في موارد الهلاك، فإن الخروج بنتيجة موضوعية شاملة لمجموعة من المواضيع والمفاهيم من القرآن الكريم يتطلب الوقوف على جميع مفردات القرآن الكريم، وعلى جميع مواضيعه، وعلى جميع مفاهيمه، وعلى جميع مصاديقه، وعلى جميع متشابهاته، وعلى جميع محكماته.

إننا لا نقول بأنَّ دور الأنبياء ليس تبليغياً، ولكننا نقول بأنَّ لهذا الدور فهمين، وهما:

أولاً: الفهم العرفي.

ثانياً: الفهم القرآني.

وهما يلتقيان في من جهة، ويفترقان من جهة أُخرى..

جهة الإلتقاء:

فأما جهة الإلتقاء فهي الإلتقاء في محل الوساطة بين المرسل والمرسول إليه مع حمل الرسالة من المرسل، أي: أنه اشتراك لغوي وعام جداً، وأما هل يشترك الفهم العرفي مع الفهم القرآني في تفاصيل معنى التبليغ، وفي جهات أُخرى؟! ولماذا؟!، فهذا ما سنتعرَّفُ عليه في الفقرة القادمة، إذ ستبين المحور الأساسي المائز بين الفهمين، وهو يُعدُّ المحورَ الجوهريّ في التمييز بينهما، وهو من نتائج المفهوم نفسه، وليس من خارجه.

جهة الإفتراق:

الجواب على التساؤل السابق، هو:

أنَّ الفهم العرفي والفهم القرآني وإنَّ إتفقا في بعض الموارد، إلا أنَّهما يظَلَّان مختلفين جوهرياً، وتظل ميزة الإفتراق ملحّةً وفارضةً نفسها على الموضوع ومعطياته، إذ لا يمكن الإلتزام بالإشتراك المطلق بين الفهمين أبداً، لأننا نجد

ضرورة اختلاف الأمرين والفهمين في أهم المحاور، ومنشأً هذا الاختلاف بين الفهمين، هو الاختلاف بين «الإعتبار» وبين «الحقيقة»، فمعطيات هذا تختلف عن معطيات ذلك.

- فكما عرفت - أن «الرسول العرفي ليس بالضرورة أن يكون مطلعاً أو عارفاً أو فاهماً لمضامين الرسالة، ولكن حال الرسول الإلهي يختلف تمام الاختلاف عن الرسول العرفي، فهو لا يكون فقط عارفاً ومطلعاً وفاهماً ومستوعباً لمضامين الرسالة بل ويكون مطبقاً ومندمجاً مع تلکم المضامين إلى درجة التحقق بها علماً وعملاً، وهذه الميزة لا توجد في الرسول العرفي وفي علاقته بالرسالة العرفية.

فهي إذن ميزة جوهرية تفصل بين الفهمين، وهذا ما يعبر عنه بأن علاقة الرسول بالرسالة وبالمرسل علاقة حقيقية لا إعتبارية، ولكل منهما أحكام تختلف عن الأخرى وإن افترضنا بينهما نحواً من الإشتراك، ومع التعرف على الفرق بين الإعتبار والحقيقة ستتضح معالم الإلتقاء ومعالم الإشتراك.

الإنسان الكامل للرسالة الكاملة:

وهنا يرد تساؤل مهم جداً وهو أنه:

قد عرفنا أن الرسالة السماوية حاكية عن الكمال المطلق، وهو أمر منطقي جداً، ولكن أن يكون هناك شخصٌ يحمل هذه الرسالة السماوية بما فيها من الكمالات هو أمرٌ يحتاج إلى التفكير والتأمل؟!؛ لأنه ستوجد مجموعة من التساؤلات حول الموضوع، والتي منها:

١- هل يوجد مثل هذا الإنسان الذي يتمكن أن يحمل رسالةً كاملةً كمالاً مطلقاً وهي قادمةٌ من الكمال المطلق؟!،

٢- هل يوجد من يتصف بهذا الكمال أم لا؟!.

٣- تُرى من يكون مؤهلاً من بني البشر كي ينفذ القانون الإلهي في الأرض؟!!!

٤- ومن يمكنه من هؤلاء يا تُرى أن يُفَعِّل هذا التشريع الرباني في المجتمع الإنساني!!؟

٥- أوجد في البشر من فيه كفاءة لإدارة هذا التشريع الإلهي، وتلك المواصفات العالية الضخمة الدقيقة الموجودة في الرسالة السماوية!!؟.

ثم إننا نجد أنفسنا أمام سؤالٍ آخر وهو:

٦- هل هناك ضرورة لوجود شخصٍ يحمل مثل هذه المواصفات أم لا!!؟.

الجواب على هذا التساؤل الأخير:

السنخية علة الإنضمام ضرورة وجودية:

إن العلاقة في عالم الحقائق تكون علاقة حقيقية، أي: أن هناك روابط سنخية بين أفراد عالمها، وهذه السنخية توجب لزوماً أن يكون كل واحدٍ من الطرفين حاكياً للطرف الآخر، ويحمل أحدهما أحكام الحقيقة بكل تفاصيلها، وتعبير آخر يكون أحدهما مرآة للآخر، ويكون الفارق بينهما فارقاً بلحاظ وجودي، أي: أن أحدهما يكون وجوداً رمزياً مختزلاً، ووجوداً معنوياً صامتاً، والآخر يكون وجوداً تكوينياً، حياً، ناطقاً، فنحتاج في الرسول إلى صفات من سنخ صفات الرسالة أو من سنخ صفات المرسل، لذا وجدنا من الضرورة أن يكون هذا الرسول بمستوى ثقل الرسالة والكتاب.

الجواب على السؤال السابق..

من الطبيعي أن هذا الشخص الذي يُفترَض فيه أن يحمل ويتحمل مسؤولية هذه المهمة الصعبة ينبغي أن يكون «ذا كفاءة عالية جداً»، لأنه يحمل «رسالة الله تعالى»، فمهمته لا تنحصر في «السفارة»؛ بحيث يكون سفيراً لصانع هذا الوجود، فإن للسفارة مهمة الربط، لا مهمة التمثيل المطلق - مع حفظ المراتب -، بل إن وجود هذا الشخص لا بدّ وأن يكون بمستوى «التمثيل الكامل الحقيقي» لعلم الله تعالى، ولأفعاله سبحانه، وتعبير آخر؛ لا بدّ من أن يكون ممثلاً حقيقياً لأخلاق الله تعالى وصفاته؛ وتعبير آخر: أن يُرى الناس أنه الممثل لله تعالى في هذه الأرض، وهذا يعني أن يكون محققاً لأسمائه وصفاته تحقيقاً تاماً، وفي كلا البعدين:

١ - البعد العلمي.

٢ - البعد العملي.

وبناءً عليه نجد أنفسنا أمام الجواب الحتمي الذي يفيدنا بأن وجود مثل هذا الإنسان أمر ضروري، وهذا ما سيعطي الرسالة فاعليّة، وحرّاكاً، وإلا فلن تحصل الرسالة على المصدقية من قبل الإنسان من أصل؛ لأنها حينها:

١ - لن تكون سوى نظريات ومثاليات من جهة - والسبب لكونها تصبح هكذا هو فقدانها للبعد التطبيقي.

٢ - ولأنها ستكون غير مناغمة لمتطلبات الفطرة الإنسانيّة من جهة ثانية.

٣ - ولأنها ستظل لغة الرموز التي لن يتمكن أحد حلها من حيث أنها من الكمال المطلق إلى الفقر المطلق، من جهة ثالثة.

وهذه الجهات الثلاث إذا وجدت ستفقد رسالة السماء قيمتها، وبالتالي لن تصلح للإعتراف بها والتواجد بين البشر، وهكذا فلن تتمكن هذه الرسالة السماوية من أن تؤسس الحضارة الإنسانيّة، وستظل المشكلة الإنسانيّة قائمة، وبلا حلّ شرعيّ لها، ولكن عندما يكون هناك شخص:

١ - يتمكن من فهم لغة الوحي الرمزية والمختزلة القادمة من الكمال المطلق عبر الوحي.

٢ - يتمكن من استيعاب مفاهيم رسالة الكمال المطلق حينما يوحى إليه، وفكّ تلکم الرموز، وتفصيل ذلك الإختزال.

٣ - يتمكن من نقل ما عرفه عبر الوحي بلغة رمزية مختزلة اختزلاً عالياً جداً إلى البشر ومن دون خلل في مراد المرسل.

٤ - يتمكن من تطبيق ما جاء في هذه الرسالة بما لا يخالف مراد المرسل.

ففي هذه الحالة ستغدو الرسالة دستوراً للحياة، وقانوناً لتنظيم حياة الإنسان، ومنهلاً دراسياً لا يمكن الإستغناء عنه أبداً.

الخلافة الإلهية وجه آخر للممثل الإلهي في الأرض:

وقد أطلق القرآن الكريم على هذا التمثيل التام الكامل اسم: «ال خليفة»، أي: «خليفة الله» تبارك وتعالى.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة/ ٣٠].

ولكن.. تردُّ هنا هذه التساؤلات:

١ - ماذا يراد من الخليفة؟!.

٢ - وما معنى الخليفة في المصطلح القرآني؟!.

٣ - ومن هو «خليفة الله» في الأرض؟!.

فإلى معرفة جواب هذه التساؤلات المهمة..

**معنى الخلافة الإلهية في الأرض:**

الفرق بين معنى الخلافة «العرفية» وبين معنى الخلافة «الإلهية»:

إن معنى «الخلافة الإلهية» يختلف عن معنى «الخلافة العرفية» التي تتعارف بين الناس، فإن معنى الخلافة المتعارفة بين الناس هي: أن «يوجد المستخلف بعد غياب المستخلف»، ولكن هذا المعنى لا يمكن إيراده في حق الباري سبحانه وتعالى لما انتهى إليه العقل من النتيجة بأن الوجود كله حاضر لديه، ولا يغيب عنه سبحانه وتعالى شيءٌ أبداً - وقد تقدّم الكلام في هذا المقام سابقاً -.

إذن..

ما معنى «الخلافة الإلهية»؟!.

**الجواب:**

إنّ الجواب وبالإختصار هو:

المقدمة الأولى: أن الله تبارك وتعالى ليس بمادي يمكن مشاهدته، أو يمكن المباشرة في التعامل معه، وهذا ما انتهى إليه العقل ببرهانه المتين.

المقدمة الثانية: أن إدراك حقيقة الله تعالى وكنهه لأمرٌ غير ممكن للعقل البشري، إذ كيف يمكن للعقل المحدود أن يستوعب اللا محدود، وهو أشبه بصندوقٍ صغير يريد استيعاب الصندوق الكبير، فإن هذا لأمرٌ محالٌ.

المقدمة الثالثة: أن غفلة الإنسان عن ربه، وابتعاده عن باريه، وانشغاله بعالم المادة جعلته لا يرى الحقائق الوجودية أمامه، فأعمته عن جمال الله تعالى، وعن جلاله سبحانه، وعن كماله جلت قدرته، والتفت هذا الإنسان إلى النقائص ظناً منه أنها كماله، وأدى هذا الالتفات إلى الإهتمام بها، فكان لا بد من إرجاعه إلى أصله، وإيصاله إلى صراطه، وأخذه إلى ما تطلبه فطرته، وإلى ما تبحث عنه من صميم وجودها.

فبناءً على هذه المقدمات الثلاث.. هل ينقطع العبد عن خالقه؟!، وهل يقطع الله تعالى صلته بعباده؟!، فهذا ما لم يحصل.. ولكن كيف؟!، فهذا ما نتعرف عليه الآن بإذنه تعالى..

### الجواب:

لا بد من أن يكون - بين الخالق وبين المخلوق وبحسب ما تقدم من المقدمات - من يكون ذا مؤهلاتٍ عاليةٍ جداً، إذ يتمكن من إيجاد أرضيةٍ صحيحةٍ صافيةٍ متينةٍ لإخراج العباد من أسر عالم المادة، ومن سجن عالم الحس إلى عالم السعادة الحقيقية، وبناءً عليه ينبغي أن يكون هذا الشخص ذا جنبتين أساسيتين، وهما:

الجنبه الأولى: الجنبه الإلهية في الصفات.

الجنبه الثانية: الجنبه البشرية في السمات.

وسياتينا الكلام في هاتين الجنبتين في محله لاحقاً إن شاء الله تعالى..

مفهوم «التبليغ» القرآني من المتشابهات القرآنية:

نشير الآن إجمالاً إلى ما نقصده، وتفصيله موكول إلى محله خارج هذا الكتاب، فنقصد من كون هذا المفهوم من المتشابهات: أن هناك اشتراكاً في اللفظ بين



المعنى العرفي وبين المعنى القرآني، وفي عين اشتراكهما من جهة نجد وجود فارق بينهما من جهة أخرى، ولأجل تحديد هذا الفارق لا بدّ من الرجوع إلى المحكمات القرآنية لفصلها عن المعنى العرفي، وإننا قد وجدنا المتشابهات القرآنية قد تكون في..

١- اللفظ.

٢- المصداق.

٣- المفهوم.

٤- التطبيق.

وفي هذه قد يقع مورد المتشابه في المعنى اللغوي، أو في المعنى العرفي، أو في معنى الإصطلاح العلمي، أو في معنى الإصطلاح القرآني، فلا بد من تنقيح المطلب أولاً، ومن ثمّ الدخول إلى عالم فهم المراد القرآني.

وبما أن مورد التبليغ يختلف بين العالمين المادي والمجرد فإن الأحكام أيضاً ستختلف، وهي تتبع معنى التبليغ الذي يختلف في مصاديقه وتطبيقاته عن المصاديق والتطبيقات العرفية، ولذا نجد أن لفظ «التبليغ» الوارد في القرآن الكريم من المفاهيم المتشابهة.

### تبليغ الحقائق الوجودية:

فإذا عرفنا أن دور النبي والرسول ليس كدور «ساعي البريد»، وأن مفهوم «التبليغ» يختلف في الفهم القرآني عن الفهم العرفي، فإننا نجد دور النبي والرسول في قيادة الأمة إلى سعادتها، وحضارتها، وهذه القيادة تتجاوز المفهوم العرفي للتبليغ، وذلك لأنه مفهوم يتضمن الحقائق الوجودية، وهذه تتطلب ضرورة التحقق بمضامين الرسالة السماوية، والتجلي بها في المقامين العلمي والعملي، فيكون التبليغ حينئذ تبليغاً وجودياً، بحسب متطلبات عالم الآخرة، مع ملاحظة متطلبات عالم المادة.

## كيفية إنزال التشريع والقانون الإلهي في الساحة الإجتماعية:

فهنا يرد هذا التساؤل المهم وهو:

كيف يمكن لهذا القانون الإلهي أن يتحقق في الحيز الإجتماعي؟!، وكيف يمكنه أن ينزل إلى ساحة الإنسان لعلاج مشكلته الإجتماعية؟!، فإن من البديهي أنه وحده غير قادرٍ على إنجاز هذه المهمة العملاقة، إذ أن القانون التشريعي بما هو نصٌّ، وإن كان يحمل دلالات الحقائق الوجودية، إلا أن لسانه لسان الإعتبار، وهذا يجعله لا يتحرك وحده، وهذا أمر بديهي.

### الجواب:

فكما أننا احتجنا معاشر البشر إلى منفذين للقانون الوضعي وتشريعاته فمن البديهي أن يكون هناك من ينفذ القانون الإلهي وتشريعاته، وأن هذا المحرك للقانون ليس إلا «الإنسان»، ولا يمكن لأيٍّ موجود أن يقوم بهذه المهمة غيره، إذ الطبيعة البشريّة تريد في عالم النصيحة والقدوة والأسوة والإرشاد من يكون من سنخ عالمها، وإذا ما فقدته حدثت بينها وبينه حواجزٌ طبيعية من شأنها ألا تدفع الإنسان إلى التحقق بغايته، ولا الإمتناع عما يبعده عن هدفه.

والأمر بديهي في استدعاء المطلب لإرسال المتجانسين إلى بني جنسهم، ولذا نجد القرآن الكريم يؤكد على هذه الحقيقة في قوله تعالى:

﴿ قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمْسُوكَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾ [الإسراء/ ٩٥].

وكان هذا جواباً على استنكار واستغراب إرسال البشر رسلاً من قبل الله تعالى إلى العباد، فقال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾ [الإسراء/ ٩٤].

مؤكداً على أن المرسل إليهم ليسوا سوى بشر؛ وهذا يقتضي نفس السنخية في الرسول.

### المثال القرآني على دور النبي الوجودي في عالم التبليغ:

لأجل أن تتضح المسألة سنقف قليلاً عند بعض المفاهيم القرآنية التي تنكشف من خلالها بعض أبعاد الدور النبوي الذي أنيطَ بالنبي الخاتم ﷺ، فمن جملة المفاهيم التي تحمل في طياتها بياناً لبعض ما أنيطَ بالنبي الخاتم ﷺ من المهام العظيمة لتحقيقها هو مفهوم: «التبيان»، وسنجد من خلال هذا اللفظ ومفهومه وما فيه من السياق واحدة من أهم المهام الرسالية للنبي الأعظم ﷺ.

فلنتعرف على ما جاء في القرآن الكريم في كل من هذين المفهومين: «البيان»، و«التبيان».

قال تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران/ ١٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل/ ٨٩].

فالقرآن الكريم يتحدث في هاتين الآيتين عن مقامين مختلفين، فالأول هو مقام بيانيّ، والآخر هو مقام تبيانيّ، ونجد الفرق بين المقامين من خلال متعلقهما، فمتعلق الأول هو الناس، ومتعلق الثاني هو النبي الأكرم ﷺ، فأما ما يتعلق بالناس فإن القرآن الكريم يكون بياناً لهم، وهذا ما يفيد أن القرآن الكريم فيه من المعارف التي تقبل أن تفهم من قبل هؤلاء الناس، وهي غير مختصة بطبقة دون أخرى.

ولكن.. هناك من المعارف ما لا تقبل أن تكون معروضة لجميع الناس، بل تحتاج إلى محل لتنزل عليه - وكما بيّنا - نجد أن هذا المحل لا بد من أن يكون مطابقاً لها سنخاً -، فاستخدم القرآن الكريم في الآية الأخرى مجموعة من الألفاظ ليدل من خلالها على مستوى ما يعرض من المعرفة في الموضوع، فاستخدم لفظ «التنزيل»، الذي يفيد معنى التجليّ الذي فيه نزول من عالم الإجمال إلى عالم التفصيل، ومثل هذا التجليّ والتنزّل ليس بالأمر الهين؛ لأنه يعني أنه يحمل في مضامين ما يتنزّل معارف جمّة جدّاً، وبلغة رمزية ومختزلة، وهذا بحدّ ذاته يحتاج إلى محلّ قادر على استيعاب مثل هذا الحجم الهائل من المعارف في خلال مدّة زمنية قصيرة جدّاً.

ولم يقتصر القرآن الكريم على استخدامه للفظ «التنزيل» الحاوي لهذه المعاني؛ بل أعقبه بجملة أخرى، ما أعطت للآية الكريمة بعداً جديداً من أبعاد التنزيل من جهة، ومن أبعاد الشخصية التي تنزل عليه تلك المعارف الوجودية، من جهة أخرى، قال تعالى: ﴿بَيِّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾، فان هذا القرآن الكريم ليس تبياناً لبعض الأشياء، بل هو تبيان لكل شيء، وتبيانته هذه ليست لعامة الناس، بل هي مختصة بمقام الخاتمية فقط، وهذا يكشف لنا الدور التبليغي الوجودي للنبي الخاتم ﷺ، الذي لا يقتصر فقط على إيصال الرسالة الى العباد كما يفعله ساعي البريد، بل إن دوره الوجودي يتطلب أن يكون دوره التبليغي متناسباً مع متطلبات وحجم ومستوى الرسالة الوجودية، وهذا هو ما تفسره الآيات الأخرى في القرآن الكريم من المهام التي قام بها النبي ﷺ في تبليغ الرسالة السماوية التي تجاوزت الفهم العرفي الإعتباري للتبليغ، لتوقفنا على المراد الحقيقي لمعنى التبليغ في عالم الحقائق، وإلا لورد هذا الإشكال في البين وهو أنه: لماذا التبيان لكل شيء، في حين أن التبليغ لا يتطلب سوى الإخبار ببعض ما يحقق معنى التبليغ، ويؤدي المهمة السماوية؟!، فعلى الفهم العرفي الإعتباري لمعنى التبليغ يرد مثل هذا التساؤل، ولكن إذا نظرنا إلى معنى التبليغ بالفهم القرآني الوجودي فحينها سنجد أن معنى التبليغ يتجاوز مجرد إيصال المعارف ليشمل بذلك الأخذ بيد المكلف بيد من ساق التكوين القاضية بتفعيل القوى الباطنية في الإنسان وتحويلها من حالة القوة إلى الفعلية بما أُوتيت من شرائط هذا التفعيل، ومثل هذا الفعل لا يتسنى إلا لمن وقف على الحقائق الوجودية وتحقق بها في كل مفرداتها، فحينها تؤتي الشجرة الطيبة أكلها كل حين، وذلك لما انتهت إليه المعارف الإلهية في منظومتها بأنها مترابطة الأجزاء فيما بينها، ولا يمكن خرم حلقاتها بالتحقق في بعضها دون الأخرى.

ف نجد القرآن الكريم ينقلنا نقلة نوعية في تعرضه للمقامين «البياني»، و«التبياني»، فإن الأول يكون لعامة الناس، وأما الآخر فمن مختصات مقام الخاتمية، ونجد القرآن الكريم يبين في آية أخرى المهمة التي على النبي ﷺ إنجازها بعد تلقيه لهذه المعارف اللامتناهية، فيقول الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا

نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَعَلَّمَهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿ [النحل / ٤٤]، وهذه المهمة الأخرى هي مقام «التبيين» لتلك المعارف العالية، ومن الطبيعي أن نجد الحكيم يخاطب الناس على قدر عقولهم، وهكذا كان حال النبي الخاتم ﷺ في خطابه للناس، ومن هنا نستطيع أن ندرك وصف بعض أرباب المعارف لشخصية الخاتم ﷺ بأنها ذات حيثيتين:

الحيثية الأولى: الجنبه الإلهية.

حيث يتلقى خلالها التنزيل المدمج المختزل بعالم الرمزية، وهذه الحيثية تتطلب أن تكون ذات النبي الخاتم ﷺ بمستوى تلقي مثل هذه المعارف وبهذه الكيفية وبذلك الكمية الهائلة في جميع أبعادها، وتعبير آخر.. أن تكون ذاته بمستوى وحجم الرسالة الكاملة كمالاً لقدمها من الكمال المطلق، وبمبدأ السنخية.. تكون شخصية الخاتم ﷺ وذاته كمالاً أيضاً، مع التوجه والإلتفات إلى أن كمال أي مخلوق هو من الله تعالى.

ملحوظة مكررة مهمة جداً..

ونؤكد هنا مرةً أخرى.. أن المقصود بالكمال للذات النبوية هو الكمال المستمد من البارئ سبحانه وتعالى، فإنه لا كمال مطلق بالذات إلا الله تعالى، وأما غير الله سبحانه وتعالى فكماله مستمد من كماله سبحانه وتعالى، ويستحيل الانفكاك عنه أبداً، لأن كل ما هو سوى الله تعالى نقص مطلق.

تحقق شخصية خليفة الله تعالى (الرسول والنبي) بأسماء الله وصفاته:

ينبغي أن يكون هذا الشخص بمستوى عالٍ من المعرفة للخالق، فيكون عارفاً بأسمائه، وعارفاً بصفاته، واقفاً على أدق الدقائق من أفعاله.

وينبغي ألا تقتصر هذه المعرفة على مجرد حضور المفاهيم في ذهنه، بل لابد وأن تكون بمستوى حضور تجلياته سبحانه وتعالى، وأن يكون بمستوى مشاهدة عظمته، كي ينقل عنها نقل الشاعر بها، المنذك في حقائقها، من قبيل من يضع يده في النار، فيدرك حرارتها إدراك العيان، لا مجرد إدراك المفاهيم، فكم هو فرق بين معرفة مفهوم النار ولازمها، وبين معرفة ذات النار ولازمها.

وعليه أن يكون غير متوانٍ أبداً في تحقيق إرادة الخالق، ولا يتردد في تنفيذ أوامره، وهذا الأمر فرع الكون بمستوى عالٍ من الفهم الدقيق لأوامره سبحانه وتعالى، وألا يغيب عنه أيُّ إيرادٍ من إیرادات الوحي الإلهي، مستوعباً لكل مفرداته، مستذكراً لمفاهيمه، واعياً لمراد الخالق بكل ما لهذه الكلمة من معنى.

ويُشترطُ أن يستطيع هذا الشخص التعاطي مع مفردات السماء ومفاهيمها التي تصدر من الخالق عزَّ اسمه، والتي تصدر على شكل رموز تختزل وقت تلقيها من قبل هذا الشخص معارف لا يستطيع أضخم جهاز آلي استيعابها؛ وجمعها، وتكون هذه الرموز السماوية حاملة التشريع والتقنين للبشرية.

إنَّ عالم السماء ليس كالعوالم المادية، فمع نظرنا إلى عوالم المادة سنجد كل تعاملاتها وصورها وأشكالها وتجلياتها مادية؛ إلا أن عالم السماء يختلف عن هذه الصور والتعاملات والأشكال.. إذ هو عالم «التجرد»، وبما أن «عالم السماء» عالم «مجرد» فإن ما سيكون فيه سيأخذ حكمه، وهذا يعني أنه لا بدَّ من التعامل معه بمعاييره وموازينه لا من خلال معايير وموازين عالم المادة.

وقد قلنا: إنَّ لغة عالم السماء تحكمها أحكام «الرمز»، وأحكام «الإختزال»، والمسألة ليست مستحيلة الفهم، فكي نتعرف على هذه الحقيقة لنقرب المطلب بالأمثلة التي تُحيط بنا، ونعيشها في حياتنا..

### المثال التقريبي لذلك:

وإن أقرب شيء يمكن التشبيه به للغة هذا العالم المجرد هو:

البعد الإختزالي: وهو «الحلم والرؤية» حيث يشاهد فيه/ فيها المرء قصةً طويلةً جداً وبتفاصيل دقيقة، ولكنه عندما يستيقظ يجد نفسه لم يستغرق في نومه سوى دقيقتين!؛ مع أن القصة التي شاهدها في عالم نومه يمكن أن تستغرق ساعات!!.

البعد الرمزي: هو لغة «جهاز الحاسوب الآلي»، فإنه عندما يتعامل مع كل ما يدخل فيه من البيانات والمعلومات، ووقت تخزينها فيه؛ فإنه يتعامل معها بلغة «الأرقام»، مع أنه وقت كتابتها تكون الكتابة باللغة العربية أو الإنجليزية أو الألمانية،

أو الصينية، أو الروسية، أو الهندية، أو الفارسية، أو الإيطالية، أو الفرنسية... إلخ، ويفيد هذا التشبيه أيضاً في التقريب لمعنى الإختزال، فتأمل.

### عالم العقل:

ويمكن أن نشبه البعدين «الإختزالي» و«الرمزي» بما هو موجود في عقولنا من معارف وعلوم، فتأمل هذا أيضاً، فإن ما هو موجود في الذهن، هل هو هو، أم أنه ليس هو؟!.

### والجواب:

لابد من النظر إلى الأمر بلحاظين وهما:

١- بلحاظ الظهور: إن ما ظهر في الحيز الإجتماعي هو نفس ما هو في الذهن من أفكار ومفردات، فهذا حاكٍ عن حقيقة ما في الذهن.

٢- وبلحاظ اللغة: فهما مختلفان، فما هو موجود في الذهن وجوده ذهني مجرد، ومحكومٌ بأحكامه، والذي هو موجودٌ في الخارج وجوده «تجلٍ» لعالم العقل المجرد، وهذا التجلي والظهور محكومٌ بلحاظ العالم الذي ظهرت فيه تلك المعارف الموجودة في عالم الذهن والفكر.

فإذا كان الأمر كذلك، فلا بُدَّ من أن يتمتع هذا المنفذ المتصل بالسماء بمؤهلات التواصل بعالم السماء المجرد غير المادي، وهذا يعني أن يكون فيه معرفة البعدين: «الإختزالي» و«الرمزي»، فيتمكن من فهم اللغة السماوية ومن فكِّ تشفيرها، وبسرعةٍ متناهيةٍ، وبقدرةٍ عاليةٍ جداً، وبأمانةٍ، و«نزاهةٍ».

### التشريع السماوي رمزيٌ مختزلٌ وقت تجليه على قلب الرسول:

ومن الأمور التي تصدر من جهة السماء هو: التشريع والقانون، وهذا التشريع والقانون وقت تجليه من «الله» تعالى يكون بلغةٍ مجردةٍ، وتجري عليه أحكام «الإختزال» و«الرمزية»، وهي لغة عوالم السماء، وإنَّ هذا التشريع والقانون السماوي لا بدَّ من أن يوجد في صياغةٍ تلائم طبيعة عالمها الذي صدرته منه، وهو

ليس عالم الحروف الأبجدية، أو أيّ حرف من حروف اللغة الأرضية، بل كما بيّنا إن ما يصدر من جهة السماء يكون على شكل رموز عالية المضامين، ومختزلة أيّما اختزال، فلا بد هنا أن يكون هذا المتلقي لإرشادات السماء، - حيث أن من أهم وظائفه حملها وتبليغها إلى أهل الأرض - على:

١ - مستوى عالٍ من القدرة على التلقي.

٢ - مستوى عالٍ من الفهم لرموز الرسالة.

٣ - وعلى مستوى عالٍ من ترجمتها إلى اللغة الأرضية المناسبة وبدقة متناهية.

وهذه تعد من أهم العناصر التي يحتاجها الرسول في تلقي «الوحي»، إذ كما نعلم جيداً أن آلية التطبيق أول ما تعتمد عليه هو فهم القانون والتشريع فهماً صحيحاً، كما هو عليه روح القانون الصادر من السماء، وإلا وقع الإنسان في المحذور، ويبقى القانون والتشريع على رفوفه النظرية دون القدرة على التطبيق، لانعدام من يفهمه ويقوم بتطبيق مواده كما ينبغي، - وسيأتينا الكلام عن هذه المسألة بعد قليل إن شاء الله تعالى -.

الحيشة الثانية: الجنبه البشريّة في السمات.

ولمعرفة هذه الجنبه ينبغي أن نقدم مقدمتين مهمتين:

المقدمة الأولى: أنّ الإنسان في حياته الفرديّة والإجتماعيّة يبحث عن القدوة، وعن مثال كي يقتدي به، ويمشي حذوه، - وقد ذكرنا قبل قليل السنخية والتجانس بين الرسول والمُرسل إليه - فلكي يتمكن هذا الإنسان من الإقتداء والتأسي بالمقابل؛ فلا بد من أن يكون هذا الرسول من نفس سنخ طينته، ومن نفس سنخ طبيعته النفسية والفكرية والسلوكية، لأن المُرسل إليه سيشعر بأنّ ما يعاينه في عالم المادة من معاناة سيدركها هذا الرسول، وسيشعر نفس شعوره، فلن يجد حرجاً من الإقتناع بكلامه، ولا ضيراً في أتباعه، بعكس ما لو كان موجوداً مختلفاً عن البشر في بشريّتهم، فلو كان كذلك لما استطاع هذا الرسول أن يقنع المُرسل إليه بما يحمله من مفاهيم ومبادئ وقيم إلى هذه البشريّة بأنها تصب في مصلحته، فإن



نفس الاختلاف الجنسي والنوعي سيشكل مانعاً من قبول قوله، وحاجزاً دون الأخذ بنصيحته، ودافعاً عن الاقتداء به.

المقدمة الثانية: أنَّ الجنبه البشريَّة عندما تحتكُّ بالمادة فإن هذا الاحتكاك يجعل الإنسان يغفل عمَّا تركَّب منه وجوده، فهو ليس مجرد مخلوق مادي، بل إنَّه أيضاً مخلوق قد ركب من «روح»، وهذه الروح تحتاج إلى تعامل مختلف عمَّا تُعامل به الجنبه المادية.

ودور الرسول الذي يكون من نفس الجنبه البشريَّة لهذا المخلوق هو إبراز ما عليه الإنسان - المرسل إليه - من العنصرين:

١- المادة.

٢- الروح.

وهذا يعني أن هذه الجنبه البشريَّة تحتاج إلى غذاءين:

أولاً: الغذاء المادي.

ثانياً: الغذاء المعنوي.

وكلاهما محتاجان إلى رعاية وعناية، ومع الغفلة عن أحدهما، أو ترجيح أحدهما على الآخر فسيؤدي إلى اختلال مسيرة الإنسان في تحقيق سعادته، وحضارته، وتكامله.

فإذا وجد الإنسان أحداً من بني نوعه يملك القدرة على تجاوز الإفراط، والتفريط، ويتمكن من الوصول إلى الصراط، ويقدر على الثبات، ويستطيع التعمق فيه إلى أقصى درجاته بلوغاً إلى رأس الهرم؛ فهذا يجعله يلتفت إلى طاقاته ذاته، ويكشف له ما عليه حقيقة أمره، ويوقفه على سر وجوده، ويبين له ما يختزن من سرِّ عالم الإمكان.

ويُطلَبُ في هذه الجنبه التبسيطُ لتلكم المعارف، والتمهيد لها، لأجل أن يستوعبها الناس، ويتلقَّوها بصدرٍ رحب، وتتضمن عملية التبسيط هذه كلاً من الجنبتين:

الجنبة الأولى: الجنبة العلمية، حيث يكون النبي ﷺ أعلم من في الوجود.

الجنبة الثانية: الجنبة العملية، حيث يقوم النبي ﷺ بتفعيل وتطبيق ما استلمه من المعارف على أرض الواقع، مخبراً للناس أجمع بإمكانية الإقتداء به، وبعدم استحالة المشي على خطاه، وكاشفاً في الوقت نفسه عن مستوى ما عليه الإنسان من قدرات في أعماق ذاته، وأنه يمكنه العروج بذاته إلى أقصى درجات التكامل، وبهذا يحقق الإنسان سعادته وحضارته.

ترجمة الرسول للغة الرمز المختزلة إلى لغة البشر:

وبتعبير آخر..

لقد بيّنا في الجنبة الأولى أن هذا الشخص لا بُدَّ أن يكون ذا أهلية للتعامل مع جميع مفردات السماء، وهنا نكمل الكلام؛ فنقول: إن هذه المعرفة التي يتلقاها هذا الشخص من السماء لا بد من أن تترجم إلى الساحة الأرضية، وأن تظهر بين الأفراد والمجتمعات، وأن تتجلى بلغتهم الأرضية، لذا لا بُدَّ لهذا الشخص ومن خلال بعده البشري أن يكون ذا أهلية لترجمة تلكم المفردات المجردة بحذافيرها، وبدقة متناهية إلى ساحة السلوك الفردي والاجتماعي، وهذه المهمة ليست مهمة سهلة.

أهمية شرطية الجنبة البشرية لرسول البشر:

وهنا لا بُدَّ من إنجاح هذه المهمة الصعبة، لذا كان من أهم ما أخذ شرطاً لإنجاحها هو الجنبة البشرية؛ والإتصاف بصفات البشرية، أي: أن يكون هذا الشخص من سنخ عالم المرسل إليهم، فلا بُدَّ وأن يكون هذا الشخص المنفَّذ للتشريع السماوي متصفاً بالصفات التي لها المدخلية في الوصول إلى هدف الخلق، وأن تكون هذه الصفات هي العنصر المشترك بينه وبين سائر البشر، وبهذا يخلق لدى كل الناس انطباعاً بإمكانية الإتصاف بالسماوات الكمالية التي يتصف بها هذا المنفَّذ للتشريع السماوي، وبهذا البعد البشري الذي يكون فيه هذا الشخص وبهذه الجنبة البشرية التي يتصف بها، فإن الخالق يضعه في مقام:

١ - القدوة والإقتداء.

٢ - الكشف عن إمكانية الإتصاف بالخلق الرفيع، والتحقق بالأسماء الإلهية لسائر العباد.

- ويتفرّع عن هذا الكشف.. كشفٌ جديدٌ وهو: وجود مؤهلاتٍ لدى الإنسان للبلوغ إلى أقصى درجات الكمال - كما تقدّم ذكره - .

وهذا يُعدُّ من أهمّ عناصر النجاح في الوصول إلى السعادة المطلقة، وإلى الكمال المطلق.

فهم طبيعة الوحي وسرّه:

وهنا يرد هذان التساؤلان المهمّان:

١ - هل ينبغي أن نتعرف على الطبيعة الرمزية الإختزالية التي عليها لغة السماء أم لا؟! .

٢ - هل يؤثر هذا في طبيعة تنفيذ التشريع السماوي وتطبيقه في الساحة الإجتماعية أم لا؟! .

الجواب:

ليس بالضرورة أن نفهم هذه الطبيعة لنتمكن من تطبيق رغبات السماء، وتنفيذ إرادة «الله» تعالى، نعم.. من حق البشر مطالبة الرسول بإثبات صدق انتمائه إلى «الله» تعالى، وأنه خليفته سبحانه بالآتي:

١ - إقامة البرهان العقلي لإثبات كلّ ما يدّعيه.

٢ - إقامة المعجزة الخارقة للعادة.

**القانون التشريعي السماوي...**

إنّ الديانات السماوية التي توجّهت إلى الإنسان لإصلاح مسيرته الحضارية لم تكن تحمل في طياتها أحكاماً لا تنسجم مع الطبيعة الإنسانيّة ومتطلباتها الفطرية،

كما بيّننا آنفاً، بل كانت منسجمة معها تمام الإنسجام، ومتوافقة مع فطرتها توافق التوأم.

فالإنسان طالب للكمال، وهو غير قادر على الوصول إلى وسائله؛ وفي المقابل.. نجده منحرفاً عن طريقه، مجانِباً لصوابه، ومبتعداً عن صراطه، فكانت السماء هي المنقذ الوحيد القادر على تحديد الوسائل والطريق، وعلى تمييز الصواب والخطأ.

فبناءً عليه، إذا ما وجد الإنسان نفسه أمام مسألة من مسائل الدين السماوي؛ أو أمام حكم من أحكامه؛ أو قانون من قوانينه، أو تشريع من تشريعاته؛ ولم يستطيع أن يدرك مغزاه؛ أو فلسفته؛ فلا يعني خُلُو ذلك من الهدفية والغاية والحكمة، الأمر الذي يقودنا إلى أن نقول: إن صلاحية هذا الدين للتطبيق في المجتمع لا تحتاج إلى تكلفٍ وتدبرٍ أو عناءٍ، لأنه قد انتهى الإنسان في مرتبةٍ سابقةٍ إلى أن السماء:

١- لا تُقدِّمُ إلا ما هو صالحٌ للهدف الإنساني.

٢- وهي لا تعرف الانحياز.

٣- ويكفي أنها صادرة من الحكيم، وهو «الله» تبارك وتعالى.

إضافةً إلى علم الإنسان ومعرفته لنفسه ومستواه العلمي والفكري بأنه غير قادر - بنفسه وبما لديه من الأدوات والتقنيات المتطورة في زمانه، وفي مستقبله مهما طال عليه الزمن، ومهما بلغ من التطور ما بلغ كما تقدم هذا سابقاً - على الوقوف على احتياجات النشأتين بشكل تفصيلي، والسبب واضح، والعلة بديهية؛ وذلك لاختلاف طبيعة النشأتين، حيث أن إحداهما «مادية» والأخرى «مجردة»، ولكلٍ منهما ما يناسب من الأدوات والوسائل.

ومن هنا كان من أهم المرتكزات الأساسية التي اعتمدها السماء في إنجاح مسيرة التطبيق لأحكامها في الأرض أن أخذت عنصر «التسليم»، الذي يأتي بعد عنصر «القناعة» بصحة هذه العقيدة، حيث لا تتم هذه القناعة إلا بعد «الأدلة

العقلية» المتينة، بحيث لا تقبل أي خدش أو تزلزل، وهذا بدوره يُنتج «الإيمان»، مع العلم.. إن الإنسان كلما ازدادت معرفته كلما وجد برهاناً على إيمانه، وهذا يؤدي به إلى قوة اليقين.

هذا مع العلم بأنه ما من مسألة حكمية تشريعية تقنية إلا تقع تحت مظلة عقديّة؛ وهي بدورها لا تكون إلا من مدركات العقل التي مرجعها الأحكام البديهية الأولية، وإثبات هذه الحقيقة ليس بالأمر الصعب، إلا أنه ليس هنا محله، ويمكن مشاهدته في الدستور الإسلامي؛ وفي نصوصه الشريفة في القرآن والسنة.

اللسان الإعتباري كاشفٌ عن تلکم الحقائق:

(لقد تقدم الكلام في هذا المضمون تحت عنوان «كاشفة الأحكام التشريعية»، إلا أننا نقف هنا بلحاظ آخر، فلتتميم الفائدة يرجع ما قلناه سابقاً).

فكان لا بُدَّ من أن تبينَ تلکم الحقائق الغيبية، وتوضح للإنسان، فكان توضيحها وتبينها عبر عالم حروف لغوية، التي جاءت في صياغة رسالية، وقد حملت هذه الصياغة الكتب السماوية الأربعة المعروفة، وهي: «التوراة»، «الإنجيل»، «الزبور»، «القرآن».

وكان الكتاب السماوي الأخير وهو «القرآن الكريم» من أهم هذه الكتب الأربعة، لأنه جاء خاتماً لكل الرسائل والكتب السماوية، فوضع الله سبحانه وتعالى فيه كل ما تحتاجه البشرية من المعارف لتحقيق سعادتها وحضارتها إلى يوم القيامة.

وهذا الكتاب الإلهي العظيم قد حمل في طياته مسؤولياتٍ عظيمةً من أهمها:

- ١- تبين حقائق تلکم العوالم الغيبية، وما فيها من الأسرار.
- ٢- كيفية التوفيق في تحقيق المتطلبات بين النشأتين الدنيوية والأخروية، وبشكل متوازن.

٣- تبين الأحكام التشريعية بصياغة تحفظ حق عالم التكوين، ولا تغفل عن حق القانون التكويني، في عين حفظ الحق التشريعي للكائنات، التي منها الإنسان.

- ٤ - كيفية وجود العلاقة بين النشاطين .  
 ٥ - كيفية وجود العلاقة بين القانونين .  
 - ما هي السبل الإيجابية لتحقيق السعادة والحضارة .  
 - ما هي السبل السلبية لاجتناب التعاسة والشقاء .

### العقل وعالم التشريع السماوي :

إن العقل عندما انتهى إلى ضرورة وجود «الخالق»، وأدرك أيضاً ضرورة وجود تواصل بينه وبينه خالقه، وأدرك أن هذا التواصل لا يتم إلا من خلال تشريعاتٍ ونصوصٍ اعتباريةٍ، وأنها دلالاتٌ على الحقائق الوجودية، فإنه أدرك أيضاً أن هذا التواصل لأبد من أن يتم بطريقةٍ تمكن الإنسان من اتباع تعاليم «الخالق» لما يشاهد فيها من إمكانية التطبيق، وهذا لا يمكن أن يتم إلا من خلال ما يجعل الإنسان يعتقد ويقتنع بأن هذا العمل ممكن التحقق في العالم الخارجي، وأن هذا التشريع يجد لنفسه مكاناً في عالم السلوك الفردي والاجتماعي، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال شخص يضعه الله سبحانه وتعالى وأن يكون مختاراً من المجموعة البشرية .  
 نعم، ولكن يبقى الإنسان متسائلاً عن كيفية تواصل هذا الشخص مع «الخالق»، وكيف يمكن :

١ - إثبات الارتباط ..

٢ - ونفي المدّعين، والوثوق بمدعى هذا الشخص !!! .

فالأمر ليس سهلاً، لأن لوازمه تلزم الإنسان بالإنقياد لهذا الشخص، وثماره تدعوه إلى أتباعه خطوةً بخطوة، ونتائجه تفرض عليه عدم الرفض لتعاليمه، فهذا يعني أن يكون العبد حينها مُسَلِّماً لأوامره، مطيعاً له في جميع مفردات الحياة، لأنه لا ينطق عن هواه، بل ينطق عن الله تعالى، ويخبر عن إرادة رب العالمين، ويبيّن المصالح الحقيقية للفرد والمجتمع، ويحذر من المفاصد الحقيقية للفرد والمجتمع .  
 فهذا ما سوف نتعرف عليه في محله لاحقاً إن شاء الله تعالى .

## محصلة البحث..

تبيّن من القرآن الكريم أنّ تدخل السماء لحلّ المشكلة الإنسانية قد كان على أسس ومعايير ثابتة ومهمّة، وهذه الأسس والمعايير هي التي تمنح الإنسان السعادة المطلقة، وتحقق له حضارته التي يسعى إليها منذ أول يوم من وجوده على هذه البسيطة.

فنظراً إلى المؤهلات الذاتية - مع المسامحة في التعبير - في جانب «الحق المطلق» الذي هو «الكمال المطلق» لاستحقاق التدخل في حياة الإنسان لتنظيم حياته، ورفعته وتنميته إلى كماله اللائق به، وإيصاله إليه بنحو عادل، وأن هذه المؤهلات لا يملكها أحدٌ غيره؛ ليوجب - هذا النظر، ويؤدي إلى - هذه الحقيقة وهي: أن جميع تعليمات هذا «الحق المطلق» و«الكمال المطلق» وإرشاداته تكون منسجمة مع رغبة الفرد والمجتمع، وتعالج مشكلته العويصة، وترفع حالة التزاحم التي يواجهها في العالم المحدود بحدود المادة وأطرها، وهذا ما يجعل البشرية تطمئن إلى جميع ما يراد من السماء ومن الحق المطلق مطلقاً.





## إلى تحقيق العدالة الإجتماعية

صفات المنفذ للتشريع الإلهي في الحياة:

إنَّ من إحدى أهمّ الإشكالات المأخوذة على القانون الوضعي - بعد المعرفة - هي عدم القدرة على استخدام هذا القانون في الحيزّ الإجتماعي، وعدم القدرة على توظيفه في حياة الإنسان - الفرد والمجتمع - بما يحفظ وجوده، وبما يضمن له أمانه، وبما يُقوِّمُ به حياته، وبما يُؤمِّنُ له احتياجاته.

القانون وإشكالية الفهم والتطبيق:

فهبَّ أن الإنسان استطاع الوصول إلى مستوى من مستويات المعرفة؛ فوضع قانوناً عادلاً شاملاً - وفرض المحال غير محال -؛ ولكن الخطوة التي ستلي صياغة هذا القانون هي خطوة الإستخدام والتوظيف لهذا القانون في المجتمع، فمن يضمن:

١ - للإنسان أن يكون هذا القانون مستخدماً وموظفاً في جميع بنوده وأحكامه بنحو عادلاً؟!،.

٢ - ومن يضمن الحصول على شخص يحمل المؤهلات التي تتطلبها الأفراد والجماعات ليقوم بتحرير القانون فيها، وباستخدامه وتطبيقه عليها؟!.

فإنَّ هذا الاستخدام والتوظيف للقانون يعني وجود فردٍ أو أفرادٍ يقومون بتفعيله وإعماله في المجتمع وبنحو عادل، فهل يمكن الحصول على مثل هذا الفرد أو الأفراد أم لا؟!.

ومن هنا يتوجّه الذهن إلى أهم ما يوجد في تسلسل الإستخدام والتوظيف؛ حيث يبدأ بإيجاد القانون والتشريع الصالح؛ وينتهي بنزوله في الحيز الإجتماعي، فإن بينهما هذا الأهم الذي أشرنا إليه، وهو: «فهم» بنود هذا القانون، و«معرفة» مراد المشرع من تشريعاته، و«إدراك» الأهداف التي وراء هذا التقنين والتشريع، فنلاحظ هنا أننا لا نتحدث عن المصدر للقانون؛ إذ نفترض فيه أنه وضع القانون والتشريع بشكل صحيح، وإنما كلامنا عن من سيقوم بحمل مسؤولية تنفيذ هذا القانون، ومن سيفعله في المجتمع الإنساني؟!!!.

فإلى معرفة هذين المحورين المشار إليهما، وهما:

المحور الأول: فهم القانون كما ينبغي.

المحور الثاني: تطبيق القانون كما ينبغي.

الإشكالية المحورية الأولى: فهم القانون والتشريع !.

فمن أهم الإشكالات التي تواجهها الأمم والشعوب في قوانينها الوضعية المحلية، بل والإقليمية، والدولية أيضاً هو «إشكالية قراءة القانون» - هذا مع غضّ النظر عن إشكالية وضع القانون وصناعته -، حيث تتعدّد حول بنوده ونصوصه الأفهام، مع أنها موضوعة من قبل البشر!!، فهنا من حقّ التساؤلات أن تفرض وجودها وبقوة، فمن أهمّ هذه التساؤلات التي تفرض نفسها هي:

١ - من يضمن القراءة الصحيحة لنصوص القانون؟!.

٢ - من يكون من القراءِ قراءتهُ صحيحةً حسب ما ينصه القانون وبنوده؟!،

ولماذا؟!.

فإذا تعدّدت الأفهام؛ نتجت لوازمٌ من شأنها عدم استقرار حياة الفرد والمجتمع.. فحينها تضيق الحقوق، وتبدّد الأحلام، ويتسلّط أصحاب السلطة على من دونهم، وتنتهك الأعراس، وتسفك الدماء، وتنهب الأموال، وفي المقابل لا يزال القراءُ للقانون يحاولون حلّ لغزه، وتفكيك أحجيتِه!!، فتعيش البشريّة حينها في دوامة من الحيرة.

١ - فهل حقاً هناك صعوبةٌ في قراءة النص؟!.

٢ - أم أنّ هناك تعمد في استصعاب الأمر، فإذا الأمر كان كذلك فما هو السبب وراءه؟!.

فهل ذلك لأجل أن يأخذ الظالم راحته في الفتك والجور والنهب!!، إذ حتى إذا نال رغبته من الظلم؛ وشبعت شهيته من الجور؛ أرسل رسالةً أُذُنِ فأرةٍ تُعَلِّمُ القائمين على فكِّ أحجية القانون: أن الأوان لحلِّ اللغز، فقد امتلأ المخزون، وتحقق الهدف؟!.

أم لجعل الشعوب محتاجةً دائماً وأبداً إلى عقلٍ واحدٍ فقط ليقرّر وحده ويحكم؟!.

إنّ مثل هذه الأسئلة ستظل قائمةً، ولن تزول؛ ما دام الواضع للقانون متهماً بالإنحياز، ومتهماً بعدم الموضوعية، ومتهماً بعدم الإنصاف، إذ لعله عندما يستخدم «حق الفيتو» يكون في موقع الإنحياز، لا في موقع عدمه، وهذا يعني ضياع حقّ من حقوق الأفراد والمجتمعات، وحينها يعاني هؤلاء من الظلم، والتعسف، وعدم الموضوعية، وعدم العدالة.

وكل ما ذكرناه الآن يؤدي إلى زلزلة أركان «العدالة الاجتماعية».

**الإشكالية المحورية الثانية: تنفيذ القانون والتشريع وتطبيقهما.**

ونحنُ نعلم: أنّ التطبيق والتنفيذ فرع الفهم والمعرفة والإدراك والاستيعاب، والنتيجة تتبع أحسن المقدمات، فكيف سيكون حال المجتمعات وحال المنفّذ للتشريع والقانون هو جهل بمراد هذا التشريع والقانون، وحاله هو عدم القدرة على فهم نفس القانون والتشريع؟! ولبداهة هذا المطلب لا نتوقف عنده أكثر من هذا المقدار.

**القانون والتشريع الإلهي واختيار المنفّذ والمطبق**

إننا إذا ضمّمنا «عصمة القانون» وأنه لا يتضمن أيّ خطأ في بنوده وأحكامه؛ نسبةً إلى جهة صدوره وهي السماء أي: أن يكون القانون صادراً من «المعصوم» من

الخطأ مطلقاً، وقد بيّنا أنه ليس إلا «اللّه» تبارك وتعالى، أي: «الخالق» لهذا الكون والوجود؛ ولكن.. هل تنتهي المرحلة إلى هنا؟!؛ كلاً، بل سيظلّ التساؤل قائماً وهو:

١- هل نحتاج في حال تفعيل هذا القانون على وجه الأرض؛ وفي حال تطبيقه أو تنفيذه إلى شخصٍ معصومٍ ومنزّهٍ، أم لا؟!..

٢- أم يكفي في هذا الشخص أن يطبق الحكم وكفى، وليس بالضرورة أن يكون معصوماً أو منزهاً؟!..

شخصية الرسول هل هي معصومة عصمةً مطلقةً أم نسبيةً أم غير معصومة؟!..  
إن هذا القانون والتشريع الإلهي - وكما بيّنا - يحتاج إلى شخصٍ يملك القدرة على:

١- فهم نصوصه.

٢- تنفيذ النصّ على أكمل وجه، وتطبيق إرادة خالقه على الأرض كما يريد هذا الخالق.

ولكن السؤال المهم الذي يرد في البين هو:

هل نحتاج في كلّ هذه المراحل المذكورة أن يكون هذا الشخص «معصوماً» أم لا؟!..

إننا قد بيّنا سابقاً وباختصار أن شخصية الرسول لا بُدَّ أن تتمتع بـ«النزاهة» في المراتب الثلاث الأساسية، وهي على النحو الآتي:

المرتبة الأولى: تلقي القانون الإلهي من مصدره ومن مشرعه وهو «اللّه» تبارك وتعالى.

وفي هذه المرحلة لا بُدَّ وأن يكون المتلقّي نزيهاً عن الخطأ، فلا يخطئ في التمييز بين المصدر الإلهي وبين المصدر الأرضي، ولا يشتبه بينهما أبداً، وهذا ما نسّميه بـ«العصمة والنزاهة على مستوى تلقي القانون الإلهي وتشريعه».

المرتبة الثانية: إستيعاب القانون الإلهي وتشريعه وفهمه بالكيفية التي صدرت من الخالق.

وقد تقدّم الكلام حول هذا لموضوع سابقاً فليراجع، وهذا ما نسمّيه بـ «العصمة والنزاهة على مستوى فهم الوحي واستيعابه».

المرتبة الثالثة: تفعيل القانون والتشريع، وتطبيق ما ورد إلى هذا الرسول من الأحكام والإرشادات والتعليمات من الأوامر والنواهي.

ففي هذه المرحلة لا بُدَّ وأن يكون هذا المتلقّي في المستوى الدقيق والصحيح في تطبيق الحكم ومفاهيمه بالشكل الذي وردت إليه هذه الأحكام الإلهية؛ والقوانين السماوية؛ والتشريعات الربانية؛ من قبل وحيه، وهذا ما نسميه بـ «العصمة والنزاهة على مستوى التطبيق والتنفيذ».

وهنا ترد هذه التساؤلات..

١- من يستطيع التعرّف على هذا المتلقّي المعصوم؟!!!

٢- هل نحن معاشر البشر نستطيع تمييزه من ملايين البشر أم لا؟!!!

٣- هل يملك الإنسان القدرة على تشخيص الجهة المعصومة أم لا؟!!!

وإذا استطاع التشخيص:

- فهل له أن يضمن أن تشخيصه صائب أم لا؟!!!

وهذا يعني أن يقع الإنسان في مشكلة الدور، وبهذا يُضَيِّع على نفسه الطريق.

الجواب:

إنَّ «فاقد الشيء لا يعطيه»، فلا يمكن للبشر أن يعرفوا من هو الشخص الذي اختارته السماء ليكون الناطق الرسمي لها على وجه الأرض، ليكون هو «خليفة الله» على عبادته، ومن هنا يتوجّه البحث عنه بعد ثبوت ضرورة وجود مثل هذا الإنسان على وجه الأرض.

- فمن يستطيع أن يخبر العباد عن الشخص المعصوم المنزه عن الخطأ؟!!

ولنختصر طريق الكلام، فنقول:

إنَّ الذي حدّد القانون المعصوم هو القادر على تحديد الموظف المعصوم، بل ونستطيع أن نقول بأنَّ العصمة لا تختص بـ «البعد التنفيذي للقانون السماوي» فقط، بل هي تشمل أيضاً:

- «بُعدَ التلقي للقانون» من جهة؛

- و«بُعدَ الفهم والإستيعاب» للنصّ الإلهي؛ من جهة أُخرى؛

- و«بُعدَ التطبيق والتنفيذ» للنص الإلهي كما نزل من السماء من جهة ثالثة.

ويندرج في هذا البعد موضوع «القدوة» والأسوة.

فأمّا البعد الأول.. فلضمان وصول حكم السماء عن طريق الوحي إلى حامل الرسالة والملتقى له بشكل سليم؛ والمحافظة على جميع خصوصياته حين صدوره من الجهة العليا؛ وهي جهة صانع القرار وهو المولى سبحانه وتعالى.

وأما البعد الثاني.. فلضمان الحفظ للمتلقى كما ورد من الله تعالى، أي:

إيصال ما تلقاه الحامل للرسالة إلى الناس كما صدر الحكم من الله عزّ وجلّ؛ من دون أيّ خلل في أدقّ تفاصيله.

وأما البعد الثالث.. فلتمكن الحكم الإلهي في الأرض، وللتأكيد على كون القانون السماوي قابلاً للتطبيق على أرض الواقع العملي والساحة العالمية، ولاطمئنان الناس إلى كون المبلّغ عن الله عزّ وجلّ، والناطق باسمه شخصاً لا مجال لاختلال توازن حديثه؛ كأن يصدّق تارة؛ وأخرى يكذب، أو لاختلال توازن نفسيته كأن يكون في صحة جيدة تارة؛ وأخرى تعاني من اضطرابات وعدم استقرار، أو لاختلال توازن فكره؛ فتارة يُصيب وأخرى يُخطئ، أو لاختلال توازن عقيدته؛ فتارة يقول بالتوحيد وأخرى يرى مصداقية الأصنام والوثن.

فإنَّ عدم انتظام أية عقدة من عقَد السلوك لِيُؤثّر وبشكل تلقائي في نفس المقابل،

ويشكل له نسبة من الامتناع عن التسليم بأقواله وسلوكه، إلا بعد فحصها، والتأكد من خلوها من آية شائبة؛ أو تعارض مع القانون المعصوم.

وهنا سيرد إشكال مهم جداً وهو: من يستطيع أن يكتشف أن حامل الرسالة قد أخبر بما لا تريده السماء؟!!

وبهذه الطريقة سنقع في إشكالية الدور..

فلا بُد إذن.. من تحديد معالم عصمة الحامل للرسالة وحدودها؛ ولا يمكن لأحد أن يقوم بهذه الوظيفة العظمى إلا الباري عز وجل؛ المصدر للقانون المعصوم، الذي يسوق البشرية إلى كمالها، وإلى تحقيق حضارتها.

وبالرجوع إلى الدستور السماوي سنجد أن السماء قد أخبرت أن حامل رسالتها «منزه مطلق»، وبتعبير الكلاميين «معصوم» من كل جهة من الجهات السلبية التي يمكن أن تؤثر في تأسيس الحياة الحضارية، بل وقد أكدت أن لها الحق المطلق لمنح حامل الرسالة حق التشريع كما ثبت ذلك في حق النبي الخاتم ﷺ، وما هذا المنح سوى دليل على كون حامل الرسالة شخصاً «معصوماً».

بل ولها الحق في أن تمنحه حق التصرف في المملكة الإلهية، وهذا يعني أن توسع من دائرة التصرف الاعتيادي العام الذي مُنحته البشرية؛ بأمر وإذن إلهي تكويني.

ولكن يبقى الكلام في أن هذه المنحة الإلهية هل هي اعتبارية بحيث لم يأخذ الله عز وجل في عطائه أي شرط أو قيد أم أنها قد أخذت فيها شروط وقيود وضعت من قبله سبحانه؟!!

فبحسب ما في الدستور السماوي الحضاري الخالد نجد أن الله عز وجل قد وضع شروطاً وقيوداً لإعطاء تلك المنح الإلهية، وهذا مجرد إشارة، وتفصيله خارج عن دائرة هذه الرسالة الفطرية.

فتحصل أن السماء قد أرسلت إلى الناس رسلاً؛ لتحقيق العدالة الاجتماعية فيهم؛ ولتحقيق الحضارة لهم؛ وأن هؤلاء الرسل يحملون رسالة سماوية، وأنهم

على مستوى عالٍ من الفهم والاستيعاب لمضامينها، ودلائلها، ومراد الله تعالى منها، وبهذا ضَمِنًا أَنَّ الجهة المعصومة قد عَيَّنَت أشخاصاً معصومين، يستطيعون إدارة دَقَّة الحياة كما تريدها السماء، وهي لا تريدُ سوى سَوِّقِ الإنسانِ إلى هدْفِهِ الفطريِّ المنشود.

وبما أَنَّ الرسولَ والرسالةَ قد عُيِّنَا من قِبَلِ الله تعالى فَإِنَّ أَوَّلَ ما يتبادر إلى الذهن في صفاتهما هو أن يكونا ناطقين رسميين عنه سبحانه وتعالى، ويُمَثِّلَاهُ تمثيلاً غير اعتيادي.

فهذا التمثيل هو الذي أَهَلَ هؤلاء الرسل ليكونوا في موقع إداريٍّ رفيع، لا أحدٌ يستطيع منازعتهم فيه، لعدم صلاحية أحدٍ غيرهم لإدارة حياةٍ فيها مثل تلكم المتطلِّبات المركبة؛ متقدِّمة الذكر.

### إِتِّحَادُ التَّشْرِيعِ وَالْمَنْظَرِ:

إِنَّ الإنسانَ - وكما تَقَرَّرَ - غيرُ قادرٍ على معرفة الاحتياجات الأخروية، أو معرفة ما يؤثر في عالم التكوين الدنيوي والأخروي، وعالمُ بَانَ اللهُ عزَّ وجلَّ هو الوحيد العارف بأسرار الوجود.

فإنه إذا ورد إليه حكم من السماء يحمل إليه «أمرًا»، أو «نهياً» يطلب الالتزام به؛ فإنَّه بحسب المقدمات المذكورة ينبغي أن يؤخذ ما صدر من «الخالق» جَلَّ جلالُهُ بجَدِّيَّة تامَّة، حيث ينبغي أن يُنْفَذَ الأمرُ الإلهيُّ من دون أيِّ تردد، إذا كان الإنسانُ يرغبُ حقًّا في تحقيق الحضارة الإنسانية.

ولا يمكن التشكيك فيما يصدر منه سبحانه وتعالى، إذ أَنَّ السماء تُصدرُ قانوناً أو تشريعاً ليس فيه سوى ما يحقق حلم الإنسان وسعادته، فالله سبحانه وتعالى حكيم لا يتصرف إلا بحكمة، ولا يضع الأشياء في مواضعها إلا بحكمة، وتَحَصَّلَ بذلك أيضاً أَنَّ الأحكام الإلهية فطرية، وتنسجم مع متطلِّبات الفطرة.

وهو سبحانه وتعالى القادر على ضبط المسائل كُلِّها من دون أن يوجد هناك أيُّ خلل في الدستور؛ لا في مرحلة التشريع وصياغة القرار؛ ولا في مرحلة النشر



والتبليغ؛ ولا في مرحلة تطبيق الأحكام؛ وتنفيذ القوانين السماوية، وإذا ما حصل أيُّ انحراف من أيِّ إنسان؛ مهما كان نوعه؛ وجنسه؛ فإنه غير مستثنى من قانون «الله» عزَّ وجلَّ؛ وحقمه؛ وتشريعه؛ وهذا يضمن للإنسان تحقيق العدالة الاجتماعية؛ بما تحمله الكلمة من معنى.

والله سبحانه وتعالى غنيٌّ عن عباده في كلِّ الجهات والوجوه؛ لأنَّه الكامل فهو غير محتاج إلى أحد حتى يتصنَّع له ويحايبه أو يجامله وهذا يطمئنُّ الإنسان بالنسبة إلى تحقيق العدالة في الحقوق؛ والمعاملات، وهو سبحانه وتعالى محيط بكلِّ شيء؛ فلا يعزب عن علمه شيء، وهذا يعني أنَّ القانون الذي يوضع من قبله قد أخذ في صياغته كلَّ ملاساتِ البشريَّة، وجميعِ احتياجاتها؛ ومتطلَّباتها؛ من دون إهمال شيء، أو ترجيح شيء على شيء من دون مرجح.

فإذا صدر حكم من قبله سبحانه وتعالى؛ فإنَّ المتيقن أنَّ الحكم قد:

١ - حقق الرغبة الفرديَّة في التكامل؛ بلحاظ حبِّ الإنسان لنفسه.

وهذا يحلُّ إشكاليَّة الدافع الذاتي؛ ورغبة الإنسان في توفير احتياجاته الشخصية؛ انطلاقاً من حبه لذاته.

٢ - وازن بين متطلَّبات الإنسان المادية؛ والمتطلَّبات المعنوية، وهذا يدفع إشكاليَّة أنَّ أطروحة السماء لا تهتمُّ بالجانب الماديِّ والمدنيِّ، بل ونقول: إضافةً إلى اهتمامها في الجانب المادي؛ فإنَّها توازن في متطلَّبات الإنسان الفطرية وحاجاته الذاتية، ومجرَّد استحصالِ المتطلَّباتِ الماديَّةِ غيرِ كافٍ؛ بل لا بُدَّ من ضميمة التوازن في ذلك.

٣ - وازن بين الحياة الفرديَّة والحياة الاجتماعية وهذا يعني أنَّه:

٤ - ضمن للإنسان العدالة الاجتماعية بكلِّ ما تحمله الكلمة من معنى.

٥ - ضمن العدالة الكونية في عين ضمان العدالة الطبيعية، وباقتران ضمان العدالة الاجتماعية.

٦ - ضَمِنَ لِلإِنسَانِ وَضَعِ الْعُقُوبَاتِ مَنَعًا لِلتَّعَدِّيِّ، أَوْ حَدًّا لِلتَّجَاوُزِ مَعَ لِحَاطِ...

٧ - ضَمَانِ الْآتِي:

أ - تَشْخِصِ الْمَصَادِيقَ لِكُلِّ مَا هُوَ قَبِيحٌ وَمَا هُوَ حَسَنٌ بِحَسَبِ الرُّؤْيَةِ الْحَضَارِيَّةِ الشَّامِلَةِ، لَا بِحَسَبِ الرُّؤْيَةِ الْمَادِيَّةِ الْمَحْدُودَةِ.

ب - تَشْخِصِ الْوَسَائِلَ الْمُنَاسِبَةَ لِكُلِّ جَرِيمَةٍ تَرْتَكِبُ مِنْ قَبْلِ الْإِنْسَانِ؛ صَغِيرَةً كَانَتْ الْجَرِيمَةُ أَوْ كَبِيرَةً؛ مِنْ دُونَ اسْتِثْنَاءِ أَيِّ نَحْوٍ مِنْ أَنْحَاءِ الْمَخَالَفَةِ؛ نَظْرًا إِلَى أَنْ كُلِّ عَمَلٍ سَلْبِيٍّ يُوْثِرُ فِي عَالَمِ التَّكْوِينِ، وَهَذَا يَعْنِي تَأْثِيرَهُ فِي الدُّنْيَا؛ وَكَذَا يُوْثِرُ فِي عَالَمِ الْآخِرَةِ.

ج - تَشْخِصِ طَرِيقَةَ اسْتِخْدَامِ الْوَسِيلَةِ لِتَحْقِيقِ الْعِقَابِ.

٨ - وَازِنِ بَيْنَ النِّشْأَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَتَمَتُّبَاتِهَا وَالنِّشْأَةِ الْآخِرَوِيَّةِ وَتَمَتُّبَاتِهَا.

وَالْفَرْقُ وَاضِحٌ بَيْنَ هَذِهِ النِّقْطَةِ وَبَيْنَ النِّقْطَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ حَيْثُ أَنَّ الْفِعْلَ قَدْ يَصْدُرُ مِنَ الْإِنْسَانِ حُبًّا فِي نَفْسِ الْخُلُقِ مِنْ دُونَ لِحَاطِ الْبَعْدِ الْآخِرَوِيِّ كَمَا هُوَ مَنْظُورٌ وَمَسْلُكِ الْفَلَسَفَةِ، وَأَمَّا هُنَا فِإِنَّ الْمَلْحُوظَ فِيهِ الْبَعْدَ الْآخِرَوِيِّ مَعَ شَرْطِ وَقِيدِ نِيَّةِ الْقُرْبَةِ.

٩ - ضَمِنَ لِلإِنْسَانِ تَحَرُّكَ عَالَمِ التَّكْوِينِ لِلْمَصْلَحَةِ الْعَالِيَا الَّتِي تَتَّحَدُّ بِمَصَالِحِ «التَّوْحِيدِ»، وَالَّتِي تَنْتَهِي إِلَى مَصْلَحَةِ الْإِنْسَانِ وَالْمَوْجُودَاتِ مَعًا، وَمَا لِهَذِهِ الْمَصْلَحَةِ مِنْ تَأْثِيرٍ عَلَى الْوُجُودِ؛ وَمَسِيرَةٍ قَافِلَتِهِ نَحْوَ هَدَفِهَا الْمَنْشُودِ.

وَلَا شَكَّ وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّ الْمَنْفِذَ لِهَذَا الْقَانُونِ مَتَّحِدٌ مَعَ رُوحِ الْقَانُونِ وَالتَّشْرِيعِ فَهَمَّا وَاسْتِعَابًا، وَقَادِرٌ عَلَى تَنْفِيزِهِ بِالْكِفَايَةِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا.

## آية نجدة السماء للفطرة الإنسانية

ويُهْمُنَا الْآنَ أَنْ نَقِفَ عِنْدَ كَيْفِيَةِ تَلْبِيَةِ السَّمَاءِ لِنَدَاءِ الْفِطْرَةِ، وَمَا هِيَ الطَّرِيقَةُ الَّتِي اعْتَمَدْتَهَا فِي التَّلْبِيَةِ.

إِنَّ السَّمَاءَ لَبَتَّ نَدَاءَ الْفِطْرَةِ بِمَنْهَجٍ وَاحِدٍ؛ إِلَّا أَنَّهُ مَنْقَسِمٌ إِلَى قَسْمَيْنِ:  
القسم الأول: المنهج اللفظي الكتبي.

وهو عبارة عن الرسالة السماوية، التي تحمل التشريع إلى الأرض، ليتبع الناس بنوده، ولوائحه، لكونه هو القانون المنظم لحركة المجتمعات والشعوب والأفراد في الأرض.

وقد كان هذا المنهج عبارةً عمَّا عُرِفَ بِـ «الكتب السماوية»، وهي:  
«التوراة»، و«الإنجيل»، و«الزبور»، و«القرآن».

فكانت الأحكام التي وردت فيها تحمل كل الإحتياجات البشرية، وتساهم في حل إشكالية التعارض بين المتطلبات الفطرية وبين محدودية الموارد المادية، كما تكشف حقائق العالمين والنشأتين، وكذا القانونين.

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَعَاتَيْنَاهُ الْجُبْنَ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت/ ٢٧].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [المؤمنون/ ٤٩].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت/ ٥١].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ [فاطر/ ٢٥].

وقال تعالى: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص/ ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ \* إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ [الزمر/ ١-٢].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ ۖ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ [الزمر/ ٤١].

### القسم الثاني: المنهج الوجودي المتجسد.

وهو عبارة عن المنفذ لذلك المشروع اللفظي الكتابي على الأرض، ودور هذا المنفذ لم يقتصر على مجرد التنفيذ؛ بل كان أيضاً يتضمن إبراز ذلك المشروع الكتابي إلى الخارج فعلاً، وذلك من خلال تجسيد تلك الأحكام في الواقع الخارجي، والسلوك العملي، إثباتاً للأمم والشعوب بالنسبة إلى إمكانية التحقيق، والتحقق - وقد تقدّم الكلام حول هذه المسألة سابقاً -.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ \* إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَكُن وَاقِرُونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر/ ٢٣-٢٤].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقُصِّصْ عَلَيْكَ ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [غافر/ ٧٨].

وقال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ \* وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [الزخرف/ ٦-٧].

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ \* قُلْ أُولُو حِجَّتِكُمْ بَاهِدِي مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [الزخرف/ ٢٣-٢٤].

وقال تعالى: ﴿ وَسئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً

يُعْبُدُونَ \* وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَذَرَاهُمْ وَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿الزخرف/ ٤٥-٤٦﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا \* لَتَتَّوَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَزَّوهُ وَتُقِرُّوهُ وَسُبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح/ ٨-٩].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرَسُولَهُ بِالْغَيْبِ إِنْ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ \* وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا التُّبَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ \* ثُمَّ فَضَّلْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُرْسِلْنَا وَفَقَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِنَةٌ أَتَدْعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ \* يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد/ ٢٥-٢٨].

وقال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/ ١٥١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء/ ٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا \* مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء/ ٧٩-٨٠].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوِّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ \* قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ \* قَالَ يَتَقَوِّمُوا لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ \* أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف/ ٥٩-٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّدُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظَنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ \* قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ \* أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿[الأعراف/ ٦٥-٦٨].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّدُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظَنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ \* قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ \* أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿[الأعراف/ ٦٥-٦٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَمْرِ رَبِّكَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف/ ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾ [الرعد/ ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِطَايِفَةٍ إِلَّا يَأْذِنَ اللَّهُ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد/ ٣٨].

وقال تعالى: ﴿عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١﴾ [إبراهيم/ ٤].

وتقدم الكلام حول الإحتياج إلى المنفَّذ والمطبَّق والمستوعب للقانون والتشريع الإلهي، وأنه لا بُدَّ من أن يكون على مستوى الرسالة فهماً وعلماً وعصمةً ونزاهةً، ونجد القرآن الكريم يؤكِّد على أن الإرسال لهؤلاء ليس من مختصات أحدٍ من الخلائق، بل هو يختصُّ بالله تعالى فقط، ولذا نجد القرآن الكريم لا ينسب إرسال الرسل والأنبياء إلا إليه سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران/ ١٧٩].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [النساء/ ٦٤].  
 وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [الرعد/ ٣٨].  
 وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا ﴾ [المؤمنون/ ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا \* وَرُسُلًا قَدْ فَصَّصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا \* رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء/ ١٦٣-١٦٥].

عدم خلق البشرية من رسول أو نبي:

ونظراً إلى أن الرسل والأنبياء وظيفتهم هداية العباد لتحقيق غايتهم، فإن القرآن الكريم أكد أن الأمم والشعوب لا تخلو من وجود هذه المجموعة الإلهية، فهي متواجدة فيها، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد/ ٧].  
 وقال تعالى: ﴿ يَتَأَهَّلُ الْكُذِّبُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة/ ١٩].  
 وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر/ ٢٤].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «بعث الله رسله بما خصهم به من وحيه، وجعلهم له على خلقه، لألا تجب الحجة لهم بترك الإعدار اليهم، فدعاهم بلسان الصدق إلى سبيل الحق...»<sup>(١)</sup>.

وعنه عليه السلام: «واضطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم لما بدّل أكثر خلقه عهد الله إليهم فجعلوا حقه واتخذوا الأنداد معه واجتالتهم الشياطين عن معرفته واقتطعتهم عن عبادته فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته ويحتجوا عليهم

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ١٤٤.

بالتَّبْلِيغِ وَيُثَبِّرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُثُولِ وَيُرْوَهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ مِنْ سَقْفِ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ وَأَجَالَ تُفْنِيهِمْ وَأَوْصَابَ تُهَرِّمُهُمْ وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُخَلِّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْفَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ رُسُلٌ لَا تُقْصَرُ بِهِمْ قَلَّةٌ عَدَدِهِمْ وَلَا كَثْرَةُ الْمُكْذِبِينَ لَهُمْ مِنْ سَابِقِ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ أَوْ غَابَرَ عَرَفَهُ مَنْ قَبْلَهُ عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ وَمَضَتِ الدُّهُورُ وَسَلَفَتِ الْأَبَاءُ وَخَلَفَتِ الْأَنْبَاءُ»<sup>(١)</sup>.

وعنه عليه السلام: «فَأَهْبَطُهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ لِيُعْمَرَ أَرْضُهُ بِنَسْلِهِ وَلِيُقِيمَ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ وَلَمْ يُخَلِّهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رَبُّوبِيَّتِهِ وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسِنِ الْخَيْرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَمُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ قَرْنَا فَقَرْنَا حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله»<sup>(٢)</sup>.

وعنه عليه السلام: «... كَلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ اللَّهِ خَلْفٌ حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله...»<sup>(٣)</sup>.

وقد جاء عن الامام الصادق عليه السلام: «إِنَّهُ لَمَّا أُثْبِتْنَا أَنْ لَنَا خَالِقًا صَانِعًا مُتَعَالِيًا عَنَّا وَعَنْ جَمِيعِ مَا خَلَقَ... ثُمَّ ثَبِتَ ذَلِكَ فِي كُلِّ دَهْرٍ وَزَمَانٍ مِمَّا أَتَتْ بِهِ الرِّسَالُ وَالْأَنْبِيَاءُ مِنَ الدَّلَائِلِ وَالْبَرَاهِينِ، لِكَيْ لَا تَخْلُوَ أَرْضُ اللَّهِ مِنْ حُجَّةٍ يَكُونُ مَعَهُ عِلْمٌ يَدُلُّ عَلَى صِدْقِ مَقَالَتِهِ وَجَوَازِ عَدَالَتِهِ»<sup>(٤)</sup>.

وعنه عليه السلام - لما سئل عن فلسفة النبوة-: «لَأَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ مِنْ بَعْدِ الرِّسَالِ، وَلَا لَأَلَّا يَقُولُوا: مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ، وَلِتَكُونَ حُجَّةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، أَلَّا تَسْمَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ حِكَايَةً عَنْ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ وَاحْتِجَاجِهِمْ عَلَى أَهْلِ النَّارِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالرِّسَالِ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ \* قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك/ ٨-٩]»<sup>(٥)</sup>.

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة: ٩١.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة: ٩٤.

(٤) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ١: ١٦٨.

(٥) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد علي بن الحسين: علل الشرائع: ١: ١٢٠.



## قيادة الأنبياء والرسل لأممهم

إنَّه بقطع النظر عن المواصفات التي يجب أن تتوفر في النبي والرسل فإنَّ ما تقدّم من الحاجة الملحّة الموجودة لدى البشريّة إلى قيادتها ليقودنا إلى أمرٍ مهمّ وهو: أنّ هذا الممثل للباري سبحانه وتعالى الذي هو الحقّ المطلق، والكمال المطلق يلزمنا أن نفترض فيه القدرة على استيعاب الرسالة وفهمها والقدرة على تطبيقها تحقيقاً للمتطلّبات البشريّة، وتحقيقاً لحضارتها وسعادتها.

فإن افترضنا وجود خلل فيه إمّا على مستوى الفهم، أو على مستوى التطبيق فإننا نكون أمام أمرين مهمّين:

الأوّل: إمّا أنّه ليس خليفةً ولا ممثلاً عن الكمال المطلق.

الثاني: وإمّا أنّه ممثل عنه، وأنّ ما افترضناه كمالاً مطلقاً ليس كذلك، وهذا خُلف.

الثالث: وإمّا أن نقول: إنّ الكمال المطلق قد أرسل من لا قدرة له على فهم الرسالة والتطبيق كما ينبغي، فهذا أيضاً يوجب الخلف.

وبما أنّ الافتراضات كلّها باطلة، وجب القول بأنّ الكمال المطلق لا يُرسَلُ إلّا من كان قادراً على تمثيله تمثيلاً كاملاً، بحيث لا يوجب اتّهامه ولو من بعيد بأنّه ليس ممثلاً عن الله تعالى، وهذا يعني أن يكون هذا الممثل الإلهي منزهاً حتى في مقام غير الفهم والتطبيق للرسالة.

والقرآن الكريم أكّد على هذه الحقيقة في كثير من آياته، وبيّنها بصيغ مختلفة، وبأساليب متنوّعة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ هُمُ الْآمَنُونَ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

بتقريب: أن القرآن الكريم يُطلقُ صفة الظلم حتى على الذي يظلم نفسه، والظالم لنفسه غير قادر على أن يحتلَّ محلَّ الهداية، وبالتالي لا يقدر أن يكون هادياً لغيره، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أُنزِلَتْ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة/١٢٤].

فالظالم لا يحصل على مثل هذه المرتبة، وحصوله عليها أمرٌ محال.

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء/٦٥].

بتقريب: أن التحاكم إلى النبي ﷺ لم يُقَيَّدْ بخصوص التبليغ وأمور الدين، فلو لم يكن مؤهلاً للحكم في شئٍ أنواع القضايا الحياتية للزم التقييد لنوعية الرجوع والتحاكم إليه ﷺ، وعندما أُطلقَ موضوع التحاكم تبين أن النبي ﷺ له أهلية الحكم في أية قضية في الحياة، ويؤيِّده سبب النزول حيث حصلَ تخصصٌ بين مهاجري وأنصاري على سقي نخليهما، والقصة مشهورة ومعروفة في مصادر التفسير، واستعمال لفظة القضاء يكون عادة في رفع اللبس في الموضوعات الخارجية، لا الحكمية.

فيتبين من خلال الآيات القرآنية أن الأنبياء يتمتعون بأهلية ولياقة عالية جداً في إدارة المجتمعات في كافة شؤونها، نعم يبقى الكلام في السؤال: هل الأنبياء والرسول قادوا الأمم أم لا؟

الجواب:

أنَّ القرآن الكريم يُثبِتُ قيادةَ بعض الأنبياء والرسول لأُممهم وشعوبهم، من قبيل: النبي سليمان، والنبي داود، والنبي يوسف، والنبي محمد ﷺ، وهؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد قادوا أممهم وشعوبهم بالمعنى القيادي المتعارف، ولا يضُرُّ عدمُ تمكُّن الأغلب منهم من إدارة أممهم لأسباب خارجية - لا يضُرُّ - شخصياتهم وأهليتهم، بدليل كونهم من مصدر واحد وهو «الله» تبارك وتعالى، ومن يكون في هذه الزمرة، وهذا الحزب الإلهي فإنه يتمتع بنفس القدرات القيادية،

فإذا استلم وتمكّن أحدهم من إدارة وقيادة المجتمع فإنه يكشف عن تمكّن الآخرين من ذلك، إذ حكمُ الأمثالِ فيما يجوز ولا يجوز واحد.

ولو أننا نظرنا إلى القيادة بالمعنى العام؛ لوجدنا أغلبهم ﷺ كانوا يتصدّرون قيادة أُممهم إلى الصلاح، وإلى تحقيق سعادتهم.

النتيجة المترتبة على ما تقدّم:

قلنا: إنَّ القانون الوضعيَّ وجد نفسه أمامَ ثلاثةِ مآزق:

- ١ - مآزق تشخيص مصاديق الظلم من جهة.
- ٢ - مآزق تشخيص الوسيلة المناسبة لتحقيق المصداق من جهة أخرى.
- ٣ - مآزق تشخيص طريقة استخدام تلك الوسيلة من جهة ثالثة.

وقلنا: يمكن وضع هذه المآزق الثلاثة في العنوانين الآتيين:

الأول: المآزق التشريعي.

الثاني: المآزق التنفيذي.

وقسّمنا العنوان الثاني إلى قسمين:

القسم الأول: المآزق التنفيذي على مستوى فهم التشريع والقانون.

القسم الثاني: المآزق التنفيذي على مستوى تطبيق وتفعيل القانون.

فإننا نجد أنّ السماء قد استطاعت أن تحلَّ جميع المآزق، ووضعت الأنبياء والرسل والأوصياء في تحقيق متطلّبات البشريّة بأجمل وأكمل وجه.

واستطاع القانون السماويُّ أن يحلَّ إشكاليّة عدم القدرة على التوازن التي واجهتها البشريّة، والتي هي التوازن بين المتطلّبات الفرديّة، وبين متطلّبات المجتمع.

فإذا كان هذا حال القانون التشريعي السماوي، وإذا كان هذا حال معارفه المبيّنة

لحقائق الوجود، أو ليس يكونُ أحقَّ في إدارة الحياة والمجتمعات؟

الجواب: نعم.

ونحن نعلم أنّ الشريعة تحتاج إلى من يقوم بتنفيذ مقرراتها، وتفعيل أحكامها، وثبت أن المنقذ لها ومفعّلها لا بُدَّ وأن يكون على مستوى مؤهلاتها، وإلا وقع المحذور الذي نهى عنه، وظلَّ الحال كما هو حال القانون الوضعي في بعض الوجوه والجهات.

ولكن يترتب على الإجابة بالإيجاب تساؤل مهم وهو: إذن لماذا لم يستلم الأنبياء والرسل والأوصياء زمام جميع المجتمعات؟!.

فهذا ما سنتعرّف عليه بإذنه تعالى لاحقاً.

النداء الموحد على مرّ العصور:

وبحسب ما عاشته التجربة الإنسانية اليوم يكفيننا فيها من الفوائد أن نخوض في العوالم الماضية، وأحوال الأمم السابقة للتعرّف على توجّوها إلى الكمال المطلق.

ولكن..

لا بُدَّ من أن نسجل حقيقة مهمّة وهي: أنّه لم يكن أحد يقول بأنّه يملك القدرة على معالجة المشكلة الإنسانية سوى موجود واحد فقط وهو: «الله» سبحانه وتعالى.

فمنذ القِدَم وإلى يومنا هذا نجد أنّ هذا الموجود لم ينقطع عن الدعوة إليه، وعن التعريف بنفسه، وبصفاته، وبأسمائه، وظلت هذه الحالة مستمرة على مرّ السنين والدهور.

فعلى رغم تعدّد الآلهة، وعلى رغم تنوّع الأصنام، وعلى رغم اختلاف الثقافات السالفة الغابرة فإننا لا نجد تغيير دعوى السماء، وأنّ الموجود الوحيد الذي يملك القدرة على تغيير واقع البشريّة ليس سوى خالق هذا الإنسان وهذا الموجود برّمته، وهو «الله» سبحانه وتعالى.

فما وجدنا عبر التاريخ الذي وصلت إليه أيدي عصرنا اليوم وجود ادّعاءٍ مختلفٍ

عمّا كان عليه ادّعاء من هم في زمرة صراط هذا الخالق «الله» تعالى، الذين عُرفوا على مرّ التاريخ بـ «الرسل»، و«الأنبياء»، و«الأوصياء».

ومن حاول الدخول في حزبهم، والتلبّس بلباسهم وهو ليس منهم كان يفشل فشلاً ذريعاً، وذلك لأنّ خالق الوجود وهو «الله» يزوّد من يُرسله إلى البشر بما لا يتمكّن من إيجاده وصنعه سوى الخالق نفسه.

فإذا أعطى هذا الخالق لرسوله كمالاتٍ من كماله المطلق، أي: أنّه سبحانه وتعالى يعطيه القدرة من قدرته المطلقة، وقوة من قوته المطلقة، وعلماً من علمه المطلق؛ وحكمة من حكمته المطلقة، كان اختصاصه بهذه المؤهلات العالية يُخضع الآخرين لقبول شخصه مهما كان في المقابل عناد المعاند، لبداهة أن الحقّ المطلق لا يتثنى، ولا يتعدّد، ولا يزدوج في معايير وضاوابعه، وهذه الحقيقة ممّا جبلت عليها الفطرة الإنسانيّة، وعملت وفق مقتضاها، ووفق أحكامها.



## «التوحيد» أساس البناء الحضاري

وكما تقدّم فإنّ الموجود الوحيد الذي يتمكّن من تلبية نداء الفطرة هو «الله» تعالى خالق هذا الخلق؛ وإنّه هو الوحيد العارف بما يصلح الوجود وما يفسده، وهو الوحيد العالم بطبيعة النشاطين، والقانونين؛ لكونه هو من صنعهما، وخلقهما، وأوجدتهما بهذه الكيفيّة؛ فقد استجاب الله سبحانه وتعالى نداءها، ولبيّ طلبها.

وكانت هذه النجدة السماويّة برسالة توضح فيها معالمها الأساسيّة، وتُحدّد للإنسان المنهج الذي ينبغي السير عليه؛ وذلك تحقيقاً للحضارة والسعادة المطلقة، وكان ذلك بدءاً من القول بـ«لا إله إلاّ الله»؛ قولاً، وعملاً، وبهذا فقط يتحقّق «الفلاح»، وتتحقّق أهداف الخلقة.

وهذا يعني أنّ أساس بناء الحضارة يعتمد على نبد كلّ ما يتوجّه إليه الإنسان ويتخذ في مقام «الإله»، أو «الرب»، من الكائنات؛ بحيث لا يتصرف معه كما ينبغي التصرّف مع «الإله» الحقيقي، ويعتمد أيضاً على طرد كلّ الآلهة من القلب، فتغرس فيه بذرة «التوحيد»، وهذا فقط هو الضمان الوحيد لتأسيس الحلم الإنساني، الذي هو عبارة عن ثمرة الشجرة الطيبة، إذ لو مالّ العبد إلى ما ليس إلهاً حقيقيّاً، فإنّه سينحرف عن طريق سعادته التي يطلبها من صميم تركيبته التكوينية التي خلق عليها، لأنّ هذا الإله غير الحقيقي سوف يعطيه ممّا يجهره، ويجهل عواقبه، ويجهل ما يساهم في تحقيق الحضارة، ويجهل ما يشكل مانعاً دون تحقيق تلك الحضارة، فكيف إذن يصل إلى مراده الفطريّ والحال هذه؟!

فلا بُدَّ إذْنٍ في الرتبة السابقة لإعطاء الأحكام وتعليم الناس من التوجّه إلى إرشاد الناس إلى ما بنيت عليه الفطرة من القواعد، وإلى ما تنحو إليه في واقع أمرها، وهو إلى الله تعالى؛ الكمال المطلق، فلذا نجد تقدم «التوحيد» في دعوة الأنبياء على التطبيق لأحكام الدين ومعارفه.



## المواجهة

# مواجهة الإنسان للمشروع للسمائي الحضاري

### البشرية وموقفها من الرسالة...

نظراً إلى أنّ تركيبة الإنسان الخَلْقِيَّة مختلفة عن بَقِيَّة الموجودات، إذ هي تركيبة قد أخذت عنوان (الاختيار) أساساً ومحوراً فيها.

وحيث زُوِّدَ الإنسان بـ«العقل»؛ إذ به يستطيع التمييز بين الحقّ والباطل، وإذا ما دُسَّ العقلُ في مغالطات سفسطائية؛ فإنه لا يفقد أصالته؛ بل كيف يفقدها والبدئية هي الأساس البنائي له.

فلذا نجد أنّ أوَّلَ ما كانت الرسالة السماوية تخاطب الإنسان به هو ضرورة استخدام الأساليب العقلية، فسرعان ما كان الإنسان المنصف، والإنسان الموضوعي في أفق تفكيره يرجع إلى صوابه، ويفكر في حاله، وينظر إلى التعليمات السماوية بعين الإنصاف والموضوعية.

ولكنّ النفس تبقى العدو الأكبر للإنسان، فإنّ ما تنتهي إليه النفس ليس بالضرورة أن يكون هو ما انتهى إليه العقل، فالنفس تميل إلى هلاك مملكتها من حيث لا تشعر، والحافظ الوحيد لهذه المملكة هو «العقل»؛ الواقف على ما ينبغي فعله وما لا ينبغي فعله.

ولكن الذين هجروا العقل، ولم يجدوه المرجع الأساسي في حياتهم، وإنّما اتّبَعوا الهوى، واعتبروا النفس هي المرجع، وهي المقررة للأحكام، وهي المتخذة

للقرار، وهي الحاكمة في اتخاذ الموقف؛ فإنهم أخلدوا إلى الأرض؛ ووقفوا في وجه الرسالة السماوية بكل ما أوتوا من قوة، ورباط، وعزم، ووسيلة؛ لمنعها من التدخل في شؤونهم.

ولكنّ حاملي الرسالة السماوية كانوا لا يتوانون عن استعمال لغة العقل بما عليه مستوى الشعوب والأمم، حتى لا يكون للناس على الله عزّ وجلّ حجة في الإبلاغ، ولو دفعهم الأمر إلى الدخول معهم باستعمال وسائلهم؛ إيصالاً لأولئك إلى مستوى الخطاب العقلي السليم الصحيح.

فإذا كانت النفس تميل إلى السحر كان الحامل للرسالة يُقدّم ما تميل إليه؛ ولكن بتقديم الحقيقة على الزيف، وإذا كانت تميل إلى أسلوب آخر؛ كالانجذاب إلى الشمس أو القمر أو إلى صنم تعظمه وتوقّره؛ كانت الأساليب السماوية تنحو منحى النفس لإبعادها عن الزيف والخيال، وإراءتها آفاق الحقائق ولذتها بعد كشف المدعى والتزييف والوهم الذي يسيطر على تلكم النفوس الضعيفة، والهدف باستخدام هذه الأساليب كان يتحقق، إذ كان يزلزل معتقد المقابل فيما ترك من صفات الكمال إلى الناقص، وفي الوقت نفسه يحضر البديل الذي تحتاجه النفوس وتميل إليه عن طريق فطرتها.

وكان الأسلوب ناجحاً حقاً، إذ كان يملك من التأثير بحيث يُغيّر الغالبية العظمى عن الاعتقاد بالنواقص؛ ووضعتها في موضع الرجوع إلى الكامل، وأيّ كامل إنّه الكمال المطلق.

فكانت الشعوب تنجذب إلى أرباب الرسالات، وخاصّةً عندما تجدهم أكمل أهل الأرض في كلّ شأن من شؤون البشريّة، وأنبلهم، وأفضلهم، وأحسنهم، وأجملهم في الخلق، والتعامل مع الناس.

إلا أنّ الوحيد الذي كان يقف أمام استمرار الرسالة في تصحيح مسار البشريّة هو من كان يجد أنّه بإيمانه بالتوحيد يتساوى مع من كان يعتبره أزدلّ وأحطّ الناس عنده.

فلا يختلف مع الأنبياء على أسس عقلية، أو على الحقيقة التي يشهد بها الوجدان، أو تدعن لها النفس، بل كان الاختلاف مبنياً على تعارض المصالح، فكان الأنبياء يُرشدون البشرية إلى المصالح الواقعية، وكان المعاندون يطلبون من الناس أن يعيشوا في المصالح الشخصية الذاتية، التي لا ترجع إلا على أولئك المترفين الطغاة بالنعف، والتي مرجعها في نهاية الأمر ليس إلا إلى الوهم والخيال.

### أساليب المعاندين لحاملي الرسالة السماوية:

فكان أولئك الطغاة ينحون باتجاهات عديدة لمحاربة الأنبياء ﷺ، وإغائهم من الساحة الاجتماعية، وإقصائهم عن المراكز الاجتماعية كافة، فمن تلكم الأساليب التي مارسها المعاندون والجهلة من الناس ضد الهداة والمرشدين من الأنبياء والرسل والأوصياء الآتي:

وإذا أردنا أن نُحصي كل مفردة من مفردات تلكم الأساليب التي استعملت ضد حاملي الرسالة السماوية لطال البحث، إذ يحتاج هذا الأمر إلى تصنيف كتاب مستقل، ولكن نتناول بعض تلكم الأساليب غير الإنسانية التي استعملت ضد رسل الله تعالى، فإليكها:

### ١ - المساومة.

فإذا أراد الرسول منهم أن يدخلوا إلى حضيرة القدس؛ كانوا يطلبون منه أن يطرد كل من آمن معه باعتبارهم الطبقة العليا، وأولئك الطبقة الدنيا من المجتمع، وإذا لم يطردهم فإنهم كانوا يعلنون أنهم لن يدخلوا فيما دخل فيه غيرهم.

قال تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْنِكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرْنَاكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِادِي الرّأْيِ وَمَا نَرِي لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ \* قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَعَاسِنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمَّيتْ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْنَاكُمْ مَوًّا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاذِبُونَ \* وَيَقَوْمِ لَا تَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَآ أَنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرْنَكُمْ قَوْمًا سَاجِدِينَ \* وَيَقَوْمِ مَنْ بَصُرْتُمْ مِنْ اللَّهِ إِنَّ طَرَفَهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود/ ٢٧-٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَجَنُوزَنَا بِنِي إِسْرَاءَ بِلِ الْبَحْرِ فَاتَوَّا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ<sup>٤</sup> قَالُوا يَمْوَسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ \* إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَيَنْظِلُوا مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ \* قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿﴾ [الأعراف/١٣٨-١٤٠].

## ٢ - الترغيب في المغريات:

فكانت الشخصيات «البرجوازية» تعرض الكثير من وجوه الوجاهة الاجتماعية من قبيل «المنصب»، و«المال»، والسلطة»، و«الشهوات» على الأنبياء والرسل، ولكن كل تلك المحاولات الترغيبية لجعلهم لا أقل لا يتعرضون لمصالحهم الدنيوية بسوء كانت تبوء بالفشل الذريع، وذلك لأن الأنبياء والرسل والأوصياء واجدون لكل مظاهر «السلطة»، و«الغنى»، و«العزة»، و«السعادة» وبنحو مطلق، فمن كان واجداً لكل ما ينحو إليه الإنسان وبكيفية ليست بقدرة الإنسان مهما أوتي من قوة وعزة وغنى وسعادة أن يؤتاها فإن أي إغراء وترغيب لا ولن يُغريه أبداً.

قال تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ \* فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيهِ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿﴾ [النمل/٣٥-٣٦].

## ٣ - الاستهزاء والسخرية والتسقيط والتهم:

قال تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿﴾ [الحجر/١١].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئَ رُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿﴾ [الأنعام/١٠].

وقال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ \* وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿﴾ [التوبة/٦٤-٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخْرَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْسَبُهُ آلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿﴾ [هود/٨].

وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ أَمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ \* وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَجُونَ \* وَيَصْنَعِ الْفُلَكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود/٣٦-٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة/٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة/١٤].

وقال تعالى: ﴿قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعِزِيزٍ﴾ [هود/٩١].

#### ٤ - بث الشكوك والشبهات.

قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّبُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكُ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران/١٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمِ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالَ لَا تَتَّبِعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ \* الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنَّا أَنْفُسَكُمْ الْمَوْتُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران/١٦٧-١٦٨].

وقال تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ [الإسراء/٤٧].

#### ٥ - نشر الرعب والخوف.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَّ جَمَعُوا لَكُمْ فَآخَسَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران/١٧٣].

## ٦ - المجادلة ودفء الأنبياء إلى المشاجرة الكلامية.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ \* وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ \* إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف/ ٥٧-٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف/ ٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ \* ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ \* أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ \* وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْمَعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطُورُ الْأَوَّلِينَ \* وَهُمْ يَبْهُونَ عَنْهُ وَيَعَنُونَ عَنْهُ وَإِنْ يَهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ \* وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام/ ٢٢-٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْكَ أَوْلِيَاءِهِمْ لِيُجَدِّلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام/ ١٢١].

وقال تعالى: ﴿قَالُوا أَحِثِّتْنَا لِتُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأِنَّا بِمَا تَعَدْنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ \* قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَظْبٌ مُهِيطٌ أَنْتَجِدِلُونَنِي فِي سَمَائِي سَمَيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [الأعراف/ ٧٠-٧١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَدِّدُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أَنْذَرْتُهُمْ هُزُوعًا﴾ [الكهف/ ٥٦].

## ٧ - صد الناس عن الرسول والرسالة.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ بَنِي صَرَحَةَ اللَّعْلِيِّ أَتَبْلُغُ الْأَسْبَابَ \* أَسَدَّبَ السَّمَوَاتِ فَاطَّلَعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنُ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [غافر/ ٣٦-٣٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ \* وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ \* حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَلْسَنُ الْقُرَيْنُ﴾ [الزخرف/ ٣٦-٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الْكَلْبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَيْرُونَ﴾ [الأعراف/ ٩٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۗ إِنْ أَوْلِيَائِهِمْ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ \* وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ \* إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ فَيُفْنِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال/ ٣٤-٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ \* وَإِذْ زَيْنٌ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ \* إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ عَرَّ هُنَالِكَ دِينَهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال/ ٤٧-٤٩].

## ٨ - إصاق التهم والأوصاف الذميمة.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا نَتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرَىٰ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [سبأ/ ٤٣].

## ٩ - التكذيب.

قال تعالى: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مَعْشَارَ مَا ءَايَنَّاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [سبأ/ ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [فاطر/٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

[يونس/٩٥].

### ١٠ - البناءات المستحيلة.

قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام/١٤٨].

### ١١ - طلب المستحيل:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَحَلَّىٰ عَلَيْهِمْ آيَانُنَا بَيَّنَّتْ قَالُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنَّهُمْ بَشَرٌ مِّثْلِ بَشَرٍ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَّوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس/١٥].

### ١٢ - المكر والخديعة.

قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسَدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الفتح/١٥].

وقال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة/٨].

### ١٣ - تربص الدوائر:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة/٩٨].

### ١٤ - بناء مراكز دينية لهدم الدين:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ



وإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿التوبة/١٠٧﴾.

### ١٥ - انعدام المعايير والضوابط الصحيحة:

قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْمَكْرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ \* الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [التوبة/١٩-٢٠].

وقال تعالى: ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفٰسِقُونَ﴾ [التوبة/٦٧].

### ١٦ - الخذلان:

قال تعالى: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَافَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [التوبة/٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً أَنْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهَدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقٰعِدِينَ﴾ [التوبة/٨٦].

### ١٧ - التهديد:

قال تعالى: ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلْفٍ ثُمَّ لَأَضَلِّيَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف/١٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْتَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتِكَ قَالَ سَتَقْبِلُ آتَاءَهُمْ وَنَسِيَهُمْ نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف/١٢٧].

### ١٨ - الكذب:

قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلٰكِنْ بَدَدْتَ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةَ

وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿التوبة/ ٤٢﴾.

١٩ - بث الفتن:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ ابْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَكَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿التوبة/ ٤٨﴾.

٢٠ - الفرحة عند المصيبة:

قال تعالى: ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فُسَبِّحْهُنَّ نَسْؤُهُنَّ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿التوبة/ ٥٠﴾.

٢١ - نكث الوعود والعهود:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ \* فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلِّغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿الأعراف/ ١٣٤-١٣٥﴾.

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لَئِن آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ \* فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿التوبة/ ٧٥-٧٦﴾.

٢٢ - الشيطان:

قال تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿التوبة/ ٨١﴾.

٢٣ - العمل على إرجاع المؤمنين عن صراطهم:

قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَىٰ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهِ التَّهَارِ وَكَفَرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿آل عمران/ ٧٢﴾.

٢٤ - الاعتزاز بغير الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿مريم/ ٨١﴾.

## ٢٥ - الاستقلال عن الباري:

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِن قُرُونٍ مِّنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصاص/ ٧٨].

## ٢٦ - القتل:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ وَآتَيْنَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۖ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة/ ٨٧].

## ٢٧ - الكفر والانكار:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة/ ٨٩].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنفُسُكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِينِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُواكُم أُسْرَىٰ تَقْتُلُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِخْرَاجُهُمْ أَفْثُوْنُونَ بَعْضُ الْكُفْرِ وَتَكْفُرُونَ ۚ بَعْضٌ مِّمَّا جَزَاءُ مَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة/ ٨٥].

وهناك الكثير من الأساليب التي بذلت لمحاربة الخط الإلهي على وجه الأرض، ولا مجال لذكرها جميعاً، ونكتفي بالقدر المذكور.

## الخلاصة:

لقد بُذِلَ الكثير من المحاولات في محاربة الأنبياء والرسل والأوصياء، كل ذلك لأجل إلغاء المشروع الحضاري الإلهي الذي كان بقيادة حاملي الرسالات.



## كيفية تعامل الأنبياء مع الفراعنة والطغاة

وفي هذه الفقرة نجد أنفسنا نخوض في بحثٍ مهمٍّ جدًّا، وهو يتعلق بكيفية تعامل الأنبياء والرسل مع الذين واجهوهم بالعنف والإرهاب والشدة.

ولكن، نجد من الضرورة بمكان أن نتعرف على حقيقة موقف الرسل والأنبياء من خلال الوقوف على التسلسل الوظيفي إن صحَّ التعبير، فهؤلاء عليهم السلام ليسوا سوى خلفاء الله تعالى، وهذا يعني أن تصرفاتهم مستمدة وممنهجة وفق إرادة الله تعالى، ووفق حكمته، فلكي نتفهم موقف الأنبياء والرسل من الفراعنة والطغاة، الذين وقفوا أمامهم بعناد وظليل وإلحاد وإرهاب علينا أن نتعرف على كيفية تعامل «الله» تعالى مع العباد، وخاصةً مع أولئك الفراعنة والطغاة.

### الأصل الأولي في تعامل الله تعالى مع العباد:

إنَّه لمن الضروري أن نتعرف على الأصل الأولي الذي كتبه الله تبارك وتعالى على نفسه في تعامله مع العباد، والطريق المؤدي إلى معرفة هذا الأصل الأولي ليس إلا القرآن الكريم أولاً، والسنة الشريفة ثانياً، فإلى معرفة هذا الأصل الأولي:

### الرحمة الأصل الأولي في معارف القرآن الكريم:

يبين القرآن الكريم أن الأصل الأولي الذي كتبه الله تبارك وتعالى على نفسه في تعامله مع العباد هو: الرحمة بالعباد، قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام/ ٥٤].

فهذا يعني أن خالق هذا الوجود والعباد لا يتعامل مع مخلوقاته من منطلق القوة،

والعنف، والغضب، والترهيب، والشدة، بل إنه سبحانه وتعالى يتعامل معها من منطلق الرحمة، والشفقة، والعطف، والرفقة.

### الرحمة الأصل الأولى في السنة الشريفة:

الإمام السجاد عليه السلام: «... غير أنك بنيت أفعالك على التفضل، وأجريت قدرتك على التجاوز، وتلقيت من عصاك بالحلم، وأمهلته من قصد لنفسه بالظلم، تستنظرهم بأناتك إلى الإنابة، وتترك معاجلتهم إلى التوبة، لكيلا يهلك عليك هالكهم، ولا يشقى بنعمتك شقيهم إلا عن طول الإعذار إليه، وبعد ترادف الحجة عليه، كرمًا من عفوك يا كريم، وعائدةً من عطفك يا حلِيم...»<sup>(١)</sup>.

الإمام الباقر عليه السلام: «... وكتب على نفسه الرحمة، فسبقت قبل الغضب، فتمت صدقاً وعدلاً...»<sup>(٢)</sup>.

الإمام الكاظم عليه السلام: «... ما ظنك بالرؤوف الرحيم الذي يتودد إلى من يؤذيه بأوليائه، فكيف بمن يؤذى فيه، وما ظنك بالتواب الرحيم الذي يتوب على من يعاديه، فكيف بمن يترضاه ويختار عداوة الخلق فيه»<sup>(٣)</sup>.

ف نجد أن الأصل الأولى الذي يتعامل الله تعالى به مع العباد هو الرحمة والشفقة والعطف وما يشابهه.

وهنا يرد هذا التساؤل المهم..

فإذا كان الله تعالى يتعامل مع العباد من منطلق الرحمة والعطف فكيف يا ترى يتعامل الأنبياء والرسل والأوصياء مع عباد الله تعالى، ومع أممهم وشعوبهم؟!.

الجواب:

وهنا نجد افتراق الفهمين اللذين أوردناهما سابقاً في مفهوم الرسول والرسالة

(١) الصحيفة السجادية: دعاء في وداع شهر رمضان.

(٢) الشيخ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب: الكافي: ٨: ٥٣.

(٣) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ١: ١٥٥.

والعلقة بينهما وبين الله تعالى، وهما الفهم العرفي والفهم القرآني الإلهي، فهنا أيضاً نجد فهمين حول كيفية تعامل الأنبياء والرسل والأوصياء مع الآخرين، وخاصة مع الخصوم، فإن الأغلب الأعم يذهب إلى أن النبي محمد ﷺ قد غَيَّرَ منهجه واستراتيجيته في التعامل مع الخصوم من التحمل والصبر في أيام مكة، إلى الحروب والقتال في المدينة المنورة، فهل هذا المعنى صحيح أم لا؟!، وهذا ما ستعرّفُ عليه فيما سيأتي إن شاء الله تعالى..

وهنا يرد هذا التساؤل..

كيف سار الأنبياء والرسل في أممهم، وفي شعوبهم؟!..

الجواب: لنأخذ أمثلة في توضيح وشرح جوابنا إن شاء الله تعالى..

أولاً: هابيل وموقفه مع أخيه قابيل عندما تقدم ليقته..

فلنقرأ ماذا جاء في القرآن الكريم عن هذه القصة، قال تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ \* لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ \* إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ \* فَطَوَعَتْ لَهُ، نَفْسُهُ، قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ، فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة/ ٢٧-٣٠].

فهذه الآيات نزلت لتشرح لنا وبإيجاز ما حدث بين الأخوين «هابيل» الرجل الولي الصالح، و«قابيل» الرجل المعاند، فإن الخلاف الذي حصل بين الأخوين انتهى إلى إدخال السماء حكماً في البين، ووقفت السماء بجانب «هابيل»، فإننا لا نجد من الأخ المؤمن بالله تعالى وهو «هابيل» إلا ردة فعل سلمية إيجابية نحو موقف أخيه «قابيل» السلبي، ولما وصل الأمر إلى التهديد من قبل هذا الأخ نجد «هابيل» الأخ المؤمن يقابله بموقف أكثر إيجابية، فقابله بموقف مغاير بدرجة التناقض، إذ عندما تعرض هذا الأخ لتهديد مباشر وصريح، قام أولاً بتبيين علة قبول السماء قربانه، فعلمه ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾، ثم بين له علة عدم سلوكه مسلكه - أي مسلك أخيه - ﴿لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ﴾، وذلك

لَعَلَّةَ بَيْنَهَا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَهِيَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾، رَغْمَ أَنْ مَوْقِفَ «قَابِيلَ» الْأَخِ الْعَدَوَانِي الْعَنِيفِ الْإِرْهَابِي كَانَ مَتَّصِفًا بِصِفَةِ ذَاتِهِ الْعَدَوَانِيَّةِ وَالْعَنِيفَةِ وَالْإِرْهَابِيَّةِ.

فَتَمَكَّنُ مَعْرِفَةَ اللَّهِ تَعَالَى فِي وَجُودِهِ أَنْتَجَ لَدَيْهِ هَذَا النُّحُو مِنْ السُّلُوكِ الْحَضَارِيِّ، الَّذِي يَبِينُ فِيهِ مَدَى ثِقَةِ السَّالِكِ الْإِلَهِيِّ بِمَعَارِفِهِ وَقَضِيَّتِهِ، وَمَوْقِفِهِ، وَهَذِهِ هِيَ مِنْ أَهَمِّ دَعَائِمِ الشَّخْصِيَّةِ الْإِجَابِيَّةِ فِي إِدَارَةِ الذَّاتِ، وَهِيَ الْمُنْشَأُ لِإِدَارَةِ مَا حَوْلَهُ مِنْ مُخْتَلَفِ الْأَنْشِطَةِ الْحَيَاتِيَّةِ، وَهَذَا مِثَالٌ وَاحِدٌ مِنَ الْأَمْثَلَةِ الْقُرْآنِيَّةِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنِ اسْلُوبِ تَعَامُلِ الرَّجُلِ الْإِلَهِيِّ مَعَ رَجُلِ الْإِرْهَابِ وَالْعَنْفِ.

ثَانِيًا: مَوْقِفَ النَّبِيِّ نُوحٍ ﷺ مِنْ أُمَّتِهِ.

لَا يَخْبِرُنَا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ عَنِ نَبِيِّ عَاشَرَ مُدَّةً طَوِيلَةً جَدًّا وَهُوَ فِي حَالِ التَّبْلِيغِ وَالِدَعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَمَا كَانَ حَالِ النَّبِيِّ نُوحٍ ﷺ، فَيُحَدِّدُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ أَنَّ مُدَّةَ الدَّعْوَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِهِ ٩٥٠ سَنَةً، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت/١٤].

وَعِنْدَمَا يَتَحَدَّثُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ عَنِ حَالِ دَعْوَتِهِ لِقَوْمِهِ نَجِدُهُ يَبِينُ وَبِكُلِّ وَضُوحٍ أَنَّ دَعْوَتَهُ ﷺ كَانَتْ تَوَاجَهُ بِعَنْفٍ وَعَدَوَانِيَّةٍ وَبِكُلِّ مَظَاهِرِ الرِّفْضِ لَهُ وَلِدَعْوَتِهِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ [القمر/٩].

وَعِنْدَمَا يَصِفُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ قَوْمَ نُوحٍ فَإِنَّهُ يَصِفُهُمْ بِوَصْفٍ يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ التَّزَامُهُمْ بِضَوَابِطِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَلَا بِمَبَادِيِ الْمُنْطَقِ وَالْعَقْلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَوْمٌ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى﴾ [النجم/٥٢].

وَسُمِّيَتْ سُورَةٌ كَامِلَةٌ بِاسْمِ النَّبِيِّ نُوحٍ ﷺ وَهِيَ تَحْمِلُ قِصَّتَهُ الْمُؤَلِّمَةَ مَعَ أُمَّتِهِ، وَالَّتِي فِيهَا بَيَانٌ وَاضِحٌ عَنِ مَوْقِفِ النَّبِيِّ نُوحٍ ﷺ، وَمَوْقِفِ قَوْمِهِ الْمَعَادِي مِنْ جِهَةِ أُخْرَى، فَبَدَأَتْ السُّورَةُ الشَّرِيفَةُ بِإِخْبَارِنَا عَنْ دَعْوَةِ النَّبِيِّ نُوحٍ ﷺ الَّتِي لَمْ تَكُنْ إِلَّا لِإِنذَارِ الْقَوْمِ وَتَحذِيرِهِمْ مِنْ عَاقِبَةِ مَا يَقُومُونَ بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ الْفَاسِدَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ\* قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ



مُيِّنٌ \* أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا \* يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَوِّضْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤-١﴾ [نوح/٤-١]، ففي هذه الآيات نجد:

- ١- الأسلوب الأدبي الرفيع الذي استعمله النبي نوح عليه السلام مع قومه عندما بدأ الخطاب بنسبة القوم إليه، وهو ما يوحى للطرف المقابل بالإهتمام والإنتماء والمحبة.
- ٢- أنه عليه السلام لم يدعهم إلا إلى الخير، بإنذارهم وتحذيرهم من الوقوع في المحاذير الدنيوية والأخروية.
- ٣- أنه عليه السلام دعاهم إلى «التوحيد»، والتلبس بلباس التقوى.

٤- وبين لهم - كما بين العاقبة السيئة السلبية لأفعالهم - العاقبة الحسنة الإيجابية إذا ما قاموا بتحقيق التوحيد ومبادئه في حياتهم.

ونقل القرآن الكريم قصة معاناة النبي نوح عليه السلام مع قومه على مدى ٩٥٠ عاماً، وهو لا يدعوهم سوى إلى ما ذكر آنفاً، فقال تعالى على لسانه عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا \* فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا \* وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي عَادَاتِهِمْ \* وَأَسْتَسْتَوُوا بَيْنَهُمْ وَأَصْرُوا \* وَأَسْتَكْبَرُوا أَشْتَكْبَارًا \* ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا \* ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا \* فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا \* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا \* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَسِينِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا \* مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا \* وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا \* أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَمَوَاتٍ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا \* وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا \* وَاللَّهُ أُنْبِتُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا \* ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا \* وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا \* لِنَسْلُكُومَ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا \* قَالَ نُوحُ رَبِّ إِنِّهِمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خُسَارًا \* وَمَكْرُومًا مَّكَرًا كَبِيرًا \* وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا \* وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٥-٢٤﴾ [نوح/٥-٢٤].

فهل نجد في تاريخ النبي نوح عليه السلام أنه استعمل أسلوباً خشناً مع قومه الأعداء، ومع إخوته من بني عشيرته بالعنف والإرهاب؟!، فهذا ما لا نجدُه في حياة النبي نوح عليه السلام أبداً، والعلة واضحة جداً وهي أنهم يمشون على نفس المنهج الإلهي الذي كتبه سبحانه وتعالى على نفسه تجاه عباده.

وها نحن نجد في سورة الأعراف ما يؤكد هذا الأمر الإيجابي من النبي نوح عليه السلام تجاه قومه، رغم ما يقومون به من ردات فعل سلبية وعدوانية تجاهه وتجاه دعوته، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَفْقَهُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَّ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ \* قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ \* قَالَ يَفْقَهُمْ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ \* أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ \* أَوْعِبْتُمْ أَنَّ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف/ ٥٩-٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَفْقَهُمْ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بَيَانًا لِّ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرِكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُون \* فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس/ ٧١-٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ \* أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ \* فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرْنَكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بُادِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَذِبِينَ \* قَالَ يَفْقَهُمْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَعَٰلِنِي رَحْمَةً مِّن عِنْدِهِ فَعَمِيَّتْ عَلَيْكُمْ أَنْزَلُكُمْ مَكُوهًا وَأَنْتُمْ لَهَا كَادِرُونَ \* وَيَفْقَهُمْ لَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُّلتَقُوا رَبَّهُمْ وَلَكِنِّي أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ \* وَيَفْقَهُمْ مَن يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ \* وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ \* قَالُوا يَنْتُحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا بِنَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ \* قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ \* وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \* أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُجْرِمُونَ﴾ [هود/ ٢٥-٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ

تَسْحَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْحَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْحَرُونَ \* فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٨-٣٩﴾ [هود/ ٣٨-٣٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ \* فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ \* إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترَوُّوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون/ ٢٣-٢٥].

وقال تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُوحَ الْمُرْسَلِينَ \* إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ \* إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ \* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا \* وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا \* قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّعَكَ الْأَرْدَلُونَ \* قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ \* وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الْمُؤْمِنِينَ \* إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ \* قَالُوا لَنْ لَمَّا تَنْتَه يَنْنُوحَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء/ ١٠٥-١١٦].

وهنا يرد هذا التساؤل المهم:

إذن ما سبب الطوفان والغرق الذي مُنِيَ به قوم نوح عليه السلام؟!.

الجواب: قد اتضح سابقاً، وهو تحرك القانون التكويني إثر حركة السلوك الإنساني غير القويم، وذي الطابع السلبي، فكم هو فرق بين أن يستعمل نبي من الأنبياء العنف وبين أن يتحرك القانون التكويني وفق إملاءات السلوك البشري السلبي بحركة دفاعية وتحصينية للأرض ومن عليها.

ثالثاً: موقف النبي إبراهيم عليه السلام.

ونجد أيضاً موقف النبي إبراهيم عليه السلام في دعوته إلى الله تبارك وتعالى لا يستعمل العنف والتشنج والعدوانية مع قومه، بل يقابل تصرفهم وهم مشركون بمنطق العقل، وتحريك الحس العقلي فيهم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزرَ <sup>(١)</sup> اتَّخِذْ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَىٰ أَرْبَابَكَ وَوَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ \* وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ \* فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ \* فَلَمَّا رَأَىٰ الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ \* فَلَمَّا رَأَىٰ السَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُغْوِمُونَ إِبْرَاهِيمَ بِمَاءِ بَرِيٍّ مِمَّا تَشْرَبُونَ \* إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجُونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ \* وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* ءَأَمْنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ \* وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿[الأنعام/ ٧٤-٨٣].

وقال تعالى: ﴿وَأُذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا \* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا \* يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا \* يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا \* يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا \* قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِ يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْحَمِنَا وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا \* قَالَ سَلِّمْ عَلَيَّ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿[مريم/ ٤١-٤٧].

ونجد القرآن الكريم يذكر لنا موقف النبي إبراهيم عليه السلام من قومه بعد أن كذبوه وحاربوه، ووقفوا مع جهل نمرود وجانبوا منطق العقل ورفضوه، فكان أن ذكر أن النبي إبراهيم عليه السلام اعتزل قومه، وكان هذا الاعتزال عبارة عن خروجه من مسقط رأسه إلى مكة المكرمة، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَزَلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي سَقِيًّا ﴿[مريم/ ٤٨].

(١) آزر: هو عم النبي إبراهيم عليه السلام، وأما والده فهو السيد تارخ. (قال الزجاج لا خلاف بين النسابين أن اسمه «تارخ» وعلى هذا فأزر كان عمه واطلاق لفظ الأب على العم في لغة العرب والقرآن شائع) راجع كتاب: التبيان للشيخ الطوسي: ٤: ١٧٥.

وباركت السماء هذا الموقف العظيم من النبي إبراهيم عليه السلام باعتزاله عنهم، وكانت هذه المباركة قد حملت له أخباراً طيبةً، وهي الرزق بذرية صالحة يكون لها دورٌ عظيمٌ في عالم التوحيد ومعارفه في الأرض، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَعْرَضَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا \* وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيمًا ﴾ [مريم/ ٤٩-٥٠].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ \* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلَ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ \* قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ \* قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ \* قَالُوا آجِنْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ \* قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ \* وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ \* فَجَعَلَهُمْ جُدًّا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ \* قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ \* قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ \* قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ \* قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ \* قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَشَكُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ \* فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ \* ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ \* قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ \* أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ \* قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ \* قُلْنَا يَنْدَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ \* وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ \* وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ \* وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً كُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ \* وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء/ ٥١-٧٣].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ إِبْرَاهِيمَ \* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ \* قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ \* قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ \* أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ \* قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ \* قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ \* أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ \* فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ \* الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ \* وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ \* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ \* وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ \* وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ \* رَبِّ

هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّلِاحِ \* وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ \* وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ  
جَنَّةِ النَّعِيمِ \* وَأَغْفِرْ لَأَيِّ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ \* وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ \* يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ \* إِلَّا  
مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ \* وَأَرْزَقْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُنْقِينَ \* وَبَرَزْتِ الْجَحِيمَ لِلْغَاوِينَ \* وَقِيلَ لَهُمْ أَنْ مَأْكُمْتُمْ تَعْبُدُونَ  
\* مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ \* فَكَبَّكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ \* وَجَحُودًا بِلَيْسَ أَجْمَعُونَ \* قَالُوا وَهُمْ  
فِيهَا يُخَصِّمُونَ \* تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ \* إِذْ نُسَوِّبُكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ  
\* فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ \* وَلَا صِدْقٍ حَمِيمٍ \* قُلُوا أَنْ لَنَا كَرَّةٌ فَنُكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ \* إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ  
أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ \* وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿الشعراء/ ٦٩-١٠٤﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ هَبَّ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ  
تَعْلَمُونَ \* إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \* وَإِنْ  
تُكَذَّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ \* أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ  
يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ \* قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ  
بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ  
مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ \* وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ  
اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ \* وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَسُوءُ مِنْ رَحْمَتِي  
وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ  
اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ \* وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ  
بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ  
بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿العنكبوت/ ١٦-٢٥﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ \* إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي  
فَأِنَّهُ سَيِّدِي﴾ [الزخرف/ ٢٦-٢٧].

وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا  
مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ  
وَحَدَّهُ \* إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَعْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَّمَكُنَا مَا كُنَّا نَبْنَاءُ  
وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة/ ٤].

وفي هذه الآية المباركة نجد ورود ذكر البغضاء والعداوة بين الطرفين، فالآية تبين أن هناك عداوة قد حصلت، وأن البغضاء قد وقعت، إلا أنها:

١ - ساكنة عن بيان من صدرت منه العداوة والبغضاء،

٢ - ليست على لسان النبي إبراهيم عليه السلام، بل على لسان من كان معه.

إضافةً إلى أن الآيات الأخرى قد بينت موقف النبي إبراهيم عليه السلام تجاه قومه بوضوح تام.

بل ونجد النبي إبراهيم عليه السلام عندما يدعو الله تبارك وتعالى ويذكر من لا يتبعه فإنه يدعو له بالمغفرة والرحمة، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ \* رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّونَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ يَبْعَثْ فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم/ ٣٥-٣٦].

رابعاً: موقف النبي موسى عليه السلام.

سنشاهد في قصة النبي موسى عليه السلام نفس المنهج الإلهي الذي نهجه الله تبارك وتعالى لأوليائه، ففي أول لقاء للنبي موسى عليه السلام وللنبي هارون عليه السلام مع التجلي الإلهي في طور سيناء نجد اللبنة الأساسية وهي توضع من قبل الله تبارك وتعالى لروح دعوة النبي موسى عليه السلام، وهي تشكل الأصل الأولي الذي ينبغي أن يمشي عليه النبي موسى عليه السلام، والأساس في أسلوب دعوته لفرعون إلى عبادة الله تبارك وتعالى.

«فرعون» صفة لكل طاغية جبار، وعندما يُذكر هذا الاسم فإن الذي يتبادر إلى الذهن هو الصورة الوحشية المتمثلة في شخصية المتصف بالفرعنة، ومن الطبيعي إذا ما ذكر هذا الوصف لدى شخص أن يشعر بالتشنج تجاهه، وبالحذر والخشية من فتكه وغدره.

ولكن، حينما يخاطب الله تبارك وتعالى النبي موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ [طه/ ٢٤]، فإن الذي يعرف فرعون ووصفه وعمله وجبروته من خلال تاريخه فإنه سوف يظن أن الذهاب إليه يعني الاستعداد

بالأسلحة الفتاكة، والجيش الجرّار، والقوة الضاربة، كل هذا لإزالة هذا الرجل الإرهابي من الوجود، والنبى موسى ﷺ يعلم من هو «فرعون»، وما هو جبروته وكبرياؤه، والقرآن الكريم يكشف هذه الحقيقة في آيات عديدة، منها: قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَدْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ لِّمَنْ رَزَقْنَاهُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة/٤٩].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [يونس/٧٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الفصص/٤].

ولكننا نجد القرآن الكريم ينقل لنا نقلة نوعية مختلفة عما قد يتبادر إلى الذهن بمجرد سماع اسم فرعون، ويفاجئنا بأمر مختلف تماماً عما في الوسط العسكري الوضعي، قال تعالى: ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ \* فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا نَعْلَهُ، يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه/٤٣-٤٤].

ولكن ما هي هذه الكلمة التي أمر الله تبارك وتعالى نبيه أن يتوجه بها إلى فرعون؟!؟

قال تعالى: ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ \* فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَنْ تَرْكَنَ \* وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَخَّشَىٰ﴾ [النازعات/١٩].

أليست هي مفاجأة بأن يقترن مع اسم فرعون الأمر بتزكية النفس والهداية؟!؟  
أجل هذا هو حقيقة الأصل الأولي في التعامل مع العباد، مهما كانوا أشراراً، ومهما بلغ بهم الطغيان، ولكن هنا يرد سؤال آخر، وهو:

ألا يخشى النبي موسى ﷺ على نفسه أو على من معه من أن يتعرّض لطيغيان فرعون، وغضبه، وعذابه، ونقمته؟!؟

الجواب: أن هذا مرهون بمستوى معرفة العبد لربه سبحانه وتعالى، فالنبي



موسى عليه السلام يعرف الله تبارك وتعالى، وهو يعلم أن القوة بيد الله تعالى لا بيد غيره، وأن العزة بيده سبحانه لا بيد غيره، وأن الغنى بيده سبحانه لا بيد غيره، فهذا المعتقدُ علماً، والتحقيقُ له عملاً أو وصلَ النبي موسى عليه السلام إلى مستوى الإقدام على الأهوال من دون خوفٍ أو تردُّدٍ، لأنه يعلم أن أمره وأمر الجميع بيد الله فقط دون غيره، ويكشف لنا القرآن الكريم هذا المعتقد والعقل الموسويَّ الإلهيَّ في هذه الآيات القرآنيَّة الشريفة، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي \* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي \* وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي \* يَقْفَهُوا قَوْلِي \* وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي \* هَٰزُونَ أَخِي \* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي \* وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي \* كَيْ نَسِيْحَكَ كَثِيْرًا \* وَنَذْرَكَ كَثِيْرًا \* إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيْرًا \* قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يٰمُوسَىٰ ﴾ [طه/ ٢٥-٣٦].

فذهب النبي موسى عليه السلام إلى فرعون بهذه النفسية، وبذلك المعتقد، وبذلك العقلية الراقية، حاملاً معه إلى ذلك الطاغية الكلمة الطيبة، والقول اللين.

ولكن فرعون استكبر وواجه النبي موسى عليه السلام بالعنف، والتخويف، والترهيب، والتهديد، ترى ماذا كانت ردّة فعل النبي موسى عليه السلام تجاه ذلك التهديد والترهيب الفرعوني؟!.

الجواب: أنّه واجهه بمنطق العقل الربانيّ، الذي لا يعرف في ساحته سوى المحبة والعطف والرحمة، ولا ينقل لنا القرآن الكريم ولا تاريخ النبي موسى عليه السلام أيّ موقفٍ عنيفٍ أو متشنّجٍ أو عدوانيٍّ صدر من هذا النبي المبارك عليه السلام.

#### خامساً: موقف النبي محمد ﷺ.

ولا يختلف موقف النبي ﷺ عن موقف سائر الأنبياء والرسل عليهم السلام أبداً، فعندما نظرنا إلى نبينا الخاتم ﷺ، نجد أنّه لا يختلف في منهجه واستراتيجيته الأساسية عن سائر الأنبياء والرسل، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِّن الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف/ ٩]، فإنه يوضح مؤكداً أنه يسير على نفس ما سار عليه سائر الأنبياء والرسل الذين سبقوه، وليس منهجيته مختلفة، وليس منهجه مابيناً لمنهجهم، ولا طريقته مستحدثة، بل

هي نفس طريقتهم، ومصدرها واحد، فميرهم نميره، وشمسههم شمس، وهو «الله» تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالذِّكْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء/١٦٣].

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدَةُ﴾ [الأنعام/٩٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء/٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب/٧].

### السلم والسلام الإلهي التربوي:

فما أروع هذه المجموعة الإلهية العملاقة، وما أحلى طريقها، وما أفضل سبيلها، وما أجمل هديها! أجل إن هذه المجموعة لم تعرف سوى الخطاب السلمي، وخطاب السلام، وخطاب الرحمة بالعباد.

فهذا الخطُ الإلهي المتمثل في الأنبياء والرسل يستمدُّ قوته ومعارفه وعمله من الذي أرسلهم إلى العباد، وهو سبحانه وتعالى قد علمهم أن يكونوا على نفس أخلاقه سبحانه، فكانوا كذلك، حيث التحرك وفق نظام موحد لم يُشَدَّ عنه نبي ولا رسول برغم تقادم العصور، واختلاف الأمكنة، والظروف الموضوعية.

لقد ربَّى الله تبارك وتعالى أنبياءه على هذه الخصلة الطيبة، وهي خصلة السلم والسلام، فأصبحت مبدأ لا يمكن فصله عن ذواتهم المقدسة، ولا عن تكوينهم الشخصي، ولا عن تركيبتهم العقلية.

سؤال مهم: إذن كيف نفسر ما قام به النبي محمد ﷺ تجاه قريش بعد هجرته إلى المدينة المنورة؟!.

### الجواب:

نعم.. ومما يؤسف له أن نجد عدم الموضوعية وعدم الإنصاف يعتري الكثير من المفكرين، والكتاب، والمفسرين في رؤيتهم إلى تاريخ النبي محمد ﷺ، وإلى سيرته الشريفة، ولذا نجيبُ على هذا التساؤل الآن إن شاء الله تعالى.

ف نقول: إنَّ مفادَ الإشكال:

أنَّ النبيَّ الخاتمَ ﷺ قد كان ضعيفاً في مكة المكرمة، وكان لا يقدر على القتال، ولم يكن لديه جند ولا جيش لمقاتلة قريش، لذا فإنه أول ما وصل إلى المدينة المنورة بدأت في حياته مرحلة جديدة، وهي مرحلة القتال، وإراقة الدماء!!.

الجواب على هذا الإشكال.

إنني أطلب من المنصفين الوقوف عند التاريخ النبويِّ بموضوعية، والإمعان فيه بإنصاف، وسأضعُ بعضَ المسائل بين يدي القارئ العزيز، مع بعض الإيضاح المختصر، ومن ثمَّ ليحكِّم عقله، فهل النبيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ رجلٌ حربٍ وقاتلٍ كما يريدُ البعض أن يُصوِّره أم أنه رجلُ السلم والسلام، ورجلُ المحبة والوئام، ورجلُ العطف والحنان، ورجلُ الطمأنينة والأمان!!؟.

النبي محمد ﷺ في مكة المكرمة قوميَّ العشيرة:

لم يكن النبي ﷺ ضعيفاً في مكة المكرمة، بل كان قوياً، إذ كان ينتمي إلى عشيرة كانت تُعدُّ من أقوى العشائر في العرب، ومن أشدها بأساً وبطولةً، وهي: (عشيرته) بنو هاشم، ويكفي أن يكون فيها مثلُ أبي طالب ﷺ، وابنه عليّ، وعمّه حمزة بن عبد المطلب.

فكان يمكن للنبي مُحَمَّدٍ ﷺ أن يدخلَ مع قريش في حرب دامية، وتنتهي لصالح بني هاشم.

النبي محمد ﷺ في المدينة المنورة:

إن من الطبيعي أن رجل الثورة يقوم بإنشاء جيش لثورته، فإذا نفِيَ إلى مكان ما،

أو هاجر إليه فإنَّ أوَّلَ ما يقوم به هو البحث عن أشخاص يمكنهم الانضمام إليه، ومنهم يشكل جيشاً لأجل محاربة من حاربه، وهذا الأمر طبعي الحدوث.. ولكن..

١- هل فعل النبي محمد ﷺ هذا الأمر؟!.

٢- هل شكل النبي محمد ﷺ جيشاً في المدينة المنورة؟!.

٣- هل قام النبي ﷺ بدفع أصحابه لقتال قريش؟!.

فهنا تكمن حقيقة موقف النبي ﷺ، ولنقف الآن عند المسائل المذكورة وشبهها لتتعرف على حقيقة الأمر، ومنها سنخرج بالنتيجة التاريخية الحقيقية الواقعية إن شاء الله تعالى.

النبي محمد ﷺ بلا جيش:

لا يُحدِّثنا التاريخُ بأنَّ النبيَّ محمَّداً ﷺ عندما وصل إلى المدينة المنورة قام بتأسيس جيش، أو أنه قام بتشكيله من أصل، بل لقد حدِّثنا بأنه قام بتأسيس مبدأ الأُخوة.

السرايا للإستطلاع ومراقبة تحركات قريش:

وعندما عزم ﷺ على إخراج «سرايا» فإنها لم تكن تمثل سوى المهاجرين دون الأنصار - هذا ما قبل معركة بدر -، وكانت تستهدف استطلاع تحركات قريش خشية مباغتها للمسلمين، وكانت تُستوصى من قبل النبي ﷺ بعدم المهاجمة على الرجال، وكانت وصيته ﷺ واضحة المعالم، فقد جاء عنه ﷺ: «سيروا باسم الله، وفي سبيل الله، وعلى ملة رسول الله، ولا تغلوا ولا تمثلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا صبياً، ولا امرأة، ولا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا إليها، وأيما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر إلى رجل من المشركين، فهو جار، حتى يسمع كلام الله، فإن تبعكم فأخوكم في الدين، وإن أبى فأبلغوه مأمنه، واستعينوا بالله عليه»<sup>(١)</sup>.

(١) الحر العاملي: محمد بن الحسن: وسائل الشيعة: ١٥: ٥٨.

فهل يوجد قائد عسكري يقول: «وإن أبي فأبلغوه بأمنه»؟!، إن سياسة النبي ﷺ لم تكن سياسة حروب من أصل، وكيف تكون كذلك وهو أحد أقطاب السلسلة النبوية التي لم تعرف سوى لغة السلم والسلام، ولغة الرحمة بالعباد، وهو منهج الله تبارك وتعالى مع العباد.

### اعتراض طريق القافلة لا محاربتها:

وكانت السرايا تستهدف فقط اعتراض طريق القافلة، ولم تكن مأمورة بالقتال، بل لم تكون هناك أوامرٌ تُصِرُّ عليهم بأخذ أموال القافلة ومصادرتها كيفما كان.

ويتبين من مواقف بعض صحابة النبي ﷺ الذين كانوا لا يتمكنون من اعتراض طريق القافلة التي تُجاوزهم وتتمكّن من تخطي المسلمين، وأنهم كانوا لا يتعقبونها أبداً، بل يتركونها تأخذ سبيلها إلى مكة، وهذا ما حدث في سرية عبدة بن الحارث، الأمر الذي يؤكد أن النبي ﷺ لم يك محارباً أحداً، وكان في الوقت نفسه يفتح للمسلمين المهاجرين باباً يطلبون فيه ما سلبته قريش منهم، فأين هي سياسة الحرب التي يدقُ إسفينها من يظنُّ أنه سينال من الدين الإسلامي وقائده النبي محمد ﷺ!!!.

### شهادة صفوان الأموي:

قال صفوان بن أمية لقريش: «إنَّ محمداً وأصحابه قد عوروا علينا متجرنا، فما ندري كيف نصنع بأصحابه، وهم لا يبرحون الساحل، وأهل الساحل قد وادعوهم، فما ندري أين نسكن، وإن أقمنا في دارنا هذه أكلنا رؤوس أموالنا...»، وهذه شهادة العدو في حق المسلمين بأنهم لا يقاتلونهم بل يعترضون غيرهم وقوافلهم، ما جعل هذا الأمر يُهددُ الحياة الإقتصادية لقريش.

### تحقيق أهداف أخرى من السرايا:

نعم ولا بدَّ لهذه السرايا على بساطتها، وعلى أهدافها الإنسانية أن تترك شيئاً من التأثير النفسي على قريش، وعلى من يحيط بالمدينة المنورة، فشكلت هذه السرايا نوعاً من الغطاء الأمني للمدينة المنورة، وضربت بهذا طوقاً آمناً للمدينة المنورة

كي لا تُسْتَغَلَّ القبائل القريبةُ منها من قِبَلِ قريش فُتْبِاغَتْهم بالحرب، وهذه كانت من الخطط الإستراتيجية المهمة التي نفعت المسلمين لسلامة دار مهاجرتهم.

وفي نفس الوقت لَقِنَتْ هذه السرايا درساً لقريش بأن لا تظنَّ نفسها أنَّها القوَّة العظمى في المنطقة، ونشوء السرايا كان عبارةً عن إعلام لقريش بوجود قوة أخرى تتمكن من معادلة عنصر القوة في المنطقة، وهذا بحد ذاته كان أشدَّ على قريش من مبدأ القتال والحرب بالأسلحة، لأن هذا الأمر قد كسر هيبة قريش، وفضحهم بين العرب إذ أخرجوا أبناءهم من ديارهم بعد سلبهم لأموالهم!!.

### أول غزوة في الإسلام بلا استعداد لخوض معركة:

وعندما ننظر إلى مجريات أحداث أول معركة حدثت في تأريخ الإسلام وهي «معركة بدر» نجد أنَّها لم تكن عن استعدادٍ استعدَّه المسلمون للقتال من أصل، بل كان خروجهم لأجل العير فقط، وقد حدَّثنا التأريخ أن عدد الذي خرجوا مع النبي ﷺ لأجل اعتراض طريق قافلة قريش كانوا: ثلاثمائة وثلاثة عشر<sup>(١)</sup> رَجُلًا، (٣١٣).

وكان معهم سبعون بعيراً، واختلف المؤرخون في عدد الخيل، فقالوا: «كان فرساً واحداً»، وقال الآخرون: «إنَّهما فرسان»، وأمَّا لو عرفنا ما كانوا يحملون من السلاح لتأكَّد لنا أنَّهم لم يخرجوا للقتال من أصل، فقد حدَّثنا التأريخ أن مجموع السيوف التي كانت معهم هؤلاء لا يتعدَّى ثمانية سيوفٍ، وأمَّا الدروعُ فستهة!

فهل يقال: إنَّهم كانوا جيشاً؟!.

### المعارك الأخرى:

وبعد أن انتصر المسلمون في معركة بدر، كان بإمكانهم التهيئة السريعة ومن ثمَّ مباغته قريش في عقر دارهم للقضاء عليهم بسهولة، فقد كانوا يعيشون انهنزاً نفسياً رهيباً، والقضاء على أمثال هؤلاء أمرٌ يسيرٌ جداً، ومع ذلك فإنَّ النبي ﷺ لم يفعل؛

(١) راجع تفسير مقاتل: ١: ١٣٠.

لأنه لا يُفكرُ بمنطق الحروب والقتال، بل يُفكرُ بمنطق السلم والسلام، وهذا من أهم الفروقات بين القائد الإلهي وبين القائد الأرضي.

ويهاجم المشركون النبي ﷺ والمسلمين مرّةً أُخرى قرب المدينة، فكانت معركة أحد، ومن ثمّ تقع معركة الخندق في عقر دار المهاجرة، والرسول ﷺ لا يُفكرُ بمهاجمة قريش في عقر دارها.

### فتح مكة:

ولقد هزم النبي ﷺ قريشاً، ووقعت الأخيرة معاهدة صلح مع النبي الأكرم ﷺ، إلا أنها نقضته، فسار ﷺ قاصداً الدخول إلى مكة، واستلامها من قريش، وكان دخوله من دون حرب ولا قتال، وكان الشعار فيها: «اليوم يوم المرحمة، اليوم تُحفظُ فيه الحرمة»<sup>(١)</sup>، تطمينا لقريش بالسلم والسلام.

### معارك النبي ﷺ دفاعية:

نجد إذن أن النبي ﷺ لم يعزم على محاربة قريش، وعندما حاربها فإنّ حربهُ كانت دفاعيةً محضةً، ولم تك ابتدائيةً أبداً.

### معاركه ﷺ خارج المدينة ومكة:

وكانت له ﷺ معارك مع غير العرب، وهم الروم، ولم تك أيضاً ابتدائيةً بل كانت دفاعيةً، ونصرةً للمستضعفين الذين كانوا يقاسون من الحكومة الرومية الظلم والعدوان.

### الرسالة والرسول للسلم والسلام:

ومع ملاحظة ما عليه تعليمات القرآن الكريم، فإننا ننتهي إلى نتيجة مهمة في سياسة الإسلام في التعامل مع المخالفين، إنها سياسة السلم والسلام، لا سياسة الحروب والدماء كما حاول أعداء الإسلام تصويره للآخرين، تشويهاً لسمعة الدين الإسلامي كي يُشكّل هذا حاجزاً لمنع من يودّ التعرف على الدين الإسلامي فيقتنع

(١) السرخسي: شمس الدين: المبسوط: ١: ٣٩٠.

به بقوة ما لديه من البرهان المعرفي، والآيات القرآنية تحمل مثل هذه الروح الطيبة في التعامل مع المختلف معهم، بل وحتى مع العدو.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَحُوا لِلْسَّلَامِ فَأَجْزَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

[الأنفال/٦١].

### معارك النبي ﷺ طوارئ:

عندما ننظر إلى الأصل الأولي في تعامل السماء وأتباعها مع العباد فإن كل ما سيأتي بعده من المسائل المتعلقة بهم سيُنظرُ فيها من خلال هذا المنظار الأساسي، فمن جملة المسائل التي ينبغي النظر إليها هي مسألة الحروب والمعارك التي ذكرناها، والتي خاضها النبي ﷺ، وبناءً على مُسَلِّمَةِ الأصل الأولي سننتهي إلى نتيجة مهمة جداً وهي: أن تلك المعارك والحروب لم تكُ إلا أحكاماً طارئةً جداً، ولا أجدني مضطراً لأن أصفها بالأحكام الثانوية، لأن ما تكونُ بحكم الطوارئ، لا يُحكَمُ عليها بحكم الثانوية.

فالنبي الأكرم ﷺ إنما خاض تلك المعارك كما شاهدناها؛ لأن العدو قد وضعه في موقع لا خيار له ﷺ سوى هذا الخيار الصعب، ومع ذلك فإنه لما دخل فيها دخلها بضوابط عالية الدقة والإنسانية، مُطبَّقا في هذا الخيار الصعب كل معايير الأصل الأولي، فلم يكن حاله حال قواد العساكر الذين نجدهم يخرجون عن الكثير من المعايير الإنسانية في حروبهم مع أعدائهم، فيرتكبون أشنع الجرائم فيهم.

### المعارك والحروب خيارٌ أخيرٌ إنسانياً:

وهنا ينبغي أن نبيِّن بعض النقاط الأساسية المتعلقة بمسألة الحروب والجهاد في تاريخ الإسلام، ونضعها في النقاط الآتية وباختصارٍ إن شاء الله تعالى:

١ - إن الجهاد الإسلامي أول ما يركز عليه هو جهاد النفس.

٢ - لما كان البناء السماوي على التعامل مع العباد وفق مبدأ السلم والسلام، فإن هناك في المجتمع الإنساني من لا يفهم مثل هذه المفاهيم الإنسانية، فيطغى



ويتجبر، فيظن أن مثل هذه المبادئ لا تنشأ إلا من الضعف والخوف، فوضع عنوان «الجهاد» في المنظومة الإسلامية خلق توازناً نوعياً فيها، ما جعل الفراعنة والطواغيت يخشون سطوة المبادئ، وغضب القيم، وانتقام الإنسانية من قاتليها، فوجود عنوان كهذا في مفردة المنظومة الإسلامية يُوجدُ نحواً من التوازن في التعامل مع الإنسان والإنسانية، ما يضع حداً للطغيان والجبروت.

٣ - وعندما يتجاوز الإنسان حدوده في الطغيان - وهو أمر ممكن ووارد - فإنه لا بد من إيجاد قانون في ضمن منظومته بما يضمن سلامة المجتمع من جهة، وفي الوقت نفسه يضمن سلامة القيم والمبادئ الإنسانية من جهة ثانية، وبما يوقف الطاغية عند حده من جهة ثالثة، وبما يكون ردعاً لمن تُسوّل له نفسه قتل الإنسانية، من جهة رابعة، فكان وضع «الجهاد» في ضمن التقنين الإسلامي الاجتماعي تحقيقاً لمجموعة من الأغراض.

٤ - نظراً إلى أن الإسلام دينُ الله تبارك وتعالى، فقد بيّنا سابقاً أن الله تبارك وتعالى وضع في هذه الدنيا قوانينَ لأجل مصلحة الإنسان، وبيّن له أن هذه القوانين تتماشى مع السلوك الإنساني، فإن كان إيجابياً كان تحرك القوانين التكوينية الغيبية إيجابياً، وإن كان سلبياً كان تحرك هذه القوانين التكوينية الغيبية سلبياً، فإذا تمرد الإنسان، وتجاوز حدوده إلى حدّ الإفراط أو التفريط بحيث يصل إلى مستوى تهديد حياة الأمة، أو تهديد سلامتها، أو وجودها، ففي هذه الحالة يحكم العقل بضرورة إيقاف أمثال هؤلاء عند حدّهم، فُتبدّلُ الوسائل والطرق لأجل إيقافهم، فإن استجابوا، وإلا فإن العقل والعرف والقانون يحكم بوجوب استعمال أقصى ما لدى الأُمم على الشريعة من الطرق والوسائل المتاحة، وإن اضطرّوا إلى استعمال الشدّة، وحالُ هذا الأمر حالُ الصبي الذي لا يُصلحُه إلا الضرب على يديه ليمتنع عن السلبية المفرطة.

وإننا نجدُ أن جميع الدول تستعمل مثل هذا الحق في عقوبة المفرط في تصرّفاتِهِ بحيث يؤدّي بنفسه أو بالآخرين إلى منعطفات خطيرة، أو إلى تهديد النوع البشري، أو مخالفة النظام العام.

٥ - المهم هو: أن استعمال الشدة كخيار أخير لمصالح الأوطان، ولمصالح النوع الإنساني، ولمصلحة النظام العام، أو لمصلحة المبدأ الإنساني، والقيم الفطرية هو أمرٌ متعارفٌ عليه من الأصل، ومتفقٌ عليه لدى البشرية، ومصدقٌ عليه لدى الأعراف الدولية، فليس ما عليه الدين الإسلامي بدعاً من هذه المنظومات الدولية، لا غريباً عنها، ولا شاذاً عنها، نعم يبقى الكلام في المصاديق التي توجب الشدة، وما لا توجب، فهذا بحث مستقل، يُنظر فيه من خلال الرؤية الكونية للعالم والوجود، فلماذا تُستعملُ الشدة في هذا الموضع، ولماذا هناك لا!!، فإن مثل التساؤل يرد في حق كل القوانين الوضعية، كما أنه بحث في المصداق والتطبيق، والمهم هو وجود اتفاق في أصل وجود العقوبة والشدة كخيارٍ أخير في البين.

## السماء وموقفها من طغيان البشرية

وكانت السماء تُعاملُ مع أولئك الطغاةَ بأساليبٍ مختلفةٍ؛ فتارةً تُمهلهم إلى درجة يطول فيها عهد الطغاة بشكل لا يتصور.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت/ ١٤].

وتارةً أخرى تطلب من الرسول أن يخرج بالمؤمنين من البلدة؛ لأنَّ الغرض الأساسيَّ قد تحقق؛ وأن الطغاة لا يملكون حق التصرف في شعوبهم؛ ما دامت شعوبهم قد اختارت طريقها بنفسها؛ من دون أن يضغط عليها حامل الرسالة السماوية في خيارها المصيري.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه/ ٧٧].

وإذا ما كان يفتح كيل الوجود التكويني؛ وتضرب أوتارُهُ بِشِدَّةٍ إثر سلوك الطغاة ومتبعيهم؛ ويصبح سلوك الطغاة مهددًا للعالم والطبيعة؛ كانت الرسل تؤمر إما بتقديم رؤيتها لشعوبها وعلى أثرها يترتب الأثر.

قال تعالى: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه/ ٨١].

وإما أنها كانت تؤمر بالخروج من قراها وبلدانها لكونها كانت تُشكِّلُ مانعاً من تحقق الأثر التكويني.

قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ \* قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ \* لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمُ

حِجَارَةٌ مِنْ طِينٍ \* مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ \* فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ \* فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَدِيٍّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ \* وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿[الذاريات/ ٣١-٣٧].

وإما أن تطلب السماء من حاملي الرسالة الغياب عن أممهم؛ لإعطائهم درساً من دروس الواقع والحقيقة؛ وستأتينا فقرة في نهاية المطاف؛ تتحدث عن فلسفة الغيبة في تاريخ حاملي الرسالة السماوية.

قال تعالى: ﴿وَأَعْتَرُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم/ ٤٨].

واتخاذ مثل هذه القرارات الخطيرة؛ بحيث تهلك الأمم الطاغية بها لم يكن... -

١ - إلا لتجاوز تلكم الأمم الخطوط الحمراء في الانحراف؛ والصدِّ لكل ما هو محقّق للعدالة الإجتماعية.

٢ - مطرداً بين بني البشر (حيث نجد في الأعم الأغلب نزول العذاب على فئة الطغيان ومؤيديهم، وأما فئة التوحيد فكانت تلوذ بالخروج من المنطقة المحظورة التي ستخضع للأثر التكويني الوجودي).

وندر في تاريخ البشرية أن تنحرف الأمم بكاملها عن خطّ التوحيد؛ بل ويكاد أن يندم ذلك.

نعم إن بعض الأمم التي خضعت لغضب عالم التكوين، لم تكن كلها كافرة برسالتها وإنما منعها خوفها من كبار الشخصيات التي فيها، وطمعها في الالتذاد بالذات المحدودة بحدود المادة، وأما المنكرون الأساسيون فيها؛ والذين كانوا يتصرّفون بهمجية وتطرف أمام الرسل، فكانوا قلة بالنسبة إلى نسمة شعوبهم.

وقد ورد أن العذاب إذا حلَّ عمَّ كلَّ شخصٍ إلا من رحمة الله عزَّ وجلَّ، وهذه الرحمة لا تنزل إلا ضمن توفر الشرائط، وكان هناك من الناس في تلكم الأمم من يستحصلها وبجدارة.

وبتعبير آخر.. لم يكن استثناء المحسنين إلا من باب أنهم كانوا متمسكين بحق

التوحيد أكثر من تمسكهم بحقوقهم الشخصية، وكانوا لا يقبلون الهوادة فيه بأيّ نحو من الأنحاء، فإمّا أن يُحقّقوا (التوحيد) وإمّا أن يَفنّوا في سبيل تحقيقه؛ ولو قطعاً بالمناشير؛ وصلباً على الأعمدة؛ وذبحاً بالسكاكين... إلخ.

وكان الخطُّ البيانيّ مستمراً في النزول والصعود عبر تلکم الأزمنة الغابرة؛ إلى أن وصل الأمرُ إلى الرسالة السماوية الخالدة؛ التي قدّمت أروع رسالة في تاريخ البشرية، وأكملها على الإطلاق، فلقد فتحت أبواب معارف التوحيد على مصراعها، وهذا ما لم يكن متعارفاً في سابق العهود الغابرة، وهذا يعني أن الرسالة قد قدمت وسائل وسبل تحقيق الحضارة الإنسانيّة في أروع الصور والأشكال.

#### خلاصة ما تقدّم:

يتّضح جلياً أنّ السماء عندما قرّرت التدخل في الشأن الإنسانيّ بناءً على الاحتياج التكويني الذي نبع من داخل فطرتها؛ كان هذا التدخل بناءً على الاحتياجات والمتطلبات التكوينية الخاصة التي يتمتع بها الإنسان، وبحيث لا يتعارض مع متطلبات الطبيعة، واحتياج الكائن الحي الآخر.

وإنّ هذا التدخل كان بطريقةٍ وآليّةٍ تنسجم مع الأوضاع الطبيعيّة التكوينيّة للإنسان والمحيط، وقد كان بلسان كلِّ قوم.

ولكن مع الأسف أن نجد المجتمعات لا تعرف مصالحها، فتسير عكس التيار، ومن مشى عكس التيار هلك وأهلك.



## الفصل الأخير

### بحث متفرع

## سرّ غيبة الخليفة الإلهي عن الناس

### الإعتزال والغيبة عن الأمة :

إنّ من أهم الوسائل السماوية التي استعملت في توعية الأمم، وفي ردعها عن سلوكها السلبي هو نزول الأمر الإلهي إلى المبعوث من السماء باعتزال قومه، والغياب عنهم.

وهذه الوسيلة تُعدّ من الوسائل التربوية التي تُخضع الطرف المقابل للرجوع إلى الواقع وإلى الحقيقة التي لا مناص لأيّ إنسان من الهروب منها، وهي: أنّ المالك الحقيقي لهذا الوجود ليس إلاّ الله تعالى، وأنّه سبحانه من يعرف ما يُصلح الإنسان وما ليس، وهذا يعني أن من أهم الأهداف التي في غيبة الخليفة الإلهي إرجاع الناس إلى محور «التوحيد»، بإشعارهم وإحساسهم بالألا قادر على حلّ مشكلتهم الإنسانيّة والاجتماعيّة سواه.

ولكن تمرد هذا الإنسان يضعه في موضع لا يرى فقره، ولا يرى جهله، معتقداً أنّه قادر على إدارة مملكة نفسه بما لديه من إمكانيّات وقابليّات محدودة، وقادر على إدارة الأمم والشعوب، وأنّه قادرٌ على تحقيق متطلبات نفسه ومتطلبات الآخرين سواء أكان إنساناً أم حيواناً أم جماداً.

وبما أنّ هذا الشعور يرافق الإنسان فإنّ من مقتضيات الخلقة والحكمة أن ينال

هذا المخلوق فرصته لإثبات ذاته كما هو يعتقد، فيمنح فرصة الدخول إلى معترك الحياة الحقيقيّة، ويُعطى له زمام ما أراد أن يأخذ، ويبدأ مسيرته في الحياة. ولكن..

١ - هل ثقة الإنسان بنفسه تمنحه ما يطلبه من السعادة المطلقة؟

٢ - وهل يصل إلى مستوى تأمين الحاجات للجميع؟

٣ - وهل يصل إلى مستوى العدالة النفسية فضلاً عن العدالة الاجتماعية؟

٤ - وهل يتمكن من إيصال المجتمع الإنساني إلى سعاداته التي يسعى إليها؟

أظنّ الجواب واضحاً أمام الجميع، فإنّ الإنسان لم يزد في تعاسته إلاّ سوءاً، والسبب واضح جداً فقد بيّناه سابقاً.

فالغيبية إذن.. تدخل ضمن آلية المعالجة للمشكلة الإنسانية، وتدفع المرء إلى الإقرار والاعتراف بأنّه غير قادر على إدارة الحياة من دون دليل يعرف كلّ شيءٍ في الحياة، ويعرف احتياجات الجميع، ويعرف كيف يُخلّص الإنسان من حالات التزاحم الأكيدة.

### صور الغيبية في تاريخ العصور الماضية:

ونجد في تاريخ الأنبياء وقوع مثل هذه الحالات، فيكون غياب النبي أو الرسول عن أمّته بإحدى الصور التالية:

الصورة ١: أن يغيب خليفة الله عن قومه فقط، فيتركهم ويرحل عنهم إلى أرضٍ أخرى.

كما حدث في قصة النبي إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَأَعَزَّلْنَاهُمْ مِمَّا دَعَوْتَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيحًا﴾ [مريم/٤٨].

فخرج النبي إبراهيم عليه السلام من أرض قومه ليتوجّه إلى أرض مكة، وهذا الاعتزال في الحقيقة خسارة لشعبه وأمّته؛ لأنّها بهذه الحالة تفقد الشخص



الوحيد القادر على إسعادها سعادةً مطلقةً، ويوفّر لها كل أسباب الراحة، ويُحقّق لها حضارتها.

الصورة ٢: أن يغيب خليفة الله عن قومه مطلقاً.

كما حدث للنصارى عندما غاب عنهم النبي عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران/ ٥٥].

الصورة ٣: أن يغيب خليفة الله عن الشعوب في شأن من شؤونه وليس مطلقاً.

كما حدث للإمام المهدي المنتظر عليه السلام، الذي لم يغيب عن الأمم والشعوب مطلقاً، فهو يمارس دوره المناط به، إلا أنه عليه السلام غاب عن شأن من شؤونه وولايته من قبيل إدارة الأرض وزعامتها وحكومتها.

وهذا الغياب الشائني ذو أثرٍ خطيرٍ على الأمة، إذ سيسود بذلك الفساد، والظلم، والانحراف، ولكن.. أبت نفوس قومٍ إلا أن تركب مركباً ليس لها في ادارته من خبرة، فحدث ما حدث من المصائب، ويحدث ما يحدث من البلاء، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ \* وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص/ ٥-٦].

وقد بيّن القرآن الكريم أنّ لإخراج خليفة الله تعالى من الأرض - سواءً من أرضٍ معيّنة كخروج النبي إبراهيم أم مطلقاً أم شأناً - نتائج سلبيةً تعود على تلكم الأمم والشعوب بنكباتٍ وآلام، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا \* سَنَّةً مِّن قَدَرٍ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا نَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء/ ٧٦-٧٧].

فإذا تمرّد العبدُ وقال «حسبي كتاب الله»، وابتعد عن المنهج الذي وضعه الله تعالى من اتباع الرسول بمعية القرآن الكريم من دون إلغاء أيّ شأن من شؤونه فإنّ

لهذا الإلغاء نتائج وخيمة ملخصها هي: «أما لعمري لقد لَقِحتُ فَنِظْرَةً ريشما تُتَجُّ، ثُمَّ احتلبوا ملء القعبِ دماً عبيطاً، وزعافاً مبيداً، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غيبٌ ما أسس الأولون، ثُمَّ طيبوا عن دنياكم أنفساً، واطمئنوا للفتنة جأشاً، وأبشروا بسيف صارم، وسطوة معتدٍ غاشم، وبهرج شامل، واستبدادٍ من الظالمين: يَدْعُ فيئُكم زهيداً، وجمعُكم حصيداً، فيا حسرةً لكم وأنى بكم وقد عُميَّتْ عليكم...»<sup>(١)</sup>.

### آلية التغييب السماوية:

قد تقدّم في البحث السابق أنّ من الآليات السماوية التي استخدمت في تاريخ البشرية إثر تمردها على تعاليم الله سبحانه وتعالى أن يأمر الله تبارك وتعالى النبي أو الرسول أو الوصي بالابتعاد عن أمته، ويغيب عنها، ولكن التساؤل المهم الذي يرد في البين هو: لماذا استخدام هذه الآلية؟!.

### الجواب:

إنّ الجواب الدقيق موكول إلى الباري سبحانه وتعالى، غير أنّنا قد نجد بعض الأجوبة التي نحتمل أنّها من جملة الأجوبة، وليست هي تمام العلة، فلعلّ السبب في ذلك هو:

أنّ البشرية بعد انحرافها عن طريق الفطرة، استغاثت طالبة النجدة، فأُنجِدَتْ، ولكنها بعد النجدة تمرّدت، وبدأت بقتل الأنبياء والرسل والأوصياء كما أتضح سابقاً، وأعلنت أنّها قادرة على السير قدماً في تحقيق الحضارة، وأنّها قادرة أن تُكْمِلَ مسيرة الفطرة إلى هدفها المنشود من دون الرسول والوصي، فكأنّ السماء تقول لحاملي الرسالة: أن ابتعدوا عن هؤلاء، فإنهم قرّروا إفناءكم، فلننظر ما يقومون به، إنهم يريدون الاستقلال عنكم، إنهم يريدون تدبير أمورهم المعاشية من دون تدخلكم، إنهم يقولون: إنهم قادرون على بناء الحضارة من دون إرشادكم أو توجيهكم، فليكن ما يريدون من إبعادكم، ولننظر ما يقومون به، فهل سينجحون؟!.

(١) الشيخ الطبرسي: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب: الاحتجاج: ١: ١٤٨-١٤٩.

وَكأنَّ السَّمَاءَ تَخاطَبُهُمْ.. إنَّكُمْ يا معاشِرَ البَشَرِ لَنْ تَقْدروا على شيءٍ؛ لأنَّكُمْ إلى الآنَ لَمْ تَسْبِرُوا بعضَ أسرارِ المادَّةِ، فكيفَ تَقْدرونَ أنْ تَسْبِرُوا أغوارَ الغيبِ، وكيفيةَ تفاعلِهِ مع سلوكِكُمْ، وإنَّ هذا العلمَ لَمْ يُعْطَ إلاَّ لحاملِ الرِّسالةِ، والمؤتمِنِ عليها، ولكِنَّكُمْ بتمردِكُمْ على الرِّسالةِ وعلى حُمالِها تجاوزتُمُ الإنسانيَّةَ، واغترَّ النَّاسُ بِكُمْ فليكنَ ما أردتُمْ.

وسترجعون إلى الدعاء لإرجاع الرسول والوصيِّ إلى محلِّهِ الاجتماعي لإدارة المجتمع، ولكن بعد ماذا؟!، بعد أن تَمَرَّ البشريَّةُ بتجربةٍ مريِّرةٍ، ومؤلمةٍ جدًّا، واللَّه رؤوفٌ بالعباد، سيُخْرِجُ وليَّهُ إليكم رحمةً بكم، ليقيمَ العدلَ الأعظمَ في أوساطِكُمْ، حينها يتمنَّى أهلُ القبورِ الخروجَ لينعموا بما أنتم فيه.

- ورد عن النبي الأكرم ﷺ: «يكون في أمّتي المهدي... تنعم أمّتي في نعمة لم ينعموا مثلها، يُرسلُ اللهُ السَّماءَ عليهم مدراراً، ولا تَدَخِرُ الأرضُ بشيءٍ من النباتِ والمالِ كُدوسٍ، يقوم الرجلُ فيقول: يا مهدي أعطني فيقول: خُذْهُ»<sup>(١)</sup>.

- وورد أيضاً: «ثمَّ يبعثُ اللهُ عزَّ وجلَّ رجلاً مِنِّي ومن عترتي فيملاً الأرضَ عدلاً كما ملأها من كان قبله جوراً، وتُخْرِجُ له الأرضُ أفلاذَ أكبادها، ويحثو المالَ حثواً ولا يُعُدُّهُ عدداً، وذلك حين يضرب الإسلامُ بجرانه»<sup>(٢)</sup>.

- وورد: «ليبعثنَّ اللهُ تعالى من عترتي رجلاً أفرقَ الثنايا، أجلى الجبهة، يملأ الأرضَ عدلاً ويفيضُ المالَ فيضاً»<sup>(٣)</sup>.

والحمد لله رب العالمين وصلّى اللهُ على سيّدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابِهِ الغُرِّ الميامينِ المنتجبين، تَمَّ الانتهاء منه بعونِ اللهِ وقوَّتِهِ في ٢٨ شهر رمضان المبارك ١٤٣١هـ، الموافق ٨/٩/٢٠١٠م، سلطنة عمان، مسقط، الخوير، وتَمَّت بعض الإضافات في الفقرات الأخيرة في فصل المنهجية السماوية في شهر رمضان المبارك ١٤٣٣هـ، الموافق: ٢٠١٢م.

(١) الطبراني: أبو القاسم بن أحمد: المعجم الأوسط: ٥: ٣١١.

(٢) الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن: الأمالي: ٥١٢.

(٣) الشيخ المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار: ٥١: ٩٦.



## مصادر الكتاب

القرآن الكريم.

(i)

الإرشاد: الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان العكبري البغدادي (الشيخ المفيد): تحقيق: مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث: دار المفيد: ط: الثانية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، بيروت - لبنان.

الأدب المفرد: الإمام محمد بن إسماعيل البخاري: مؤسسة الكتب الثقافية: ط: الأولى: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

إرشاد القلوب إلى الصواب: أبو محمد الحسن بن أبي الحسن بن محمد الديلمي: مطبعة الحيدرية: ط: الثالثة.

الاحتجاج: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي: طبع في مطابع النعمان: النجف الأشرف: ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.

الاستبصار فيما اختلف من الاخبار: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي: دار الكتب الإسلامية: ط: الرابعة: ١٣٦٣، طهران،

الأصفي: في تفسير القرآن: المولى محمد محسن الفيض الكاشاني: تحقيق: محمد حسين درايي ومحمد رضا نعمتي، مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، ط: الأولى: ١٤١٨ هـ قم - الجمهورية الإسلامية في إيران.

الأصول الستة عشرة: نخبة من الرواة: دار الشبستري للمطبوعات: المطبعة: مهديّة: ط: الثانية: ١٤٠٥ هـ - ١٣٦٣ م، قم - إيران.

الأصول العامة للفقّه المقارن: السيد محمد تقي الحكيم: مؤسسة آل البيت عليه السلام: ط: الثانية: ١٩٧٩ م.

الفصول المهمة في أصول الأئمة: الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي: تحقيق وإشراف: محمد بن محمد الحسين القائني: الناشر: مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا عليه السلام، ط: الأولى: ١٤١٨ هـ، المطبعة: نكين قم، قم - إيران.

إقبال الأعمال: السيد رضيّ الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس: المحقق جواد القيومي الأصفهاني: مركز النشر مكتب الاعلام الإسلامي، قم: شارع الشهداء (صفائية)، ط: الأولى، ربيع الأول: ١٤١٥ هـ.

إقتصادنا: السيد محمد باقر الصدر: تحقيق: مكتب الإعلام الإسلامي، ط: الثانية: ١٤٢٥ هـ.

الأمالي: الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي: تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، ط: الأولى: ١٤١٧ هـ، قم.

الأمالي: الشيخ أبو عبد الله بن محمد بن محمد بن نعمان العكبري البغدادي (الشيخ المفيد)، تحقيق: الحسين أستاذ ولي - علي أكبر الغفاري، منشورات: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم المقدسة، المطبعة الإسلامية، ١٤٠٣ هـ.

الأمالي: الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي: تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية: مؤسسة البعثة: ط: الأولى: ١٤١٤ هـ.

### (ب)

بحار الأنوار: الشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، ط: الثانية: ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، بيروت - لبنان.

بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد: أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ «الصفار»: منشورات الأعلمي: ١٤٠٤ هـ، طهران - إيران.

### (ت)

تاريخ مدينة دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر: دراسة وتحقيق: علي شيري: دار الفكر، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، بيروت - لبنان.

التبيان في تفسير القرآن: شيخ الطائفة أبو جعفر محمد الحسين الطوسي: مكتب الإعلام الإسلامي، ط: شهر رمضان ١٢٠٩ هـ، تحقيق وتصحيح الشيخ أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي.

تحف العقول عن آل الرسول: أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني: مؤسسة النشر الإسلامي: ط: الثانية: ١٤٠٤ هـ.

تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي: الحافظ أبو العلا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري: دار الكتب العلمية: ط: الأولى: بيروت - لبنان، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

تفسير القرآن الكريم: السيد مصطفى الخميني: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الامام الخميني، ط: الأولى: آبان ١٣٧٦ - جمادى الثاني ١٤١٨ هـ، مطبعة مؤسسة العروج.

تفسير القمي: أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي: تصحيح وتعليق: السيد طيب الموسوي الجزائري، ط: الثالثة، شهر صفر ١٤٠٤ هـ، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم - إيران.

تفسير نور الثقلين: الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع: قم - إيران.

تفسير مقاتل بن سليمان.

تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: الشيخ أبو الحسين ورام بن أبي فراس، دار التعارف ودار صعب: بيروت - لبنان.

تهذيب الأحكام في شرح المقنعة: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي: دار الكتب الإسلامية: طهران، ١٣٩٠ هـ.

التوحيد: إملاء الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام على المفضل بن عمر الجعفي: علق عليه: كاظم المظفر: مؤسسة الوفاء، ط: الثانية، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، بيروت - لبنان.

التوحيد: الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي: صحح وعلق عليه: المحقق السيد هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية: قم.

### (ث)

ثواب الأعمال: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي الصدوق: منشورات الرضي: ط: الثانية: مطبعة: أمير - قم، ١٣٦٨ هجري شمسي.

### (ج)

الجامع الصغير: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.

جامع أحاديث الشيعة: السيد حسين الطباطبائي البروجردي، المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٩ هـ.

جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام: الشيخ محمد حسن النجفي الجواهري: دار الكتب الإسلامية: ط: الثالثة، ١٣٦٧ ش، طهران.

جوامع المجامع: الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي: تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، ط: الأولى، ١٤١٨ هـ، مدينة قم - الجمهورية الإسلامية في إيران.



## (ح)

الحدائق الناضرة: الشيخ يوسف البحراني: مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران.

## (خ)

الخصال: الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي: صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، ١٤٠٣ هـ، قم - إيران.

## (د)

الدر المثور: جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي: دار المعرفة: بيروت - لبنان.

دعاء الإسلام: أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي: تحقيق آصف بن علي أصغر فيضي: دار المعارف: ١٣٨٣ - ١٩٦٣، القاهرة.

الدعوات (سلوة الحزين): أبو الحسين سعيد بن هبة الله قطب الدين الرواندي: تحقيق مدرسة الإمام المهدي، قم - إيران.

## (ر)

الرواشح السماوية: مير داماد محمد باقر الحسيني الأسترآبادي: التحقيق: غلام حسين قيصرية ها ونعمت الله الجليلي، دار الحديث، ط: الأولى: ١٤٢٢ هـ.

روضة الواعظين: الشيخ محمد بن الفتال النيسابوري: منشورات الرضي: قم - إيران.

## (س)

سنن ابن ماجة: الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة: حقق نصوصه، رقم كتبه، وأبوابه، وأحاديثه، وعلّق عليه محمد فؤاد عبد الباقي: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

## (ش)

شرح أصول الكافي: المولى محمد صالح المازندراني: دار إحياء التراث العربي: بيروت - لبنان، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

شرح على المائة كلمة لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، قم - إيران.

شرح نهج البلاغة: عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني المعتزلي: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: دار إحياء الكتب العربية: ط: الأولى: ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م.

الشيعة في الإسلام: السيد محمد حسين الطباطبائي: ترجمة جعفر بهاء الدين.

## (ص)

الصحيفة السجادية: للإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام: ط: الأولى: ١٤١١ هـ.

صحيح ابن حبان: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي: تحقيق شعيب الأرنؤوط: ط: الثانية: ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م،

## (ط)

طب الأئمة: أبو عتاب عبد الله بن سابور الزيات، والحسين ابني بسطام

النيسابوريين، ط: الثانية: إنتشارات الشريف الرضي: ١٤١١ هـ - ١٣٧٠ م.ش، مطبعة: أمير- قم - إيران.

## (ع)

عدة الداعي ونجاح الساعي: أحمد بن فهد الحلبي: صحَّحه وعلَّق عليه أحمد الموحد القمي: قم - إيران.

علل الشرائع: الشيخ أبو جعفر محمد بن علي ابن الحسين بن موسى با بابويه القمي: منشورات المكتبة الحيدرية ومطبتها في النجف الاشرف ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م.

عوالي اللثالي: محمد بن علي بن إبراهيم الأحسائي المعروف بابن أبي جمهور: مطبعة سيد الشهداء: ط: الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، قم - إيران.

عيون أخبار الرضا عليه السلام: الشيخ أبو جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي: منشورات: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات: ط: الأولى: بيروت - لبنان، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

عيون الحكم والمواعظ: الشيخ كافي الدين أبو الحسن علي بن محمد الليثي الواسطي: تحقيق: الشيخ حسين الحسن بن البيه جندي الليثي الواسطي، دار الحديث: ط: الأولى.

## (غ)

غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد بن محمد التميمي الأمدي: مكتب الاعلام الإسلامي: قم - إيران.

## (ف)

الفصول المهمة في أصول الأئمة: الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي:

تحقيق وإشراف: محمد بن محمد الحسين القائيني: مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا عليه السلام: ط: ١٤١٨ هـ، المطبعة: نكين، قم.

فقه الرضا: أبو الحسن بن علي بن موسى بن بابويه: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث: ط: الأولى: ١٤٠٦ هـ.

فلسفتنا: السيد محمد باقر الصدر: مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط: الثالثة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، مطبعة الأمير.

فيض القدير: محمد عبد الرؤوف المناوي: ضبطه وصححه أحمد عبد السلام: دار الكتب العلمية: ط: الأولى: بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

### (ق)

قرب الإسناد: أبو العباس عبد الله بن جعفر الحميري: تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث: ط: الأولى: مطبعة: مهر: ١٤١٣ هـ، قم.

### (ك)

الكافي: الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي: دار الكتب الإسلامية: ط: الثالثة، ١٣٦٣ ش، طهران.

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م.

كتاب التمهيص: أبو علي محمد بن همام الإسكافي: تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم.

كتاب الزهد: الحسين بن سعيد الأهوازي: تحقيق وإخراج وتنظيم: ميرزا غلام رضا عرفانيان: المطبعة العلمية: ١٣٩٩ هـ.

كتاب المؤمن: الحسين بن سعيد الكوفي الأهوازي: تحقيق ونشر: مدرسة

الإمام المهدي عليه السلام: ط: الأولى، ١٤٠٤ هـ، قم - إيران.

كنز العمال: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري:  
مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، بيروت - لبنان.  
كنز الفوائد: أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي.

### (م)

المبسوط: شمس الدين السرخي: دار المعرفة: بيروت - لبنان.  
المحاسن: أحمد بن محمد بن خالد البرقي: التصحيح والتعليق: المحدث  
السيد جلال الدين الحسيني، ط: الأولى: طهران.  
المحجة البيضاء في احياء الاحياء: فيض المولى محمد المدعو بمحسن بن  
الشاه مرتضى الكاشاني.  
المستدرك على الصحيحين: الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: دار  
المعرفة: بيروت - لبنان.  
المعتبر في شرح المختصر: نجم الدين أبو القاسم جعفر بن الحسن المحقق  
الحلي: مؤسسة سيد الشهداء عليه السلام: ط: ١٣٦٤، مطبعة: مدرسة الإمام أمير  
المؤمنين عليه السلام.  
المعجم الأوسط: الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني: قسم التحقيق  
بدار الحرمين: دار الحرمين للطباعة والنشر، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.  
المعجم الكبير: الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني: ط: الثانية: حَقَّقَهُ  
وخرَجَ أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي.  
مسائل علي بن جعفر: تحقيق وجمع: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث:  
ط: الأولى: المطبعة: مهر، ١٤٠٩ هـ، قم.  
مستدرك سفينة البحار: الشيخ علي النمازي الشاهرودي/ تحقيق وتصحيح  
الشيخ حسن بن علي النمازي: مؤسسة النشر الإسلامي: قم - إيران.

مستدرك وسائل الشيعة: ميرزا حسين النوري الطبرسي: تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث: ط: المحققة الأولى: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م، بيروت - لبنان.

مستند الشيعة في أحكام الشريعة: أحمد بن محمد مهدي النراقي: تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ط: الأولى: المطبعة: ستارة، ١٤١٥ هـ. قم.

مسكن الفؤاد: الشهيد الثاني الشيخ محمد زين الدين علي بن أحمد الجبعي العاملي: تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث: ط: الأولى: ١٤٠٧ هـ، المطبعة: مهر، قم.

مسند الإمام زيد: للإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام: منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان.

مشكاة الأنوار في غرر الأخبار: أبو الفضل علي الطبرسي: تحقيق: مهدي هوشمند: دار الحديث: ط: الأولى.

مصباح الاصول: تقرير بحث سماحة آية الله العظمى زعيم الحوزة العلمية السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي: المؤلف: السيد محمد سرور الواعظ الحسيني البهسودي، منشورات مكتبة الداوري: ط: الخامسة، ١٤١٧ هـ، قم.

مصباح البلاغة في مشكاة الصياغة: حسن المير جهاني الطباطبائي.

مصباح المتجهد: الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي: مؤسسة فقه الشيعة: ط: الأولى: ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، بيروت - لبنان.

مصباح الشريعة: المنسوب إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات: ط: الأولى: ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، بيروت - لبنان.

معاني الأخبار: الشيخ الصدوق أبو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي: انتشارات إسلامي، ١٣٦١ ش.

مكارم الأخلاق: رضيّ الدين أبو نصر الحسن بن الفضل الطبرسي: ط: السادسة، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.

منتقى الاصول: تقرير بحث السيد الروحاني للسيد الحكيم، المؤلف: الشهيد آية الله السيد عبد الصاحب الحكيم: المطبعة: الهادي: ط: الثانية: ١٤١٦ هـ.

من لا يحضره الفقيه: الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي: صحَّحَهُ وعلَّقَ عليه علي أكبر الغفاري: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة: ط: الثانية.

موسوعة أحاديث أهل البيت عليه السلام: الشيخ هادي النجفي: دار إحياء التراث العربي: ط: الأولى: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، بيروت - لبنان.

الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم.

### (ن)

النوادر: ضياء الدين أبو الرضا فضل الله بن علي الحسيني الرواندي: تحقيق: سعيد رضا علي عسكري: دار الحديث: ط: الأولى: ١٣٧٧ هـ، قم - إيران.

نهج البلاغة: للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: دار المعرفة: بيروت - لبنان.

نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: الشيخ محمد باقر المحمودي.

### (و)

وسائل الشيعة (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة): الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي: تحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث: ط: الثانية: ١٤١٤ هـ، المطبعة مهر: قم.

